



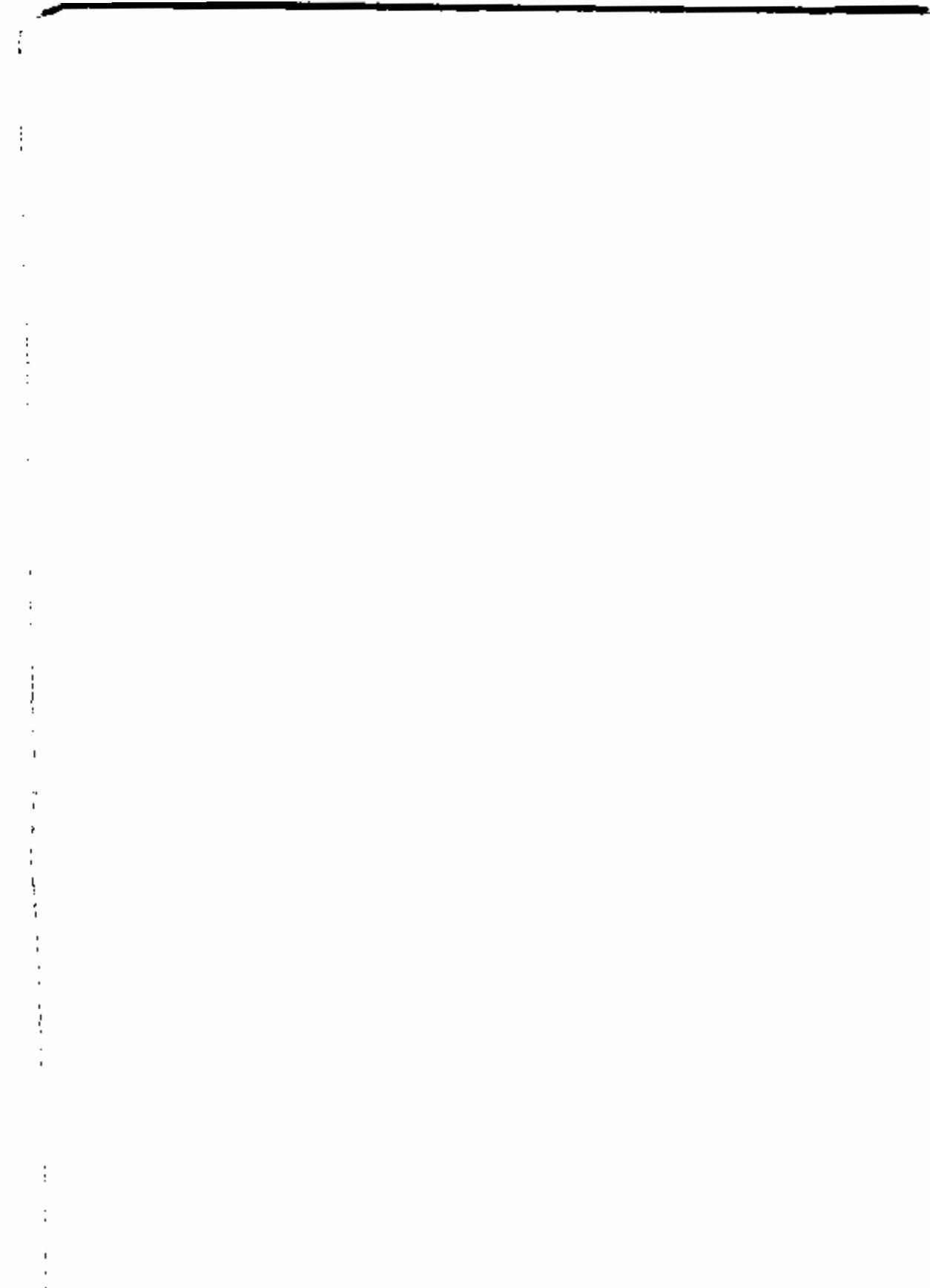
مجلة

كلية الآداب

العام الجامعي ١٩٩٥/٩٤

المجلد الثاني والأربعين

- موضوعات الشعر وديوان عابر سبيل د. سعاد عبد الوهاب
إيران في عصر البيشدايين والكيانيين بين
المعمودي والفردوسي د. سميرة عبد السلام عاشور
روية نقدية لمقامات بديع الزمان الهمذاني د. نسيمة الغيث
حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز د. أحمد محمود صابون
التوازن واللاتوازن الإقليمي - دراسة جغرافية
تطبيقية على مدينة رابع د. أسامة رشاد جستنية
الجفاف وتأثيراته الأيكولوجية في الوطن العربي د. عبد الله رمضان عبد الله الكنزوي
اللوتس والسليون في التراث الكلاسيكي القديم د. حسين الشيخ
الإسكندر الأكبر وبلاد العرب ضره جانبي من
خلال فكره السياسي والديني د. سلوي محمود نصر
الأدوات الطبية في مصر في العصرين اليوناني
والروماني د. عنابات محمد أحمد
التطهير أم المتعة د. ليلى محمد عبد النعم
أحوال برقة وطرابلس في أوائل العصور الوسطى
(٢٨٤ - ٤٥٥ م) د. إبراهيم خميس إبراهيم سلامة
أثر الظواهر الإيكولوجية والثقافية في اللهجة
المغربية بفاس د. صال عبد النعم جاد الله
ضروس الشاطيء - توزيعها ، تصنيفها ، نشأتها د. فتحى عبد العزيز ابو راضي
Dr. Mona Haggag A Composite Sphinx From Karanis



**موضوعات الشعر
وحيوان عابر سبيل**

**دكتورة / سعاد عبد الوهاب
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الكويت**



موضوعات الشعر

وديوان عابر سبيل

١ - مقدمة :

صدر ديوان " عابر سبيل " عام ١٩٢٧ م . وقدّم له صاحبه : عباس محمود العقاد بمقدمة قصيرة ، تحت عنوان " الموضوعات الشعرية " ، وحاول أن يشرح فيها بواعثه لصنع هذا الديوان ، وما تميز به من تناول المشاهدات العادية ، والعلاقات والأنشطة اليومية التي يصادفها ، أو يمارسها ، الفرد في حركته المألوفة ، وكان هدف هذه المقدمة ، أن تقنعنا بأن أى موضوع قابل لأن يكون شعراً ، وأن يرتفع إلى " عاطفية " الشعر وتأثيره ، إذا تهيأ له الشاعر الذى يملك المهبة القوية ، فكانما أراد العقاد أن يقول إن " الشعر " فى نفس الشاعر ، وليس فى موضوع القصيدة .

لم يكن " عابر سبيل " أول ديوان العقاد بل لم يكن من أشعاره المبكرة ، فقد صدر وقد قارب العقاد الخمسين من العمر (ولد العقاد عام ١٨٨٩ وتوفى عام ١٩٦٤ م) وهذا يعنى أن " عابرسبيل " مسبق بالنواوين : " يقظة الصباح " (١٩١٦ م) - " وهج الظهيرة " (١٩١٧ م) - " أشباح الأصيل " (١٩٢١ م) - " أشجان الليل " (١٩٢٨ م) - " وحى الأربعين " (١٩٢٢ م) - " هدية الكروان " (١٩٢٢ م) ثم يأتي ديوان " عابر سبيل " تعقبه النواوين : أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير ، ما بعد البعد !!

وكما هي " عادة " العقاد فإنه حرص على كتابة مقدمات لنواوينه يشرح

فيها آراءه النقدية ومنهجه في الشعر ، وكان من قبل قد كتب - بالاشتراك مع إبراهيم عبد القادر المازني - كتاب " الديوان " - (١٩٢١م) في جزئين ، تصدّى فيه بالنقد ، المستهين الجارح أحياناً ، لشوقي وشعره عامة ، وبعض قصائده بالتحديد . مما يدل علي أن العقاد حين صدر له ديوان " عابر سبيل " كان قد أوضح طريقته في الشعر ، عملياً ، من خلال ستة دواوين ، كما حدد مفاهيمه النقدية ، وأصول أفكاره في عدد من الكتب التي تكونت مادتها من تجميع مقالاته في الصحف ، وفي مقدمتها : مطالعات في الكتب والحياة (١٩٢٤م) ودراسات أخري من أهمها كتاب " الديوان " في جزئيه .

لقد ظلت شاعرية العقاد محل أخذ ورد ، ولكن أفكاره النقدية كانت محل إعجاب دائماً . فهنا ينفصل العقاد الشاعر عن العقاد المفكر ، المنظر ، الناقد . فإذا تحمس له مريدوه وتلاميذه ، ورأوا في شعره تجديداً وقوة وإبهاراً ، فقد رأى آخرون أن شعره - كما كان يقول القدماء - ناضب الماء قليل الرونق ، أو كما نقول اليوم : شعر جاف ، ينطوي علي فكر ، ويخضع لتصميم إرادي ، ويستجلب ألقاظاً وتراكيب رسوماً مستحدثة ، ولكنه لا يثير الوجدان ، ولا يصل إلي هزة الانفعال ، لا نشعر - حين نقرأه - بعنفوان الموهبة الفطرية ، ومبادرات الصدق النفسي الذي لا يمر علي رقابة العقل والوعي والإرادة . أما العقاد الناقد فإنه لم يختلف عليه أحد ، أو لنقل إن الخلاف محدود جداً ، مردود غالباً ، فالعقاد أحد عمد مدرسة الديوان (مع شكري والمازني) وهو الذي استمر أميناً علي مبادئ هذه المدرسة بعد أن انفصل شكري عن رفيقيه ولزم الصمت ، وبعد أن اتجه المازني إلي الصحافة والكتابة الفنية (النثرية) وتوقف - إلا قليلاً - عن إبداع الشعر والدفاع عن قضيته .

أما مدرسة الديوان فإنها أول من تصدّى بالحجة والوعي والإصرار لمدرسة "الإحياء" التي بدأها البارودي ، وبلغ بها أحمد شوقي ذروة استطاعتها في مجال التجديد البياني .

كانت "مدرسة الديوان" انقلاباً في مفاهيم الإبداع والنقد ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالشعر . ومن بعدها نشطت جماعة أبولو - التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي (١٩٢٢م) واستثمرت كثيراً من دعواتها ومبائنها ، ولكن جماعة أبولو كانت "جماعة" واسعة الإطار وإن اجتمع شعراؤها تحت شعارات ومبادئ متقاربة . أما الديوان فكان "مدرسة" بكل ما يحمل المصطلح من التحدد والوضوح والتكامل بين المبادئ .

إننا لا نستطيع - في حدود هذه المقالة المختصرة - أن نتوقف عند مبادئ مدرسة الديوان ، ومفهوم الشعر كما طرحته ، والعودة إلى المصادر المشار إليها سابقاً ، ميسرة ، ونزي من واجبنا أن نوجه الاهتمام إلى "عابر سبيل" فهو الذي لفت الاهتمام ، وأثار الحوار النقدي المثمر ، باعتباره منهجاً ، أو مطلباً جديداً ، في حركة الشعر العربي الحديث .

لقد تفرقت جماعة أبولو ، وتوقفت مجلتها بعد هامين من إعلان تأسيسها (١٩٢٤م) وإن يكن أثرها ممتداً ، ربما إلى اليوم ، غير أن صدور "عابر سبيل" في هذه "السكينة" التي أعقبت انفضاض الجماعة ، كأنما قصد به إزاحة الغبار ، أو الركام ، وفتح طريق آخر لتجديد ، وتنشيط الشعر العربي الحديث ، هذا الرأي الذي نقول به ، وهذه المقالة القصيرة تتجه إلى توضيحه ، ولعلها تتمكن من تنوير هذه النقطة المحدودة ، المهمة في نفس الوقت .

لقد تصدى لناقشة "عابر سبيل" تحدياً ، ناقدان من كبار نقادنا :
الدكتور محمد مندور ، والدكتور شوقي ضيف ، وتصدي لشرح وإعلان
شاعرية العقاد مريدان شديداً الإعجاب بأستاذهما العقاد : الدكتور زكي
نجيب محمود ، والدكتور عبد الحى دياب ، وستكون لنا وقفة معهما ، من خلال
ما كتبنا عن ديوان "عابر سبيل" وليس ما كتبنا عن شاعرية العقاد أو شعره
بوجه عام ، ما دمنا نرى أن هذا الديوان له منهجه المنفرد ، ودعوته الخاصة .
ومن المهم أن نوضح هل تضمنت أشعار العقاد السابقة علي "عابر سبيل"
شيئاً مما دعا إليه فيه ، يمكن أن نعتبره "البذرة الأولى" التي نمت وتفرعت
وأعلنت عن نفسها بقوة في "عابر سبيل" ؟ أم أن عوامل مستجدة ، لعل
العقاد نفسه لم يفكر فيها من قبل ، هي التي قادته إلى ما أعلن في تقديمه
لهذا الديوان ؟ ولعلنا نمهد لهذا كله بوقفة قصيرة ، مع النقد العريى القديم ،
نحاول أن نرى إلى أى مدى كان يبدي اهتماماً بموضوعات الشعر ، أو
موضوع القصيدة ، وهل كان يدخله في اعتباره وهو يُقيّمها ، أم كانت نظرته
جمالية خالصة ؟ وقد نعقب علي تعرفنا علي الديوان بالإشارة الموجزة إلي أثر
دعوته فيما جاء بعده من شعر والله الموفق إلى سواء السبيل .

جرى عرف الباحثين في الشعر أن يتخنوا من آراء أفلاطون نقطة بداية ، ولكن الرأي المثير قبولاً أو رفضاً يكون عادة رأى تلميذه ، ونقيضه أرسطو ، الذي اعتمد على الوظيفة الاجتماعية للفن (الشعر بصفة خاصة) كما غلب التجريب والإحصاء علي منهجه . وبالنسبة للموضوع القابل للتناول الشعري ، (وهو ما نهتم به هنا من خلال ديوان " عابر سبيل " وما أثاره العقاد حوله) ، لن تكون لأفلاطون فرصة في توجيه القضية : ذلك لأنه تمسك واحتج وبرهن على صحة الأصل الغيبي للشعر ، فالشاعر ملهم ، وملهمته الإلهة موس ، تفيض عليه ما يجب أن يبلغه إلي الناس ، فهو بهذا مجرد وسيلة ، وبدوره لا يتجاوز التوصيل ، وإن لم يجرده أفلاطون من " خصوصية " الاستعداد ، فالشاعر - دون غيره من الناس - هو القادر علي توصيل القوة المغناطيسية من مصدرها الإلهي ، إلي المتلقي العادي من جمهور الشعر (١) .

أما أرسطو فإن آراءه أكثر تشعباً ، وأكثر قرباً من الإدراك الإنساني ، لأنها تعتمد علي الملاحظة ، والتجريب واستخلاص القواعد العامة من الظواهر السائدة لدي شعراء عصره . إن كتاب " الشعر " لأرسطو هو المصدر الأول ، الموثق ، الذي نستمد منه أفكار هذا الفيلسوف ذي النزعة الاجتماعية العلمية . ونحن نعرف أن أرسطو - مستنداً إلي هذه النزعة الاجتماعية ذاتها - اهتم بالشعر المسرحي ، بل إنه حين يطلق لفظ " الشعر " يعني الشعر المسرحي بصفة خاصة ، فإذا أراد فناً شعرياً آخرى فإنه ينص علي ذلك . ومع أن أحكام أرسطو وتوجيهاته للشعراء يقصد بها شعراء المسرح أولاً ، وربما نون غيرهم ، فإن البحث عن مواضع اهتمام بموضوع

وسارت المطى في الأبطح (١٠) * !!

إننا نعرف الآن أن هذه الأبيات الثلاثة قد وجدت رد اعتبارها عند ابن جنى (١١) ، ثم عند عبد القاهر (١٢) ، وقد قدرنا طرافة الصياغة ، وجمال التصوير ، ولكن ابن قتيبة - وهذا ما نرجحه - لم يهتم بالصياغة أو التصوير ، حين غلب عليه - استجابة لثقافته الخاصة - الشعور بأن "الموضوع" نفسه تافه ، لا يستحق ، بل سخي ، لا يجوز أن يهدر فيه الشاعر طاقته الإبداعية ، فما أهمية أن هولاء الحجيج انتهوا من طرافهم ، ثم ركبوا إبلهم عاندين إلي بلادهم !؟

لعل هذه إشارة مبكرة ، ضمنية ، إلي أن "موضوع القصيدة" يدخل في أساس الحكم عليها ، وليست صياغتها أو ما فيها من طرافة أو جدة ، هي التي تحلها في مكانها من الاهتمام . ويتأكد هذا حين نجد فن المديح يتصدر اهتمام الشعراء ، والنقاد أيضاً ، ذلك لأن موضوعه عظماء الرجال ، وما ترحى به شخصياتهم ، وأعمالهم العظيمة .

إن قدامة بن جعفر لم يخرج عن الاهتمام بفن المديح وإعطائه الصدارة بين موضوعات الشعر ، لكنه يقدم إضافتين مهمتين بالنسبة لما نحن بصدده : أنه وضع مواصفات لمدح طوائف من الناس لا ترتفع إلي مستوي العظمة ، بل قد تلاحقهم المثالب والعيوب ، وأنه أعطى الحق للشاعر في أن يتطرق إلي ما يشاء من موضوعات لم يحظر عليه معني ، ولم يضع قيداً من الخلق أو الدين ، فبعد أن وضع الشروط العامة للمدح وأنه إنما يكون بالفضائل النفسية (١٣) ، يتدرج في وضع الحدود الخاصة لمدح كل طائفة ، بادئا بمدح الملوك فمدح نوبي الصناعات من الوزراء والكتّاب ، فمدح القائد ، إلي

أن يصل إلي مدح السوقه ، ومنهم - كما يقول : المتعيشون بأصناف الحرف
 وضروب المكاسه ، والصعاليك ، والخراب ، والمتلصصه ، ومن جري
 مجراهم (١٤) . إن قدامة بن جعفر لم يهتم بتفسير التناقض بين الحرص
 علي الكمال النفسي في صفات الملووح ، والترسع في أصناف الملووحين
 حتى لا يدخل فيهم الفتاك واللصوص !! لكنه - على أى حال - قد انتهى إلي
 إمكان أن يكون الإنسان العادى ، من أرباب الحرف والصنائع موضوعاً لفن
 الشعر ، وهذه إضافة لم يسبق إليها .

أما الإشارة الأخرى التى تتعلق بمعاني الشعر فإنها تتسع لأمرين :
 إباحة كل المعاني للشاعر ، وأن " له أن يتكلم منها فيما أحب وأثر ، من غير
 أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة
 الموضوعه ، والشعر فيها كالصورة (١٥) " وإذن فإنه ألغى الفرق بين المعاني
 الحميدة ، والمعاني الذميمة ، . بين جعل التمييز بينها يرجع إلي جودة
 التصوير . ويتصل هذا بالأمر الأخر ، فإنه حين فاضل بين الاكتفاء بالحد
 الأوسط ، والمبالغة ، في إيراد المعاني ، أخذ جانب المبالغة ، إذ قال :
 " والخلو عندي أجود المذهبين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء
 قديماً ، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه (١٦) " ونمضي
 عن قدامة إلي الحسن بن بشر الأمدي ، لتري كيف أقام الأساس العادل
 لإجراء موازناته بين الطائيين ، في قوله : " ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة
 وقصيدة ، إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معني
 ومعني ، فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك ، وتتكشف " (١٧) . إن هذا
 الحرص علي اتفاق النصين موضع الموازنة في الإيقاع (الوزن والقافية
 وإعراب القافية) هو تأكيد لأهمية " الشكل " ، كما أن ضرورة اتفاق النصين

في " المعنى " هو تأكيد لكون المعنى ، الموضوع ، عاملاً حاسماً في إعانة مقدرة الشاعر علي الإجابة ، واعتراف بتفاوت قدرات الشعراء تجاه الموضوعات المختلفة . وهنا نتذكر أن الأمدى لم يستطع فيعما أجري من موازنات أن يلتزم بالشرط الأول ، وهو الاتفاق في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ولكنه وجد العون ، كما تمسك بالشرط الثاني ، وحدة الموضوع (١٨) .

ويذكر حازم القرطاجني صاحب " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " في مقدمة النقاد العرب المتأثرين بأرسطو وكتابه " الشعر " خاصة ، وشرح الفلاسفة العرب ، واختصاصاتهم له ، ويتأكد هذا بحرصه علي إقامة فن الشعر علي " المحاكاة " ولكنه يتطرق إلي أمور أو اجتهادات ، تستحق أن نذكرها ، وإن كنا نفضل في هذه اللمحة السريعة أن نورد مراده بأسلوب عصري يفني بالعرض . إذ ينقل عنه الدكتور إحسان عباس قوله إن المحاكاة ليست دائماً علي درجة واحدة من التأثير . وإنما يكون تأثيرها مساوياً لمقدار الإبداع فيها ، ومحددأ بحسب استعداد النفس لقبولها ، والاستعداد النفسي يعني حالة معينة تكون فيها النفس مستعدة لتقبل محاكاة ملائمة لتلك الحالة . ثم يطرح القرطاجني سؤالاً مهماً ودقيقاً : لماذا لا يكون التناذ الناس بالشئ المحكى نفسه أكثر من التناذهم بالمحاكاة نفسها ؟ يشرح إحسان عباس هذا السؤال بقوله : لم لا تكون اللذة الحادثة من رؤية امرأة جميلة أكبر بكثير من رؤية تمثال فني لتلك المرأة (١٩) ؟

وهنا نفضل أن نقبس إجابة حازم القرطاجني بنصها إذ يقول :
" وأنتم تقولون إن الأقاويل الشعرية ربما كان التحرك لما يتخيل من محاكاتها أشد من التحريك لمشاهدة الشئ الذي حوكى ، وابتهاج النفس بما تتخيله من

ذلك فوق ابتهاجها بمشاهدة المخيل . فيقال له أولاً : إن الدمية والشخص الذي صورت علي صورته يختلف اعتبارهما في تحريك النفوس ، فالدمية تحركها بالتعجب من حُسن محاكاتها وإبداع الصنعة في تقديرها علي ما حكى بها ، والشخص الذي هو تمثال له إن كان مستحسننا فإنه يحرك النفوس بالصباية إلي حسنه وما يتعلق به من أرب ، إذا كانت الدمية صورة جارية مثلاً ، فربما كان تحريك الدمية من طريق التعجب أكثر من تحريك الذي هي تمثال له من هذا الطريق ... والتعجب في القول المخيل يكون إما من جهة إبداع محاكاة الشيء المحاكى من الأشياء المستغربة ، والأمور المستطرفة ، وإذا وقع التعجب من الجهتين المذكورتين علي أتم ما من شأنه أن يوجد فيهما ، فتلك الغاية القصوى من التعجب . وللنفوس إلي ما بلغ هذه الغاية تحريك شديد (٢٠) وهذا القول لحازم مهم جداً ، ولا ينقص من أهميته أنه يستند إلي أقوال أرسطو في نفس المعنى والاتجاه ، لكن القرطاجني أضاف وضوحاً وحجة وتعليلاً ، حين فسّر أسباب ازدياد اللذة الفنية بالمحاكاة ، عن اللذة المباشرة بمشاهدة أو إدراك الشيء الذي يحاكيه الشاعر أو المثال ، وتشعر من عبارته أن تمثال المرأة الجميلة - في حدود المثل الذي يسط به إحسان عباس هذه المسألة - يثير اللذة ، لكنها هنا أقرب إلي " المنفعة " ، نستخلص هذا من إشارته إلي تحرك النفوس بالصباية إلي حسنه وما يتعلق لها به من أرب " إن الأرب " هي الجمال " الفني " ، واللذة بالمشاهدة ، أو بالسماع ... إلخ ، أما الأرب في الجمال الأنثوي الصي فمعناه أو مطلبه يختلف عند من يشغف به . وهذا هو معنى " التعجب " في المحاكاة الفنية ، فإن إثارة الدهشة في المتلقي تأتي من جهات شتى ، ليس منها المنفعة ، أو الإفادة المادية المباشرة ، إنها تكون في النسب ، والدقة ،

والألوان ، والأصوات ، وتحريك النفس بإيقاظ مخترننها من التجارب
والمشاهدات ، وإثارة أشواقها إلى الجمال الطبيعي ، وما إلى ذلك .

نستطيع أن ننتهي إلى عدة مبادئ عرفها نقادنا القدامى ، تتصل
بموضوعات الشعر ، نون أن تطرح الموضوع بشكل محدد مباشر ، فقد كان
موضوع الأبيات داخلياً في الحكم بقيمتها عند ابن قتيبة ، ومؤذناً بإجراء
الموازنة عند الأمدى ، ومباحاً بغير حد عند قدامة بن جعفر ، وإتقان المحاكاة
وتجاوز " الأصل " في إثارة اللذة هو الأساس عند حازم ، استناداً إلى
أرسطو ونظريته في العلاقة بين الأشياء في ذاتها ، والأشياء من خلال
المحاكاة . أما في النقد الحديث فقد أثيرت قضية " موضوعات الشعر " من
نوايا متعددة ، تتعلق بفهم الشعر ، وبالشعر التعليمي ، ورسالة الأدب
الاجتماعية ، وبقضية الالتزام ، وهذه مباحث واسعة جداً ، يحتاج كل منها
إلى عناية خاصة ، وسنجد أنفسنا بحاجة إلى وقفة أو أكثر مع بعضها حين
نعرض لحجج العقاد في " عابر سبيل " ومناقشة بعض النقاد له . لكننا
نشير الآن - باختصار شديد - إلى عنصر " الأهمية " في موضوع الشعر ،
فالقدر المتفق عليه بين النقاد في العصر الحديث أن الإبداع الأدبي لا يستحق
وصفه إلا إذا أثار الاهتمام وأثر في الروح ، وأحدث تغييراً في المشاعر (٢١)
ومع أن المدرسة الجمالية - بدءاً من الفيلسوف الإيطالي بنديتو كروتشه رأيت
الفصل بين القيم الجمالية في الفن عما عداها ، فإن " موضوع القصيدة "
تراجع التعويل عليه أو الاهتمام به ولكن لم يتم إلغاؤه ، حتى عند العبثيين ،
إن العبث - عندهم - معنى ، وفلسفة ، إنه ليس شكلاً ، أو علاقات لغوية
وحسب ، إنه هدف ، وموضوع ، أيضاً .

٣ - عابر سبيل : الدعوى والدليل :

من حق العقاد أن يعرض دعواه ، وأن يقدم أدلته (العملية) عليها . وقد أشرنا سابقاً أن ديوان " عابر سبيل " صدر عام ١٩٢٧م ، تصدره مقدمة تشرح الدعوى ، وتقدم الأدلة " النظرية " علي صحتها ، ثم جاءت القصائد لتكون تطبيقاً أو أدلة عملية . كتب العقاد مقدمته تحت عنوان " الموضوعات الشعرية " ، وبدؤها بأن يتحفظ علي " الدلالة الموضوعية " للكلام ، ويجعل هذه الدلالة محكومة بحال المتلقى وموقعه من المتكلم ، وعلاقته بموضوع الكلام ، " وقد يدخل القادم الطارئ إلى مجلس فيلقي فيه بكلمتين اثنتين هما : " فلان يحترق " ، ويكون في المجلس أبو فلان هذا ، وصديق له ، وإنسان لا يعرفه ، وعدد من أعدائه ، وآخرون يعرفونه بالقالة الحسنة ، وآخرون يعرفونه بالقالة السيئة ، ثم تنظر إلي صديي الكلمتين في نفوس أولئك الجلساء فإذا هو مختلف أشد اختلاف " هذا هو مدخل القضية - الدعوي - وهو لا يثير خلافاً ، لأننا نعرف أن " لازم الفائدة " هو الذي يحدد المعنى ، ويحكم بملازمة المقتضي ، أو عدم ملازمته (مقتضي الحال ومناسبة المقال للمقام) ، لكن ما يرتبه العقاد علي هذا المبدأ العام هو الذي يستحق أن نناقشه ، وذلك حين يقول : " إن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة ، ويبث فيه الروح ، ويجعله معني " شعرياً " تهتز له النفس ، أو معني زرياً تصرف عنه الانتظار ، وتعرض عنه الأسماع ، وكل شيء فيه شعر إذا كانت فينا حياة ، أو كان فينا نحوه شعور " . هذا هو المدخل الأساسي ، الخطير ، لتجربة " عابر سبيل " لأنه أولاً يجرد " الأشياء " من قيمتها الموضوعية الكامنة فيها ، المتحققة في تركيبها الطبيعي ، ويجعل هذه القيمة متوقفة علي إدراكنا لها ، وهذه النظرة لها أساسها الفلسفي القديم عن معني

الوجود (للشيء) والجمال فيه ، فهل هو موجود بذاته أو هو موجود حين نذكره ونعرف أنه موجود ؟ وهل هو جميل لأسباب موضوعية متحققة فيه ، أو هو جميل لأننا نراه كذلك ؟ إن العقاد يأخذ بالرأى الأخير ، وكما هي طبيعته في التحمس لما يراه ، والاستهانة ، بل الإهانة ، لما لا يوافق هواه ، فإنه يرى أن الشاعر هو الذي يستطيع أن يجعل من أي شيء مألوف ، عادي تماماً ، موضوعاً لقصيدة جيدة : " فليست الرياض وحدها ، ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشعر الصالحة لتبنيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التي لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالمعلم الذي يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والباقلاء ! " ثم يلقي بجماع رأيه وخلصته تصوره في قضية " موضوعات الشعر " حين يقول عبارة مشهورة تتداولها الكتابات النقدية كلما عرضت لهذا الموضوع وهي :

" كل ما نطلع عليه من إحساسنا ، ونفيض عليه من خيالنا ، ونبتخله بوعينا ، ونبت فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا ، هو شعر ، وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة (٢٢) " .

يجب علينا أن ندقق في هذه العبارة ، وأن نطيل في تأملها . لأنها جوهر المحاورة العقادية في " عابر سبيل " وخلصته موقفه في قضية موضوعات الشعر . ونلاحظ ثلاثة أمور :

١ - أن العقاد ساري بين جميع الشواخص والكائنات من حيث هي مصدر لإلهام الشاعر ، لأن جميع هذه الشواخص والكائنات موجودة في الحياة

يمكن إدراكها ، ومن ثم الانفعال بها ، أو التفاعل معها .

٢ - أن الفرق بين شاعر وآخر ستكون في قدرته علي اتخاذ هذه الأشياء منطلقاً للتعبير عن " حالات " إنسانية ، وهذا واضح في استخدام الأفعال : " نخلع - نفيض - نتحلل - نبث " وهذا يدل علي أن الشاعر لا يتجه إلي هذه الأشياء ليصفها في ذاتها ، أو في وظائفها ، أو فوائدها ، وإنما يستوحىها ، باعتبارها مثيراً لأفكاره ومشاعره .

٣ - وفي هذه العبارة السابقة تتضح الـ " أنا " العقادية المعروفة ، إذ يتكلم عن " إحساسنا " ، و " خيالنا " ، و " وعينا " ، و " هواجسنا " ... إلخ ، ولا يقصد متلقي الشعر ، وإنما يقصد الشاعر نفسه ، أو العقاد في هذه المحاولة بالتحديد ، فقد اتخذ أشياء عادية تماماً ، مثيراً لفيض من أحاسيسه وخياله ، ووعيه ، وهواجسه ... إلخ .

وبمضي العقاد في " تحديه " لتقاليد ومسالك الشعراء في البحث عن مثير للشاعرية في الطريف ، والاستثنائي النادر ، وصدمة المشاهدة الأولى لغير المألوف ، فيعلن - في هذه المقدمة - أن " عابر سبيل " يري " شعراً في كل مكان إذا أراد " ، في البيت ، والطريق ، والدكاكين ، والسيارة ، " لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية ، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور ، صالح للتعبير ، وأجد عند التعبير عنه صدي مجيباً في خواطر الناس " . وهنا نتنبه إلي أن العقاد ، يخلط عن عمد لينصر رأيه - بين جانبين من الحياة الإنسانية : الجانب العملي ، والجانب الشعوري ، وإذا كانت الأشياء في ذاتها ليست مصدر الشعر ، وإنما وجه الإحساس بها ،

فإننا لا نستطيع القول إن جميع الأشياء قادرة علي تحريك الإحساس بها ،
وتعليق الأمر علي " طاقة " الشعاعية ، والقول بأن الشاعر العظيم يستطيع
أن يستخرج من " أى شيء " قصيدة جيدة ، فيه قدر من التعميم ،
والتجاهل لما دلت عليه تجارب الشعراء عبر العصور ، في مختلف اللغات
والآداب ، أما التعميم فيأتي من أن العقاد نفسه يعلق أمر الإجابة علي قدرة
الشاعر علي بث إحساسه ، وتصوير خياله ، والتغلغل بوعيه ، وسنري أن
قصائد العقاد فعلت هذا ، لكن ليس في صميم ذات الشيء ، وإنما هي
انطباعات حوله ، يمكن أن يكون هو مثيرها ، كما يمكن أن يكون غيره أيضاً
، فليس في هذه القصائد التزام بمعالم " الموضوع " ولاحتمية الارتباط بين
هذا الموضوع والانطباعات المثارة حوله . سيتأكد لنا هذا حين نعرض لهذه
القصائد ، ولايعني هذا القول أننا تراها غير ممتعة ، أو غير مفيدة ، بالمعني
الشعري للمتعة والفائدة . وقبل أن ينهي العقاد مقدمته لديوان " عابر سبيل "
نجده يمتد بدعوته ، أو دعواه ، والتعليل لها بمراجعة مسيرة الآداب
العالمية (الأوروبية) فقد رأى أن أدب الثرثرة والتفاهة أصبح سائداً بين
أبناء العصر هناك ، لسببين : أنهم فقدوا الإيمان بالمثل العليا والعقائد
الراسخة والفضائل الروحية ، ومن ثم أصبحت هذه القيم (المثل العليا
والعقائد والفضائل) متهمه ، متهم من يرددها في شعره ، وأن المجتمع
الأوروبي غرق في ثقافة الصالونات الأدبية القائمة علي الثرثرة وتسطيع
القضايا (فيما بين الحريين) ومن ثم فإنه يربط دعوته إلي الاهتمام بما يبدو
عادياً ومألوفاً وخالياً من الإثارة ، بضرورة أن نتعود أن نشعر بما حولنا حق
الشعور ، وأن نخلع علي اليوم الحاضر ما كنا نخضعه علي الزمن الماضي من
سراويل الجمال والخيال .

ثم نختم بعبارة " عقادية " لها سحرها في التأثير علي القارئ ، بصياغتها المحكمة ، ومقابلتها الذكية بين الاستثنائي والمألوف من مظاهر الحياة ، وضرورة الاهتمام بالواقع " فإن كنا لا نصدق بواق فلنصدق بالبيوت ، وإن كنا لا نصدق بالأبطال فلنصدق بالرجال ، وإن كنا لا نصدق بالحب النادر فلنصدق بالحب الشائع ، وإن كنا لا نحلم فلننشعر ، أو كنا لا نجعل الحلم واقعاً ، فلنجعل الواقع حلماً ، ونحن غير مخدوعين ولا سائمين " .

هذا هو عباس محمود العقاد ، في مقدمته لديوانه " عابر سبيل " وسنكون في حاجة إلى استعادة هذا الاقتباس الأخير ، حين نعرض لأثر هذا الديوان في مسيرة الشعر العربي من الرومانسية التي أذكأها العقاد ومدرسة الديوان ، وأجملها عبد الرحمن شكري في بيت واحد من الشعر اتخذته المدرسة شعاراً لها ، وحرصت عليه جماعة أبولو من بعد ، وهو :

ألا يا طائر الغروب س إن الشعر وجدان (٢٣)

حتى بلغت أو قاربت " الواقعية " - برغم ما يحمل المصطلح من احتمالات التناقض (٢٤) . وقد بذل العقاد جهداً واضحاً في عقد مصالحة بين الواقع والشعر . ولكننا قبل أن ننتقل من " الدعوى " إلى الحجة العلمية ، والدليل التطبيقي ، نقول إن صلة دعوى العقاد ، أو دعوته ، بمذاهب الآداب الغربية تتجاوز هذا الدافع المرحلي (التفاهة وثرثرة الصالونات) إلى جذور سابقة لم تكن ثقافة العقاد الفزيرة ، المتنوعة ، بعيدة عنها ، كما سنرى .

ثم نتأمل محتوى الديوان من قصائد ، قلانجده خالصاً لهذا الضرب من الشعر ، ففيه فنون أخرى وضعت تحت عناوين فرعية : أناشيد وأغاني -

قوميات - تأملات - متفرقات - رثاء - ربيعات . أما قصائد عابر السبيل فإنها تمثل القسم الأول من الديوان ، والمشعر بالأهمية ، فقد تصدرت الأقسام ، وحمل الديوان في مجموعته اسمها عنواناً له ، كما أنها التي أثارت الحوار النقدي المثمر ، فيما بعد .

قصائد عابر السبيل تقع في نحو تسع وعشرين صفحة ، تحمل تسعة وعشرين عنواناً (وهذه مجرد مصادفة فليست متساوية الطول) تتفاوت بين القصيدة الطويلة ، والمقطوعة ، وقد يأتي بعضها في بيتين أو ثلاثة . ستدل العناوين علي الموضوعات التي تناولتها القصائد والمقطوعات ، وهي :

- | | |
|--|--|
| ١ - بيت يتكلم | ٢ - أمام قفص الجييون (نوع من القردة) |
| ٣ - عتب علي الجييون | ٤ - قرش معقول |
| ٥ - واجهات الدكاكين | ٦ - أصداء الشارع |
| ٧ - عصر السرعة | ٨ - عصر السرعة (مرة أخرى في بيتين) |
| ٩ - عسكري المرور | ١٠ - طيف من حديد (السيارة) |
| ١١ - الفنادق | ١٢ - الفنادق أيضا (في ثلاثة أبيات) |
| ١٣ - بعد صلاة الجمعة . | ١٤ - قطار عابر |
| ١٥ - صورة الصي في الأذن | ١٦ - الدينار في طريقه المرسوم |
| ١٧ - المصرف (البنك) | ١٨ - كواء الثياب ليلة الأحد |
| ١٩ - بابل الساعة الثامنة (يعني اللحظة التي يسمح للباعة فيها بالنداء علي بضاعتهم فتختلط الأصوات ويعم الضجيج فجأة) | |

- ٢٠ - وليمة الماتم
 ٢١ - عند تمثال
 ٢٢ - سلع الدكاكين في يوم البطالة
 ٢٣ - المنازل في الصيف والشتاء
 ٢٤ - الطريق في الصباح
 ٢٥ - معرض البيت
 ٢٦ - بعيد الغروب
 ٢٧ - فتنة الصور المتحركة
 ٢٨ - على سفح الهرم
 ٢٩ - متسول .

ويجب أن نقرر أن قراءة هذه العناوين لا تغنى عن العودة إلى القصائد ذاتها وتمعن معانيها ، ومسارات بنائها ، وبصفة عامة تلفتنا بعض الأمور :

١ - فقد ظهرت البيوت والدكاكين والشوارع والفنادق ، لأول مرة عناوين لقصائد في الشعر العربي . سنرى الدكتور شوقي ضيف يعود بهذا الاتجاه في التصوير إلى ابن الرومي ، لكن ابن الرومي كان يصف مشاهدات زمانه .

٢ - بعض هذه القصائد والمقطوعات يمكن أن يدخل تحت غرض شعري سبق إليه البارودي ، وتناوله شوقي وحافظ وشعراء المدرسة البيانية من معاصريهما ، وهو : وصف المخترعات الحديثة ، كالكهرباء ، والبرق ، والمصورة الشمسية ، عند البارودي (٢٥) ، كما كتب شوقي عن الطائرة ، والغواصة ، وطابع البريد ، والجامعة المصرية ، وبك مصر ، وباريس ، ومعرض باريس (٢٦) ، كما وصف حافظ إبراهيم الحاكى (الجرامافون) والبورصة - أو : سوق الأسعار كما أطلق عليها ، ونادي الألعاب الرياضية ، وخزان أسوان (٢٧) . ومع هذا ينبغي أن نؤصل الفرق بين ما بدأه البارودي وتابعته فيه المدرسة المحافظة ، وما صنعه العقاد ، الذي

هاجم وصف المخترعات الحديثة قبل صدور "عابر سبيل" بعشر سنوات ، وكأنما كان يقول : " ليس بالتجديد أن نصف المخترعات العصرية ، لأن أحداً من العقلاء لا يطالبنا بأن نثبت وجودنا في هذا العصر بهذه الأمانة ، ثم لأن العبرة بأسلوب الوصف لا بالوصف في ذاته ، وبروح الشاعر لا بموضوع القصيدة ، وإنما التجديد أن يقول الإنسان لأنه يجد في نفسه ما يحسه ويقوله ، وما يجدر أن يحس ويقال (٢٨) .

٣- إن العودة إلي الموضوع ذاته تكررت ثلاث مرات : عصر السرعة ، والجيبون ، والقنادق . وهذا يعني أن الشاعر لا يصبر علي تأمل تجربته ، ويبدل جهداً في احتواء كافة جوانبها ، بحيث يستوفيها في مكانها ، ولا يجد نفسه مضطراً إليها . لقد اتسمت العودة مرة أخرى بنوع من " الاستدراك " أو " الإكمال " وهذا يعني أن القصيدة الأولى لم تأخذ حظها من العناية . ويتأكد هذا حين تكون هذه الوقفة الثانية مجرد إضافة عابرة في بيتين أو ثلاثة مثلاً .

٤- ولا يخطيء الإدراك أن بعض هذه القصائد لا ينتمى إلي دعوي العقاد في الاهتمام بالعادي والمألوف من المشاهدات ، فقصيدة "عصر السرعة" (وقد عاد إليها ثانية - هي تأملات في مفهوم الزمن) أما وقفته الأولى فلم تتجاوز الوصف الكاريكاتوري لشخص مسرع ، وهذا مما لا يختص به زمن دون زمن (٢٩) .

وليس المشية المتعثرة المثلثة مما يصلح تجسيدا لعصر السرعة . وكذلك قصيدته الحوارية الطريفة عن " الدينار " وكيف أن النقود تعرف طريقها

لمن يملك وأنها لاتذهب إلي المفلسين :-

فاستقبل الدينار وجهه	ته وهم بلا وناء
ومضي إلي حيث المعاء	لم واضحات والضياء
حيث الدناير السوا	بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحا	م ، كالطريق علي اهتداء

فهذا ليس من المشاهدات اليومية ، ولا الصور العصرية ، ولا مستحدثات هذا الزمان ، إنه قانون اقتصادى وسلوك نفسى ، نجد معاله واضحة في " المقامات " منذ ألف عام ، وكيف أن - علي قول المسيح - من معه يُعطى ويُزاد ، ومن ليس معه يؤخذ منه !!

ه - أما القصائد التي عاد إليها النقاد لشرح دعوي العقاد والاحتجاج لها ، أوردها ، فإنها تكاد تنحصر في : بيت يتكلم - أمام قفص الجييون - واجهات الدكاكين - أصداء الشارع - كواء الثياب ليلة الأحد - سلع الدكاكين في يوم البطالة .

وهذه القصائد الست هي التي نرى أنها تحقق دعوي العقاد ، كما تقدم الدليل العملى علي ما فيها من إمكانات التجديد .

ويمكن أن نتأمل هذه القصائد في مجموعها ، أو هذه القصائد الست - الأكثر شهرة وتداولاً ، لنرى أن اصطلياد المفارقة ، هو الأساس في تناول الشاعر ، وقد تكون المفارقة مدخلاً لسلسلة من التأملات ، وقد تكون القصيدة في تكوينها الشامل قائمة علي المفارقة . من النوع الأول قوله عن عسكري المرود :

متحكماً في الراكبين وماله أبدأ ركوبه

ثم يقول الشاعر عن نفسه :

أنا راكب رجلي فلا أمرُ علي ولا ضريبه
وكذاك راكب رأسه في هذه الدنيا العجيبه

لقد أوصلته المفارقة الطريفة في مدخل القطعة إلي نوع من التداخي ،
فهناك راكب رجله (الماشي) وراكب رأسه (العنيد) وليس لعسكري المرور
علاقة بهما .

وكذلك سلح الدكاكين التي ترى حياتها في موتها :

أطلقونا ، أرسلونا

بين أشتات من الشارين نسعي ونطوف
سوف نبلي يوم أن نُبذل بذلا
أى نعم ، لم نَسُءُ عن ذاك ولم نجهله جهلا
غير أنا قد وددنا
أن نرى العيش وإن لم يك رد العيش سهلا

أما القصائد التي قام بناؤها علي المفارقة ، أو التناقض بين الداخلي
والخارجي أو المكان والإنسان ، أو الظاهر والباطن ، فإنها الأكثر توفيقا ،
في إثارتها للتشويق ، لأنها تستخرج المعنى من حيث لا تتوقع ، وتبرز
الصورة معروضة على ضدها ، فتكون الدهشة ، ويكون التشويق .

في قصيدة " بيت يتكلم " يتناقض الوصف مع العرف ، فإذا كان
للجدران أذان فليست لها أفواه ، ولكن هذا البيت وشي بسكانه المتعاقبين ،

وكشف تناقضاتهم ومساخرهم وعبويهم ، وهم - جميعاً - يملنون للناس في حياتهم العامة صوراً ، يعيشون بين الجدران كل ما يناقضها . ومدى القصيدة محدود على أى حال ، وكان يمكن أن تمتد بلا توقف ما دام الهدف أن يصور أشتاتاً من سلوك ما بين سرّ ، وإعلان .

أما " أمام قفص الجيبون " فقد قامت المفارقة على السخرية من مزاعم القائلين بأن القرودة العليا أصل الإنسان ، وسخرية - في نفس الوقت - من مزاعم الإنسان بأنه الذي " يعرف " :

انتظر يا صديق مليون عام	أوملايين ، لست والله أدري
إن تدانيت بعدها من مقامي	فقصاري المطاف أن لست تدري
واضطرب إن عناك نثر ونظم	سوف تتلونثرا وتنظم شعرا
وغدا يظفر الخيال ويسمو	والذراعان لا تطيقان طفرا

فهذا الحيوان الذي لا يدري شيئاً ، تصاراه بعد ملايين السنين أن يصبح إنساناً كالإنسان وأن يقول أيضاً ما يقوله الإنسان بعد رحلة البحث والمعرفة : لست أدري . وإذا كان الإنسان يملك " قفزات " الخيال بالنثر والشعر ، فإنه مثقل بجسمه إلى الأرض ، أما هذه القرودة التي لا تعرف خيال الشاعر ، فإنها تظفر بيديها فتحقق ما تريد عملاً ، وليس تصوراً ...

وتبلغ " أصداء الشارع " قمة التوفيق الفني لهذا النوع القائم على المفارقة ، إذ رصد نداءات الباعة في الشارع ، وأسند إلى كل بائع ضد ما نتوقع أن نسمع منه :

بنو جرجا ينافو	ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يالو	ك تعريداً وقرىكا
ويتراكي إلى الجرو	د على الإسلام يدعوكا
وأقزام من اليابا	ن بالفصحي تحيكا (٢٠)

وفي " وليمة المائم " تقوم المفارقة علي أن المجتمعين حول توديع متوفى أخذوا في تناول الطعام ، وكأنهم في عرس (انتقاء الماكل وتعدد الأصناف) في حين أن سبب تجمعهم قد توقف عن الأكل ، وهم أيضاً قد سيطر عليهم الحزن . إن العقاد يصف المشهد من زاوية إدراك " طفل " يرى كل شيء فيه علامات الاحتفال ، ولكنه لا يرى حفلاً ، بل حزناً وصمتاً أو همساً ، يعقبه طعام ، ولهذا يختم الشاعر قصيدته بإسداء " نصيحة " أن تلتغى مآذب المائم :

فيا أيها الناس لا تولوا	علي ميت واحزنوا واعقلوا !!
فليست مجاملة الراحلين	إذا انقطع الزاد أن تاكلوا

فإذا تأملنا التشكيل الموسيقي لهذه القصائد والمقطوعات ، سنجد الالتزام بالبحر الشعري كامل التفعيل أو مجزواً هو السائد . أما نظام القافية ، فإن وحدة القافية سائدة أيضاً ، ولها الغلبة العددية إذا أدخلنا الأبيات القلائل والمقطوعات في الاعتبار ، أما إذا اكتفينا بحصر المطولات (القصائد) فإن التحرر من القافية يتوازن مع الالتزام بها ، فلدينا أربع قصائد علي نظام الموشحة (٢١) ، وقصيدتان من المزوج (٢٢) ، وقصيدة واحدة من المربع ، كل أربعة أبيات تستقل بقافيتها (٢٣) . ونستطيع أن

نقول - بوجه عام - إن الأوزان القصار هي التي تناسب هذا النوع من القصائد ، ولعلها ليست مصادفة أن تأتي قصيدة " بيت يتكلم " وقصيدة " أصداء الشارع " على بحر الهزج :

مفاعيلن مفاعيلن

مفاعيلن مفاعيلن

ومطلع الأولي يقول :

فهل تدرون عنواني

جميع الناس سكاني

أما الأخرى فمطلعها :

ن علي تفاح أمريكا

بنو جرجا يتأو

وعن (الهزج) وما يصلح له من الأغراض يقول عبد الله الطيب :
" نعمة الهزج تطلب فولاً مرسلأ طبعاً ، تسيطر عليه فكرة واحدة يتغنى بها الشاعر في غير تدقيق وتحقيق وتعقد والتفاف ... وعندي أنه يصلح للقصص الخفيف الذي يراد منه الإمتاع ، وأحسن أسلوب يرد فيه ما كان عماده على التعجب والاستثارة والتكرار ، وسرد الكلمات المتشابهة في الوزن والجرس - (٣٤) .

٤ - أربع زوايا لمشهد واحد :

بعد أن تعرفنا علي " منطق " العقاد الناقد المنظر في دعوته إلي الموضوعات اليومية ، أو التي رأى أنها تدخل تحت هذا الوصف ، وعرجنا علي قصائد " عابر سبيل " فتعرفنا علي خصائصها ، نتوقف عند شهادات أربعة من النقاد ، هم أكثر اهتماماً بشعر العقاد عامة ، وأبدي ثلاثة منهم عناية خاصة بتجربة " عابر سبيل " بكل ما تمثله من إبداع ، وما تركز عليه من مبادئ نظرية . هؤلاء النقاد الأربعة هم : الدكتور محمد مندور ، والدكتور شوقي ضيف ، والدكتور عبد الحي دياب ، والدكتور زكي نجيب محمود . والطريف حقاً أنهم لم يجمعوا على تصوّر واحد ، أو تقارب في الرؤية أو الحكم علي هذا النهج في الشعر ، بل ذهب كل في سبيل ، كما اختلفت أيضاً مواضع الاهتمام في هذه التجربة ذاتها ، وقبل أن نعرض لهذه الجوانب بشيء من التفصيل والتعقيب ، نذكر أن أسماء أخرى كثيرة كتبت أيضاً عن العقاد شاعراً ، وهو موضوع كبير ، مترامي الإثارات ، وليس هو الذي نقصد إلي طرحه في هذه المقالة ، إذ حصرنا القضية في منهج معين من القصائد ، وكذلك لم نتوقف عند كتابات " المرينين " - وهم كثيرون حول العقاد ، شغلهم حيهم له وإعجابهم المتزايد به عن مناقشة أفكاره والبحث عن جذورها . إننا سنجد هذا الأمر متحققاً فيما كتب الدكتور عبد الحي دياب ، والدكتور زكي نجيب محمود ، لكنه - في حالة الدكتور دياب علي الأقل - لم يكن حائلاً دون النقد ، والمناقشة ، بل المحاسبة والمقارنة التي قد تنتهي لغير صالح العقاد .

في كتابه " الشعر المصري بعد شوقي " - الحلقة الأولى (٢٥) - يهتم الدكتور مندور بالصراع ، والتفاعل ، بين قديم الشعر وجديده ، في العصر

الحديث ، ولاشك أن نور العقاد في الدعوة إلى التجديد ، والاحتجاج له ، والالتزام به ، ثابت ، ومقدّر ، وبخاصة أنه جمع بين التنظير والإبداع ، وفيما كتب الدكتور منور تحت عنوان " شعراء الديوان " (٢٦) نال العقاد القدر الأوفر من فرص عرض الرأي والمناقشة ، وكان المرجع ما كتب العقاد نفسه ، وما كشف الدكتور منور بخبرته الفنية وثقافته الواسعة من أصول الأفكار . وقبل أن يصل إلي " عابر سبيل " كان قد أتم تخطيط " هيكل " لوضع الشعر بالنسبة لشعراء الديوان ، وفي مقدمتهم العقاد . فالناقد الإنجليزي هازلت هو إمام المدرسة ، ومدرسة النبوة والمجاز هي الإطوار الإبداعي لها ، وقد " خلقتها مدرسة قريبة منها تجمع بين الواقعية والمجازية ، ... ولقد سري من روح هؤلاء الشيء الكثير إلى الشعراء المصريين ، الذين نشأوا بعد شوقي وزملائه " ويضع العقاد هذا التشابه في علاقة " التشابه في المزاج " و " اتجاه العصر " و " تشابه في فهم رسالة الشعر والأدب " وليس علاقة الاقتداء والتقليد (٢٧) . ثم يحدد الدكتور منور المجموعة الشعرية : الكنز الذهبي The Golden Treasury ، مصدراً أساسياً لكثير من تجارب وخبرات شعراء الديوان (وهو أمر يتوسع فيه عبد الحى دياب بالنسبة للعقاد خاصة ، كما سنرى) ولا يفوت الدكتور منور أن يحدد الطابع العام لهذا " الكنز الذهبي " فهي مجموعة رائعة من القصائد الصغيرة ، المنبعثة عن وجدان الشعراء الشخصي ، ولم يفسح فيها جامعها مجالاً للشعر الموضوعي . ثم يتدرج إلى أن يقول عن العقاد إنه أخذ يدافع في جدل وعناد عن شعر الفكرة ، وإن لم يستطع أن ينكر أن مزية الإنسان دائماً هي أن يحس حين يفكر ، وأن يفكر حين يحس (٢٨) .

ثم تصل سلسلة التطور وتعدد روافد الخبرة عند العقاد إلي " عابر

سبيل " ولكن الدكتور منور يربط بين هذا الديوان ، وديوان آخر سابق عليه (هدية الكروان : عام ١٩٢٢) حيث إن العقاد - في رأى منور - أراد أن يبرز موضوعين خاصين من موضوعات شعره ، وهما اللذان أراد أن يسجل فيهما سبقاً وتجديداً وابتكاراً ، فأقرده كلاً منهما بديوان خاص (٢٩) (ويوحى تصور الدكتور منور للديوان الأول (هدية الكروان) بأنه خطوة ، أو إرصاص بموضوع الديوان الثاني (عابر سبيل) استناداً إلي كلام العقاد في مقدمة " هدية الكروان " ، إذ يكشف المفارقة بين استخدام الشعراء لاسم " البلبل " - وهو نادر وغير وطنى ، واستخدام العقاد لاسم " الكروان " وهو طائر مصرى صميم ، يقول العقاد : " فكانما العامة عندنا أصدق شعوراً من الشعراء ، لأنهم يلقبون المغنى بالكروان ، ولا يلقبونه بالبلبل ، ويصدرين عن شعور صادق ، ويتحدثون بما يعرفون . وليس عن تعصب منا للوطن نؤثر الكروان علي البلبل وما إليه ، لأن التعصب الوطنى علي هذه الصورة حماقة لاعمى لها في الشعر والشعور ، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق . أما الإعجاب بالطير الذى لا نسمعه فذاك محاكاة منقولة تصدر من العرق البالى ، وتؤذي النفس كما يؤذيها كل تصنع لا حقيقة فيه (٤٠) " وهكذا نصل إلي " عابر سبيل " وأمامنا دعوة لأن نثق بشعور العامة (الناس العاديين) وأن نتحدث عما نعرف ، وأن نحرض على استمداد الخبرة المباشرة ولا ننقل عن الأوراق . إن الدكتور منور لم يربط بين الديوانين إلا من حيث إن كلاً منهما دعا إلي شىء جدي مختلف ، ولكننا نرى أن قترأً مشتركاً مهّد به " دعاء الكروان " لبلوغ مرحلة " عابر سبيل " .

ويعد أن يعرض لأهم أفكار مقدمة " عابر سبيل " يناقشها بما ينال من ابتكار العقاد لها ، كما يبدو عدم رضائه عن القصائد ذاتها ، فوصف

الأشياء العادية التي تبدو تافهة ، كان ابن الرومي الموجه لفكر العقاد نحوها ، وهو معروف للعقاد جيداً (٤١) ، على أن العقاد - فيما يرى مندور - لم يستطع أن يلحق بابن الرومي في هذا الباب ، " فالعقاد لا يستطيع أن يتمهل عندما يصف ليخلق شيئاً من لا شيء ، وينحت الصور الجميلة من الحركات التافهة - كما يفعل ابن الرومي ، بل نراه يفرّ من موضوع وصف علي أساس من التذاعى ، وهو تذاعٍ لا يسوقه الخيال الشعري ولا الفيض العاطفي ، بل يسوقه الفكر ، وكثيراً ما يأتي تداعياً متلمساً مجتلباً قد يدل علي براعة ، ولكنه لا يدل على شاعرية مصورة ، أو عطف إنساني عميق (٤٢) " ويصل إلي إظهار الخلل في تكوين بعض القصائد ، ففي حديث الشاعر عن السلع المكسرة في الدكاكين يوم البطالة ، لا يمكن فهم القصيدة ، في بدايتها ، دون التقدمة النثرية التي قدم بها الشاعر لتلقى قصيدته ، وفي " بيت يتكلم " - كما يقول مندور - نراه يترك البيت إلى ما يتصور من أن ساكنيه قد تعاقبوا علي الإقامة فيه ، في شريط سينمائي يذكرنا بذلك الشريط الذي استهل به شوقي مسرحية " الست هدي " حيث نرى الأزواج السابقين لتلك السيدة يتعاقبون علي هذا الشريط بحيث لا ندري كيف يمكن أن تندرج مثل هذه الأشرطة تحت اللوحات التي يلتقطها " عابر سبيل " !! (٤٣) .

ثم ينهي الدكتور مندور عرضه ومناقشته بما يكشف عن عدم رضاه ، بل رفضه لمنهج هذه القصائد كلها ، التي لا تفهم إلا بعد تقديم وتعليق نثرى يفسح الطريق إلي كشف مراميها ، إذ يقول : " بل إننا لنخشى أن يدفع منهج " عابر سبيل " الشعر العربي نحو الانتكاس إلي الهوة التي كان قد وصل إليها قبل البارودي ، عندما كان الأمر قد انتهى به إلي معالجة التوافه ، مثل وصف القلم أو المحبرة أو هدية عنب ، أو ما شاكل ذلك من موضوعات

كان الشعراء يفتعلون فيها الشعر ويتسابقون في إظهار المهارة اللفظية أو توليدات الخيال ، دون أن يحفزهم إلى قول الشعر حافز إنساني قوي ، أو عاطفة حانية ، أو خيال خلاق ، في غير تصنع أو اجتلاب .^(٤٤)

أما الدكتور شوقي ضيف فإن منهجه التاريخي يسيطر على طرح القضية ، إذ يبدأ من العصر الجاهلي ، وكيف سيطر تصور ذلك العصر على أغراض الشعر ، وأقسامه ، ثم كيف ظهرت ملامح الحياة اليومية في الشعر ، أول ما ظهرت ، في العصر العباسي ، مقترنة ببعض أشعار المجون . وكيف قام النقد هذه النزعة بتثبيت ما ينبغي أن يقال "والزام الشعراء به ، ورفض تصوير الواقع تحت شعار "أبلغ الشعر أكذبه" والحرص على المثل الأعلى . ثم يبيّن كيف أن "مدرسة الديوان" قادت حركة التجديد ، واستجدت في فترتها - دوافع وتغيرات داخلية أدت إلى ابتكار أغراض لم تكن موجودة ، أو لم تكن واسعة الانتشار بين الشعراء ، مثل الشعر السياسي والاجتماعي ، والتاريخ ، وقضايا العلم ، كما يسجل الدكتور شوقي ضيف لمدرسة الديوان أنها التي وجهت الشعر - بوجه عام - إلى الواقع ، وإلى الدقة في رصد المشاعر والصفات ، ثم يختم هذا العرض العام بتقرير أن الذي ثبت واستمر يدافع عن مبادئ المدرسة ، ويوضح خصائص التيار ويدع ما يدعمه هو عباس محمود العقاد^(٤٥) .

بعد هذا المدخل "التاريخي" العربي لطرح قضية "عابر سبيل" يبدأ الدكتور شوقي ضيف من مدخل آخر ، يمكن أن يوصف بأنه "اجتماعي" لأنه يراقب التغير أو التطور الحضاري ويرصد انعكاسه على الشعر ، أو موضوعات الشعر بصفة خاصة ، فهذا النوع من القصائد يتجه إلى الحاضر ، المتغير ، الذي يشهد كل يوم (في أوروبا) آلات ومخترعات جديدة ،

وبذلك تحدد الشعر الغربي في بعض جوانبه من الماضي والموضوع الخاص ، وأخذ يُعنى بالحاضر وكل ما يندمج فيه من دقائق وجزئيات تبو سطحية أو تافهة لاتلفت الذهن ، ولكن الشاعر ما يزال بها حتي تتحول إلي مجموعة من الإشعاعات الفنية ، والتأملات العقلية والنفسية - (٤٦) . بهذا انضى الدكتور شوقي ضيف بروافد التجربة الخاصة في " عابر سبيل " من منبعها العربي عند ابن الرومي ، إلي منبعها الغربي ، ثم مهد لإظهار إعجابها بها ، بالقول إن المحاولة في ذاتها صعبة ، لا يستطيع النهوض بها إلا الشاعر الممتاز ، وهو يرى أن العقاد قد تحقق فيه هذا الشرط ، إذ استطاع " أن يحول لنا كل ماحولنا شعراً عذياً ، فيه جمال ويصر بالحياة ، ومجاميع من اللغات الوجدانية والذهنية " (٤٧) ويعد أن يسجل نصاً كاملاً ، هو قصيدة " كواء الثياب ليلة الأحد " يقول إن الشاعر استطاع أن يؤثر فينا تأثيراً لا يقل عن تأثير الشعر الآخر المستمد من الماضي ، أو من الأبراج العاجية ، وما فوق مستوى حياتنا العادية (٤٨) . وقيل أن يحدد الدكتور شوقي ضيف تصويره الخاص لتجربة هذا الديوان ، لا يلاحظ ملاحظته الدكتور مندر علي قصيدة "بيت يتكلم" من قبل ، إذ يرى أنه من الطبيعي أن يتحدث البيت عن سكان مختلفين ، " ولذلك لانحس في القصيدة بنقلة من عالم المادة إلي عالم الخيال ونقصد النقلة الواسعة ، كما لانحس بشيء من الحاضر ، بل إن نفس البيت يتحدث عن سكانه الماضين (٤٩) " ، وهكذا لم يجد في خطة هذه القصيدة ومحتواها ملاحظته منثور من مجافاة للمبدأ المعلن عنه في الأساس النظري للموضوعات اليومية وما تستلزم من شروط ، غير أنه يأخذ علي شعر العقاد ما هو أشبه بالرأي العام النقدي في هذا الشعر ، وهو أنه يقلب جانب المنطق علي جانب العاطفة ، وأنه يعيش في وعيه ، ويمنطق حاد لا يتخلف أبداً .

لا يبدي الدكتور شوقي ضيف تخوفاً من التوسع في المحاولة ، بل على العكس ، يراها تطوراً مطلوباً للشعر الشعبي ، إنها شعر شعبي جدي ، وهو لذلك خليق بأن يكون له أساليبه الخاصة في الوزن والموسيقى ، أساليب لا تبعد عنا ، بل تقرب منا كما يقرب موضوعها * (٥٠) .

ونحن نعرف أن الشعر الشعبي له شروطه ، أولها ألا يكون معروف القائل ، بمعنى أنه نتاج جماعي للبيئة ، وأنه يروي مشافهة ، وهذا ما تجارزه الدكتور شوقي ضيف ، حين وضع كتابه : " الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور " (٥١) إذ يحدد " الشعبية " في الشعر بأنه يفصل بين قلوب شعوبه وأفئدتها ، وأنه يصور حياتها وأمالها وآلامها ، وأنه يترجم عن مشاعر الأمة ، ويرى - لهذا - أن هذا الشعر هو الأحق بأن يحمل صفة الشعبية ، وإن يكن فصيح اللغة ، وليس ذلك الزجل وما أشبهه من أشعار عامية اتجهت إلي الفكاهة والهزل إزجاءً للفراغ وتطرفاً وتملاً (٥٢) .

أما الدكتور عبد الحى دياب ، الذي عرف بشغفه بفكر العقاد وشعره ، ودارت دراساته حول نتاجه (٥٣) . فإن الإعجاب بشخص العقاد ينسحب علي كل ما كتب العقاد ، فدوره في دراسته بعنوان " شاعرية العقاد " أن يضع أمامنا كل إشارات العقاد النظرية ، وإبداعاته الشعرية ، بشكل تراكمي يتتابع بون توقف ، فلم نأخذ فرصة لنعرف معالم هذه الشاعرية أو مميزاتها أو حدودها ، إن شاعرية العقاد - في رأيه - موجودة في كل ما كتب العقاد من شعر ونثر ونقد . ولكن الإضاءة الحقيقية التي أعطت هذا الكتاب أهميته ، هي تلك المقابلة الوافية بين مقدمة الشاعر الإنجليزي الرومانسي ، وردزورث ، لديوان Lyrical Ballads الذي أصدره مع صديقه الشاعر كولردج ، وكان سبباً في حدوث قطيعة طويلة بينهما . إن الأستاذ محمد خلف الله أحمد ،

في كتابه " من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده " قد أعطي تصوراً رافياً لخطة الشاعرين وتصورهما للإبداع الشعري ، وما آل إليه هذا التصور (٥٤) . ومعنىنا هنا رأى وردزورث - الذي وجد صدهاء في نفس العقاد ، وقد كان نور الشاعر وردزورث في الديوان - كما يقول خلف الله : أن يحول المؤلف الساتخ إلي جذاب غير عادي ، فيتناول أشياء الحياة اليومية وأشخاصها ، ويخلع عليها ثوباً من الجدة والطفرة ، وينب في النفوس إحساساً بها شبيهاً بإحساس ما فرق الطبيعة ، ذلك بأن يوقظ العقل من غفوة العادة والتقليد ، ويوجه انتباهه إلي ما في الحياة المحيطة به من عجب وجمال (٥٥) . هذا هو الإطار العام ، والهدف الذي طمح وردزورث أن يحققه في أغانيه الروعوية أو الشعبية ، وإذا كنا لانستطيع أن نقرر أنه - بتمامه - هو ما طمح إليه العقاد في تجربة " عابر سبيل " وما استهدفه ، فإنه لم يكن عنه يبعيد ، ولعل هذا الأمر يتطلب وقفة علي شيء من التفصيل ، وهذا هو الجانب الذي عني به الدكتور عبد الحي دياب فيما كتبه عن " عابر سبيل " .

أما مقدمة وردزورث في ذاتها ، فنجد عرضاً تحليلاً وأيضاً

لها في : Wordsworth : The Norton Anthology of English Literature .:

وتد أثارَت الجوانب الآتية :

١ - الشعر انطلق ذاتي لأحاسيس قوية ، والشاعر رجل يخاطب الرجال ، يتمتع بالحساسية والحماسة والوقفة ، وتتوافر لديه خبرة أكبر ومعرفة بالطبيعة الإنسانية ، وإدراك للروح البشرية التي يجب أن تكون سائدة بين البشر ، وهو رجل يعرف أحاسيسه ويعيشها ويسعد بها ، رجل يتفوق الحياة في داخله ، ويعرف كيف يخلق من هذه الأحاسيس والانفعالات

فنأ ، فيصف أدق المشاعر في يسر ، بعيد عن التصنع والتكلف .

٢ - موضوع الشعر له أهميته ، ولكن الجمود عند الموضوعات السائدة ، الهادفة إلى إحياء الأنماط الكلاسيكية (اليونانية - الرومانية) وما تحرص عليه من جدية وأسلوب مرتفع متكلف باعتباره الأسلوب الذي يصلح للشعر (للتراجيديا والملاحم بصفة خاصة) وما يتطلب هذا الديكور التقليدي الشعري من اتجاه إلى حياة الملوك والنبلاء ، كما يباعد بين الشعر والصدق الشعري ، فإنه يباعد بين الشاعر والحياة . فموضوع الشعر يجب أن يتجه إلى أحداث أو مواقف من الحياة اليومية ولن يكون في هذا التوجه تخلياً عن الجدية ، فالشعر الجاد يمكن أيضاً أن يتناول حياة البسطاء من المزارعين والأطفال ، وحتى المجرمين والمعتمدين وكل فئات البشر . إن العقل البشري يمكن أن تحركه أمور ليست بالضرورة ضخمة أو عنيفة . فالأحداث العادية ، وتلك المواقف اليومية المتكررة ، وتجارب الأحداث في حياة الناس ، في مختلف المهن ، والطريقة التي يعبرون بها عن خبراتهم يمكن أن تشكل أعمدة هذا الأسلوب الشعري في مفهومه .

٣ - أما عن اللغة فإنها تناسب الموضوع ، اللغة التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية ، اللغة التي يتكلم بها الرجال ، وهي ليست لغة النحو وقواعد اللغة ، إنها لغة تنبعث من جنور سيكولوجية ، وأحاسيس غريزية إنها تتلوق وتختار مفرداتها معبرة عن مشاعر حقيقية . لهذا لا يحرص وردزورث على أن يحشد في قصائده تلك الألفاظ التي اصطلح على تسميتها " ألفاظاً شعرية " فإنه لا يعترف بتلك الألفاظ الشعرية إلا إذا كانت تصدر على ألسنة الناس عامة . وانطلاقاً من هذا التصور ، فإنه

لا يقرّ بوجود فارق حيوي وجوهري بين لغة النثر ولغة الشعر . إن هذا يعني أن التحدّي اللغوي الذي واجهه وردزورث هو كيف يجعل لغة المحادثة اليومية بين الطبقات الوسطى وما دونها من طبقات المجتمع لغة شعرية . ولقد استطاع أن يحقق هذا ، بدرجة جعلت هذه اللغة تعتمد - من نقاد عصره - علي أنها أساس للشعر الجديد (٥٦) !!

أما الدكتور عبد الحي دياب ، قبل أن يجرى مقابلته النصية بين ما كتب وردزورث وما كتب العقاد ، فإنه سجل بعض الأسس الفارقة ، فالشاعر الإنجليزي أختار تجارب قصائده من حياة الريف السانحة المتواضعة ، لأن هذه الحياة تهيب العواطف القلبية المتأصلة تربة أصلح لاكتمال نضجها ، وكذلك تشف نظرتة عن إيمان بأن الإنسان والطبيعة وكأنما قد أعد كلاهما في جوهرهما ليكونا عنصرين متلائمين ، كما يُعد عقل الإنسان مرآة طبيعية تعكس أجمل خصائص الطبيعة وأمتعها (٥٧) . كما يسجل وجه تشابه في الدافع العقلي أو النفسي بين الشاعرين ، فقد كانت حركة وردزورث استجابة لإيمانه بالثورة الفرنسية التي أوجدت الأدمية (٥٨) ، وقد كان العقاد أواسط الثلاثينات ، وقد أحبطت أحلام ثورة سعد زغلول (١٩١٩ م) وبعثرت إيجابياتها بسبب طموح السياسيين إلي السلطة والتسلط ، كان العقاد متعلق العقل والقلب بإحياء قيم تلك الثورة .

ثم تتم المقابلة ، التي يجملها بقوله عن مقدمة "عابر سبيل" :
"الدارس لهذه المقدمة يرى أنها لا تبعد كثيراً عن مقدمة وردزورث لديوانه "Lyrical Ballads" (٥٩) ."

وبعد هذا الحكم العام يدخل إلي بعض التفاصيل ، فيحدد عبارات

ومبادئ، بعينها توضح وتؤكد أن العقاد كان يستعيد أو يأخذ من مقدمة الشاعر الإنجليزي ، ومن أهمها :

١ - تركيز العقاد علي " الإحساس " في صلاحية الموضوع للشعر ، فهذا الإحساس هو الذي يخلق في الموضوع اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معني شعرياً تهتز له النفس ... إلخ .

٢ - اتجاهه إلي الواقع ، والشائع ، والعام المألوف ، في عبارته المشهورة "فإن كنا لا نصدق بواق الواق فلنصدق بالبيوت ... إلخ" وصرف الشعراء عن الاهتمام بالملوك والنبلاء والموضوعات الجليلة باعتبارها الوحيدة التي تسبغ الأهمية علي الشعر (٦٠) .

غير أن الدكتور عبد الحي دياب يسجل للعقاد أصالته ، حتي في استقائه من مقدمة وردزورث ، كما يسجل عليه تقصيره الفني عن مجارة الشاعر الإنجليزي .

أما الأصالة فتأتي من أن قصائد " عابر سبيل " وما أثارته من نهج خاص ، لم تكن مجرد صدي ، أو هبة مفاجئة ، سببها أن العقاد قرأ مقدمة وردزورث ، فأعاد علينا بعض أفكارها ، وصنع قصائد علي نهجها ليؤكد انتمسائها إليه ... إن هذا الاتجاه نحو المألوف ، والشائع ، والتافه ، موجود في " شعر العقاد " منذ بواكير تجاربه . إذ اشتملت المرحلة الأولى علي قصائد : الشاعر الأعمى - صلاة عابد المال - غيرة طفلة - رثاء طفلة - أسبوع فلورة (كلية) بمناسبة ولادتها - الخط - ... إلخ ، كما نجد في ديوان " وحي الأربعين " - وقد صدر عام ١٩٢٢م قصيبتين هما : رثاء كلب - وكتب ضائع ، أو ديوجين الكلبى . وفي " هدية الكروان " - الذي صغر في

نفس العام نجد قصيدة ساعى البريد ، وأسود يلتحي ، والبيللا ، وهي في طفل تعبت معدته (٦١) .

إن هذا يؤكد أن الاتجاه إلي تجارب بسيطة ، وحياة مألوفة ، ومشاهد عادية أو تافهة ، لم يكن اتجاهاً مستجلباً عند العقاد بفعل قراءته أو إعجاب به بمقدمة وردزورث وقصائده الغنائية ، إنه " رافد " قديم ، ومستمر ، ولكنه حين التقى بتلك المقدمة وجد أساسه الفكري ، وأهدافه الجمالية .

أما التقصير الفني فيظهر في أمرين : أن قصائد العقاد لم تحمل في ثناياها فلسفة معينة نابعة من تركيز عينيه في وجه الحياة ، ولم يستخدم المؤثرات السماوية ، أو يأخذ أبسط العناصر الطبيعية والعقل البشري ، وأبسط المجردات التي لا تتفصل عن كيانتنا ، ويحاول أن يؤلف منها نظاماً شعرياً جديداً يختلف عن شعره الأخر كما فعل وردزورث (٦٢) ، وكذلك خلت قصائده " عابر سبيل " من " الحدث " ولهذا افتقدت الشكل الدرامي في بنائها ، فلا نجد لديه قصة شعرية ، بعكس وردزورث الذي عني كثيراً بالشعر القصصي (٦٣) .

أما الدكتور زكي نجيب محمود الذي صدر كتابه " مع الشعراء " بأربع مقالات عن العقاد الشاعر (٦٤) فإنه لم يتوقف عند ديوان ، وإنما عند قصيدة - كما فعل في : ترجمة شيطان والعقاب الهرم ، وأنس الوجرد ، وفرضة البحر ، مثلاً ، لكنه - وشعر العقاد محور اهتمامه ، لم يلتفت إلي تجربة " عابر سبيل " - الخاصة في أسلوبها ، ووصف شعر العقاد بما يناقضها حيناً ، ويقترب منها حيناً آخر ، فحين يقول : " القصيدة عند العقاد بناء من الصوان ، والقلم في يده هو إزميل النحات ، إنه لا يصوغ

قطعة من العجين اللين ، ولا يقيم بناء من الطين الطرى المطواع ، فلا الفكرة عنده قريبة المثال ، ولا المادة سهلة التشكيل (٦٥) " فإن هذا لا يصدق علي " عابر سبيل " بأى درجة ، وحين يفرق " الجميل والجليل " فيما يثير كل منهما في الوجدان ، ثم يرتب علي هذه التفرقة أن شعر العقاد أدخل في باب الجليل منه في باب الجميل (٦٦) فإنه لا يكون قد أدخل " عابر سبيل " في هذا التصنيف الخاص . غير أننا نلاحظ أن من بين القصائد التي أعجب بها زكي نجيب محمود ، وتوقف عندها محللاً شارحاً ما يمكن أن يقارب منهج العقاد في " عابر سبيل " مع أنها ليست من أوائل ما صنع من شعر ، بل هي " أول " ما صنع من شعر ، فالقصيدة الأولى من الجزء الأول من ديوان العقاد بعنوان " فرضة البحر " - أى الميناء ، وهناك أيضاً قصيدة : : العُقَاب الهرم " ، وفي هذه القصيدة ، كما في سابقتها ، يحقق العقاد وظيفة الشاعر كما يراها الفيلسوف : " الشاعر حلقة وسطي بين عالم المعاني الخالدة من ناحية ، وعالم الحياة الجارية ، العابرة ، من ناحية أخرى " (٦٧) .

هكذا تعددت زوايا الرؤية ، فأطل كل ناقد من موقعه المميز ، ليصف التجربة ، ويصدر الحكم عليها . وقد تعددت المواقع فتعددت الرؤية واختلفت الأحكام . ونحن بعودنا لا تفكر في إضافة حكم خامس ، ولا نملك أن نضع أنفسنا حكماً علي الحكم ، أو ناقداً للنقاد ، وإذا لم نجد بينهم من فرص الاتفاق غير القليل ، فإن هذا يجعلنا نتحفظ في إضافة شيء يتفق أو يختلف ، ويكفي أن هذه الآراء قد ميزت المنهج ، وكشفت عن جذوره الممتدة في تربتنا الثقافية التراثية ، وبواقعه الحالية ، وأهم منجزات قدمها العقاد ، وأنواع التقصير التي تسلت إلي بعض قصائده فشغفته حماسته للنظرية عن تدبير مطالبها العملية ، غير أننا نريد أن نضع بعض الملاحظات العامة ،

نفس العام نجد قصيدة سماه البريد ، وأسود يلتحي ، والبيلا ، وهي في طفل تعبت معدته (٦١) .

إن هذا يؤكد أن الاتجاه إلي تجارب بسيطة ، وحياة مالوفة ، ومشاهد عادية أو تافهة ، لم يكن اتجاهاً مستجلباً عند العقاد بفعل قراءته أو إعجابه بمقدمة وردزورث وقصائده الغنائية ، إنه " رافد " قديم ، ومستمر ، ولكنه حين التقى بتلك المقدمة وجد أساسه الفكري ، وأهدافه الجمالية .

أما التقصير الفني فيظهر في أمرين : أن قصائد العقاد لم تحمل في ثناياها فلسفة معينة نابعة من تركيز عينيه في وجه الحياة ، ولم يستخدم المؤثرات السماوية ، أو يأخذ أبسط العناصر الطبيعية والعقل البشري ، وأبسط المجردات التي لا تنفصل عن كياننا ، ويحاول أن يؤلف منها نظاماً شعرياً جديداً يختلف عن شعره الآخر كما فعل وردزورث (٦٢) ، وكذلك خلقت قصائد " عابر سبيل " من " الحدث " ولهذا افتقدت الشكل الدرامي في بنائها ، فلا نجد لديه قصة شعرية ، بعكس وردزورث الذي عني كثيراً بالشعر القصصي (٦٣) .

أما الدكتور زكي نجيب محمود الذي صدر كتابه " مع الشعراء " بأربع مقالات عن العقاد الشاعر (٦٤) فإنه لم يتوقف عند ديوان ، وإنما عند قصيدة - كما فعل في : ترجمة شيطان والعقاب الهرم ، وأنس الوجود ، وفرضة البحر ، مثلاً ، لكنه - وشعر العقاد محور اهتمامه ، لم يلتفت إلي تجربة " عابر سبيل " - الخاصة في أسلوبها ، ووصف شعر العقاد بما يناقضها حيناً ، ويقترب منها حيناً آخر ، فحين يقول : " القصيدة عند العقاد بناء من الصوان ، والقلم في يده هو إزميل النحات ، إنه لا يصوغ

قطعة من العجين اللين ، ولا يقيم بناء من الطين الطرى المطواع ، فلا الفكرة عنده قريبة المنال ، ولا المادة سهلة التشكيل (٦٥) " فإن هذا لا يصدق علي " عابر سبيل " بأى درجة ، وحين يفرق " الجميل والجليل " فيما يثير كل منهما في الوجدان ، ثم يرتب علي هذه التفرقة أن شعر العقاد أدخل في باب الجليل منه في باب الجميل (٦٦) فإنه لا يكون قد أدخل " عابر سبيل " في هذا التصنيف الخاص . غير أننا نلاحظ أن من بين القصائد التي أعجب بها زكي نجيب محمود ، وتوقف عندها محلاً شارحاً ما يمكن أن يقارب منهج العقاد في " عابر سبيل " مع أنها ليست من أوائل ما صنع من شعر ، بل هي " أول " ما صنع من شعر ، فالقصيدة الأولى من الجزء الأول من ديوان العقاد بعنوان " فرضة البحر " - أي الميناء ، وهناك أيضاً قصيدة : : العُقاب الهرم " ، وفي هذه القصيدة ، كما في سابقتها ، يحقق العقاد وظيفة الشاعر كما يراها الفيلسوف : " الشاعر حلقة وسطي بين عالم المعاني الخالدة من ناحية ، وعالم الحياة الجارية ، العابرة ، من ناحية أخرى " (٦٧) .

هكذا تعددت زوايا الرؤية ، فأطل كل ناقد من موقعه المميز ، ليصف التجربة ، ويصدر الحكم عليها . وقد تعددت المواقع فتعددت الرؤية واختلفت الأحكام . ونحن بدورنا لا نفكر في إضافة حكم خامس ، ولا نملك أن نضع أنفسنا حكماً علي الحكام ، أو ناقداً للنقاد ، وإذا لم نجد بينهم من فرص الاتفاق غير القليل ، فإن هذا يجعلنا نتحفظ في إضافة شيء يتفق أو يختلف ، ويكفي أن هذه الآراء قد ميزت المنهج ، وكشفت عن جنوره الممتدة في تربتنا الثقافية التراثية ، وواقعه الحالية ، وأهم منجزات قدمها العقاد ، وأنواع التقصير التي تسلت إلي بعض قصائده فشغلته حماسته للنظرية عن تدبر مطالبها العملية ، غير أننا نريد أن نضع بعض الملاحظات العامة ،

ونرصد آثار هذه التجربة النادرة في موقعها الزمني ، وهذا ما نخصص له
الفقرة الأخيرة .

٥ - تعقيب :

في هذه الصفحات الختامية ، حول تجربة " عابر سبيل " وموضوعات
الشعر ، سنحاول أن نوضح بعض الجوانب التي تتعلق بالديوان ، وأثر منهجه
في الشعر العربي الحديث ، وبعض ما يتصل بما ذكره النقاد الأربعة الذين
وقفنا عند رأيهم في التجربة ومدى رضاهم عن القصائد .

١ - وأول ما نري من واجبتنا أن نوضحه ، هو : إلي أي مدى يصطدم
أو يتصل رأي العقاد الذي دعا إليه في مقدمة " عابر سبيل " (بصرف النظر
عن استقلال رأيه فيها أو استمداده لأراء وريزورث) برأيه في معنى الشعر ،
وخصائصه ، ومهمة الشاعر ؟

لقد جمع لنا أحد مرثدي العقاد (العوضي الوكيل) اقتباسات شتى
من كتابات العقاد ، يمكن أن نجد فيها مؤشراً صادقاً لجواب هذه المسألة .
ونضع في اعتبارنا أن هذه الكتابات سابقة علي ظهور " عابر سبيل " وما
تضمّن من دعوة .

يقول (في : خلاصة اليومية ، وقد نشر عام ١٩١٢م) " فليست
المعاني منطوية في أحرف كلماتها ، ولكنها ترمز إليها ، ولا مجرد النطق بكلمة
تكفي لاستحضار معناها عند كل من يسمعها علي السواء ، فتختلف الكلمة
الواحدة في قوة استحضار المعنى باختلاف مدلولاتها وملابساتها عند
السامعين ، والتلقن إلي الفرق الدقيق بين معاني الألفاظ ، والتلطف في أداء

كل منها في موضعه يدخلان في الملكة التي يحتاجها الشاعر ليكون شاعراً مجيداً ... (٦٨) فهذه العبارة المبكرة أساس لعبارة نشرت بعد ذلك بربع قرن من الزمان ، التي استهل بها العقاد مقدمته لعابر سبيل ، حين قال كلمة : " أنا حاضرة اليوم " إذ كتبتها معشوقة إلي عاشق حملت إليه من الفرحة والشوق ، وأشاعت في نفسه من الأمل واللذة ، ماتضيق عنه أشعار العبقرين ورسائل البلغاء ، وهي بعد من أنفه الجمل التي يتألف منها الكلام المركب المفيد ... (٦٩) وكذلك نستعيد هنا جملة التي رصد اختلاف صداها علي أساس الاختلاف في نفسية المتلقي وعلاقته بمضمونها ، وهي عبارة : " فلان يحترق " وقد سبقت الإشارة إلي أن العقاد - فيما يتعلق بوصف المخترعات الحديثة - الذي سبق إليه شعراء قبل جيل العقاد - لايري العبارة في الوصف ، بل بأسلوب الوصف ، وينظري هذا كله في المطلب الأساسي من الشاعر : " التعبير الجميل عن الشعور الصادق " وفي " خلاصة اليومية " أيضاً ، ذلك الكتاب المبكر جداً ، يطرح العقاد السؤال البدهي الصعب : من هو الشاعر؟ ويرفض أن يكون المقصد (صانع القصائد) الذي يبهر ويخلب ويرصع ، إنه ليس بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، إنما هو الشاعر من يشعر ، ويشعر (٧٠) . وفي كتابه المبكر أيضاً " مطالعات في الكتب والحياة " مقالة بعنوان " الشعر ومزاياه " (٧١) وقد كان وضعها مقدمة للجزء الثاني من ديوان صديقه ورفيق مدرسته الشعرية عبد الرحمن شكري قبل أن تدب الجفوة بينهما ، وقد طبع الديوان تنصده مقدمة العقاد عام ١٩١٣ م . فما مزية الشعر كما يراه العقاد في هذا الوقت المبكر ؟ " إنما الشعر حقيقة الحقائق ، وأب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في تناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها ... وقد

ونرصده آثار هذه التجربة النادرة في موقعها الزمني ، وهذا ما نخصص له
الفقرة الأخيرة .

٥ - تعليق :

في هذه الصفحات الختامية ، حول تجربة " عابر سبيل " وموضوعات
الشعر ، سنحاول أن نوضح بعض الجوانب التي تتعلق بالديوان ، وأثر منهجه
في الشعر العربي الحديث ، وبعض ما يتصل بما ذكره النقاد الأربعة الذين
وقفنا عند رأيهم في التجربة ومدى رضاهم عن القصائد .

١ - وأول ما نري من واجبنا أن نوضحه ، هو : إلي أي مدى يصطدم
أو يتصل رأي العقاد الذي دعا إليه في مقدمة " عابر سبيل " (بصرف النظر
عن استقلال رأيه فيها أو استمداده لأراء وردزورث) برأيه في معنى الشعر ،
وخواصه ، ومهمة الشاعر ؟

لقد جمع لنا أحد مریدی العقاد (العوضي الوكيل) اقتباسات شتى
من كتابات العقاد ، يمكن أن نجد فيها مؤشراً صادقاً لجواب هذه المسألة .
ونضع في اعتبارنا أن هذه الكتابات سابقة علي ظهور " عابر سبيل " وما
تضمن من دعوة .

يقول (في : خلاصة اليومية ، وقد نشر عام ١٩١٢م) " فليست
المعاني منظوية في أحرف كلماتها ، ولكنها ترمز إليها ، ولا مجرد النطق بكلمة
تكفي لاستحضار معناها عند كل من يسمعها علي السواء ، فتختلف الكلمة
الواحدة في قوة استحضار المعني باختلاف مدلولاتها وملايساتها عند
السامعين ، والتعطن إلي الفرق الدقيق بين معاني الألفاظ ، والتلطف في أداء

كل منها في موضعه يدخلان في الملّكة التي يحتاجها الشاعر ليكون شاعراً مجيداً ... (٦٨) فهذه العبارة المبكرة أساس عبارة نشرت بعد ذلك بربع قرن من الزمان ، التي استهل بها العقاد مقدمته لعابر سبيل ، حين قال كلمة : " أنا حاضرة اليوم " إذ كتبتها معشوقة إلي عاشق حملت إليه من الفرحة والشوق ، وأشاعت في نفسه من الأمل واللذة ، ماتضيق عنه أشعار العبقريين ورسائل البلغاء ، وهي بعد من أتفه الجمل التي يتألف منها الكلام المركب المفيد ... (٦٩) وكذلك نستعيد هنا جملة التي رصد اختلاف صداها علي أساس الاختلاف في نفسية المتلقي وعلاقته بمضمونها ، وهي عبارة : " فلان يحترق " وقد سبقت الإشارة إلي أن العقاد - فيما يتعلق بوصف المخترعات الحديثة - الذي سبق إليه شعراء قبل جيل العقاد - لايري العبرة في الوصف ، بل بأسلوب الوصف ، وينطوي هذا كله في المطلب الأساسي من الشاعر : " التعبير الجميل عن الشعور الصادق " وفي " خلاصة اليومية " أيضاً ، ذلك الكتاب المبكر جداً ، يطرح العقاد السؤال البدهي الصعب : من هو الشاعر؟ ويرفض أن يكون المقصد (صانع القصائد) الذي يبهر ويخلب ويرصع ، إنه ليس بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، إنما هو الشاعر من يشعر ، ويشعر (٧٠) . وفي كتابه المبكر أيضاً " مطالعات في الكتب والحياة " مقالة بعنوان " الشعر ومزاياه " (٧١) وقد كان وضعها مقدمة للجزء الثاني من ديوان صديقه ورفيق مدرسته الشعرية عبد الرحمن شكري قبل أن تدب الجفوة بينهما ، وقد طُبع الديوان تنصده مقدمة العقاد عام ١٩١٣ م . فما مزية الشعر كما يراه العقاد في هذا الوقت المبكر؟ " إنما الشعر حقيقة الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في متناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها ... وقد

يخالف الشعر الحقيقة في صورته ، ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها ،
ولاتخالف روحه روحها ، لأنه لا حقيقة للإنسان إلا بما ثبت في النفس
واحتواء الحسن .

ولكن : أى حقيقة تلك التي يقوم عليها الشعر ؟ هل هى حقيقة
" مادية " ، " خارجية " تتحقق في الشيء ذاته ، أو فى الموضوع ؟ هنا يأتي
جواب العقاد : " الشعر بهذه المثابة باب كبير من أبواب السعادة ، لأنه ما من
شء فى هذه الدنيا يسر لذاته ، أو يحزن لذاته ، وإنما تسر الأشياء أو تحزن
بما تكسوها الخواطر فى الهيئات وتعيرها الأذهان من الصور . فالشئ
الواحد قد يكون مدعاة للبهجة والرضا فى بعض الأوقات ، ثم يكون فى غير
ذلك الوقت مجلبة للأسى والأسف ، وطريقاً إلى الشجن والجوى . والشعر
وحده كفيل بأن يبدى لنا الأشياء فى الصورة التى ترضاهها خواطرننا وتأنس
بها أرواحنا ، لأنه هو ناسج الصور ، وخالع الأجسام على المعاني النفسية ،
وهو سلطان متربع فى عرش النفس ، يخلق الحلل على كل سائحة تمثل بين
يديه ، ويغض الطرف عن كل ما لا يحب النظر إليه " .

فهنا إشارات صريحة واضحة إلى علاقة الشاعر بالأشياء ، إنه لا يبدأ
من فراغ ، وهذه " السوانح " تمثل بين يديه ، فيخلق عليها ما يشاء من حلل ،
فهنا تفاعل بين الذات والموضوع ، فإذا كان " الموضوع " ثابتاً ساكناً ،
فإن ذات الشاعر لها أحوال ، ولهذا قد تجد فى هذا الموضوع ما يسر حيناً
وما يحزن حيناً آخر . وهذه الإشارات تقرينا من منهج عابر سبيل .

ولعلنا نتذكر كيف رفضت مدرسة الديوان أبواب الشعر المتوارثة ،
ويخاصة ما له علاقة بالمجتمع والحياة المادية ، وكان شعارها

قول عبد الرحمن شكرى السالف :

ألا ياطائر الغروب س إن الشعر وجدان

وقول العقاد :

والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس ، رحمن
فهنا ارتفاع بالشعر والشاعر فوق المألوف والعادي ، بل المادى أيضاً ،
لكن العقاد يقول فى مقاله السابقة :

" الشعر لا تنحصر مزيتة فى الفكاهة العاجلة ، والترفيه عن الخواطر ،
لا ، بل ولا فى تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات - ولكنه يعين الأمة أيضاً
فى حياتها المادية ، والسياسية ، وإن لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد
والاجتماع ، فإنما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهر من مظاهر
الشعور النفسانى ، وإن تذهب حركة فى النفس بغير أثر ظاهر فى العالم
الخارجى .

هنا نجد نصاً على إعانة الأمة (الفاس) فى حياتهم المادية
والسياسية ، وتوجيهها على أن هذا لا يكون بذكر المادة أو السياسة أو
الاقتصاد والاجتماع بشكل مباشر ، وإنما يكون ويتحقق بأن يمر هذا كله
بالقن الشعري ، بالشعور النفسانى ، الذى يتولد فى النفس ، ويتجه إلى
العالم الخارجى . وهذا القول يقربنا من جوهر ما دعا العقاد إليه فى
مقدمته ، وقصائده ، فى " عابر سبيل " .

٢ - وإذا كانت المقابلة بين مقدمة وردزورث ، ومقدمة العقاد أدت إلى
أنه قرأه ، وأفاد منه ، فإننا نقبل هذا ، ولا نقصر عليه ، لأن العقاد فى كل

ما ينادى به لم يكن يستسلم بفكره لمصدر واحد ، مهما كانت قوة هذا المصدر أو درجة الإعجاب به ، وفي الاتجاه إلي الماكوف والتافه ، لابد أن نجد تأثيراً للزعة الإنسانية السائدة في الآداب العالمية ، وأساسها التعاطف ، بل التقديس لكافة مظاهر الحياة . علي أن إشارة الدكتور محمد مندور إلي تأثير قادم من ابن الرومي ، ليست مما يستبعد ، وللعقاد دراسة عن ابن الرومي : " ابن الرومي : حياته من شعره " تعد مؤسسة للنقد النفسي في نقدنا العربي الحديث (٧٢) . كما يكشف الدكتور عبد الحى دياب عن جانب من معارضات العقاد - في شعره - لشعراء سبقوه ، وأنه عارض ابن الرومي في قصيدته الشهيرة التي يصف فيها المرأة بأنواع الفراكه ، إذ يقول :

أجنت لك الوجد أغصانٌ وكتبانٌ فيهن نوعان تفاح ورمان
وفوق زينك أعنابٌ مهدلةٌ سودهن من الظلماء ألوان
فقال العقاد يعارضها ، علي وزنها وقافيتها ، وقد أهدها لابن الرومي :

يهنيك يا زهر أطويار وأفنان الطير ينشد والأفنان عيدان
طويك لست بإنسان فتشبهني إني ظعنت ، وأنت اليوم ريان (٧٣)

بل نستبعد أن يكون العقاد قد التفت إلي هذا الفن من ضروب الشعر ، أول أمره من خلال حملته علي وصف المخترعات الحديثة الذي قدمنا له أمثلة عند البارودي وشوقي وحافظ وغيرهم ، فإن العقاد وصف المخترعات عامة ، حديثة وقديمة ، وغير في طبيعة الوصف - كما قال هو في نص سابق - فلم يصف الأشياء ، بل يصف شعوره بالأشياء ، علي نحو ما بين هذا في كتاب " الديوان " في سياق تعليقه ونقده اللاذع لتشبيهات أحمد شوقي ، فقال :

وما ابتدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان ، فإن الناس جميعاً يرون الأشكال والألوان من نفس إلي نفس ، وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلي صميم الأشياء يمتاز الشاعر علي سواه ، ولهذا لا لغيره كان كلامه مطرباً مؤثراً (٧٤) .

وهكذا يمكن أن تتعدد المنابع ، لتؤدي إلي اكتشاف شيء جديد أو أسلوب مستحدث بالنسبة إلينا ، وحديث العقاد عن تجربته في القراءة والاطلاع ، وتجربة جيله من أدباء العصر الحديث ، تشير إلي هذا التعدد ، والنص المتداول في هذا المعنى مصدره كتاب " شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي " وفيه يقول العقاد إن الجيل الناشئ بعد شوقي كان وليد مدرسة لا شبه بينها وبين ما سبقها في تاريخ الأدب العربي الحديث ، فهي مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية ، ولم تقصر قراءتها علي أطراف من الأدب الفرنسي ، كما كان يغلب علي أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر ، وهي علي إيغالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطيان والروس والأسبان واليونان واللاتين الأقدمين !! . ثم إنه بعد أن يذكر تأثر مدرسته بمدرسة النبوة والمجاز ، وإليها ينتمي رينزورث ، يذكر أنه خلفتها مدرسة قريبة منها تجمع بين الواقعية والمجازية ، ويذكر أسماء شعراء هذه المدرسة ، وينكر بينهم الشاعر الأمريكي والت ويتمان .

هنا نلتقط هذه الإشارة ، ونعطي معها ، لنري أن " ويتمان " كان الخطوة الحاسمة في وضع النموذج الذي ارتضاه العقاد في قصائد " عابر سبيل " حتي وإن كانت أفكار المقدمة تتجه إلي رينزورث أكثر من غيره . يقول جيمس ميلر عن لغة ويتمان : إن الفطنة تلازم لغته ، في مزجه في غير تمييز بين مستويات الاستخدام ، " وديوانه بوتقة تنصهر فيها لغة أمريكا ،

وفي هذه البوتقة تختلط جميع لغات الشعب بأسره ، لتتضح طعاماً شهياً محبوباً ، وحكمته هي الحكمة الشعبية التي تعيش في أقوال الناس المأثورة ، في أناشيدهم وتمازيدهم ورقاهم ، وباختصار في لغتهم (٧٥) . وفي ديوانه " أوراق العشب " نجد هذا الاحتفاء باليومي البسيط المألوف ، ونجد الواقعية في العناية بالتفاصيل التافهة أو التي لا تلفت النظر ، لكن الشاعر التفت إليها ، ووصفها في سياق شعري يزيل عنها غبار الألفة ويظهر ما فيها من عبق خاص ، اكتسبته بامتدادها المتغلغل في الاستخدام العام . من قصيدة " أغنية لنفسى " أختار بعض المقاطع :

صبي القصاب ينزع ملابس الذبح

أو يحدُّ سكينه علي دكة السوق

وأنا أتسكع معجباً ببديته الحاضرة

وحركته الخفيفة ...

وتوقفه

الحدائون ذوو الصدور الشعراء المسخمة

يحيطون بالسندان

كلُّ مطرقة الثقيلة

إنهم يطرقون معاً

والنار لاهبة الحرارة

.....

أيتها الثيران التي تضيق بالنير والسلسلة

أو تتوقف عند الظلة الظليلة

مالذي تعبر عنه عيونك ؟

يتراعى لي أنه أكثر من كل ما قرأته مطبوعاً طوال حياتي .

.....

الشقيقة الصغرى تمسك بشلة الخيوط

بينما تلفها الكبرى كرة

وتتوقف ، بين أن وأن ، لتعقد الخيوط

والمتروجة منذ عام

تستعيد عاقبتها

فرحة بانها وضعت وايدها الأول قبل أسبوع

والفتاة اليابانية ذات الشعر التنظيف

تعمل على ماكينة الخياطة

أو في المصنع

أو في المطحنة

وعامل التبليط يعتمد علي عريته ذات الذراعين

تقرير الصحفي يندفع علي دفتر الملاحظات

والخطاط يخط حروفه بالأزرق والذهب

وفتي القنّاة نحبّ علي درب جر القوارب

والمحاسب يعد علي منضدته

والحذاء يعالج خيطه بالشمع ... (٧٦)

إننا هنا نجد مظاهر الحياة البسيطة ، القاسية ، كما نجد تزامن الصور ، تلك التي بثها العقاد في ثلاث من قصائده تصف أصدقاء الشارع ، أو حين تحلّ الساعة الثامنة وينطلق الباعة في البحث عن المشتريين ، أو حين يصف نماذج مختلفة من الناس انصرفوا حالاً في صلاة الجمعة ، ووقفوا في ساحة المسجد .

٢ - فما الذي بقي من دعوة العقاد إلي شعر الموضوعات اليومية ؟

إن الجواب يعتمد علي مبدأ يتجاوز السؤال المحدد المباشر ، إلي قضية العلاقة بين الشعر وتفاصيل الحياة وشواخصها المألوفة . ولعل الدكتور محمد غنيمي هلال يعبر عن موقف الشعر بقوله : " إننا لا نستطيع أن نخرج من نطاق الشعر التجارب التي موضوعها هيّن القيمة ، متى استطاع الشاعر أن يضيف عليها من شعوره ، وتصويره ، وأخيلته القوية ما ننفذ به الي ما فيها من معانٍ جمالية أو إنسانية ، ويقوة الملكة الشعرية يستطيع الشاعر أن يجد موضوعات للتجارب الصادقة في كل ما حوله متى ما خلع عليها من إحساسه ، وفاض عليها من خياله . وفي هذه لابد من قدرة شعرية تفوق المألوف ، لتتنقل هذه المشاهد اليومية إلي عالم الشعر بقوة الإحساس ، والتصوير الفني (٧٧) " ، ثم ينتهي الناقد إلي أنه لا يمكن أن تحدد موضوعات لتكون شعرية بطبيعتها ، وأخرى لتكون خارجة عن نطاق الشعر ، فقد ينفذ الشاعر ببصيرته ليرى - خلال ما يبدو تافهاً في بادئ الأمر - ما ينم عن مسألة

نفسية أو مشكلة اجتماعية ، أو يرى فيه مجالاً لتصوير فني رائع يبين عن مشاعره أو عواطفه " وإذن لا نحكم على الموضوع إلا على حسب ما عالجه الشاعر من جهة التصوير ، ثم من جهة قوة المعاني وجلالها (٧٨) . ومع هذا يقرر أن الموضوعات ليست أمام الشعراء سواء ، " فموضوع مثل خروج آدم من الجنة قد هياً لكثير من العباقرة فرصاً شعرية لا يمكن أن تتاح لهم في وصف نافذة مثلاً . ذلك أن الموضوع الأول ذو قيمة فنية تثير الخيال بعبارة أكثر مما يثيره الموضوع الثاني . فالذي يهيج الخيال ليس الفكرة المجردة ، أو الحقيقة المعزولة ، ولكن مجموع صور ومناظر وأعمال وحوادث تستدعي سابقاً الخيال الانفعالي لتنظيمها وتصويرها ، فإذا نظم شاعر فيه شعراً رديئاً كان لنا أن نقول إنه قد قعدت به موهبته الشعرية ، ولا ينبغي أن نهمله بذلك لو أنه لم يجد في وصف محبرة مثلاً ، علي أن الشاعر قد يحكى تجربة عميقة لا تمت بصلة كبيرة إلي عنوانها ، فيكون موضوعها تعلقة لذكر خواطره ، كما فعل بودلير مثلاً في وصف الناقذة ، أو وصف طائرة " الألباتروس " ، ومثل خواطر الموت والحياة والفناء في قصيدة ميخائيل نعيمة : " إلي نودة " (٧٩) إن هذا التصور للقضية يرفض أن يحصر استلهامات الشعراء في مستوي معين ، ويجعل المعول عليه هو قوة الشاعرية قوة الإحساس بالشئ ، وليس الشئ في ذاته ، مما يؤدي إلي أن يظل باب " الموضوعات الشعرية " مفتوحاً ، متجدداً ، يتقبل إضافة أي جديد ، لأنه مرهون بنظرة الشاعر إلي هذا الجديد (أو قراءته الجديدة لشئ قديم) وقدرته علي النفاذ فيه وتصويره تصويراً مؤثراً .

لكن القدر الذي تسرب إلي الشعر الحديث ، حتي تشبّع به في مرحلة أعقبت ظهور " عابر سبيل " هو مسحة الواقعية التي أصبح الشعراء الجدد

في تلك الفترة يحرصون علي أن يتلمسوا التأثير من دقة تصوير الواقع ،
وطرافته ، أكثر مما يتلمسونه من التحليق في الخيال ، والإغراب في
التصوّر ، أو التصوير :

في قصيدة بعنوان : " الحزن " يقول صلاح عبد الصبور :

يا صاحبي إنى حزين

طلع الصباح فما ابتسمت ، ولم ينر وجهي الصباح

وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح

وغمست في ماء القناعة خبز أيامي الكفاف

ورجعت بعد الظهر في جيبي قروش

فشربت شاياً في الطريق

ورتقت نعلي

ولعبت بالنرد الموزع بين كفي والصديق

قل ساعة أو ساعتين

قل عشرة أو عشرين

وضحكت من أسطورة حمقاء ردها الصديق

ودموع شحاذ صفيق

وأتي المساء ... (٨٠)

فهنا نجد الاستعانة بأسلوب الحكاء الشعبي ، أو طريقة العامة في
افتتاح أي حديث : " يا صاحبي " ثم الإنباء عن الشعور بطريقة تقريرية هي

معاكسة لروح الشعر وفزعت التصويرية "إني حزين" لكنها محاكاة للغة العامة وأساليب الكلام اليومي المعتاد ، ثم هذه التفاصيل الخالية من الشاعرية : عن الشاي وإصلاح النعل ولعب الترد والاستهانة بالشحاذ علي المقهى ... أما أحمد عبد المعطي حجازي (٨١) ، في قصيدة " الطريق إلى السيدة " فيصور شخصية الريفي الذي نزل العاصمة الواسعة ، فلم يجد من يرشده إلى طريقه ، إذ يقصد زيارة ضريح السيدة زينب - رضي الله عنها - أو الحي المنسوب إلي اسمها :

- ياعم

من أين الطريق ؟

أين طريق السيدة ؟

- أيمن قليلاً ، ثم أيسر بابنيّ

قال ، ولم ينظر إليّ !! (٨٢)

وتمضي القصيدة لتعبر عن الضياع والقهقير للقريب في ليل المدينة ذات القلب القاسي . ولا بد أن نراقب طريقة الشاعر في إدارة الحوار - في مدخل قصيدته - ومحاكاته للغة العامة ، وأساليبهم . وتحت عنوان " سلة الليمون " يلتقط من شوارع المدينة " ضائعاً " آخر ، إنه الطفل الذي يدور يبحث عن مشتر ، يبيع له الليمون ، وقد جاء به من الريف :

سلة ليمون

تحت شعاع الشمس المسنون

والولد ينادي بالصوت المحزون :

عشرون بقرش *

* بالقرش الواحد عشرون * (٨٢)

ومن قصيدة " مقتل صبي " يظهر الضائع في المدينة - للمرة الثالثة
في ديوان عبد المعطى حجازي الأول - إنه هنا يلقي مصرعه تحت عجلات
سيارة طائشة ولأن المدن مزدحمة ، ولأن الصبي غريب ، فإن أحداً لم
يأبه للحادث :

الموت في الميدان طنّ

الصمت حطّ كالكفن

وأقبلت ذبابة خضراء

جاءت من المقابر الريفية الحزينة

ولولبت جناحها علي صبي مات في المدينة

فما بكت عليه عين

الموت في الميدان طنّ

العجلات صّقرت ، توقفت

قالوا : ابن من ؟

ولم يجب أحد

فليس يعرف اسمه هنا سواه

يا ولداه !!

تيلت ، وغاب القاتل الحزين ،

والتقت العيون بالعيون ،

ولم يجب أحد

فالناس في المدائن الكبرى عدد

جاء واد

مات ولد ... (٨٤)

.....

فهنا أيضاً : الحرص علي التفاصيل ، ومحاكاة طريقة العامة في التساؤل والإجابة ، فضلاً عن رصد الشاعر ، هذا مع نوعية " الإنسان " الذي سجلت هذه القصائد لحظة من حياته ، إنه الإنسان البسيط الذي لم يلتفت إليه الشعراء قبل " عابر سبيل " فإذا صور العقاد الباعة ، وسامي البريد ، وعسكري المرور ، فقد صور صلاح عبد الصبور الإنسان الفقير المجهد ، الذي يرتق نعله ويأكل خبزته مغموساً بالقناعة ، كما صور عيد المعطي حجازي بائع الليمون ، والرفي التائه في شوارع المدينة ، وأبناء الشوارع الذين لا يعرفهم أحد ، لأنهم وفنوا إلي المدينة يطلبون الرزق ، فام تقسح لهم مكاناً بين زحامها الذي لا يرحم .

الهوامش :

(١) انظر في رأى أفلاطون محاورته مع أيون ، في كتاب : (نصوص النقد الأدبي) : اليونان للدكتور لويس عوض ، ما كتب تحت عنوان : في الإلهام : ص ١٨ - تسلسل الإلهام : ص ٢١ - دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

(٢) أرسطو طاليس : فن الشعر : ص ٣٢ - ترجمة د. شكري عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ م .

(٣) السابق نفسه : ص ٢٦ .

(٤) السابق نفسه : ص ٦٤ .

(٥) في كتابه نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى - ط الثالثة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة - ١٩٧٨ م ، وقد توفي قدامة بن جعفر عام ٣٣٧ هـ .

(٦) حازم القرطاجنى (توفي عام ٦٨٤ هـ) مؤلف كتاب : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، وهو أقرب النقاد العرب القدماء أخذاً وتأثراً بإفكار أرسطو - منهاج تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة - تونس - ١٩٦٦ م .

(٧) الشعر والشعراء : ج ١ - ص ٦٤ (توفي ابن قتيبة عام ٢٧٦ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر ١٩٦٦ م .

(٨) السابق نفسه : ص ٦٥ - ونقصد مما مثل للضرب الأول قول أبي نؤيب :

وإذا تردّ إلي قليل تقنع

والنفس راغبة إذا رغبتها

- (٩) السابق نفسه : ص ٦٦ .
- (١٠) السابق نفسه : ص ٦٦ ، ٦٧ .
- (١١) في كتابه " الخصائص " (توفي أبن جني عام ٣٩٢هـ) وجاء شرحه للبيات في " باب في الرد علي من ادعى علي العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني " : ج ١ - ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
- (١٢) في كتابه " أسرار البلاغة " : ص ٢١ وما بعدها ، تحقيق هـ ريتز - ط استانبول - مطبعة وزارة المعارف عام ١٩٥٤ م .
- (١٣) نقد الشعر : ص ٦٥ ، ٦٦ .
- (١٤) السابق نفسه : ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ .
- (١٥) السابق نفسه : ص ١٩ .
- (١٦) السابق نفسه : ص ٦٢ .
- (١٧) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، للكمدى الحسن بن بشر (توفي عام ٢٧٠هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر - ج ١ - ص ٥٧ - دار المعارف بمصر - ١٩٧٢ م .
- (١٨) كالاتجاهات بنكر الوقوف على الديار ، والتسليم علي الديار ، وذكر الشيب ... إلخ .
- (١٩) إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص ٥٥١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧١ م .
- (٢٠) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

- (٢١) انظر : الأسس الجمالية في النقد العربي : عز الدين إسماعيل -
ص ٢٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٧٠ .
- (٢٢) اعتمدنا علي نسخة ديوان " عابر سبيل " المطبوعة ضمن " خمسة
دواوين للعقاد " - الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٣م -
انظر مقدمة " عابر سبيل " ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .
- (٢٣) راجع مقالة محمد مندور عن الشاعر " عبد الرحمن شكري - شاعر
الاستبطن الذاتي " - من كتاب الشعر المصري بعد شوقي - الحلقة
الأولى - ص ٩١ وما بعدها - مكتبة نهضة مصر - (بدون تاريخ) .
- (٢٤) لأن الواقع ارتباط بالمحسوسات ووصف موضوعي لها - والشعرية
إدراك وارتفاع عن الواقع المباشر ، ولهذا تجنب النقد الغربي وصف
الشعر بالواقعية ، وحين سادت النزعة إلي الواقع قالوا : " الشعر
البرناسي " .
- (٢٥) نفوسه زكريا سعيد : البارودي - حياته وشعره : ص ٦٧٤ - ٢٧٠ .
الناشر مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري - ١٩٩٢م .
- (٢٦) انظر " الشوقيات " تحت هذه العناوين ، في الأجزاء الثلاثة الأولى .
- (٢٧) ديوان حافظ إبراهيم : ج ١ - ص ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٨٧ -
المطبعة الأميرية بالقاهرة - ١٩٥٦م .
- (٢٨) العرضي الوكيل : العقاد والتجديد في الشعر : ص ٤٠ - دار الكتاب
العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٦م .
- (٢٩) القصيدة من ديوان عابر سبيل ، ص ٢٩٢ ، ونلاحظ إيقاعها السريع

المتعثر - وصورها المتلاحقة ، فكأنما تجسّد الإحساس بالسرعة .

(٢٠) وجه المفارقة في هذه القصيدة أن الشاعر أسند لكل فريق ما لا يناسبه أو يتصل به ، مثل أبناء جرجا (صعيد مصر) الذين يبيعون القفاح الأمريكي - وإسرائيلي الذي يمزج بين العربية والتركية في حديثه - واليوناني الذي يبيع أوراق (اليانصيب) لصالح الجمعيات الخيرية الإسلامية ، وأهل اليابان الذين يحيون بالعربية .

(٢١) هي : بعد صلاة الجمعة - المصرف - سلع الدكاكين - معرض البيت .

(٢٢) هما : أمام قفص الجييون - الطريق في الصباح .

(٢٣) وهي قصيدة كواء الثياب .

(٢٤) عبد الله الطيب - المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها - ج ١ - ص ١٠٧ .

(٢٥) الناشر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها - وهي بدون تاريخ - الحلقة الثانية - التالية لهذه نشرت عام ١٩٦٩ م .

(٢٦) الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الأولى) - ص ٤٩ - ٩٠ .

(٢٧) السابق نفسه : ص ٥١ ، ٥٠ .

(٢٨) السابق نفسه : ص ٥٦ .

(٢٩) السابق نفسه : ص ٦٢ .

(٤٠) هدية الكروان (نشر ضمن " خمسة نواوين للعقاد " - مرجع سابق) انظر المقدمة ص ٩ ، ٨ .

(٤١) وهنا يقدم الدكتور مندور نموذجاً من شعر ابن الرومي - وصفه لاختيار صانع الرقاق ، ثم يقول : " في هذه الأبيات استطاع ابن الرومي أن يخلق شيئاً من لاشيء ، وذلك بفضل براعة التصوير " - ص ٤٢ .

(٤٢) السابق نفسه : ص ٧٤ .

(٤٣) السابق نفسه : ص ٧٥ ، ٧٦ - أما " الست هدي " فهي الملهاة الوحيدة التي كتبها أحمد شوقي بين ست مسرحيات مأسوية . والمشهد الذي يقصده الدكتور مندور في بداية الفصل الأول وفيه تجلس الست هدي مع صديقتها زينب ، تدافع عن نفسها - تجاه أقاويل الجيران - وقد تزوجت تسعة رجال ، وراحت تعدد كيف خلصها " عزيريل " منهم واحداً بعد الآخر ، لتبريء نفسها من صفة البخل .

(٤٤) الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الأولى) - ص ٧٨ .

(٤٥) دراسات في الشعر العربي المعاصر - دار المعارف بمصر - ط خامسة ١٩٧٤م ، وقد عقد فيه فصلاً بعنوان : " الموضوعات اليومية في عابر سبيل للعقاد " - ص ٨٧ - ١٠٤ .

(٤٦) السابق نفسه : ص ٩٤ .

(٤٧) السابق نفسه : ص ٩٧ .

(٤٨) السابق نفسه : ص ٩٩ .

(٤٩) السابق نفسه : ص ١٠٣ .

(٥٠) السابق نفسه : ص ١٠٢ .

(٥١) الشعر وطوايعه الشعبية علي مر العصور - دار المعارف بمصر - ١٩٧٧م .

(٥٢) السابق نفسه : ص ٦٠٥ .

(٥٣) في مقدمة هذه الدراسات كتابه : عباس العقاد ناقدًا ، دار الشعب بالقاهرة - ١٩٧٠م - وكتابه شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث - دار النهضة العربية - ١٩٦٩م - وهو مصدرنا الذي نعتمد عليه في إيراد رأيه .

(٥٤) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده - ط ثانية - معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٠م - ص ٧٤ - ١٠٤ .

(٥٥) السابق نفسه : ص ٧٥ .

(٥٦) Wordsworth : The Norton Anthology of English Literature p 100

- 133. Norton and Company. INC. 1968.

(٥٧) شاعرية العقاد : ص ٢٢٨ .

(٥٨) السابق نفسه : ص ٢٢٩ .

(٥٩) السابق نفسه : ص ٢٣٠ .

(٦٠) السابق نفسه : ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ .

(٦١) السابق نفسه : ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٦٢) السابق نفسه : ص ٢٣٥ .

(٦٣) السابق نفسه : ص ٢٣٨ ، والمراجع بالهامش .

(٦٤) " مع الشعراء " مقالات في نقد الشعر ، جمعها وصدرت في كتاب عام ١٩٧٨م - الناشر : دار الشروق بالقاهرة ، وقد اختص العقاد

الشاعر بأربع مقالات تصدرت الكتاب ، وهي العقاد - ساعر ، كيف
ترجم العقاد للشيطان ، العقاد كما عرفته ، فلسفة العقاد من
شعره (ص ٥ - ٦٥) .

(٦٥) السابق نفسه : ص ١٠ .

(٦٦) السابق نفسه : ص ١٧ ، ١٨ .

(٦٧) السابق نفسه : ص ٦ .

(٦٨) العقاد والتجديد في الشعر : ص ٢٨ .

(٦٩) مقدمة " عابر سبيل " : ص ٢٧٧ .

(٧٠) العقاد والتجديد في الشعر : ص ٢٩ .

(٧١) مطالعات في الكتب والحياة - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٢ -
١٩٦٦م - ص ٤٢٢ وما بعدها .

(٧٢) " ابن الرومي - " حياته من شعره " أتبعه العقاد بمختارات من شعر
ابن الرومي من بينها هذه القصيدة التي عارضها ، ووضع لها عنوان "
النساء " انظر ص ٢٧٠ - ط الثالثة - ١٩٥٠م - مطبعة حجازي
بالقاهرة (بدون تاريخ) .

(٧٣) شاعرية العقاد : ص ٧١ .

(٧٤) الديوان : ج ١ - ص ٢١ - الناشر : دار الشعب بالقاهرة -
ط الثالثة .

(٧٥) وأت ویتمان شاعر أصیل : تألیف جیمس میلر - ترجمة : د. محمد
فتحی الشنیطی - مكتبة الوعي العربي - القاهرة (بدون تاريخ) .

- (٧٦) ديوان "أوراق العشب" ترجمة : سعدى يوسف - منشورات وزارة الإعلام العراقية - ١٩٧٦م - ص ٧٦ - ٧٨ ، ٨٢ .
- (٧٧) النقد الأدبي الحديث - دار النهضة العربية - ط الثالثة - ١٩٦٩م - القاهرة - ص ٢٨٨ .
- (٧٨) السابق نفسه : ص ٣٩٠ .
- (٧٩) السابق نفسه : ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .
- (٨٠) من ديوان : الناس في بلادي - انظر ديوان صلاح عبد الصبور : ص ٣٦ ، ٣٧ - الناشر : دار العودة - بيروت - ١٩٧٢م .
- (٨١) ديوان أحمد عبد المعطي حجازي ، والقصائد من ديوانه الأول بعنوان " مدينة بلا قلب " - الناشر : دار العودة - بيروت - ١٩٧٣م .
- (٨٢) ديوان أحمد عبد المعطي حجازي : ص ١١٢ .
- (٨٣) السابق نفسه : ص ١٢٥ .
- (٨٤) السابق نفسه : ص ١٤٢ - ١٤٤ .

إيران فى عصر البىشداديين والكيانيين
بين المسعودى والفردوسى

د. سعيرة عبد السلام عاشور
المدرس بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

أثناء اشتغالي ببحث عن تاريخ الفرس الأسطوري عند الطبري والفردوسي لاحظت أن معظم مؤرخينا القدامى ساروا على نمط واحد فيما يخص تاريخ هذه الحقبة من اعتماد على مصادر فارسية اختلط فيها القمص الشعبي الشائع عن أبطال قدامى بالأساطير الدينية المستمدة من تراثهم القديمة، وانقلبت فيه الآلهة وقوى الطبيعة في النيات الأرية إلى ملوك البسوا ثوب التاريخ، ورويت الأساطير عنهم في شكل وقائع تاريخية بعد أن اختلطت سيرة بعضهم بسيرة ملوك تاريخيين عاشوا في العصر الهخامنشي.

وقد اختلفت مؤلف مؤرخينا من هذه المادة فمنهم من أثبتها واستقصى رواياتها المتعددة نون إعمال للعقل أو استنصاء للفكر في صحتها مثلما فعل الطبري (ت سنة ٣١٠ هـ)، ومنهم من استبشعها ورفض إثباتها كاليقوبي (ت سنة ٢٩٢ هـ)، ومنهم من انتقدها، ولكنه اثبتها في كتابه بشكل مختصر مثلما فعل حمزة الأصفهاني (ت سنة ٣٦٠ هـ) والبيروني (ت سنة ٤١٠ هـ) ومثلما فعل المسعودي (ت سنة ٦٤٣ هـ) موضوع هذا البحث.

وقد لاحظت أن المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" قد سلك لنفسه منهاجا واضحا بين المؤرخين، وبرزت لديه حاسة تاريخية واضحة.

نقد رجع لأقدم المصادر عن تاريخ الفرس، ثم اختار من الروايات الكثيرة المتعددة رواية واحدة شديدة الإيجاز، مبينا في إيجاز شديد أن هناك روايات أخرى

تقول غير هذا دون أن يتوقف لتفضيل إحداهما على الأخرى، إذ كان موقفاً أن علم الحوادث الموهلة في التقم من شأن الله تعالى وحده، وأن ما يرويه عن الفرس هو ما رواه مؤرخو الفرس عن ملوكهم. وقد انتقد بعض الروايات ودفعها بمقياس العقل، ولكن هذا لم يدفعه إلى رفض تام لهذه الروايات، فظل منحازاً للفرس مردداً بثقة: "إن الفرس أحق أن يؤخذ عنها إذ كانوا أهل العز والشامخ والشرف الباذخ والسياسة والرئاسة".

وقد رأيت أنه رغم أهمية كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للباحثين في التاريخ عامة، وللباحثين في تاريخ إيران خاصة، إلا أنني لم أجد من الباحثين من اهتم بتحصيص ما ورد فيه عن إيران وتاريخها الأسطوري، ولا من اهتم ببيان منهج المسعودي فيه ومصادره التي اعتمد عليها، وهذا ما أحاول القيام به في هذا البحث. وقد قسمت هذا البحث إلى قسمين:

- تحدثت في القسم الأول عن منهج المسعودي في كتابه ومصادره التي اعتمد عليها.

- وفي القسم الثاني قارنت بين ما جاء عند المسعودي والفردوسي بما جاء في الأبنساق والمصادر النهلوية، التي استقيتها من كتاب "حماسة سرائي در ايران" لديبح الله صفا.

وتجنباً للتكرار بين الباحثين، فقد ابتعدت عن الحديث عن منهج الفردوسي ومصادره في الشاهنامه، وأشرت في الهامش لقيامي بهذا في بحث سابق. كما أوردت شواهد من الشاهنامه تختلف عن الشواهد التي سبق أن أوردتها في بحثي السابق.

والله وفي التوفيق،

أولاً: منهج المسعودي في إيراد تاريخ إيران الأسطوري: (١)

خصص "المسعودي" (٢) في "مروج الذهب ومعادن الجوهر" باباً للحديث عن ملوك "الفرس الأسطوريين" وهم ملوك "البيشدايين" و"الكيانيين" تحت عنوان "ذكر ملوك الفرس الأولى وجمل من سيرهم".

(١) تحدثت في بحث سابق عن منهج الفردوسي ومصانره - ولمزيد من التفصيل يرجع لكتاب تاريخ الفرس الأسطوري عند الطبري والفردوسي للباحثة.

(٢) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي للمسعودي، لقب بالمسعودي نسبة إلى أصحابي "عبد الله بن مسعود" رضي الله عنه. ولم يشر المسعودي نفسه إلى هذا الانتساب في التتبيه والإشراف ولا في مروج الذهب. ونشأ في بغداد وقد أخطأ "ابن النديم" عندما ذكر أنه رجل من أهل المغرب تتلمذ على يد (نظريه ت سنة ٢١٢ هـ) وأبي خليفة الجعفي (ت سنة ٢٠٤ هـ). وأبي العباس (كان من أساطين المذهب الشافعي (ت سنة ٣٠٦ هـ)). رحل إلى كثير من البلاد مشاهداً مستطلعاً متعرفاً بنفسه على صحة الأخبار. ووصل في رحلته إلى بلاد كنهاية من أرض الهند، وركب بحر الزنج إلى مدينة زنجار، وذهب إلى دمشق والقاهرة وبلاد فلسطين والأردن، ووصل إلى سرنديب، وأبحر إلى الصين. ألف العديد من الكتب في مختلف فروع العلم. ألف الإبانة حول أصول الديانة والمقالات في أصول الديانات، وسر الحياه، والاستبصار في الإمامه. والصفوة في الإمامة وكتاب السياسة المدنية. ومن أشهر مؤلفاته التاريخية كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وانتهى من تأليفه سنة ٣٢٦ هـ وكتاب التتبيه والإشراف وانتهى منه سنة ٣٤٥ هـ وقد توفي سنة ٣٤٦ هـ.

(شذرات الذهب: لابن العماد دار المسيره بيروت الطبعة الثانية ٢٧٧/٢ القهرست لابن النديم المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ ص ٢١٩. مروج الذهب ط بيروت، التتبيه والإشراف ط لندن مطبعة بريل ١٨٩٢).

وقد أورد فيه أخبار هؤلاء الملوك في أخبار متتابعة غير مقطوعة بأسانيد الرواة، والروايات المتعددة مثلما فعل الطبرى، وهو فى هذا متأثر بطريقة الفرس مثل البلائرى والدينورى كما ذكر محمد غنيمى هلال^(١) ولم يهتم "المسعودى" بإيراد الروايات المتعددة للحائثة الواحدة إلا فى أضيق الحدود فإنه يذكر مسائل الخلاف بايجز شديد معلقا على بعض الروايات، أو معلقا على أبواب كتابه فى نهاية كل باب. مثال ذلك قوله عن كيومرت: "وقد توزع فى مقدار عمر كيومرت هذا، فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة، وقيل دون ذلك"^(٢).

والمسعودى لا يذكر المصادر التى ينقل عنها كل خير أو رواية من رواياته إلا إذا كان ينقل عن بعض الرواة. وقد اكتفى بذكر مصانره فى مقدمة كتابه، مبدئا رأيه فيها موضحا الأسس التى يحكم بناء عليها بجودة الكتاب أو ردايته. فنكر أسماء عشرات من كتب التاريخ والسير والجغرافيا، وأسماء الرواة والعلماء والإخباريين الذين اشتهروا فى كافة العلوم، والذين استفاد من كتبهم ونقل عن رواياتهم. هذا بالإضافة إلى العديد من الكتب والرواة اللتين نكرهم فى ثنايا كتابه والذين استفاد من علمهم فى كل باب، من أبواب كتابه، وكانت مؤلفاتهم وثيقة الصلة بهذا الباب.

(١) الأديب المقارن: محمد غنيمى هلال، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٢

ص ٢٥٤

(٢) مروج الذهب: ٢٢٢/١

أما إذا تحدثنا عن المصادر التي استفاد منها في كتاباته عن تاريخ الفرس وأخبارهم فنجد أهم هذه المصادر هي الكتب الفارسية التي تحدث عنها في 'مروج الذهب' وفي 'التتبيه والاشراف' مثل كتاب 'خدای ناماه'^(١) و'آیین ناماه'^(٢) و'كاهناماه'^(٣) وكتاب 'الكارنامج'^(٤) بالإضافة إلى هذه المصادر هناك كتاب 'السكيكين' وقد ذكره المسعودي في معرض حديثه عن مقتل 'سياوخش' وخبر 'رستم بن نستان' وأخذه بطائلة سباوش، قتل: وهذا كله مشروح في كتاب السكيكين^(٥) ويرى ذبيح الله صفا أن أصل كلمة سكيكين سكرين سكرين 'وموضوعه أهل سيستان واخبر رستم'^(٦). ويضيف المسعودي أن ابن المقفع ترجمه إلى العربية، وأن الفرس

- (١) خدای ناماه: أصل اسمه في البهلوية 'خونای نامك' وهو كتاب في سير ملوك الفرس من عهد كيومرث حتى عهد يزديجرد الثالث (٦٢٣-٦٢٥م) وقد ترجم عدة ترجمات إلى العربية منها ترجمة ابن المقفع. وقد أضاف علماء المجوس إليه زيادات تتصل بنهاية الدولة الساسانية (إيران في عهد الساسانيين: ص ٤٧-٤٨).
- (٢) آیین ناماه: وهو كتاب الرسوم وهو عظيم في الألف من الأوراق ولا يوجد كاملاً إلا عند الموايزة وغيرهم. وقد نقله ابن المقفع من البهلوية إلى العربية (التتبيه والاشراف: ص ١٠٤، الفهرست: ص ٣٤٢).
- (٣) كاهناماه 'كاهنامك' وهو جزء من الآیین وفيه مراتب عظاماء الفرس وانها ستمائة مرتبة (التتبيه والاشراف: ص ١٠٦).
- (٤) الكارنامج: ذكر هكذا في بعض النسخ، وفي البعض الآخر نكر الكاريامج، وأعتقد أن الأولى أصح. والمقصود به كتاب 'كارنامه اردشير بابكان' ويحتوي على أخبار أردشير وجروبه وسيره (مروج الذهب ١: ٢٤٨).
- (٥) مروج الذهب: ٢٤٨/١
- (٦) حماسة سرائي: د. ذبيح الله صفا، جاب خود كار ايران سنة ١٣٢٤م ص ٤٣.

تعظمه لما قد تضمن من خبر أسلافهم، وسير ملوكهم^(١).

وقد تحدث المسعودي عن كتاب آخر قال إنه رآه بمدينة اصطخر، يقول عنه إنه كتاب عظيم يشتمل على كثير من علومهم، وأخبار ملوكهم، وأبنياتهم، وسياساتهم مما لم يجدها في كتبهم الأخرى. وفيه صور لسبعة وعشرين ملكا من آل ساسان، خمسة وعشرون رجلا وامرأتان صور الواحد منهم يوم مات: شيخا كان أو شابا وحيثه وتاجه، ومخط لحيته، وصورة وجهه كما يوجد فيه أن ملوك الساسانيين ملكوا الأرض أربع مائة سنة وثلاث وثلاثين سنة وشهرا، وسبعة أيام. وأن الفرس كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته. ورفعوه إلى الخزان كى لا يخفى على الحي منهم صفة الميت ويبينوا صورة كل ملك كان في حرب قتما. وكل من كثر في أمر جالسا، وسيرة كل واحد منهم في خواصه وهوامه، وما حدث في ملكه من الأمور العظيمة والأحداث الجليئة، ويبين أن تاريخ تأليف هذا الكتاب سنة ١١٣ هـ مما وجد في خزائن ملوك فارس، ونقل لهشام بن عبد الملك مروان من الفارسية إلى العربية. ويبين أنه استفاد من هذا الكتاب عند حديثه عن ملوك الفرس الأولى في كتاب مروج الذهب^(٢) وقد بين صاحب مجمل التواريخ كما ينكر نبيح الله صفا أن هذا هو كتاب الصور أو كتاب "صورت بادشاهان بنى ساسان"^(٣).

ومن مصادر المسعودي المهمة أيضا الرواية التي سمعها من علماء الفرس الذين اتصل بهم خلال رحلاته وأسفاره إلى بلاد الفرس من فارس وكرمان وخوزستان

(١) مروج الذهب: ٢٤٨/١

(٢) التنبيه والإشراف: ص ١٠٦-١٠٧

(٣) حماسة سرائي: ص ٥٤

ومجستان والمهات^(١) وغيرها مسجلا مشاهداته وما سمعه من علمائهم وموابنتهم
 وهربنتهم، وغيرهم من نوى المعرفة بأخبارهم^(٢). وقد استمد "المسعودى" أيضا
 أخباره عن الفرس من علماء العرب الذين اشتهروا بمعرفة أخبار الفرس وانسابهم،
 ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى^(٣) وهو يروى بدوره كما يذكر المسعودى عن أحد
 الرواه المشهورين بطم فارس حتى لقب بعمر كسرى ومنهم "هشام بن محمد السائب
 الكلبي"^(٤).

ويبدو من أقوال المسعودى فى مواضع متفرقة أنه أطلع على مصادر أخرى
 غير المصادر الفارسية منها التوراه ومصادر يونانية ورومية، ويتضح هذا مثلا من
 حديثه عن كوروش. فيقول وفى وجه آخر من الروايات أن كوروش كان ملكا برأسه.
 لا من قبل بهممن. وأنه من ملوك الفرس الأولى، ويعلق على هذا قائلا: وليس هذا عاما
 فى كتب التواريخ^(٥).

-
- (١) المهاتت: قال ياقوت: الماء بالهاء خالصة، قصبة البلد ويقال لنهاوند وهمدان ولم
 ماء البصرة (معجم البلدان: ياقوت الحموى)
- (٢) التنبيه والاشراف: ص ١٠٥
- (٣) أبو عبيدة معمر بن المثنى: فارسى الأصل يهودى الأباء، على جانب كبير من
 الثقافة وهو من طلائع مؤرخى العرب فى الجاهلية والاسلام. أهتم بصفة خاصة
 ببلاد العرب الشمالية. وذكر فى الفهرست أنه كان شعبويا يطعن فى الأنساب،
 ويؤلف فى مثائب العرب (التاريخ والمؤرخون العرب: ص ٢٠)
- (٤) هشام بن محمد بن السائب الكلبي: كان أبوه عالما بالأنساب واللغة والتاريخ،
 وخطه ابنه فى هذا العلم، وقد تعرض لتاريخ الأنبياء، وتاريخ العرب فى الجاهلية،
 وتناول تاريخ الفرس من الترجمات الفارسية، ومن الأخبار والقصص المتداولة
 (التاريخ والمؤرخون العرب).
- (٥) مروج الذهب: ٢٢١/١.

ويقول في مروج الذهب مطلقا على ما جاء من روايات بخصوص ملوك الطوائف بهذا وجه آخر غير ما قدمنا، وقد قيل في تاريخ منى ملوك الطوائف غير ما وصفنا والأول أشهر وأوضح.

ويبين في التتبيه والاشراف أنه ذكر في كتبه ما نكره عن تاريخ الفرس وملوكها معتمدا على كتب الفرس دون غيرهم من الأمم من إسرائيليين ويونانيين وروم^(١) ويبدو أن المسعودي وجد الأخبار التي جاءت في هذه الكتب عن الفرس شديدة الاختلاف كثيرا عن الأخبار التي وردت في المصادر الفارسية فاعتمد على الرواية المأخوذة من علماء الفرس إذ لن الفرس في رأيه الحق أن يؤخذ عنهم^(٢) كما أنهم كما ينكر أيضا يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم، لأن الفرس في رأيه تدن بما وصف قولا وعملا^(٣).

واضح من كلام المسعودي هذا أنه منحاز لرواية الفرس مقتنع بها لميله لهم إذ كانوا أهل العز الشامخ كما يقول والشرف الباذخ والسياسة والرئاسة^(٤) وهو يثق في رأى علماتهم إذ يعتقد كما قلنا أنهم يراعون في ضبط التواريخ وحفظها ما لا يراعيه غيرهم.

والمسعودي في هذا يخالف نفسه أولا: إذ أنه يروى بنفسه حادثة تتقض كل ما قاله عن مراعاة الفرس لتواريخ من سلف، ودوائتها بهذا قولا وعملا. فيقول المسعودي:

(١) التتبيه والاشراف: ص ١٠٥

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٥

(٣) مروج الذهب: ٢٢٦/١

(٤) التتبيه والاشراف: ص ١٠٥

إن هناك تفاوتاً في تأريخ الإسكندر بين الفرس وبين غيرهم من الأمم ويعتل هذا أنه يوجد سر من أسرار الفرس يعرفه الموابذة والهرابذة ولا يوجد في كتب الفرس المؤلفة، وهو أن "زردشت" ذكر في "الأبستاق" أن ملكهم يضطرب بعد ثلاثمائة سنة، وبعد ألف سنة يذهب الدين والملك جميعاً، وأنه كان بين زرادشت والإسكندر نحو ثلثمائة سنة، وأن "أرشير ابن بابك" جاء بعد "الإسكندر" بخمسمائة سنة، فنظر فوجد أن الذي بقي بينه إلى تمام الألف سنة حوالي مائتي سنة، فأراد أن يمد الملك مائتي سنة أخرى خوفاً أن يترك الناس نصرة دينه وثقة في خبر نبيهم في زواله، فنقص من الخمسمائة منه التي بينه وبين الإسكندر نحواً من نصفها.

ويقول المسعودي لهذا وقع الخلاف بين الفرس وغيرهم من الأمم^(١) ومعنى كلام المسعودي هذا أن تاريخ هؤلاء الملوك عند الأمم الأخرى أضبط مما هو عليه عند الفرس، ومعناه أيضاً أن الفرس لا تدين بالمحافظة على تواريخها قولا وعملا كما ذكر.

كما يخالف المسعودي في ثقته بتواريخ الفرس وإيمانه بصحتها رأى المؤرخين الذين حاولوا تحييص تاريخ الفرس القديم، ولم يأخذوا الأخبار على علتها وكان من نتيجة ذلك أنهم وجدوا اختلافاً شديداً في تاريخ هذا القسم. ومن هؤلاء المؤرخين: "حمزه الأصفهاني" (ت قبل ٣٦٠ هـ) الذي راجع العديد من نسخ "خدای نامه" وراجعها على الأبستاق، وصحح تواريخه من نسخة الموبد فوجد أن تواريخهم

(١) للتبیه والاشراف ص ٩٧-٩٨

كلها منخولة غير صحيحة لأنها كما يذكر نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان إلى لسان ومن خط متشابه رقوم الأعداد إلى خط متشابه رقوم العقود^(١).

ومنهم البيروني (ت ٤٤٠ هـ) وقد حاول أن يسير على نهج حمزة الأصفهاني فنظر في الأمتلئ وما ذكر عند غيره ثم قال: "وقد يوجد ما ذكرناه من تواريخ هذا القسم في كتاب السير المختلفة الحال جدا إلا أن الذي أورنته هو الأقرب إلى ما أجمعوا عليه"^(٢).

وإذا اكتفى المسعودي في حديثه عن ملوك الفرس بذكر ما قبل عن سني ملك كل واحد منهم من غير أن يعلق أو يبين الصحيح منها من وجهة نظره، فيقول مثلا عن جمشيد: "وكان ملك جمشيد إلى أن ملك ستمائة سنة، وأيل: تسعمائة سنة وستة أشهر"^(٣) بل كان يذكر في التنبية والإشراف روايات تخالف ما ذكره في "مروج الذهب" دون أن ينبه إلى هذا الاختلاف ويبين سببه، وكان المسألة بالنسبة إليه غير ذات بال. كما كان اختلاف المصادر التي رجع إليها -فيما أرى- سببا في اختلاف بعض رواياته: من ذلك مثلا أنه يقول عن ملك أفريدون: إنه ملك عشرين سنة^(٤) وفي التنبية والإشراف يذكر أنه ملك مائة وعشرين سنة^(٥).

(١) مقننة تاريخ سني ملوك الأرض: حمزة بن الحسن الأصفهاني: مطبعة كلوياني ببرلين ص ٩.

(٢) الآثار الباقية عن القرون الخالية: أبو ریحان البيروني. مكتبة المثنى ببغداد ص ١٠٥.

(٣) مروج الذهب: ٢٢٢/١

(٤) المرجع السابق: ٢٢٥/١

(٥) التنبية والإشراف: ص ٨٨

وفى مروج الذهب ذكر أن "بهماسف" كان شريكا "لكرشاسف" لمدة ثلاث سنوات^(١) بينما ورد فى التنبية والإشراف أنه ملك بعد "زو" لمدة ثلاث سنين^(٢).

ويتضح هذا أكثر من الطريقة المسعودى فى الحديث عن ملوك الفرس فى كتابه مروج الذهب فقد قسمهم الى العناوين الآتية باب عن "ملوك الفرس الأولى" ويتحدث فيه عن ملوك الفرس من لندن كيومرت الى "دارا بن دارا" أى أنه يجمع ملوك النيشاديين والكيانيين فى باب واحد دونما تفرقة بينهما. وباب ثان عن ملوك الطوائف، ثم باب ثالث عن أنساب الفرس، وباب رابع عن ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية.

ومضى هذا أنه يرى أن ملوك الفرس ينقسمون الى قسمين: أولى، وثانية. وفى موضع آخر من مروج الذهب أيضا يرى أن الفرس من بدء الدهر إلى أن جاء الإسلام كانت أربعة أصناف: الصنف الأول يقال له "الخداهان" وهم الأرباب^(٣) كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرت إلى أفريدون ثم الكيان من أفريدون إلى دارا بن دارا، ثم الأشغان وهم ملوك الطوائف، ثم الساسانية وهم الفرس الثانية^(٤) وينكر المسعودى تقسيما آخر فى التنبية والإشراف خاص بملوك الفرس الأولى فيقول: إن الطبقة الأولى منهم من جيومرت الى أفريدون تسمى الهزارىكة أى الألف سنة،

(١) مروج الذهب: ٢٢٢/١

(٢) التنبية والإشراف: ص ٩٠

(٣) يؤكد هذه التسمية أكثر ما ورد على لسان لهراسف فى الفرر للتعاليى قوله: 'جرت العادة من المتقدمين أن يسموا أسلافنا الملوك أربابا. فالإلهية ربوية سملوية، والملكية ربوية لرضية (العزر فى أخبار ملوك الفرس: التعاليى - طبع روتنبرج ص ٢٢٩).

(٤) مروج الذهب: ٢٨٢/١

والطبقة الثانية وهم بلان أى العلويون أولهم منوشهر وآخرهم كرشاسب، والطبقة الثالثة وهم الكيانيون وتسيرها الأجزاء أولهم كيقباد وآخرهم دارا بن دارا^(١).

كل هذا يوضح أن المسعودى كان متأثراً فى هذا القسم بالمصادر التى ينقل عنها، وأنه لم يقتنع بأحدى هذه التقسيمات، فiaأخذها منها لى سير عليه فى كتبه، ويؤكد هذا أيضا أن المسعودى فى طريقة ضبطه لأسماء ملوك الفرس لم يلتزم ضبطا محدداً يسير عليه فى كتابه، فكان ما يذكره فى "التبئيه والاشراف" يخالف أحياناً ما قد ذكره فى "مروج الذهب" فى مروج الذهب يضبط اسم "كيومرت"^(٢). بينما يضبطه على النحو التالى فى التبئيه والاشراف "جيومرت"^(٣) وفى مروج الذهب يذكر اسم "فريذون" أنه "فريذون"^(٤) وفى التبئيه والاشراف يذكر أنه "فريذون"^(٥) وعن منوجهر يذكره فى مروج الذهب "منوجهر"^(٦) وفى التبئيه والاشراف يقول "منوشهر"^(٧) بل يذكر فى مروج الذهب فى موضع آخر أن اسمه "منوشهر"^(٨).

كل هذا يؤكد أن "المسعودى" لم يقتنع برواية واحدة، أو تقسيم واحد أو ضبط واحد للأسماء فيذكره ويسير عليه فى كتبه، وأن الاختلاف كان يقع فى كتبه لاختلاف

(١) التبئيه والاشراف: ص ٨٥-٩٠

(٢) مروج الذهب: ١/٢٢٠

(٣) التبئيه والاشراف: ص ٨٥

(٤) مروج الذهب: ١/٢٢٤

(٥) التبئيه والاشراف: ص ٨٨

(٦) مروج الذهب: ١/٢٢٥

(٧) التبئيه والاشراف: ص ٩٠

(٨) مروج الذهب: ١/٢٢٨، ٢٤٠

المصادر التي بنقل عنها كما ذكرنا، وربما كان المسعودى أيضا في قرارة نفسه غير مقتنع بصحة ما يذكر من اخبار وجدها في كتب من قبله.

ويوضح هذا ما ذكره في التبيين والاشراف معلقا على تنازع الاخباريين بشأن الفرس الأولى وهل هم من الكلدانيين أو من غيرهم فيقول: "وغير ذلك من التنازع في الأمم الذين بعثت عنا أعصارهم، وتقطعت أخبارهم، وأن الله تعالى نفى الاحاطة بعلم أحوال القرون الخالية، والأمم السانفة عن سواه لتقدم زمانها وبعد أيامها"^(١).

لعل التنازع المسعودى في داخله بأن علم الحوادث السابقة من شأن الله تعالى كما ذكر، أو لعله رأى غلبة الاساطير على الأحداث المروية عن القرون الماضية، ورأى اختلاف الرواة الشديد في شأنها كل هذا جعله غير مقتنع برواية واحدة يثبت عليها فوقف هذا الموقف السلبى الى حد ما في إيراده أخبار ملوك الفرس في هذا العصر البيشدادى والكيانى. والمسعودى لم يفصل في ذكر الأساطير المروية عن هؤلاء الملوك مثلما فعل الطبرى (ت ٣١٠ هـ)، والثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، والقرطوبسى (ت ٤١٤ هـ). كما انتقد بعض هذه الروايات في مواضعها مبينا ما فيها من مبالغات فيقول مثلا معلقا على أخبار كيومرت: "وللمجوس في كيومرت هذا خطب طويل في انه مبدأ النسل، وأنه نبت من نبات الأرض... وغير ذلك مما يفحش إيراده"^(٢).

ويقول معلقا على ما تزعمه الفرس من أن ويرك (اسحاق) هو ابن ابرك من يورك ابن سبع نسوة تولدن من غير ذكر إلى أن يلحقن في نسبهن بايرج ابن افريدون

(١) التبيين والاشراف: ص ٩٤

(٢) مروج الذهب: ٢٢٢/١

يقول المسعودى: "وهذا مما يدفعه العقل ويأباه الحس ويخرج عن العادة وتنبو عنه المشاهدة، إلا ما خص الله تعالى به السيد المسيح"^(١) يقول إن نقد المسعودى لهذه الروايات فى مواضعها لم يدفعه الى انتقاد أكبر لما ذكره الفرس عن تاريخ ملوكهم، ولما امتزج به من أساطير، ولم يرفضها مثلما فعل اليعقوبى (ت ٢٨٢ هـ) فى تاريخه حيث قال معلقا على أخبار هذه الحقبة من تاريخ الفرس "ولهم أخبار قد أثبتت، ورأينا أكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها، لتركناها لأن مذهبنا حذف كل مستبشع"^(٢).

وكان موقف المسعودى فى هذا شبيها بموقف كثير من المؤرخين القدامى الذين لم يعملوا عقولهم فى الروايات التى نقلوها عن غيرهم، وإنما نقلوها عن الآخرين كما سمعوها، دون أن يقوموا بتصنيفتها من شوائبها وتأييدها كما يقول "ابن خلدون"^(٣) وقد بين الطبرى فى مقدمته أنه يعتمد على الرواة فى الأخبار التى يذكرها دون إعمال للعقل، ولا استنباط بفكر النفوس^(٤) "وحزمة الاصفهائى" رغم انتقاده لتواريخ الأمم السابقة ووصفها بأنها كحلم النائم إلا أنه يحكيها تقليدا "لروايتها"^(٥) أما البيرونى فيرى أن مقصده من كتابه هو تحصيل للتواريخ لا انتقاد الأخبار لذلك نراه يثبت ما وجده فى كتبهم رغم استبشاعه له وقوله عنه إنه مما ثجج الأذان ولا تثبله العقول^(٦).

(١) مروج الذهب: ٢٤٠/١

(٢) تاريخ اليعقوبى: اليعقوبى، مطبعة العزبى النجف سنة ١٣٥٨ : ١٢٩/١

(٣) ابن خلدون: المقدمة. مطبعة مصطفى محمد بدون سند طبع ١٠٠٩/١

(٤) تاريخ الطبرى: المقدمة. طبع دار المعارف سنة ١٩٦٠ ج ١/ ص ٧

(٥) تاريخ سنى فلوك الارض: ص ٦

(٦) الآثار الباقية: ص ١٠٠

نقول إنه رغم انتقاد المسعودي لبعض الروايات في مواضعها كما ذكرنا فإنه يبدو منحازا للفرس مفعما لأمرهم، ويبدو أن سبب انحيازه هذا للفرس اعتماده كما ذكر في أكثر من مناسبة على مؤرخي الفرس، وثقته التامة في رواياتهم وأخبارهم، كما اعتمد على رواية اشتهروا بتحيزهم للفرس، وتعصبهم لهم، منهم: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي^(١) وقد ذكرنا أنه فارسي الأصل يهودى الآباء، كما ذكر صاحب الفهرس أنه كان شعوبيا يطعن في الانساب.

وهناك سبب آخر ربما يفسر هذا التحيز للفرس وهو ما ذكره صاحب كتاب الرجال عن أن المسعودي كان شيعيا إماميا^(٢). ويبدو هذا واضحا من مؤلفاته المتعددة في الإمامة منها: الاستبصار في الإمامة، والصفوة في الإمامة، ومقالة في إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب، كما ذكر عقيل الطالبين في كتابه "مروج الذهب".

وقد رتب المسعودي هذا الباب 'ملوك الفرس الأولى' ترتيبا تاريخيا يبدأ بفكر الملك الأول 'كيومرت' ثم الذي يليه وهكذا إلى أن يصل إلى آخر ملك من ملوك هذه الطبقة وهو 'دارا بن دارا' مبينا أهم أعمال كل ملك وسنى ملكه وما أثر عنه من القوال أو آثار، وما استحدث في عهده من معتقدات أو ديانات. مثلما ذكر أن مذهب الصابئة أحدث في ملك 'بوداسف'^(٣) وقال إن 'زرذشت' دعا 'يستاسف' إلى دينه فقبله منه^(٤) وقد يستطرد 'المسعودي' عند هذه المعتقدات فيوضحها، كما قد يبين ما اشتهرت به

(١) كتاب الرجال نقلا عن تاريخ الأئمة العربي: كارل بروكلمان ترجمة د. عبد الحليم النجار دار المعارف سنة ١٩٦٢ : ٥٧/٣

(٢) مروج الذهب: ٢٢٢/١

(٣) مروج الذهب: ٢٢٩/١

بعض البلاد من صناعات مثلما ذكر أن قرية من قرى بابل يقال لها "بابل" أيضا وهي شاطئ "نهر النرس" الذي إليه تتسب الرياح النرسية^(١) كما قد يذكر بعض مشاهداته في البلدان التي يتكلم عنها مثلما تحدث عن كتاب "الصور" كما سبق أن بينا، ويوضح أيضا انه رأى فيه صورة أرششير^(٢) ويهتم بوصف بعض الآثار التي بصانقتها.

كل هذا يوضح أن "المسعودي" اهتم بالمعارف العامة وبالشعوب

وأثارها ومعتقداتها ولم يجعل كل عنايته موكوفة على الملوك وحدهم في كتابه هذا وهذا عكس ما فعل الطبري الذي بين ان عنايته في كتابه خاصة بالملوك وما يتصل بها اما ما عدا ذلك فلا يوليه اهتمامه^(٣) ويتميز هذا الباب عند المسعودي بالإيجاز، والبعد عن تفاصيل الأساطير التي يمتلئ بها هذا القسم من تاريخ الفرس عند المؤرخين الآخرين أمثال الطبري والثعالبي والدينوري (ت ٢٨٢ و) في الأخبار الطوال.

والمسعودي يشير إلى هذه الأساطير بشكل مختصر ولكنه لا يفصل فيها كما قد يتجنب ذكر بعضها مثلما فعل مع "أوشهنج" و"طهمورث" و"جمشيد" حيث ذكر أسماءهم وسنى ملكهم فقط.

ثانيا: تاريخ إيران بين المسعودي والفرديوسي:-

عدد ملوك الفرس الأولى كما جاء عند المسعودي ثمانية عشر ملكا، بينما عددهم عند الطبري والفرديوسي تسعة عشر ملكا. والسبب في هذا أن المسعودي أغفل

(١) مروج الذهب: ٢٢٤/١

(٢) التنبية والإشراف: ص ١٠٦

(٣) تاريخ الطبري: ١٤٦/١

ذكر كيقباد أول ملوك الكيانيين، واعتقد أن سبب هذا الإغفال كان سهواً من المسعودي وقد ذكر المسعودي "كيقباد" هذا في التنبيه والإشراف^(١).

وقد جاء ترتيبهم ورسم أسمائهم على النحو التالي:-

- | | |
|-----------------|---|
| ١ - كيومرت | ملك أربعين سنة |
| ٢ - أوشهنج | ملك أربعين سنة |
| ٣ - طهمورث | ملك ثلاثين سنة |
| ٤ - جمشيد | ملك ستمائة سنة وقيل تسعمائة سنة وستة أشهر |
| ٥ - بيوراسب | ملك ألف سنة |
| الدهاك | |
| الضحاك | |
| ٦ - أفريدون | ملك خمسمائة سنة |
| ٧ - منوچهر | ملك عشرين سنة |
| ٨ - سهم بن أبان | ملك ستين سنة |
| ٩ - فراسياب | كان تملكه على ما غلب عليه اثنتي عشر سنة |
| ١٠- زوبن بهاست | ملك ثلاث سنين |

ومن مقارنة ما ورد عن سني ملك هؤلاء الملوك عند المسعودي مع ما جاء عنهم عند القردوسي يتضح الآتي:-

(١) التنبيه والإشراف: ص ٩٠

أولاً: أنهما يتفقان على أسماء الملوك وترتيبهم من أول "كيومرت" إلى منوجهر وأن كاتا يختلفان في ذكر سنى بعضهم مثل "كيومرت" حيث يذكر الفردوسى أنه ملك ثلاثين سنة^(١) كما يذكر أن جمشيد حكم سبعمائة سنة^(٢) وأن منوجهر ملك مائة وعشرين سنة^(٣) كل هذا خلاف ما ذكره المسعودى.

ثانياً: أنهما يختلفان في الملوك الثلاثة المتأخرين من ملوك البيشدايين فيذكر المسعودى أن الملك الثامن منهم هو "سهم بن أبان" بينما يذكر الفردوسى أن اسمه "توزر"^(٤) كما أن الفردوسى لا يذكر "افراسياب" ضمن ملوك إيران. في حين ذكره المسعودى وإن كان يقر أنه لم يسيطر على إيران كلها. ويذكر الفردوسى أن ملك "كرشاسب" كان لمدة تسع سنين^(٥) بينما لم يذكره المسعودى إلا في تعليقه على هذا الباب مبينا وجهها آخر من الروايات، فيذكر أن "بهماسف" و "كرشاسف" كاتا شريكين في الملك لمدة ثلاث سنوات^(٦).

أما عن ملوك الكيانيين وسنى ملكهم فلقد جاء ترتيبهم كما يلي:

١- كيقباد وقد ذكر في التتبيه والإشراف أنه ملك مائة وعشرين سنة

(١) شاهنامه فردوسى: أبو القاسم الفردوسى. كتابخانه بروخيم سنة ١٣١٣ ٢٣/١

(٢) المرجع السابق: ٢٣/١

(٣) شاهنامه فردوسى: ١٢٩/١

(٤) المرجع نفسه: ٢٤٢/١

(٥) نفس المرجع: ٢٨٢/١

(٦) مروج الذهب: ٢٣٢/١

- ٢- كيكأوس ملك مائة وخمسين سنة
 ٣- كبخسرو ملك ستين سنة
 ٤- بهراسف ملك مائة وعشرين سنة والمسعودى ينتقلن عليه
 ٥- يسناسف ملك مائة وعشرين سنة
 ٦- بهمن بن اسفنديار ملك مائة واثنى عشرة سنة
 ٧- حماية بنت بهمن ملكت ثلاثين سنة
 ٨- دارا بن بهمن ملك اثنتى عشرة سنة
 ٩- دارا بن دارا ملك ثلاثين سنة

والمطالع لما ورد عن هؤلاء الملوك فى الشاهنامه يلاحظ أن الفردوسى والمسعودى ينتقلان على ترتيب ملوك الكياتيين السابق وعلى عددهم، وإن كانا يختلفان أحيانا بالنسبة لسنوات ملك بعض الملوك، فالفردوسى مثلا ينكر أن كيتباد تولى الملك مئة سنة فقط^(١)، وأن بهمن ملك لمدة تسع وتسعين سنة^(٢) وأن هماى ملكت اثنتين وثلاثين سنة^(٣) وأن دارا بن دارا حكم اثنتى عشرة سنة فقط^(٤).

هذه بعض أوجه الاتفاق والاختلاف بين المسعودى والفردوسى بخصوص أسماء ملوك اليبشدايين والكياتيين وترتيبهم وسنى ملكهم.

(١) شاهنامه فردوسى: ٢٩٨/٢

(٢) المرجع السابق: ١٧٤٨/٦

(٣) المرجع نفسه: ١٧٥٨/٦

(٤) نفس المرجع: ١٧٧٥/٦

أما عن أخبار وأعمال هؤلاء الملوك واتفق المسعودى أو اختلافه مع ما جاء عند الفردوسى فيتضح ما يلى:-

بالتسوية لكيومرت أول ملوكهم كما تتفق روايات الطبرى والمسعودى والثعالبى والكرديزى (ت ٤٤٢ هـ) صاحب (زين الأخبار) والفردوسى وغيرهم. يتكرر المسعودى عنهم روايتين واحدة منها متأثرة بالأراء السامية التى تجعل "كيومرت" بن آدم هو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح^(١) وأخرى مجوسية فيها أنه مبدأ النسل وأنه نبت من نبات الأرض، وهو الرهبان هو وزوجته، وهما شابه ومنشأب^(٢) ورغم الاضطراب الواضح فى رواية "المسعودى" فمن البين أنه استقى هذه الرواية من مصادر اعتمدت على الأستاق، وفيها أشياء مما ذكره البيرونى عن كيومرت، وأنه أصل العالم إذ ذكر أنه قطرت منه قطرتان على الأرض فنبت منهما ريباستان تولد منهما ميشى وميشانه^(٣) كما يذكر المسعودى: أن العجوس تذكر خبره مع إبليس، وقتله إياه وأنه كان ينزل بإصطخر فارس وهذا هو الخبر الذى يتفق فيه الفردوسى مع المسعودى، أما الإخبار عن أنه مبدأ النسل وغيره، فلم يذكر الفردوسى هذه الأساطير المجوسية.

وملخص هذا الخبر كما جاء عند "الفردوسى" كما يأتى:-

"إن كيومرت صار ملكا على العالم، وكان من قبل مقبلا بالجبل، وأنه كان يرتدى هو ومن ممة جلود الحيوانات، وأن جميع المخلوقات من جن وإنس وحيوان كانت تتخذ

(١) مروج الذهب : ٢٢٠/١

(٢) مروج الذهب : ٢٢٢/١

(٣) الآثار الباقية : ص ٩٩

مكاتها بالتقرب منه وكانت مسخرة لأمره. ولم يكن له عدو في الدنيا إلا "أهرمن" الذي كان محتال في الخفاء، وكان عنده ابن كالثنب اللجوج، كما كان شجاعا يقود جيشا كبيرا^(١).

ثم يذكر تفاصيل حربه مع "سيامك بن كيومرت" ومقتل "سيامك" على يد هذا الشيطان ابن "أهرمن" وحزن كيومرت على هذا ثم استعداده مع "هوشنك ابن سيامك" لأخذ بلخر "سيامك" بناء على رسالة الخالق التي حملها له الملك "سروش"^(٢).

وأما عن "أوشهنج" فيذكر المسعودي أنه ابن فروال بن سيامك ابن يرنيق ابن كيومرت الملك. وأنه كان ينزل الهند^(٣). وتوافق رواية المسعودي تماما رواية حمزة الاصفهاني إذ يذكر عن نسب "هوشنك" أنه ابن "فروالك بن سيامك" ابن ميشي بن كيومرت^(٤). فكلاهما يجعل بن شنك "أوشهنج" ثلاثة آباء وكلاهما يذكر أنه ابن "فرواك"، بينما يذكر الفردوسي أن "هوشنك" هو "ابن سيامك بن كيومرت"^(٥).

أما عن رواية المسعودي عن إقامة "أوشهنج" في الهند. فإن التعالبي يذكر ذلك

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) كيومرت شد برجهان كينخدای | نخستینی بکوه اندرون ساخت حای |
| سر تخت و بختش برآمدزکوه | بلنکینه یوشید خود پاکروه |
| ددودام هر جانورکش بید | زکینی یززدیک او ارمید |
| برسم غاز آمدندیش بیش | ازان جایکه برکر فتندکیش |
| بکینی نیودش کس دشمن | مکرر نهان ریمن آهرمن |
| بیکی بجه بونش جوکک سترکک | دلورشده باسپاه بزرکک |
| (٢) شاهنامه فردوسی ١/١٥-١٦ | |
| (٣) مروج الذهب : ١/٢٢٢ | |
| (٤) تاریخ سنی ملوک الأرض: ص ١٩ | |
| (٥) شاهنامه فردوسی : ١/١٦ | |

أيضا^(١) ويبدو أنهما يشيران إلى وجوده في الأمم الآرية القديمة قبل نزوحها إلى إيران، وتوافق هذه الرواية ما ذهب إليه "ذبيح الله صفا" بأن هولاء الملوك القدامى من هوشنك وطهمورث وجمشيد وغيرهم كانوا من الرجال الذين يشترك فيهم كل من الهند وإيران، ويوضح هذا أنهم ربما قدموا خدمات عظيمة لأهلهم عندما كانوا يعيشون معا بقيت لهم في أذهان مواطنيهم تلك الذكريات العظيمة ثم اختلطت سيرتهم فيما بعد بالأساطير والتقصص الديني والقومي^(٢).

أما أهم شيء نكره الفردوسي عن "هوشنك" أنه اكتشف النار واتخذ تلك الليلة عيداً لهم وهو عيد "السذق"^(٣) وأنه عرف الناس بعض الحرف البدائية وكثرت رواية المسعودي مختصرة جداً عن "طهمورث" فذكر نسبه قائلاً إنه ابن نوبجهان بن أرفخشذ بن اوشهنج^(٤) أما الفردوس فيذكر أنه ابن "هوشنك" والمسعودي لا يذكر شيئاً عن طهمورث إلا أن مذهب الصابئة قد أحدث في أيامه، أحدثه رجل يقال له "بوداسف"^(٥) ويتفق الطبري معه في هذا الأمر عدا أن اسم الرجل عند الطبري "بيوراسب"^(٦).

(١) النحر في أخبار ملوك الفرس : ص ٦

(٢) حماسة سراني : ص ٣٦٨

(٣) يكي جشن كرد آن شب وياده خورد سده نام آن جشن فرخنده كرد

(شاهنامه فردوس: ١٩/١)

(٤) مروج الذهب: ٢٢٢/١

(٥) نفس المرجع والصفحة

(٦) تاريخ الطبري: ١٧٢/١

بينما يذكر القردوسى عن "ظهورث" "مفيد الشياطين" قصة صراعه مع الشيطان وركوبه إياه ثم صراعه مع الجن وتقيده لجماعة منهم بالسحر والرقى، وإخضاعه للأخرين بقوة الجزر، وأنه استذلهم وأخضعهم فطلبوا الامان، وسألوه ألا يقتلهم عنى أن يعلموه فنا جنيدا، وأنهم علموه الكتابة بثلاثين لغة من رومية وعربية وفارسية^(١).

ويبين المسعودى أن "جمشيد" أخو "ظهورث"^(٢) بينما يذكر القردوسى أنه ابنه^(٣) وعن "جمشيد" يقول المسعودى إنه أحدث فى الأرض أنواعا من الصناعات والأبنية والمهن، كما إدعى الإلهية. ويذكر أيضا أنه كان فى زمنه طوقان^(٤).

أما ذكر المسعودى للطوقان الذى كان فى زمان "جمشيد" فإن المسعودى يوافق المصادر الدينية القديمة للفرس (الونيداد - الأبتاق) حيث جاء فيها أن اهورمزد الخالق. قال لجمشيد: أى جم الجميل ابن ويونكهوت إن شاء شديد القسوة سوف يأتى على الدنيا مصحوبا ببرد شديد ودمار، وأنه سوف يغرق الجبال العالية والوديان

(١) ازیشان در بهره باقمون بیت
کشید ندشان خفته وبسته خوار
که مارامکش تا یکی نوهنر
نیشتی یکی نه که نزویک سی
دکرشان بکرزکران کردیست
بجان جواستد ان زمان زینهار
بیاموزی ازماکت ایدیبر
جه رومی تازی وجه بارمسی
(شاهنامه فردوس: ٢٢/١)

(٢) مروج الذهب: ٢٢٢/١

(٣) شاهنامه فردوس: ٢٢/١

(٤) مروج الذهب: ٢٢٢/١

المنخفضة^(١) وهذا الطوفان الذي ذكره "المسعودى" والذي استمدته من المصادر الدينية الفارسية القديمة لم أجد في المصادر الأخرى ذكرا له مثل تاريخ الطبرى والغرر والشاهنامه أما ذكر المسعودى للصناعات والأبنية والمهن وادعائه وادعاء جمشيد الالهية فكل هذا جاء في المصادر سابقة الذكر مع كثير من التفصيل.

أما قول المسعودى أنه أخو "طهمورث بن نوبجهان" فهو أقرب لما جاء في المصادر الدينية واليهودية من قول الفرنوس إنه ابن طهمورث حيث جاء ذكره في الأبتناق أنه "يم بن ويونكهان"^(٢).

"بيوراسب" وهو "الذئب أك" وقد عربت أسماؤه جميعا وصارت "الضحاك" أما عن نسبه فيقول عنه المسعودى "ابن ارواراسب بن رستورات ابن طاج بن فرواك بن ساهر فرس بن كيومرت" فالمسعودى يرجع نسب الضحاك إلى الفرس، ثم يذكر باختصار تنازع الفرس والعرب فيه^(٣).

ثم تبين أنه كان ساحرا ويغى في الأرض، وتعدد، وأنه مقيد في جبل ديارند^(٤) فالمسعودى لم يذكر في "مروج الذهب" شيئا عن "حيتى الضحاك" ولكنه بين هذا في التبييه والإشراف فقال "إن حيتين كانتا في كتفيه تحترقانه لا تهدنان إلا بأدمه الناس" وفيه أيضا يذكر ثورة الناس عليه بقيادة "كابي الاسكافى" وهو من عوام

(١) الرندياد نقلا عن حماسة سرانى ص ٤٠٤

(٢) حماسة سرانى: ص ٤٠٨

(٣) مروج الذهب: ٢٢٤/١

(٤) جبل "دنيارند" بين الرى وطيرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الجو ويرتفع في أعاليه الدخان والتلوج مترانفة عليه. (مروج الذهب : ٩٢/١)

اصيهان. وسر تعظيم الفرس للرابية المسماة بـ "زرفش كايان"^(١) ويقول عنه في موضع آخر من مروج الذهب: "إن الضحاك ذا الأقواء موثق في أغالي دنباوند بالحديد"^(٢) واختصار أسطورة الضحاك كما جاء عند "الفردوسي" على النحو التالي:

يقول الفردوسي: في عهد جمشيد كان هناك رجل عربي من بين الضاربين بالرمح اسمه مردايس، كان له ابن سيء السيرة قاس سفيه، ولكنه كان شجاعاً طموحاً اسمه "الضحاك" وكان ملقباً بلقب "بيوراسب" لأنه كان يملك عشرة آلاف حصان. ولد لـ "بيوراسب" هذا أباه نتيجة لاحتياج إبليس عليه. ثم تبدى له إبليس في صورة شاب جميل وطاهر ماهر احتال حتى قبل كتفيه فنبتت فيهما حيطان، ثم ظهر له ثانية في صورة طبيب وأشار عليه أن يقتل كل يوم اثنين من الأعميين ويطعم أدمغتهما لحيتبه حتى تسكنا. وفي هذه الأثناء ثار الإيرانيون على "جشمذ" وتولى "الضحاك" الملك فهرب جمشيد منه وأسر بعد مائة سنة نشقته الضحاك نصفين، وقد تزوج الضحاك أختي جمشيد "ارنواز" و"شرتاز" وعندما بقى على ملكه أربعين سنة رأى ثلاثة ممن يملكون "البهاء الملكي" (فركياني). فأعلمه المنجمون عن ظهور "أنريدون" فأخذ يبحث عنه. وفي تلك الأثناء ثار عليه "كاوه الحداد" واختار "أنريدون" للملك وقبض على "الضحاك" وبيده بحبل "بيناوند"^(٣).

(١) التنبية والإشراف: ص ٨٦

(٢) مروج الذهب: ٩٣/١

(٣) شاهنامه فردوسي: ٥٨-٢٧/١

قد جاء في الأبتاق أن "ازى دهاك" ذا الألقاب الثلاثة قرب لأنهايتا فى إقليم بوزى (بابل) القرايين لتجعله مسلطا على الأقاليم السبعة ليخربها ويخليها من الأدميين، ولكنها لم تساعده^(١).

ويستفاد من الأبتاق أيضا أن معنى "ازى دهاك" مخلوق شيطانى أو حيوان شيطانى شديد الخطورة له ثلاثة أقواء وستة أعين وأن كلمة ازي معناها "الحية" وأن هذا الحيوان سبب الأذى والفقة والفساد. ومركز الضحك كما يؤخذ من الأبتاق هو إقليم (بودى) وهو نفسه ارض بابل. ومعنى هذا أن الضحك من رجال الممالك الواقعة غربى إيران وأنه من نشور أو كلدة كما يبدو. وأغار على إيران وأن الأساطير المروية عنه ترجع كما يذكر "ذبيح الله صفا" إلى ذكرى إغارات الآشوريين والكلدانيين على إيران^(٢) وعندما نسى الفرس تاريخ الكلدانيين نسبوه صراحة إلى العرب.

ويرجع كلام المسعودى هذا الرأى إذ يقول: وقد ذهب كثير من ذوى المعرفة بأخبار الأمم السابقة وملوكها إلى أن الضحك كان من أوائل ملوك الكلدانيين التنبط^(٣) أما نسب الضحك كما جاء فى المصادر البهلوية (البندھشن) فهو على النحو التالى: "الدهاك" بن ارونداسب بن زئى نى كاوبسن ويرفشك ابن تازين بن سيامك بن مشيه بن كيومرد^(٤).

والنسب الذى ساقه للمسعودى ليوراسب فى مروج الذهب قريب لما جاء فى

(١) الأبتاق نقلا عن حماسة سرائى : ص ٤٢٢

(٢) حماسة سرائى : ص ٤٢٦.

(٣) مروج الذهب : ٨٨/١.

(٤) حماسة سرائى : ص ٤٢٦.

الأبستاق. حيث يبدأ "بلروناسب" وينتهي بكيومرت، ويشتركان في تاز "طاج" وسيامك (سياهر).

أما ماجاء في الأبستاق عن الضحاك ذي الأثوه الثلاثة. فقد ذكره المسعودي أيضا بقوله "الضحاك ذو الأثوه". ومعنى هذا أن "المسعودي" كان أقرب لما ذكر في المصادر الدينية عن "الضحاك" وغيره من الفردوسي.

وقد عرض المسعودي الآراء المختلفة عن نسب الضحاك، بينما إختار الفردوسي رواية واحدة وفي أنه من أصل عريبي واستمر عليها إلى النهاية، بينما ذكر المسعودي للضحاك نسبا لريبا مما جاء في الأبستاق. واختار له صفات أيضا ذكرت عنه في المصادر الدينية. مثل صفة "ذو الأثوه" وقد اتفق المسعودي والفردوسي في ذكر الحيتين اللتين نبتتا له وتطلبتا طعاما لهما من أدمغة الأدميين، وثورة كاوه "كابي" عليه إلا ان المسعودي كعادته ساق هذه الأمور وبإيجاز شديد.

والفردوسي على عادته أيضا فصل فيها وجعل من كل أمر منها قصة طويلة.

أفريدون :-

وقد ملك بعد "الضحاك" يقول عنه "المسعودي" إنه : ابن ابقابان بن جمشيد وهو ملك الأقاليم السبعة وقد بُد الضحاك في جبل "دينلونند" وأنه جعل اليوم الذي بُد فيه الضحاك عيدا له وسماه المهرجان. كما يبين أن دار ملكه كانت بأقليم "بابل" ويذكر أيضا أنه لسم الأرض بين أبنائه الثلاثة^(١) أما خلاصة ماجاء عنه في الشاهنامه ان

(١) مروج الذهب : ٢٢٤/١

فريدون بن أبتين" من نسل جمشيد وأن أمه فرانك. وعندما وضعت فريدون ولدت بقره لها اسمها "برمايه" أيضا. اما أبتين فقد قتله الضحاك وأطعم مخه للحيات فهربت فرانك إلى مزرعة تركت فيها فريدون في رعاية "برمايه" التي تربي على لبنها وفرت من إيران فقتل الضحاك "برمايه" وعندما كبر فريدون أستعد للمطالبة بشأر أبيه وفي تلك الأثناء كان "كاوه" الحداد قد ثار على الضحاك وجاء الى فريدون وإختار للملك فهجم فريدون على مقر الضحاك وعبر دجلة بلا سفينة وحرر "شهرياز" و "ارنواز" اختى جمشيد في أسره وكان الضحاك في تلك الأثناء في الهند فوصله الخبر فرجع الى قصره حيث وجد "فريدون" بين محظيته فهجم عليه أما "فريدون" فقد ضربه بجزره ضربة أذهلته وألقته على الأرض وأراد "فريدون" قتله ولكنه كف عن ذلك بأمر الملك "سروش" فقيده وحبسه في جبل دماوند وقد رزق فريدون هذا بثلاثة أبناء هم "ايرج" و"سلم" و "تور" وقد زوجهم ببنات "سرو" ملك اليمن وقسم الممالك بينهم فأعطى توران لتور، وإيرن لأبرج، والروم لسلم فحسد تور" و "سلم" و"ايرج" وقتلاه غدرا وقد ثار منهما الفريدون بمساعدة منوجهر^(١).

وكد جاء عنه في الأستاق أن النبهاء الملكي بعد أن إتفصل عن جمشيد إتحق بـ "ترانتون" وهو من أسرة "أنويه" وهو أكثر ظفرا من كل الناس بعد زردشت^(٢). وجاء فيه أيضا أن ترانتون بن أنويه" وهو من أسرة الأبطال بالأقليم قرب القرابين لأناهيتا (أناهيد) طالبا منها أن تمكنه من الظفر بالضحاك (ازى دهاك)

(١) شاهنامه فردوسي: ٤٠/١-١٢٤

(٢) حماسة سرائي: ٤٦١.

واستلاب أمرأته (ارنوك) و(سنكهوك) منه. وفي النصوص البهلوية أنه في بداية الألف الثانية قام الضحاك وتملك لمدة ألف سنة، وفي نهاية الألف امسك به (فريتون) وحبسه وفي الألف الثالثة قسم "فريتون" الإقليم^(١). وقد جاء فيها نسبة على النحو التالي: فريتون أنقيان بن بورتورا صاحب البقر التي (بلون حمير الوحشى) (بوركاو) ابن سيك تورا (صاحب البقر السود) (سيك كاو) ابن سيتورا (صاحب البقر البيض) (سييد كاو) بن كفر تورا (كفر كاو) بن راما تورا (كل درب من الأنوان) ابن ونفرغن بن جمشيد" وأن اجداد "فريدون" الى "ونفر غيشن" كانوا جميعا بلقبون بانقيان وكانوا جميعا يعيشون في مدة سلطنة الضحاك البالغة الف سنة^(٢).

ومن عرض الروايات السابقة يتضح لنا أن المسعودى والفردوسى يتفقان في الخطوط العامة وفي أن "فريدون" من نسل حمشيد وأنه من قيد الضحاك في جبل "دنياوند" وقسم الأرض بين ابنائه واتخذ من يوم خلاصه من الضحاك وجلسه على العرش عيداً سماه "عيد المهرجان" ويوافق هذا أيضاً ما جاء عنه في الأستاق. أما قول المسعودى عن نسب "فريدون" أنه ابن "انقيان" فهو أقرب لما جاء في المصادر البهلوية من قول الفردوسى أنه ابن "أبتيى" هذا ولم يرد عند "المسعودى" ذكر لقصة محظيتى الضحاك أختى حمشيد اللتين ذكرهما "الفردوسى" واللتين ذكرتا أيضاً في الأستاق ولكن الأستاق لم يذكر أيضاً انهما أختى حمشيد، ولم يرد في الأستاق شيئ عن البقرة برمائية التى تحدث عنها الفردوسى. ويعتقد "نبيح الله صفا" أن هناك ارتباطاً بين البقرة "برماية" التى ذكرها الفردوسى وبين لقب والد "فريدون" "بركاو" أى صاحب

(١) حماسة سرائى : ص ٤٢١

(٢) المرجع السابق : ص ٤٢٢

البقر الكثير وإن وجود كلمة "كاو" (البقرة) في أسماء أجداد "أفريدون" هو أساس ظهور أسطورة البقرة "برماية" في العصور الإسلامية^(١) ويؤيد هذا قول "عبد الوهاب عزام" أن أسطورة أفريدون ترتبط بالبقر في كل رواياتها^(٢) وقد رأينا ما جاء في الأبتاق عن تسمى أبناء أفريدون بأسماء تكل على بقرة وصفتها. وقد جاء في تاريخ طبرستان أيضا إن "أفريدون" لما بلغ السابعة من عمره كان يركب الأبقار فكان شعسا ثانيا تطلع من الثور^(٣).

ملك منوشهر (منوشهر) :

يقول المسعودي عنه إنه ملك بعد أفريدون ويبين أن هناك تنازعا في نسبه وأن بعضهم يلحقونه "بإيران بن أفريدون" وأن مدة ملكه كانت عشرين سنة وكان ينزل بابل وإن "موسى ابن عمران" عليه السلام ظهر في أيامه ويضيف أيضا أنه كانت له حروب مع عميه اللذين قتلأباه^(٤). ويبين المسعودي أيضا في موضع آخر أن للفرس منازعات في نسب "منوشهر" وإضطراب في كيفية إلحاقه بأفريدون وإن تزوج أفريدون ببنت إيرج وتزوجه ببنت البنت إلى السبع متهن ويقول أيضا إنه بين ملك "منوشهر" وبين ملك "أفريدون" مدة خلت من الدهر وعدة من الملوك لتخرب كان بإقليم بابل^(٥).

(١) حماسة سرائي : ص ٤٣٥

(٢) حاشية الشاهنامه العربية : ص ٣٩

(٣) تاريخ طبرستان : ابن اسفنديار جابخانة مجلس تصحيح عباس اقبال ٥٧/١

(٤) مروج الذهب : ٢٢٥/١

(٥) مروج الذهب : ١٤٠/١

أما اختصار ما جاء عن "منوچهر" في الشاهنامه إنه بعد مقتل إيرج ولدت إحدى جواريه (ماه آفريد) بنتا فزوجها "فريدون" لابن أخيه "بشنك" فولدت له ولدا أسماه "منوچهر" وعندما بلغ سن الرشد جمع "فريدون" الجيش والعدة والسلاح بهدف الأخذ بثأر "إيرج" وقد ساعد "منوچهر" في أخذه بثأر "إيرج" جماعة من الأبطال أمثال "كرشاسب" و "سام" و "تريمان" و "قارن" وفي البداية قتل "تورا" وأرسل رأسه إلى "فريدون" ثم قبض على "سلم" أثناء فراره إلى قلعة "الآن" وقتله ثم عاد "منوچهر" إلى إيران حيث تنازل له جده عن العرش وأن مدة ملك منوچهر كانت مائة وعشرين سنة^(١).

ولا يوجد ذكر لقصة منوچهر في الأستاق وكل ما جاء فيه عنه أنه "منوش جيتز" هو واحد من نسل "انيري" أي "إيرج" وقد جاء في المصادر البيهلولية أنه ابن مينوش كرلر بن مينوش كرنك بن كم تورا بن نورشا بن فركوزك بن "كوزك" وهي ابنة إيرج بن فريتون. وفي موضع آخر من "البنديشن" أن سلما وتورا قتلا أولاد "إيرج" ولكن "فريدون" أخفى "كوزك" ابنة "إيرج" التي ولدت بنتا هي أيضا وأخفى "فريدون" ابنة "كوزك" وحفظ أولادها إلى أن جاء منه "منوچهر" وفيها أيضا أنه في الألف الثالثة ولد منوچهر وتشمير للأخذ بثأر إيرج ثم جاء "أنرأسباب" واستولى على إيران ثم استردها منه ثانية منوچهر وفي تلك الحروب قتل "توتر" (نوذر) ابن منوچهر^(٢).

(١) شاهنامه فردوس : ٩٣/١ - ١٢٩

(٢) حماسة سرائي : ٤٤٢ - ٤٤٣

وبمقارنة تلك الروايات التي تكرت عن منوجهر نلاحظ أن رواية "المسعودي" عنه أقرب لما جاء في "البندهشن" من رواية الفردوس حيث ذكر أنه بين "فريدون" و"منوجهر" مدة خلت من الدهر وعدد من الملوك، وفي المصادر البهلوية مسألة أبناء بين منوجهر وإيرج بن أفريدون، وهذا يبين أن هناك فترة طويلة تولى فيها ملوك لا يرد ذكرهم عند المسعودي ولا عند غيره من المؤرخين بينما توضح رواية الشاهنامه أن الملك متصل بين "أفريدون" و"منوجهر" وأن "أفريدون" تنازل له عن الملك. هذا ويتفق كل من "المسعودي" و"الفردوسي" على أخذ "منوجهر" بثأر "إرج" من عمه تور وسلم. أما حكاية ظهور "موسى بن عمران" في زمان منوجهر فقد ذكرها حمزة الأصفهاني^(١) أيضا وذكر هذا أيضا الطبري^(٢).

ويختلف كل من "المسعودي" و"الفردوس" حول من تملك بعد "منوجهر" ليذكر المسعودي أن الذي ملك بعد "منوجهر" هو "سهل بن أسان بن انقبان ابن بود ابن منوجهر" وأنه نزل ببابل وملك ستين سنة^(٣).

بينما يرد عند الفردوس أن الذي ملك بعد "منوجهر" ابنه "توذر" وأن "بشنك" ملك توران عندما علم بموت منوجهر وجلس "توذر" مكانه أرسل جيشا عظيما يقوده ولداه "أفراسياب" و"اغريث" مع عظماء توران وأن "أفراسياب" أسر "توذر" وقتله وأن الأمور اضطربت الى أن جاء "زال بن سمام" وحارب "أفراسياب"

(١) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : حمزة الأصفهاني، مطبعة كاوياني
برلين ص ٢٥

(٢) تاريخ الطبري : ٣٧٦/١

(٣) مروج الذهب : ٢٢٥/١

وولي "زو" الملك^(١).

ورواية الفردوس هذه تختلف رواية الأستاق التي ذكرناها منذ قليل والتي جاء فيها أن "توزر" هذا قتل في الحروب التي اشتعلت بين "منوجهر" و "أفراسياب"، كما يتفق كل من حمزة الأصفهاني والطبري والبيروني^(٢) أن الذي ملك بعد "منوجهر" هو "أفراسياب" التركي وبين حمزة الأصفهاني أن أفراسياب هذا تغلب على إيران في زمان ملك "منوجهر" فأرجعه عن سرير ملكه وأنه بقي مستوليا على إيران مدة اثنتي عشرة سنة^(٣).

أما الطبري فيذكر أنه لما ملك "منوجهر" استولى "أفراسياب" على خنيارث (بابل) ومملكة أهل فارس^(٤).

ويتفقون جميعا على أن الذي تولى بعد "أفراسياب" هو "زوين طهماسب" وقد عمر ما خربه "أفراسياب" وإن كانوا يختلفون في أمر "كرشاسب" هل كان شريكا له في الملك أم تولى الملك بعده، فيذكر الفردوس أن "كرشاسب" تولى الملك خلفا "زو" لو "زاب"، وأنه ظل على عرش إيران لمدة تسع سنوات وفي آخر سنة من ملكه أغلر "أفراسياب" على إيران بأمر أبيه "بشنگ" وعندما مات "كرشاسب" ظل عرش إيران خاليا إلى أن قام "زال بن رستم" إلى جبال ألبرز وأحضر كيقباد منها^(٥).

(١) شاهنامه فردوس : ٢٨٤/١ - ٢٧٩

(٢) الآثار الباقية : ص ١٠٦

(٣) تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٢٦

(٤) تاريخ الطبري : ٤٥٣/١

(٥) شاهنامه فردوس : ٢٨٢/١ - ٢٩٠

وبإنتهاء عهد "كرشاسب" ينتهى التاريخ الأسطوري "لبيشدايين" ويبدأ عهد الكياتيين وقد سمي ملوك الكياتيين بهذا الإسم لأن اسم كل ملك منهم يسبق بلفظة كى مثل كى قباد وكى كاروس وكى خسرو. وعهد الكياتيين كما يذكر "طه ندا" عهد تمتزج به بعض الحقائق بالخرافات السائدة فيه، وتزداد هذه الحقائق التاريخية كلما اقتربنا من نهايته. أما عن حوادث الشاهنامه فهى متصلة الحلقات فيما يتصل بهنين العهدين، ولا توجد معالم واضحة لكل منهما^(١).

ويبين المسعودى أن تفسير الكياتيين هو "الأعزاء"^(٢) وتعنى كما ينكر تبيح الله صفاً "ملك" أو "أمير" وكانت تطلق على "كيقباد" والملوك الذين هم من عائلته أو على ملوك وأمراء آخرين من الذين كانوا يحكمون فى أجزاء من إيران الشرقية^(٣) وأولهم كيقباد وملك مائة وعشرين سنة ثم كيقاوس وقد ملك مائة وخمسين سنة. ويقول عنه المسعودى إنه أول من نزل من الملوك ببلخ وانتقل عن العراق وإنه سار نحو اليمن بعد أن كان له بالعراق تمرد على الله، وبنيان بنه ل حرب السماء ثم يذكر أنه تحارب مع "شمير بن فريقس" ملك اليمن الذى أسره وحبسه فى أضيى محبس الى أ. خاصه "رستم بن دستان" وقتله "شمير" ورد كيقاوس إلى ملكه وسعدى معه^(٤). ثم يذكر أيضاً لصة سعدى مع "سياوخشى" ابنه الذى فر إلى فراسياب التركى وتزوج ابنته التى

(١) دراسات فى الشاهنامه : د.طه ندا ، الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٤ ص ٦٠

(٢) مروج الذهب : ٩٠/١

(٣) حماسة سرانى : ص ٤٥٧

(٤) مروج الذهب : ٩٠/١ - ٩١

حملت بكيخسرو وما كان من قتل فراسياب لسياوخشى وقتل رستم لسهدى" وتأثره من الترك لسياوخش وبين أن كل هذا مسجل فى كتاب السكيكين^(١).

مما جاء عند القردوسى يتضح أن "كيكاوس" تولى الملك خلفا لأبيه "كيتيلا" وفى البداية إتجه لفتح "مازنران" ولم يقبل نصائح "زال" وأغار عليها ومعه مجموعة من القادة والأبطال الإيرانيين فطلب "أرزنگ" المدد والمساعدة من "الشيطان الأبيض" الذى سحر "كيكاوس" وجنده وسبب لهم العصى، وعندما علم رستم بالخبر توجه إلى مازنران وقتل الجنى الأبيض وأخذ كبده فداوى به الإيرانيين الذين عادوا مبصرين ثانية، وبعد حين إتجه لفتح توران والصين ومكران وزرة، وتقبل ملوك تلك النواحي دفع الخراج والجزية له ثم إتجه لمحاربة ملك البربر الذى استعان بملك "هاموران" (حمير) وملك مصر ولكن كيكاوس هزم ثلاثتهم وتقبلوا دفع الخراج والجزية له ثم رغب كيكاوس فى التزواج من "سودابة" بنت ملك "هاموران" فأوقع به ملك "هاموران" هو وكبار قادة إيران وعندما شاع هذا الخبر هجم الترك والعرب على إيران فجاء "فراسياب" إلى إيران بجيش كئيف وتحارب مع العرب، وأخرجهم من إيران وتملك هو على هذه الديار ثم ذهب رستم إلى "هاموران" وأتخذ "كيكاوس" فعلا مع "سودابة" والأبطال إلى إيران وأخرج "فراسياب" من إيران وبني قصرا شاهقا على جبل "البرز" وبعد حين صعد للسماء بناء على حيلة الشيطان فسقط بالقرب من الصين وعندما علم الطماء بحاله ذهبوا إليه ولاموه وكان خجلا وناعما. ثم يذكر قصة سودابة واحتيالها على سياوخش ثم فراره إلى توران ومقتله على يد "فراسياب" وولاده

(١) مروج الذهب : ٩٠/١ - ٩١

"كبخسرو" ابن سياوخشى من زوجته التركية إينة "إفراسياب" وجلوسه على العرش وتحاربه مع إفراسياب للأخذ بثأر والده ومقتل "إفراسياب" على يده^(١).

وقد ورد اسم كيكالوس فى الأبتاق بالشكل التالى "كوى اوسن" أو "كوى اوسدن" وقد ذكر اسمه فى الأبتاق قبل اسم "كيباد" وخلاصة ما جاء عنه أن "كوى اوسن" القوى القدير قرب القرابين لأناهيد وطلب منها أن تساعده ليصبح ملك الممناك الأعظم وتجعله مسيطرا على الناس والجن والصحراء وقد ساعدته أناهيد على ذلك^(٢).

وفى المصادر البهلوية معلومات أكثر عن "كيكالوس" التى بقيت منذ الأزمنة القديمة. ومن هذه الروايات أن "كى اوس" (كيكالوس) كان أكبر أخوته الثلاثة وأنه ملك الأقاليم السبعة بما فيها من جن وإنس وأن أوامره كانت مجابة وتنفذ فى الحال وقد بنى سبعة قصور أعلى جبل "البرز" أحدها من الذهب وأثنان من الفضة وأخران من الحديد وأثنان من الزجاج ومن تلك الثلاثة كان يحكم شياطين مارندران ومنعهم من تخريب العالم وأن أى إنسان يعانى من ضعف الشيخوخة ويقترب من الموت إذا دخل هذا القصر يعود شابا مرة أخرى كما لو كان ابن خمس عشرة سنة^(٣).

وقد جاء ذكر هذا القصر أيضا فى الـ "بندهنش" ولديه أن قصر "كى اوس" مركب من عدة منازل واحد منها من الذهب ويعيش فيه "كى اوس" وأثنان من البلور وهما أسطبل لخياله وإثنان من الحديد من أجل قطعان ماشيته وكل ما فى هذا القصر

(١) شاهنامه فرانس : جلد سوم و جهارم

(٢) حماسة سراتى : ص ٤٦٦

(٣) حماسة سراتى : ص ٤٦٧

من طعام وشراب يمنح الإنسان الخلود، وإذا نخل شيع من باب فإنه يخرج من الباب الآخر شابا في الخامسة عشرة. وجاء أيضا في المصادر البهلوية أن "جما" و "كاوس" خلق كلاهما للخلود ولكن حكم عليهما بالإنهاء بسبب وقوعهم في الخطأ والخطأ الذي وقع فيه "كياوس" هو عدم قناعته بملك الأقاليم السبعة وتطلعه إلى السماء. وقد جاء في الدينكرت تفصيل لصعود "كياوس" لحرب السماء من أجل السيطرة عليها وأنه جهز جيشا من الشياطين والمردة وصعد أعلى قمة جبل "البرز" ووصل إلى آخر حد بين الظلمة والنور وهناك انفصل عن مرافقيه ولكنه لم يكف عن اللجاجة وبقي في عناده لهذا سلبه "أهورمزدا" (الخالق) البهاء الملكي ومن هذا المكان العالي سقط جيشه على الأرض ونب قيه الإنهاء وفر كي أوس نفسه إلى بحر "وروكش" وأثناء فراره جاء منك "كبخسرو" الذي لم يكن قد ولد بعد فألقده من أجل أنه كان مقدرًا أن يخرج "سياوش" من صلبه ويخرج كيخرو من صلب سياوش وجاء عنه أيضا أن مدة ملكه مائة وخمسون سنة^(١). وجاء عنه في المصادر البهلوية أيضا أنه قتل وزيره "أوشدا"، وبعد حربه مع السماء وغلبه مدحورا عنها انفصل عنه البهاء الملكي ودخل في حروب مع الشعوب وذهب لحرب ملك شميران. وهناك على حدود شميران خدعوا ووقعوا في الأسر فتحرك "زنگياب" من بلاد العرب متجها إلى إيران ليستولى على ملكها فدعا الإيرانيون "أفراسياب" إلى بلادهم فقتل "زنگياب" واستولى على ملك إيران وحمل الناس من إيران وأسكنهم في شي ران وخراب إيران إلى أن تحرك "رستم" من سبستان متوجها إلى شميران "حمير" وأطلق كياوس والقادة الآخرين من الحبس،

(١) حماسة سرائي : ص ٤٦٧ - ٤٦٨

وتحاربوا مع "أراسياب" الى أن أخرجوه من "إيران" وأجبروه على التقهقر الى "توران" وبدأوا في إعادة تعمير إيران^(١).

تلك أهم الأخبار التي ورثت عن كيكائوس في الأستاق وفي المصادر البهلوية وبمقارنتها بما ورد عند المسعودي والفردوس يتضح أن رواية المسعودي والفردوسى توافق رواية المصادر البهلوية من حيث سلى ملكه فجميعهم ينكرون أنه تملك مائة وخمسين سنة. كما يذكر المسعودي خبر حرب كيكائوس مع السماء والبنيان: الذى بناه لحرب السماء، بختصر شديد، بينما يورد الفردوس هذا الخبر بالتفصيل. كما يصف الفردوس قصر كيكائوس الذى ابتناه على جبال ألبرز قائلا: "إنه أمر لبنى به منزلا ن للخيول والبغال، ومنزلا ن من الزجاج المرصع بالزبرجد ليكونا مكان طعامه وشرابه، وقبة من الجزع اليعاتى لتكون مجلسا للموید، ومنزلا ن من الفضة رسم الصلاح ومنزلا ن من الذهب مجلسا له وقد زينوه بالزبرجد والياقوت وفى هذا القصر لا بطول الليل ولا يقصر النهار، وجوه ربيع دائم لا يظهر فيه اثر لصيف ولا شتاء هواؤه عنبر وأمطاره خمر وفى ذلك المكان استراح كيكائوس من الحزن والألم ولم ير التعب والناء وكان كل الألم والناء واقع على الجن^(٢).

(١) حماسة سرائى : ص ٤٦٨ - ٤٦٩

(٢) بفرمود تاسنك خاركنسند
ببستد اسپان جنكى دروى
يكى خانه رازبگينه بساخت
جنين جاي بودش خرام وخورش
زجرج يمتى يكى كنبدى
از ايراجنين جاىكه كردراست
نوخاته بروهرىكى ده كمند
هم اشتر عمارى كش وراه جوى
زبرجد بهرجاى لندرنشاخت
كه باشدش از خوردنى برورش
نشستگه نامور موبدى
كه داتش ازان جاي هرگز نكاست

أما تحارب كيكائوس مع ملك اليمن فإن المسعودي يذكر أن إسم الملك الذي تحارب مع كيكائوس هو "شمر بن فريقس" وقد جاء في المصادر البهلوية أن كيكائوس قد تحارب مع ملك "شمران" ويرى ذبيح الله صفا أن إضافة الألف والنون إلى نهاية الكلمة في اللغة البهلوية هو من علامات النسبة ومعنى هذا أن "شمران" هو الإقليم المنسوب إلى "شمر"^(١). وعليه يكون المسعودي أقرب لما جاء في المصادر البهلوية من "الطبرى" و"الثعالبي" الذين ذكرا أن ملك اليمن هو "نو الأذعار"^(٢). أما الفردوس فلم يذكر أسم الملك الذي حاربه "كيكائوس" وإنما يقول إنه ملك "هاموران". كما يتفقون جميعاً على أن ملك اليمن أسر "كيكائوس" وكبار قانتة وإن الفردوس يجعل هذا الأمر يأتي بعد انتصار "كيكائوس" على ملك هاموران الذي كان له وألعه في أسره غمراً؛ فقد دعا "كيكائوس" إلى ضيافته بعد مضي أسبوع من زواجه بإبنته قانتلا؛ إن رأى الملك أن يشرف عبده بضيافته ويصير إلى هاموران ويضئها بجمال محياه وهو يحتال في كل ذلك ويظهر خلاف ما يضمن، وفهمت "سوزابة" مقصد والدها الذي يضمن الغدر فقالت "كيكائوس" ليس من الرأي قبولك لضيافته ولكنه تم بلنقت لحدثها

بفرمود از نقره خام كرد بر آورد بالاشرا برنوشست ترايش يالوت برده يكار كه روزى بيفزود وهر كز نكاست هواعتبرين بودو برانش مى بديراتن ديورنجور بود (شاهنامه فردوس: ٤٠٨/٢-٤٠٩)	دوخاته زبهر سايح نيرد يكى كاخ زرین زبهرنشست زبيروزه كرده براوير اوبرنكار جنين جاىگاهى كه دل خواست راست نبودى تموز ايچ بيدانه دى زرد وغم ورنج دل نور بود
--	--

(١) حماسة سرائى : ص ٤٧١

(٢) تاريخ الطبرى : ٥٠٨/١ و الغرر فى أخبار ملوك الفرس: ص ١٥٨.

ولم يكن له رجل من بينهم ينصحه أذهب مع قائده ومعاونيه الى ضياقة ملك
 "حمير"^(١) ويتفقون جميعا على ان الذي خلص "كيكاوس" من الأمر هو "رستم" البطل
 الإيراني ويتفقون على زواجه من "سعدى" أو "سوانبه" ابنة ملك اليمن وعلى غرام
 "سوانبه" إبنة "سياهوخن" وكيدها له إلى أن فر إلى "أفراسياب" الذي قتله غله وغدرا
 بعد أن بواه وأكرمه وزوجه ابنته التي ولدت "كيخسرو" الذي انتقم من "أفراسياب" فيما
 بعد وقتله أخذا بثأر والده.

كما يتفق الفردوسي مع المصادر البهلوية في ذكر إشارة "زكياپ" الملك
 العربي على إيران وتحارب "أفراسياب" ملك "توران" معه وإبعاده له عن عرش إيران
 واستيلائه عليه. بينما تذكر المصادر البهلوية إن الذي دعا "أفراسياب" الى هذا هم
 الإيرانيون أنفسهم. أما الفردوس فيذكر أن "أفراسياب" قام بهذا لأنه رأى انه أحق من
 غيره إذ ينتمي الى تور ابن أفريدون^(٢) ولا يشير المسعودي إلى هذه الحادثة.

- | | |
|--|--|
| (١) جويك هفته بکنشست هشتم بگاه
که کرشاه بیند بمهمان من
شودشهر هاوران ارجمند
بران گونه با او همی جاره جست
بدانست سودابه رای بستر
بگاوس کی گفت کین رای نیست
ز سودابه گفتار باور نکرد
بشببا نئیران وکندا اوران | فرستاده آمد بنزدیک شاه
بیاید خرامان سوی خان من
جو بیننخر خساره شاه بلند
نهاتیش بدبودورایش درست
که باسود برخاش دلردیر
تراخودبمهمان اوجای نیست
نمیداشت زیشان کسیرا بمرد
بهماتی شاه هاماوران
(شاهنشاه فردوس: ۲/۲۸۷-۲۸۸) |
| (٢) همه شهر ایران سرای منست | که تود فریدون نیای منست
(شاهنامه فردوس: ۲/۴۰۶) |

ومن هذا يتضح أن المسعودى والفرديوسى يتفقان مع الأستاق والمصادر
البهلوية فى معظم ما جاء عن "كيكاوس" وإن كان الفرديوسى يميل دائما إلى التفصيل
وإيراد الأخبار على شكل قصص متصل الحلقات.
كيخسرو:

وتولى الملك ستين سنة وتبدأ قصة "كيخسرو" مباشرة بعد مقتل سياوش فيذكر
المسعودى أن "كيخسرو" تولى الملك خلفا لجدته لأبيه وهو "كيكاوس"^(١) ولا يضيف
المسعودى فى التتبيه والإشراف أى خبر عنه عدا أنه ملك ستين سنة^(٢) وقصة
"كيخسرو" فى الشاهنامه متصلة أيضا بقصة سياوش وتبدأ بعد مقتله مباشرة وفيها أن
"فرنكيس" ابنة "أفراسياب" وأمرأة "سياوش" وضعت ولدا بعد مقتله مباشرة وفيها أن
"كيخسرو" فأمر "أفراسياب" أن يودع لدى الرعاة حتى لا يعلم بقتله لأبيه وقد أودعه
وزيره "بيران" لدى الرعاة عند جبل "كلو"، وقد تربى "كيخسرو" فى هذا الإقليم، وبعد
حين ذهب "بيران" إليه متفقدا أحواله وقد أخذه إلى حضرته وعطف عليه ثم أرسله إلى
قلعة "كك تز" هو وأمه "فرنكيس" بأمر "أفراسياب" وفى النهاية جاء "جيو بن جوزرز"
بأمر والده للبحث عن "كيخسرو"، وعندما وجدته بعد سبع سنين من البحث والتتقيب عاد
به وبأمه إلى إيران وبعد وصوله إلى إيران وقع خلاف بين القادة على من يتولى
الملك، وفى النهاية إتفقوا أن من يتمكن من فتح قلعة "بهمن" يكون جنيرا بالملك، وقد

(١) مروج الذهب: ٢٢٧/١

(٢) التتبيه والإشراف: ٩٠

استطاع كيخسرو" وحده المصاحب بالمجد الملكي القيام بهذه المهمة، حينئذ نهض كيخسرو بأمر كيكائوس للأخذ بثأر والده وبعد سنين من التحارب وإراقة الدماء استطاع أن يمسك "بأفراسياب" الذي كان مختفيا في غار وقتله هو وأخاه كرسبوز" ثأرا لوالده وبعدمقتل "أفراسياب" تنازل كيكائوس" عن العرش لـ"كيخسرو" ومات بعد سلطنة دامت مائة وستين سنة، وقد أطلق كيخسرو" سراح "جهن بن أفراسياب" وولاه ملك توران" أما هو فقد تملكه الحزن، وزهد في الدنيا، فولى "لهراسب" مكانه وأختفى هو و"طوس" و"جورز" و"فريبرز" في أحد الجبال^(١).

هذا ملخص ما جاء عن كيخسرو" في الشاهنامه وقد جاء اسمه في الأبتاق عدة مرات ويعد واحدا من كبار الأبطال والملوك وقد جاء عنه أنه قرب القرابين "لأناهيد" طالبا منها أن تساعد ليصبح ملكا على كل الأقاليم وما فيها من إتنس وجن ومخلوقات وحيوانات. وجاء أيضا أن "هوم" المحارب قرب القرابين طالبا مساعدته حتى أمسك "بأفراسياب" الطوراني الأتيم وعندما أمسكه قيده وأسلمه لـ"كيخسرو" الذي قتله منتقما منه لمقتل والده "سباوش" الشجاع الذي قتل غدرا وينتقم منه لأخيه "أغريوث" الشجاع. وقد ساعدته الآلهة على ذلك. وقد جاء في الأبتاق أيضا أن كيخسرو" قرب القرابين لنفس السبب وإن الآلهة ساعدته على ذلك^(٢).

ومن هنا نرى أن معظم ما ورد في الأبتاق عنه دار حول حروبه مع "أفراسياب" مطالبا بثأر أبيه، وهو نفس ما جاء في الشاهنامه وكتب التاريخ مثل كتب الطبري والعرر في أخبار ملوك الفرس لشعالي.

(١) شاهنامه فردوسي : ٦٧٥/٢ - ٨٦٧ ، ج ٤

(٢) حماسة مراثي : ٤٨٠ - ٤٨١

يقول عنه المسعودي: ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن كيكاس "الملك الى لهراسب بن فنوح بن كيمس بن كيناس بن كيناسة بن كيقباد" الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة لرعيته وشملهم عدله ويضيف إلى هذا أن بنى إسرائيل نالهم في هذه محن وشتتهم في البلاد ويقول أيضا أن ملكه كان مائة وعشرين سنة وإن خبر مقتله مع الترك وما كان منهم من حصاره ومن أخذه بثأره بعد قتله مذكور في كتب الفرس. ويذكر أيضا أن "بهاراسف" لهراسب أرسل "سناحاريب" وكان خليفته على العراق إلى حرب بنى إسرائيل فلم يصنع شيئا فأرسل بعده البختنصر (١).

وقد جاء نسبه عند الفرس على النحو التالي لهراسب بن اورنشاه ابن كي بشين بن كي قباد (٢) الملك العادل وفي الشاهنامه إنه ملك مائة وعشرين سنة بعد أن زهد كيخسرو في الدنيا واتجه نحو العالم الآخر وأوصى بالملك لهراسب الذي كان شخصا خامل الذكر في بلاط كيخسرو فوقع الخلاف بين العظماء والأبطال الذين احتجوا بأنه ليس من سلالة الملوك أما كيخسرو فقد أوضح لهم إنه من عقب كيقباد وصاحب البهاء الملكي، ثم اتقاد له العظماء ووافقوا على تملكه وليس التاج، وبنى بلخ عاصمة له، وبنى بيت نار باسم "آزريوزين"، وقد أعقب لهراسب ولدين أحدهما

(١) مروج الذهب: ٢٢٨/١

(٢) كه لهراسب بديوار اورنشاه

هم اورنداز تخمة كي بشين

بشين بوداز تخمه كيقباد

كه اورابدي آن زمان نام وجاه

كه كردى پندر برشين آگرين

خرمند شافى ولس برز داد

(شاهنامه فردوس : ١٦٧٠/٦)

"زرير" والآخر "كشتاسب"، كما كان في بلاطه أثنان من أحفاد "كيكاسوس" وبسببهما لم
 يعترف بولديه، وقد تقل هذا على "كشتاسب" وسخط على والده واعتزم على مفارقتة
 والتوجه إلى الهند ثم إلى الروم وهناك تزوج من "كتايون" ابنة قيصر، وفي النهاية
 تصالح مع والده الذي دفع إليه "لهراسب" بكرسى العرش. وذهب هو نفسه إلى
 "توبهاربلخ" واشغل بالعبادة. وعندما أظهر "زردشت" دينه آمن به وأخلص له وهكذا
 ظل يعضى أيامه في شتعبد إلى أن ظهر "زردشت" ودعاه لقبول دينه وصار من أتباعه
 إلى أن قتل في إحدى حملات "أرجاسب التوراني" على بلخ^(١) وقد جاء نكره في
 الأستاق مرة واحدة كما يذكر نبيح الله صفا في معرض طلب "زرادشت" من "أناهيد"
 أن تجعل "كشتاسب" معينا له. وجاء اسمه على النحو التالي "كوى وشتاسب" بين
 أنوردت اسب" أي أن اسم لهراسب (اتورون سب) جاء في الأستاق بدون ذكر كلمة
 كوى ومعنى (اتورت سب) أي صاحب الجياد السريعة، ويرى نبيح الله صفا أن هناك
 دلالة تشير إلى عدم وجود هذا الملك تاريخيا، من بينها المرور على اسمه في ال
 "يشتها" (الأدعية) الأساسية من الكرام ومنها أيضا أن اسمه لم يرد في ال "كاتاهما"^(٢)
 مع أن الروايات المتأخرة عنه تقول أنه كان معاصرا لـ "زرادشت" ودخل في دينه فإذا
 كان هذا حقيقيا لكان من الواجب أن يذكر اسمه مثل عظماء ومشاهير هذا العصر
 الآخرين ويستند إلى رأى "كريستن" القائل بأن لهراسب قد أضيف ليكون رابطة بين
 سلطنة "كبخرو" و"كباكشتاسب"^(٣) وقد جاء نسبه في المتن البهلوية على النحو التالي

(١) شاهنامه فردوس : ١٤٤٥/٦ - ١٥٥٦

(٢) الفصول المنظومة من الأغاني زردشت

(٣) حماسة سرائي : ص ٤٨٨ - ٤٨٩

لهراسب بن آز بن منوش ابن كي بيشتين أخو كي اوس" وقد جاء عنه أيضا أنه أغلر على اورشليم بمساعدة "بوخت نرسيه" (بختصر - بنوكند نصر) ويرى نبيح الله صفا أنه من الجائز أن تكون هذه الروايات قد أضيفت بعد العهد الساساني^(١).

ومن مقارنة هذه الروايات يتضح أن المسعودي والفردوس يتفقان على اختيار "كيخسرو" للهراسب ليتولى الملك خلفا له، ويتفقان على أن "لهراسب" لم يك من عقب "كيخسرو". ويذكران أيضا أنه تولى الملك مائة وعشرين سنة. ويذكر المسعودي باختصار قصة حصار الفرس للهراسب ومقتله على أيديهم، وأخذ الفرس بثأره دون ذكر للأسماء أو التفاصيل مبينا أن هذا مذكور في كتب الفرس. أما الفردوس فيذكر قصة هجوم "أرجاسب التوراني" على بلخ منتهزا فرصة غياب "كشتاسب" عنها وقد تحارب فيها مع "لهراسب" وكان شيئا مسنا لكنه تصدى لهم ببصالة وقد تحبب الملك من سهام الترك وانتقلب حظ ذلك العابد لله، وعندما سقط على الأرض تكاثروا عليه ومزقوا مفقره، ومزقوا جسده بسيوفهم، وكانوا يحسبونه فارسا شابا فلما رفعوا الخوذة عن رأسه رأوا وجهها والوثيا وشعرا كأنه الكفور ولد بدا جمال وجهه أظهره الحديد الأسود^(٢) وبين الفردوس أيضا أن الذي أخذ بثأر "لهراسب" هو أسفنديار بن كشتاسب

(١) حماسة سراتي : ص ٤٨٩

(٢) جهاتديده از تهر تركان بخت

بخاك اندر آمد سرتاجدلر

بكرند جاك آن كيى جوشنش

همى نو مولریش بندا شتند

دبندرخ لعل وكافورموى

نكونمار شمرود بزبان پرست

بروا نجمن شد فراوان سوار

بشمشير شد باره باره تنش

جو خودلز سر شاه بر داشتند

از آهن مياہ آن بهشتيش روى

(شاهنامه فردوس : ١٥٥٨/٦)

وقد غزا بلاد الترك ونخل بلادهم ووصل إلى قلعة 'أرجاسب' في زمن قياسي بعد أن خاض المنازل السبعة الخطرة حتى وصلها وأحتال في الدخول إليها وقتل 'أرجاسب' وأخاه 'كهرم' وحرر اختيه من الأسر^(١).

أما رواية المسعودي عن أمر 'الهراسب' 'بختصر' بتخريب بيت المقدس فلم ترد عند الفردوس وإن كانت وردت في كتب التواريخ العربية الأخرى مثل تاريخ سني ملوك الأرض وتاريخ الطبري والآثار الباقية وغيرهما. وقد رأينا أنها ذكرت في المصادر البهلوية وإن كان 'ذبيح الله صفا' يبين أنها أضيفت بعد العهد الساساني كما بينا من قبل.

كشتاسب (بشتاسب) :

وهو ابن 'الهراسب' الذي تولى الملك بعده كما ينكر المسعودي وكان منزله 'بلخ' ويضيف أيضا أنه بعد ثلاثين سنة من ملكه ظهر 'زردشت' نبي المجوس الذي أتاهم بكتاب 'مستاه' (بستاق) وقد أتى بالمعجزات الباهرات للعقول ويستطرد المسعودي للحديث عن هذا الكتاب وتقاسيره وأن الملوك لم تزل تعمل به إلى عهد الإسكندر الذي أحرق بعضه وأن 'أردشير بن بابك' جمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها 'إسناد' وأن المجوس إلى هذا الوقت لا يقرأون غيرها. ولا يذكر المسعودي شيئا عن 'كشتاسب' غير أن ملكه إلى أن تمجس ثم هلك كان مائة وعشرين سنة، كما يبين أن 'كشتاسب'

(١) شاهنامه فردوس : ١٥٨٢/٦ - ١٦٢١

(يشتاسب) نصب "خاناس العالم" مكان "زردشت" بعد أن هلك "زردشت" وإن خناس هذا كان أول "مويذ" قام فيهم^(١).

أما خلاصة ما جاء عند الفردوس عن "كشتاسب" أنه بعد دخوله في دين زردشت دعا إليه الملك التوراني "أرجاسب" الذي أرسل إليه يوبخه على ترك دين الآباء وأتباع هذا الشيخ ووقع الخلاف بينهما لهذا وتحارب "كشتاسب" مع "أرجاسب" إطاعة لأمر "زردشت" الذي دعاه إلى رفض دفع الجزية لأرجاسب وقال له "من غير المقبول في ديننا أن تعطى الجزية لملك الصين فهذا أمر لا يليق في الدنيا ولا في الدين"^(٢) "تقبل "كشتاسب" كلامه ورفض أن يعطى تلك الجزية ووقعت بينهما حرب أغار فيها "أرجاسب" على بلخ في غيبة "كشتاسب" وقتل فيها "هرااسب" وأغار "أسفنديار" ابن كشتاسب على بلاد الصين وقتل أرجاسب كما سبق وأن أشرنا وكان "أسفنديار" كوالده راغباً في الحكم والسلطان وطلب من والده أن يتنازل له عن العرش مثلما فعل "هرااسب" معه ولم يرحب كشتاسب بطلبه فأرسله ليحارب "رستم" بسيستان وقال له : "يجب عليك أن تنهض الآن إلى سيستان وتجهذ في الحرب والحيلة والسحر وتجرد حسامك ومقرعتك وتحضر لي رستم أين زال مكبلاً في قيوده، كذا تمسك بزواجرة وفرامز ولا تبق أحداً جالسا هناك"^(٣). ويعمل الطبرى سبب إرسال "كشتاسب"

(١) مروج الذهب: ٢٢٩/١-٢٣٠

(٢) بشاه جهان گفت زردشت بيز كه تو ياز بد هي بسالار جين

(٣) سوي سيستان رفت بايدكنون برهنه گني تيغ وكوبال را زواره فرامرزرا همجنين

که در دين ما اين نباشد هزير
نه اندرخور آيد باين وديـن
(شاهنامه فردوس: ١٥٠٠/٦)
بكار آوري جنك ورنك وفسون
به بند آوري رستم زال را
نمائي كه گس برنشيند بريـن
(شاهنامه فردوسی: ١٦٢٨/٦)

ابنه أسفنديار ليحارب رستم بن كشتاسب حسد ابنه أسفنديار لما ظهر منه فوجهه
 لحرب رستم بسجستان^(١). أما أبو حنيفة الدينوري فيذكر أن رستم عندما بلغه خبر
 دخول كشتاسب في المجوسية غضب غضبا شديدا وجمع أهل سيستان (سجستان)
 وزين لهم خلع كشتاسب (بشتاسب)^(٢). أما الفردوس فيبرر إرسال كشتاسب ابنه
 لحرب رستم مع علمه مسبقا بهلاكه كما أخبره جاماسب العالم بأن الكائن سيكون
 ولافر منه حتى للعالم بالزمان^(٣). وقد قتل أسفنديار بيد رستم الذي ضم إليه
 بهمن ابن أسفنديار ليربيه ويرعاه تبعاً للرغبة التي أبداها والده قبل مماته ثم التحق
 بهمن هذا بجده الذي دفع إليه بالتخت والتاج^(٤). وفي رأى نبيح الله صفا أن اسم
 كشتاسب قد ذكر أكثر من سائر ملوك الكيانيين في الأستاق وفي التصوص البهلوية
 واسمه في الأستاق ورشتاسب أي صاحب الجيد النافرة. وخلصه ماجاه عنه أنه :
 ورشتاسب على الهمة صاحب الجيد السريعة وهو من أسره نوثيثر نوزري التابع
 والمحب لزرنشت النبي. الملك العابد لمزدا، التابع طاهر الخلق، الصادق صاحب
 المجد الملكي. المعان بالمجد. الذي أصبح قوله وعمله وفكره تابعا لدين الحق والذو.
 أعلى شأن دين أهورا مزدا والظاهر بأعدائه والمخلص لبناته من أسر التورانيين
 والعائد لبلاده مكللا بالظفر والنصر^(٥).

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٤/١

(٢) الأحبار الطوال:

(٣) بباشد همه بونني بي كمان

نجستت ازو مرد دانا زمان
 (شاهنامه فردوس: ١٦٣٤/٦)

(٤) شاهنامه فردوس: ١٧١١/٦ ج ١٧٥٢

(٥) حماسة سراني: ص ٤٩١-٤٩٢

وبناء على رواية المعتون البهلوية (البندهش) فإن ويشتاسب جلس على العرش خلفا للهراسب الكياتي في أواخر الألف الثالثة، وعندما مر من ملكه ثلاثون سنة ختمت الألف الثالثة وبدأت الألف الرابعة وفيها ظهر "زردشت" وقد قبل كشتاسب دينه وأعلن ذلك وتجارب مع أرجاسب وقد تعادى "انيران" مع الإيرانيين عداوة شديدة. كما تنسب لـ "كشتاسب" بناء أثنين من بيوت النيران الثلاثة المقدسة عند الفرس. وهناك أيضا إشارات عن حروبه المختلفة، ومن أهمها حروبه مع "أرجاسب" ملك التورانيين. كما ينسب لكشتاسب في المعتون البهلوية كثير من الأبناء وأهمهم على الإطلاق هو "أسفنديار" كما ورد الحديث فيها عن "جاماسب" وزير كشتاسب، وهناك كتاب عنه بالبهلوية والفارسية اسمه "جاماسب نامك"، وفي منظومة (ياتكار زر بران) ذكر لاسمه وحديث عن علمه^(١) وفضله ومن مقارنة ما جاء عن "كشتاسب" أو "يشتاسب" عند "المسعودي" وفي الشاهنامه وفي العنون البهلوية يتضح لنا ما يأتي:

أن أهم ما ذكر عنه في جميع المصادر هو ظهور "زردشت" في عصره وقبوله لثين زردشت ودفاعه عنه ويتفق رواية المسعودي ورواية البندهش عن ظهور "زردشت" بعد مرور ثلاثين سنة من ملك كشتاسب ويتفق المسعودي والفردوسي على أن مدة حكم كشتاسب مائة وعشرون سنة. ويذكر المسعودي مقتل زرادشت أثناء حكم كشتاسب، وبين الفردوسي أن التورانيين عندما استولوا على "بلخ" دخلوا بيت النار وأحرقوا كتاب الزند والأبستاق، كما أحرقوا القصر والأيوان وقتلوا فيها ثمانين هربدا كانوا مشغولين بذكر الله ومن دعائهم أطفأوا نار زردشت ولا أدرى لما تكلوا

(١) حماسة سرائي: ص ٤٩٢ - ٥٠٠

الهرابذة^(١) أما قصة مقتل زردشت أثناء تلك الغارة فغير واضحة في نسخة الشاهنامه التي بين يدي بينما يذكر "طه ندا" أنه قد ورد عند الفردوسي أن النورانيين بعد أن استولوا على بلخ دخلوا بيت النار وقتلوا "الهراسب" و"زردشت" والهربذ^(٢). وهذا غير متطابق مع النسخة التي اعتمد عليها حيث سبق أن بينت أن الفردوسي قد ذكر أن "الهراسب" قتل في مواجهة مع النورانيين، وأنهم قتلوا الهرابذة في بيت النار هذا، ولم يذكر شيئا عن زردشت. كما تتفق رواية الشاهنامه مع الروايات البهلوية في معظم ما أورده الفردوسي عن "كشتاسب" مثل حروبه مع أرجاسب النوراني ومقتل "الهراسب" على أيديهم وإسراع إسفنديار للأخذ بثأره منهم وغزوه بلاد الترك، وتخليص اخته من أسرهم وقد أورد الثعالبي أيضا قصة مروره بالمنزل السبعة واجتيازه أخطارها^(٣) كما أوردها الفردوسي وأشار إليها الطبري^(٤) وهي في رأي من القصص التي أضيفت في عصور متأخرة وتشبه المنازل السبعة "هفتخان رستم" التي خاضها رستم من قبل كما يذكر "تبيح الله صفا".

(١) نهاد نيمرسوى أنشكده
 همه زند واستبيرا فروختند
 دراهير بدبود هشتاد مرد
 زجون شان بمرد آتشي زردهشتا
 بدان كاخ وايوان زرازده
 همه كاخ وايوان همي سوحنتد
 زبان شان زيزدان براز يانكرد
 ندانم جراهير بدرا بكشت
 (شاهنامه فردوس : ١٥٥٩/٦)

(٢) دراسات في الشاهنامه : ص ٢٤٢

(٣) الفرر في أخبار ملوك الفرس : ص ٣٠٥ - ٣٥٥

(٤) تاريخ الطبري : ٥٦٣/١

كل هذا يدل على اعتماد الفردوسى على مصادر تاريخية عن تاريخ القوس
القدامى وعدم لجوئه لخياله ليخترع تلك القصص أو يغير فيها ويبدل. كما يتحدث كل
من المسعودى والفردوسى عن "جاماسب" العالم ويبين الفردوسى أنه وزير "كشتاسب"
بينما يذكر المسعودى أنه أول موبد قام فيهم بعد موت زردشت.

هذا وتتفق رواية الشاهنامه أيضا مع المصادر البهلوية عن كثرة أولاد
كشتاسب من زوجته "هوتوس" ثلاثون ابنا وإبنة^(١) وقد جاء فى الشاهنامه أيضا أن
ثمانية وثلاثين من أبنائه قد قتلوا فى الحرب مع "أرجاسب" التورانى^(٢).

بهمن بن إسفنديار:

يقول المسعودى عنه إنه ملك بعد كشتاسب (يستاسب) وكانت له حروب
كثيرة مع رستم صاحب "سجستان" إلى أن قتل "رستم" ووالده "نمستان" ويبين أنه ملك
مائة واثنى عشرة سنة. ويضيف إلى هذا أن أم بهمن كانت من بنى إسرائيل من ولد
طالبوت الملك. وأن بهمن هو الذى بعث بالبختنصر مرزيان العراق إلى بنى إسرائيل
فخر بها. وأنهم قد ردوا إلى ديارهم أيضا فى زمانه. وأن كورش كان ملكا فارسيا
مملكا على العراق من قبل بهمن^(٣) أما ما جاء عن "بهمن" فى الشاهنامه فقد أشرنا

(١) حماسة سرائى : ص ٤٩٨

(٢) جربود كشتاسب راسى وهشت
بيكباركى تيره شدبخت شاه
(شاهنامه فردوسى : ١٥٦٢/٦)

(٣) مروج الذهب : ٢٣٠/١ - ٢٣١

إلى جزء منه عند حديثنا عن قضية "اسفنديار" وذهابه لحرب "رستم" بأمر والده
 "كشتاسب" وقد جاء في نهاية قصة "اسفنديار" انه أودع "بهمن" ابنه عند رستم، موصيا
 إياه ان يريه ويعلمه فنون القول والحرب، وأداب المجالس في السلم والحرب والصيد،
 ويعلمه جميع فنون القتال ليصبح جنيرا يتولى الملك^(١) وقد ارتحلت الجيوش من
 سيستان وظل "بهمن" عند رستم الذي بذل جهدا في تعليمه وتربيته. وبعد حين طلب
 "كشتاسب" من رستم ان يرسل إليه حفيده. وعندما وصل بهمن إلى حضرة جده اجلس
 على العرش وسماه "ارنشير" وأول عمل حرص عليه "بهمن" بعد تولي الملك أنه طأب
 بنار أبيه من أسرة "رستم" لأن رستم كان قد قتل بيد أخيه "سفاذ" فذهب إلى سيستان
 على رأس جيش جرار وتحارب مع "قرامرز" ابن رستم فانهزم جيش "قرامرز" وقتل
 كثير من أكاربه، كما جرح هو جروحا كثيرة، وفي النهاية أسر، وقتل بأمر بهمن. وقد
 طلب "يشتون بن كشتاسب" وزير بهمن منه أن يعفو عن زال، ويكف عن أسرة "رستم"
 ويعيدهم إلى بلادهم، وهذا هو ما فعله "بهمن" ثم عاد إلى إيران. وكان لبهمن ابن أسماه
 "سامان" وابنة اسمها "همای" وتلقب بـ "جهرا زاد" وكانت رائعة الجمال وقد تزوجها
 "بهمن" تبعا للشريعة البهلوية لحملت منه، وفي هذا الوقت مرض بهمن مرض الموت،
 وعلى فراش الموت اختار "همای" لتخلفه على العرش وكانت مدة ملكه تسعا وتسعين
 سنة^(٢). ويذكر "نبيح الله صفا" أن سيرة "بهمن" لم ترد في الأستاق، وأن هذه أول
 مرة تنفصل فيها الروايات القومية عن الأستاق. وتختلط بتاريخ الأسرة الهخامنشية^(٣)

(١) شاهنامه فردوسی : ١٧١٧/٦

(٢) شاهنامه فردوسی : ١٧٤٦/٦ - ١٧٥٨

(٣) حماسة سراتي : ص ٥٠١

ويقارن بعض الباحثين بين سيرة بهمن أردشير الملك الكياني وسيرة أردشير دراز دست بن خشابا رشا (إكرسس) الملك الهخامنش.

وقد جاءت قصة بهمن في المتون البهلوية على النحو التالي:

أنه في الألف الرابعة عندما وصلت نوبة الملك إلى بهمن بن اسفنديار كانت إيران خرابا والإيرانيون يتطاحنون مع بعضهم البعض ولم يبق أحد من عقب الملك يستطيع أن يتولى الملك لهذا تولى الملك كل من "هماي" وأخوها "هومن" وفيها أيضا أن مدة ملك بهمن مائة وأثنتا عشرة سنة^(١) ومن عرض ما جاء عند بهمن عند "المسعودي" و"الفردوسي" وفي المتون البهلوية، يتضح لنا أن "المسعودي" و"الفردوسي" منفقان على تولى "بهمن" العرش بعد جده "كشتاسب" ويتفقان على ذكر حروبه مع "رستم بن دستان" في سجستان. وإن كانت رواية المسعودي تبين أن رستم قتل في هذه الحروب، بينما يذكر الفردوسي أن الذي قتل رستم هو أخوه "شفاذ" في مؤامرة له مع صهره ملك كابل^(٢) أما مسألة حروبه مع بني إسرائيل وإرساله "بختنصر مرزيان العراق" لحربهم وتخريب ديارهم فلم ترد في الشاهنامه. كما لم يرد فيها أيضا حديث عن انتساب أم بهمن لبني إسرائيل بينما تتفق رواية التوراة مع رواية "المسعودي" فقد جاء في التوراة أن خشبا رشا والد أردشير تزوج من "استر" اليهودية وهي ابنة أخى مردخائلم اليهودي^(٣) كما يذكر الدينوري أن بهمن نفسه تزوج امرأة يهودية، ودخل

(١) حماسة سراني : ص ٥٠١

(٢) شاهنامه فردوسي : ١٧٢٥/٦

(٣) حاشية تاريخ إيران از اغازتا انقرضى قاجاربه: حصن بيرنيا كتابخانه خيام: ص ٩٩ - ١٠٠

في دين بني إسرائيل ثم رفضه وعاد إلى دين أبائه.

هذا ويتفق المسعودي مع المصادر البهلوية في مدة ملك بهمن، ويخالف هذا قول الفردوسي. ويلقب أردشير بهمن في المصادر الإسلامية أيضا بلقب "درازدست" أو "امقروشر" أي طويل اليدين^(١) وطويل الباع. يقول عنه الطبري إنه لقب بذلك لتأوله كل ما مد إليه يده من الممالك التي حوله^(٢) وعند الفردوسي أنه لقب بهذا اللقب لطول أصابعه^(٣) أما ما جاء في المصادر البهلوية عن الاضطراب، والتطاحن الذي كان بين الإيرانيين قبل تولي بهمن للملك، فينتق إلى حد ما مع ما جاء في المراجع التاريخية عن الزعامتين ويتضح منها أن الوهن بدأ يتطرق إلى إيران في عهد "خشا بارشا" (إكزرسبيسي) والد أردشير درازدست الهخامنشي. وأن عهده كان مطبوعا بالفساد والتهاون في الإدارة، وانتهى أمره بالقتل على يد واحد من رجال القصر ويدعى اردوان (أرتاياتوس) سنة ٤٢٤ هـ. وولد انتقم أردشير من قاتل "خشا بارشا" (٤) وأصه "أردوان" قائد الحرس وقاتل "خشا بارشا" والمعين "لأردشيردولز دست" على تولي العرش، تشبه من بعض الوجود أصه "رستم" قاتل "اسفنديار" الذي ساعده بهمن على تولي العرش^(٥) ثم كان أول عمل لكليهما أيضا الأخذ بالثأر وقتل القاتل كما رأينا

(١) الآثار الباقية : ص ١١١٠

(٢) تاريخ الطبري : ٥١٨/١

(٣) حماسة سرائي : ص ٥٠١

(٤) تاريخ إيران: سيريرس سايكس، ترجمة محمد تقى فخر داعي كيلاني،

فانجانرنگيس باب أول : ١٣٢٣ ش ٢٨٢/١ ، الإيرانيون القدماء : د.عبدالنعيم

حسين. دار الرائد العربي سنة ١٩٧٤ ص ٢٢

(٥) كلرنام إيرانيات /١

(همادی) (خمتی) ملكت بعد بهمن، يقول عنها المسعودی انها بنت بهمن ابن اسفندیار بن یستاسف بن بهراسف، ویقول إنها تعرف بامها "شهرزاد" وإن لها سیرا وحروبا مع الروم وغيرهم من ملوك الأرض، وأنها كانت حمنة السیاسة لأهل ملكها. زمكت لمدة ثلاثین سنة^(١) یقول عنها الفردوسی إن "همای" "جهرزاد" بنت بهمن تولت المك خلفا لأبيها مدة ثلاثین سنة. وقد جاء عنده أن بهمن تزوج ابنته همای وجعلها ولاية لعهد، واستأثرت بالملك، ثم امرت فوضعوه فی تابوت، وألقوه فی الفرات إلى أن وجده لصار فرباه. إلى أن كبر واتصل بمرزبان الناحية التي كان يعيش، وفي إحدى الحروب مع الروم خرجت "همای" بنفسها لعرض الجند، فرأته وتعرفت علیه، فحكمت لأهل مملكتها حكايته ودفعت إليه بالنتاج والتخت^(٢).

ونرى أن المسعودی والفردوسی يتفقان على مدة ملكها، وكونها بنت بهمن وعلى لقبها "شهرزاد" أو "جهرزاد" ويذكر المسعودی أن هذا لقب امها عرفت به بينما يذكر الفردوسی أنه لقبها هي.

وتتحدث جميع المصادر تقريبا عن حروبها مع الروم، ذكر هذا المسعودی والفردوسی والدينوري والطبري، والشعالي وغيرهم كما يتفق الفردوسی والدينوري والطبري والشعالي على تفضيل بهمن لها ولاية عهده على ابنه ساسان، الذي انف من

(١) مروج الذهب : ٢٢١/١

(٢) شاهنامه فردوس : ١٧٥٥/٦ - ١٧٧٢.

ذلك، فاطلق واقتنى غنما، وصار مع الأكراد في الجبل^(١) كما يضيف ذبيح الله صفا
أن في الحديث عن سلطنة "همای" وحروبها مع الروم، وبناء العمائر في اصطخر بيد
بناتی الروم اثرا بينا وواضعا لتاريخ العصر الهخامنشی^(٢)

ذارا - داراب:

ابن بهمن بن إسفنديار، وكان ملكه كما يذكر المسعودی إثنتی عشرة سنة،
وكان ينزل ببابل^(٣) وبين المسعودی أنه أخو "همای" أما الفردوسی فيذكر أنه ابن
"همای" وابن بهمن. وقد بينا من قبل أن "بهمن" قد تزوج ابنته "همای" على الشريعة
البهلوية. وبين أنه سمي "داراب" لوضع أمه له في صندوق وإلقائه في اليم. وقد جاء
في الشهنامه انه بنی مدينة "داراب كرد" كما هزم جيش "شعب بن قتيب" بل قتل
شعب نفسه وتحارب مع فيلقوس ملك الروم وهزمه وحاصر عمورية إلى أن
راسله ملك الروم وطلب منه الصلح واتفقا على ان يؤدي فيلقوس إليه كل
سنة مائة الف بيضة وزن كل بيضة أربعمون مثقالا من الذهب^(٤) كما

(١) الأخبار الطوال: نص ٢٧ تاريخ الطبری : ٥٦٩/١، الفرر: ص ٢٣٩، شاهنامه
فردوسی ٦: ١٧٥٦ - ١٧٥٧.

(٢) حملة سرائی : ص ٥٠٥

(٣) مروج الذهب ١: ٢٣١

(٤) ززر خاجه ريخته صد هزار

جهل کرده مقال هر خایه

أباهير بکی کوهر شاهوار
همان نیر کوهر کرا نمایه
(شاهنامه فردوسی : ١٧٧٩/٦)

تزوج "تاھيد" ابنة "تيلفوس" وذات ليلۃ كلن نائما، فشم من فمھا رائحة كريهة، واختم هذا وأرسل يطلب الأطباء لمداواتھا فداوواھا بدواء اسمه "الإسكندر" ولكن قلب الملك رغب عن عروسه فردھا لوالدھا، وكانت مشتملة على حمل منه ولم تطلع عليه احدا ولما ولدت إينا سمته "الأسكندر" ولم يذكر ملك الروم أنه ابن "داراب" وأظهرت أنه ولده، أما: "داراب" بعد مضي اثنتي عشرة سنة من ملكه، فعهد بالملك من بعده لإبنه "دارا"^(١) ويتفق جميع المؤرخين تقريبا على مدة ملك "درار" التي نكرھا المسعودي والفردوسي وهي اثنتي عشرة سنة ويتفق هذا كما يذكر "نبيح الله صفا" مع ما جاء مع المصادر البهلوية^(٢) أما قول المسعودي أنه أخو "هماي" "حمایة" فيخالف ما ذكره الفردوسي أنه ابنها وما ذكره الطبري والدينوري والثعالبي والكرديزي صاحب زين الأخبار حيث يجمع كل هؤلاء أنه ابن "هماي" "حمائی" من أبيها ويبدو أن إنتساب كل من "هماي" "دارا" إلى بهمن هي التي جعلت الأمر يشتبه على المسعودي فيذكر أنه أخوها وليس ابنها.

أما القصة التي حكاھا الفردوسي عن "داراب" وحره مع "تيلفوس" ملك الروم وتزوجه ابنته التي حملت منه بالإسكندر فقد جاء أيضا عند الطبري والدينوري والثعالبي وغيرهم من المؤرخين العرب الذين استمدوا بدورهم من المصادر الفارسية التي حاولت جمل الإسكندر منغيا في الأصل لملوك الفرس وجعلته ابن ملكها "دارا" الأكبر وأخا ملكها "دارا" الأصغر ليحمو عن الفرس هزيمتها أمام الإسكندر كما يرى عبد الوهاب عزام أنه إذا كان صحيحا أن "بهمن أردشير" هو نفسه "لرتكزرکس"

(١) شاهنامه فردوسي : ١٧٧٥/٦ - ١٧٨٢

(٢) حماسة سراني : ص ٥٠٦.

أرستشير دار از نست" فيمكن أيضا تشييه دارا بن بهمن "داراب" بدارايوش الثاني
الذي ولي سنة ٤٢٤ - ٤٠٤ ق.م والذي يلقب بأخوس^(١)
دارا بن دارا "داراب":

آخر ملوك الكيانيين يقول المسعودي: إنه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار
بن يتاسف بن بهاست والفرس تسميه في لغتهم الأولى "دارايوش" وهو الذي قتله
الإسكندر بن فيليبس المقدوني وكان ملكه إلى أن قتل ثلاثين سنة^(٢).
يقول ألفردوسي أنه ملك أربع عشرة سنة كما كان قويا شديد البطش وبنى
مدينة بالأهولز سماها "زرنوش" وبنى مدينة أخرى سماها "دارانو" وفي عصره مات
فيلفوس ملك الروم وتولى الإسكندر ملكهم فجاءه رسول دارا يطلب الخراج فأخبره
بموت الطائر الذي كان يبيض ذهبا ثم استعد الإسكندر في جموعه وأغار على مصر
ثم إتجه إلى إيران فخرج "دارا" في جيوشه لملاقاته، ولما تحاربا إتصلت الحرب بينهما
ثلاثة أيام: قتل من الإيرانيين فيها خلق كثير وانهزموا فيها، وفر "دارا" ومضى إلى
اصطخر، ثم جمع جموعه وجهز نفسه لحرب أخرى إنهزم فيها "دارا" أيضا وفر إلى
"كرمان" واستولى الإسكندر على اصطخر ولما عجز "دارا" عن مقاومته كتب كتابا
لملك الهند يطلب منه النجدة والمساعدة فأسرع إليه الإسكندر فتفرق أصحاب "دارا" من
حواله وفر ثلثمائة من جنوده، فأتهم به إثنان من وزرائه "مهيبار" و"جهاتومبار" فقتلاه

(١) حاشية الشاهنامه العربية : ص ٣٩٧.

(٢) مروج الذهب : ٢٢٢/١

تقريباً بقتله إلى الإسكندر. وعندما علم الإسكندر بقتله أسرع إليه وأبدى حزنه عليه وقتل قاتليه وتزوج ابنته "روشنك" تحقيقاً لرغبته^(١) وهكذا إنتهى عصر "دارا بن دارا" وبانتهاء عهده إنتهى عهد ملوك الكيانيين. أما قول المسعودى ان مدة ملكه كانت ثلاثين سنة فيخالف ماجاء فى الشهنامه و ماجاء عند للطبرى والثعالبي والبيروني أيضاً حيث نكروا أنه ملك أربع عشرة سنة؛ و ماجاء عن حرابه مع الإسكندر المقدونى ونهاية ملكه على يديه يتفق فى خطوطه العريضة مع مذكر عن الملك الهخامنش دارايوش الثالث سنة ٣٦٦ - ٣٣٠ ق.م" فى المراجع التاريخية مما يؤكد الخلط الذى وقع بين ملوك الكيانيين المتأخرين خاصة وملوك الهخامنشين ويؤكد هذا القول المسعودى إنه سمى فى لغتهم الأولى "دارايوش" وقول الدينورى إنه "دارايوش" مقارع الاسكندر^(٢) وبانتهاء عهد "دارا بن دارا" نكون قد وصلنا إلى نهاية عصر الكيانيين كما جاء عند الفردوسى والمسعودى ونكون أيضاً قد وصلنا إلى ختام هذا البحث عن تاريخ إيران فى عهد البيشدايين والكيانيين.

(١) شاهنامه فردوسى : ١٧٨٤/٦ - ١٨٠٠.

(٢) الأخبار الطوال : ٢٩.

الخاتمة

من مقارنة ماجاء عن تاريخ إيران في عصر "البشدايين" و "الكينيين" عند "المسعودى" في "مروج الذهب" وعند "الفردوسى" في "الشاها نامه" بما جاء في الأبيات والمصادر البهلوية يتضح لنا ما يأتى:

أولاً: كانت روايات المسعودى شديدة الإيجاز عن ملوك هذين العصرين، وفي أحيان كثيرة لم يذكر إلا اسم الملك ونسبه فقط وسنى ملكه. وكان يكتفى فى أحيان كثيرة بذكر جملة موجزة عن أهم حدث وقع فى عصره، ومع هذا فإن ما نكره عن هؤلاء الملوك من نسب أو سنى ملك أو حدث موجز كانت أقرب لما جاء فى الأبيات والمصادر البهلوية عن هؤلاء الملوك مما جاء عند الفردوسى، وكانت كل كلمة للمسعودى عن هذا الملك أو ذلك البطل هى إشارة لأسطورة قديمة مستمدة من أقدم المصادر عن هؤلاء الملوك.

أما الفردوسى فقد أطنب فى سرد الوقائع والأحداث الخاصة بكل ملك وبطل من الأبطال، وبين بطولاته وأهم أعماله، وروى الأحداث على شكل قصص لها بداية ونهاية، ولكن لا ينبغى ان يفهم من هذا أنه قد إختلق الوقائع من عند نفسه أو غير فى الأحداث فحول الهزيمة إلى إنتصار أو العكس، أو ألصق صفات للأشخاص التى وردت عنهم فى كتب التاريخ، إن شئنا من هذا لم يحدث، فالفردوسى بشهادة دارسى شاهنامه كان أميناً تجاه المصدر الذى ينقل منه، والتزم بكل ماجاء فيه عن شخصية كل ملك وبطل من الأبطال، وقد إقتصرت فضله كما يذكر "نبيح الله صفا" على جمال العرض وقوة التخييل وترتيب القصص، وجعل حكايات ملوكها متصلة. أما إبتعاده عن

نكر بعض الأساطير المجوسية مثل أسطورة بدء الخليقة وغيرها فهو في هذا متابع للمصدر الذي اعتمد عليه أيضا وهو شاهنامه المنصوري المؤلفة سنة ٣٤٦هـ. ويبدو هذا واضحا من مراجعة كتاب "الغرر في أخبار ملوك الفرس للشعالي" الذي اعتمد فيه على شاهنامه المنصوري أيضا ويبدو جليا أن ما ذكر في الغرر من أحداث ووقائع وأساطير، وترتيب للأبواب وصفات الملوك هو نفس ما ذكر الفردوسي في شاهنامته. وتنبأ لاحتظ "حمزة الأصفهاني" قيام "ابن المقفع" و "ابن الجهم البرقلى" بحذف بعض الأساطير الدينية عند قيامهما بترجمة "خداى نامه" فقام هو بإثباتها ليجريها من يقرأها مجرى أحاديث "تلمان بن عاد". وهكذا أثبتنا المسعودى أيضا في كتابه.

وقد اتفق الكاتبين في موقفهما من تعدد الروايات على أن يختلرا رواية واحدة أثرا أن يكتبها بها. أما دافع المسعودى لهذا فرغبته الشديدة في الإيجاز، والإبتعاد عن تعدد الروايات وتضاربها، أما الفردوسى فهو شاعر غير راغب في إسئصاء هذه الروايات بقدر ما هو راغب في إختيار الرواية التي تبرز مآثر قومه وتوضيح جوانب عظمتهم، الأمر الذي يوافق غرضه من نظم ملحمة قومية تثير حماس مواطنيه وفخرهم.

وينضح أيضا إهتمام "المسعودى" بإبراز بعض جوانب معتقدات الفرس وحضارتهم ومعارفهم العامة، وهو أمر قلما اهتم به المؤرخون القدامى.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية:

- ١- الآثار الباقية عن القرون الخالية: أبو ریحان البیرونی. مكتبة المثنى ببغداد.
- ٢- الأخبار الطوال: أبو حنیفة الدینوری. تحقیق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- ٣- الأدب المقارن: محمد غنیمة هلال. مكتبة الأنجلو. الطبعة الثالثة ١٩٦٢م.
- ٤- إيران فی عهد الساسانیین: آرثر كرستمن. ترجمة يحيى الخشاب. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٩٥٧م.
- ٥- الإیرانيون القدماء: د. عبد النعميم محمد حسنين. دار الزائد العربي ١٩٧٤م.
- ٦- تاريخ الأدب فی ایران: إيوارد براون: ترجمة د. أحمد كمال الدين حلمي. منشورات جامعة الكويت ١٩٨٤م.
- ٧- تاريخ الرسل والأنبياء "تاريخ الطبري": أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة. دار المعارف .
- ٨- تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء: حمزة بن الحسن الأصفهاني. مطبعة كاروانى، برلين.
- ٩- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف بابن واضح. مطبعة العزى. النجف ١٢٥٨هـ.
- ١٠- التتبيه والإشراف: أبو الحسن المصمودى، لندن، مطبعة بريل ١٨٦٣م.

- ١١- دراسات في الشاهنامه: د. طه ندا، الدار المصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٤م.
- ١٢- الشاهنامه العربية: الفردوسى. ترجمة الفتح البندراى. تحقيق عبد الوهاب طه. مطبعة دار الكتب المصرية. الطبعة الأولى ١٩٣٢م.
- ١٣- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب: ابن العماد. دار المسيرة. بيروت. الطبعة الثانية .
- ١٤- طبقات الشافعية: السبكى. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الثانية.
- ١٥- الغرر فى أخبار ملوك الفرس: أبو منصور الثعالبى. روتتبرج باريس.
- ١٦- الفهرست: ابن النديم . المطبعة الرحمانية. مصر. ١٣٤٨هـ
- ١٧- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون: حاجى خليفة، مطبعة بولاق. ١٣٤٦هـ
- ١٨- مروج الذهب ومعادن الجواهر: أبو الحسن على بن الحسين المسعودى. تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد. المكتبة الإسلامية. بيروت.
- ١٩- المقامة: ابن خلدون. تحقيق لجنة العلماء. مصر. مطبعة مصطفى محمد.
- ثانياً: المراجع الفارسية:

- ٢٠- تاريخ إيران از آغاز تا انقراض قاجاريةى : حسن بيرينا. كتابخانه خيام.
- ٢١- تاريخ إيران: سيوربوسى سايكس. ترجمة سيد محمد تقى كيلاتى، جلد اول. جاب اول جاتجانه رنكين ١٣٢٣ش
- ٢٢- تاريخ طبرستان: ابن سفنديار. تصحيح عباس اقبال. جابخانه نجلر.
- ٢٣- حماسة سرائى در ايران: دزديبع الله صفا حورس ١٣٢٤م
- ٢٤- شاهنامه فردوسى: أبو القاسم فردوسى كتابخانه ومطبعة بروخيم طهران . ١٣١٢م .



رؤية نقدية
لمقامات يديع الزمان الهمذاني

دكتورة/ نسيمه الغيث
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الكويت



رؤية نقدية لمقامات بدیع الزمان الهمدانی "الوجه والقناع"

مدخل:

لا أريد أن استبعد انحيازى المسبق، ربما كان ثمرة لعلاقة دراسية سابقة،
فى الاهتمام ببعض فنون النثر العباسى نتيجة شعور ببعض الحيف أو التجاهل
لإبداعات النثرين عبر ذلك الزمان الممتد ما بين منتصف القرن الثانى الهجرى
ومنتصف القرن السابع. ونحن فى غنى عن التفكير بأن هذه القرون الممتدة تضمنت
فيما تضمنت خير ما أبدع الخيال العربى وأقوى ما قدم الفكر العربى من تصورات
ومآثر من قضايا، غير أن الشعر الذى وصف دائما بأنه ديوان العرب ومجمع
محاسن فنونهم وخالصة لغتهم المكثفة قد حظى بالنصيب الأوفر من عنابة الرواد
والدارسين قديما وحديثا، ولم يقبل فيه التشكيك أو التهوين فى أى عصر مهما قل
نصيب التشكيك أو التهوين^(١). فى حين أحاطت بالنثر القديم شكوك كثيرة فلم يقبل
عليه الدارسون بالحمامة الولوجية، أحيانا تحت دعاوى أن الرواد القنماء نقلوا النثر
القديم إلينا بالمعنى وليس بالنقذ، وأحيانا بدعوى أنه تغلب عليه طوابع المعاملات
الرسمية وبخاصة حين يحصر فى أطر الرسائل الدبلوماسية والمواعظ الدينية، ولكن
ما حجتنا فى إهمال فنون النثر القديم حين نجد أنفسنا فى صميم العصر العباسى
والعقل العربى فى أوج توجهه يسكب إبداعاته كلها فى أساليب النثر بأشكاله الفنية
المختلفة وبخاصة الشكل القصصى الذى نجده فى المقامات وما يشبهها من كتب
الرحلة إلى الدنيا المشاهدة أو إلى عالم الغيب كما نجد عند أبى العلاء المعرى فى
المشرق وأبن شهيد الأندلسى فى المغرب^(٢). وإذا لم يكن من نصيب هذه المقدمة
الموجزة أن تخوض فى هذه الآثار الأبية ذات القيمة فإننا نستخلص من ذكرها مدى

مأثرت بعض فنون النثر من تجاهل مطلق من الدارسين أو تجاهل نسبي حيال بعض آخر، على أن حجة (الرواية بالمعنى) تسقط تماما فيما يتعلق بالمقامات وبالنثر الإسلامى بصفة عامة إذ أخذ طريقه إلى التسجيل الكتابى فى عصر مبدعيه أنفسهم فى أغلب الأحيان.

أما انحيازى المسبق للاهتمام بفنون النثر العباسى فلأنى بدأت فيه دراستى العالية حين أجريت بحثى عن خصائص السخرية فى أدب الجاحظ^(٣). غير أنى أثرت الاتجاه إلى الشعر فى أطروحتى للدكتوراه وقد كانت بعنوان "التجديد فى وصف الطبيعة بين أبى تمام والمنتبهى"^(٤). ولست أريد أن أنسلف اهتمامى بالشعر العباسى بعد البداية مع فنون النثر العباسى أيضا، فلعل الراى العام الأدبى غلب على مشاعرى الخاصة بأهمية أن نعطى النثر أهمية أكبر يبرز صورته من يكشف خفاياه لأننا نعتقد أن النثر العربى القديم لم يكشف بعد بالقدر الكافى، أو على الأقل بالقدر الذى تم به اكتشاف الشعر القديم وتحديد معالمه وأطواره، حتى رسخت صورته واستقرت فى عقول الدارسين وأنواق المثلثين مما نجد ما يشبهه أو يقاربه بالنسبة لفنون النثر. لقد كان البدء بفن الجاحظ مغريا تماما بأن أستمر فى خدمة النثر العباسى وهذا اعتذار شخصى أقدمه إلى الجاحظ الذى اعتقد أنه بتسامحه الإنسانى الواضح وطبقة الساخر اللين لأبد سيقبل منى هذا الاعتذار كما أمل أن تكون دراستى عن فنون المقامة عند مؤسسها أو أهم اعلامها بمثابة الاستمرار لاهتمامى السابق بفنون النثر العباسى.

لقد أثيرت حول المقامات قضايا متعددة، فمن صاحب بداية هذه الفن؟ وما أساس هذه التسمية (المقامة)؟ وما النوافع والمعانى التى دارت حولها مقامات الشيخين المؤسسين الهمذانى والحريرى؟ وما الأساس أو العنصر الجانبى فى

المقامة، هل هو بناؤها اللغوي أم نزعتها التهكمية، أم عنايتها بالطبقة الوسطى ومعانيتها؟ كل هذا قد أثير في دراسات مشهورة، غير أن أكثرها يتجه إلى الاهتمام بالمعنى أو المضمون في داخل المقامة أو المقامات، وظل "التشكيل الفني" غالبا يحظى بالاهتمام الأقل أو بضيع في زحام قضايا الفكر ومشكلات اللغة. ومن هنا كان توجهي إلى التشكيل الفني بصفة خاصة وإعطائه الصدارة في هذه المقالة، مع هذا لا أغفل إشارة واجبة ومهمة قد تكون المفتاح لكثير مما ولجته من أبواب هذه الدراسة، وهي تتمثل فيما أشار إليه الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه "النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة"^(٥). فقد بدأ الأستاذ الفاضل بتعريف مفهوم "النموذج الإنساني" وتحديد معالمه، وبعد أن طوف بين النماذج الإنسانية العالمية منذ عصر الإغريق وحتى عصرنا الحاضر توقف عند عدد قليل جدا من النماذج الإنسانية التي جاد بها الأدب العربي. وإذا كانت كليولترا أو هيباتيا ترجعان إلى تراثنا القديم (المصري القديم تحديدا) فإتبعنا قد تحولنا إلى نماذج إنسانية بجهود أدباء الغرب وليس بجهود أدبائنا، وربما كان الأمر كذلك أو قريبا منه بالنسبة للشخصية الأسطورية "مهرزاد" والشخصية التاريخية "كيس بن الملوح" التي نالت حظها "الفني" على يد شعراء الفرس قبل أن يظن إليها شوقي بمئات السنين^(٦). وهكذا سنكتشف على ضوء عناية محمد غنيمي هلال أن بطل المقامة عند الهمداني وبطل المقامة عند الحريري من بعده هما وهدما لون غيرهما الأحق بوصف النموذج الإنساني. ونعتقد أن هذه اعظم تحية توجه إلى فن المقامة ومؤسسيه الهمداني والحريري، وهذه النقطة هي التي تستحق لنا من عنايتنا بعد أن نستجلي معنى النموذج الإنساني وحدوده كما أرادها محمد غنيمي هلال. يقول: النموذج الإنساني في الأدب يقصد به تقديم صورة متكاملة الأبعاد لشخصية أدبية بحيث

تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو النقصان كانت متفرقة من قبل فى عالم التجريد أو فى مختلف الأشخاص. وليس لهذا النموذج لئمة فنية إلا حين يستطيع الكاتب أن يجعل منه مثالا ينبض بالحياة من ثانيا التصوير الفنى حين يظهر أغنى فى نواحيه النفسية، وأجمل فى التصوير وأوضح فى معالمة مما نرى فى المجتمع. وهذا النموذج الفنى - فى كل حالاته - أكثر إقناعا وأكمل مصيرا من نظائره فى الطبيعة^(٧). ومن الواضح أن التحديد السابق يجمع بين مضمون الشخصية الذى يعتمد على تكثيف الجوانب المميزة الفاضلة أو الخسيسة بأكثر مما كانت تدعو الكلاسيكية فى إلحاحها على تأكيد المحاكاة بأن يبدو الفضلاء أحسن مما هم فى الواقع وأن يبدو أهل النقص بأحسن مما هم فى الواقع لئلا يترك الطابع التراجيدى فى الأولى والطابع الكوميدي فى الثانية. إننا هنا - فى النموذج الإنسانى - نقدم صورة مبالغا فيها هى تكثيف وتجميع "حتى يصير النموذج ملحوظا فيما يراد جعله مثالا من حيث الكمال أو من حيث النقص". كما تقول عبارة محمد غنيمى هلال^(٨) هذا بالنسبة للمحتوى أو المضمون أو بعبارة أدق: جانب الأخلاق فى الشخصية. أما بالنسبة للأسلوب أو التشكيل الفنى فى التحديد إشارة صريحة إلى أهمية أن يكون النموذج نابضا بالحياة من ثانيا التصوير الفنى ويتأكد هذا المعنى بإشارة أخرى حيث يفكر أن الشخصية النموذج يمكن أن تكون ذات أصل واقعى أو أسطورى أو تاريخى ولكن هذا الأصل ليس مجازا إلى عالم الفن كنموذج إنسانى لأن الاجتياز يتم عبر وسيلة واحدة هى الأسلوب الأدبى، من هنا نجد شخصية مثل الإسكندر الأكبر حظيت بالشهرة التاريخية والبطولة ولكنها ظلت فى حدود تناول البطولى الملحمى ولم تتحول إلى نموذج إنسانى، فبما كتب عنه تجلت بطولاته وانتصاراته على عواقب قاهرة ولكننا لم نر أبدا المعاناة الإنسانية التى تجعل منه مثالا للشخصية

وللطبيعة البشرية في بعض جوانب معاناتها، وهنا تفوق بطل المقامات، وقد أشارت المصادر إلى أنه مستمد من أصل واقعي سواء عند الهمذاني أو عند الحريري فقد ذكرت هذه المصادر أن بطل مقامات بديع الزمان الملقب بأبي الفتح الإسكندري هو في الأصل شاعر باتس من المتسولين بالشعر يسمى أبي نطف الخزرجي الينبوعي مسعر بن مهلهل وكان معاصرا لبديع الزمان وكان يعجب به ويستدعيه إلى مجلسه ويحسن إليه ويحفظ من شعره وقد ضمن مقاماته بعض أشعاره، ويذكر محمد غنيمي هلال فيما يذكر أن لأبي نطف قصيدة تسمي القصيدة العاسائية يفاخر فيها بمهنة التسول ويذكر فيها حيله العبيدة فيها^(٩) ولايختلف الأمر بالنسبة لبطل مقامات الحريري أبي زيد السروجي فهو منسوب إلى قرية حقيقيّة هي قرية سروج القريبة من البصرة وقد خربها الصليبيون عام ٤٤٩م وقد اتقى الحريري (البصري) بهذا الشاعر السروجي الفازح يبحث عن رزقه بين الخراب في ذروة المحنة فرأى فيه رجلا تصبغا بانسا ضائق الذرع بما آلت إليه الأحوال يمتهن التسول وهو لذلك ساخر مستهزئ^(١٠) ثم يمدنا محمد غنيمي هلال بأخر ملاحظاته وأهمها فيما يتعلق ببطل المقامات وهو أن مقامات الحريري أقرب إلى صحة التكوين والبنية من مقامات الهمذاني ذلك لما لاحظته الباحث الفاضل من أن بديع الزمان لم يحافظ على السياق الزمني لتطوير شخصية بطله أو كما جاء في عبارة محمد غنيمي هلال لم يترجم منها لنيا لتصوير نموذج وتطويره، فمثلا يبدأ مقاماته بالمقامة القريضية وقد بدا فيها أبو الفتح هرما متفضن الوجه بعد الشباب، ثم بعد ذلك نراه شابا ومهلا في مغامرات ليس فيها نوع من التطوير الذي يدل على ضرب من التضج اللغني على نحو ما يظهر عند الحريري^(١١) وهذا يعني أن الحريري قد رتب تسلسل مقاماته الواحدة بعد الأخرى وفق ملهج معين راعى فيه تطوير شخصية أبي

زيد السروجي ولذلك وضع المقامة "الحرامية" تحت رقم ثمان وأربعين في تسلسل المقامات في حين أنها كانت أول مآكثب عن السروجي لأنها كانت من وحى لقاء الحريري به في مسجد بني حرام بالبصرة حين شاهده لأول مرة^(١٢).

هذه إشارة مهمة فيما نرى بالنسبة لبناء الشخصية ليس في المقامة الواحدة معزولة عن سياقها وإنما عبر تسلسل هذه المقامات كما وصلت إلينا مطبوعة ومحققة. ومن الواضح أن إشارة محمد غنيمي هلال السابقة إلى ترتيب المقامات حسب تطور الشخصية عند الحريري واضطراب هذا الترتيب أو قصوره عند لهماذاني يستد إلى مبدأ مستقر من مبادئ الفن القصصي وهو الفن الروائي (أو القصصي بوجه عام) يعتمد على الشخصية في الزمان. والحبكة الفنية للقصة أو الرواية تقوم عادة على رعاية هذا الجانب "امتداد الشخصية في الزمن" وكأننا نقدم سلسلة من الأحداث المتعاقبة تجيب على سؤال مفترض: ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ هذا ما تجده عند ناقد مهم في تاريخ الفن القصصي مثل فورستر^(١٣) ولكن هذا العبداء الذي رسخ طويلا وجد من يعارضه بأن يضع المكان موضع الزمان مثل آئن روب جريه الذي أشار إلى هذا في كتابه بعنوان "تحو رواية جديدة"^(١٤) بل نجد قبل هذه الدعوة إلى وضع المكان موضع الزمان أي في بؤرة الاهتمام بالتصوير والرعاية في السرد الروائي وترتيب الأحداث، نجد من يقدم مفهوما خاصا للزمان ويعنى به الزمن الخاص المختلف بالضرورة عن الزمن الموضوعي الخارجي، فالزمن الخارجي محكوم بتتابع الوحدات: الأيام والأشهر والسنين. أما الزمن الخاص فهو ينبع من إدراك الشخصية لذاتها ووعيها بما تجتاز من محن وتجارب، ولهذا يتجلى في ومضات يحكمها تيار الشعور والإحساس الخاص. إننا لانغامر بادعاء أن الهماذاني، ربعا في عدم اهتمامه بترتيب مقاماته لتكون مواكبة للتطور الزمني

للشخصية، ربما كان يفكر في أمر آخر لاتفول إنه محكوم بالتداعي أو تبار الشعور ولكن يمكن أن نقول إنه يعبر عن اضطراب الشخصية المجسدة لاضطراب زمانها حتى اختلط عليه الزمان وقد منطقته وسبقه.

هذه مجرد إشارة تفتح أمامنا باب التحليل للتركيب البنائي للمقامات لدى الهمذاني ثم الحريري على أمل أن نكتشف جوانب أخرى جمالية وفلسفية تغنى إحساننا بعمق التجربة والوعي بجماليات الفن القصصي في فترة مبكرة لم تكن تستخدم فيها هذه الاصطلاحات الحديثة بالنسبة إلينا وربما لم يفكر فيها النقد العربي ولكن الأديب المبدع قاربها أو خاضها ببصيرته الفنية ومقدرته التلقائية.

وبالإضافة إلى ماسبق ملاحظته من أن رد فعل الراوية عيسى بن هشام تحاه مايمكن أن نكتشف من انحراف أفعال الإسكندري وحيله وخداعه للأخرين وادعاءاته وأن رد الفعل لم يكن يتناسب أبدا مع الفعل ذاته ومافسرنا به هذا السلوك في دلالاته على الرضا الداخلي أو على الأكل وضع العتاب موضع العقوبة والتشهير ولزوم الصمت في موضع وجوب الإعلان عن الانحراف والتجريف بالإضافة إلى هذا نلاحظ أن وصف عيسى بن هشام للإسكندري وصفا حسيا، (الجسد والهيئة) يبعد به عن الإزراء والرغبة في التحقير أو التشويه. نقرر مبدئيا أن الإسكندري بطل المقامة كان لابد أن يكون فصيحاً نلق اللسان ثابت القلب، لأن هذا من طبع أهل الكدية ولأنه من الأشكال الضرورية لإحكام شكل المقامة وإكسابها منطقتها الخاص بها المقنع لتقارنها من حيث هي حيلة وأن ختامها إتمام الخدعة للعمامة حتى وإن اكتشفها الراوية، أما ما نلاحظه فهو أن الأوصاف الحسية لأهل الكدية لاحتتم أن يكونوا على ما وصفهم عيسى بن هشام فإذا قبلنا أن يصف أبا الفتح الإسكندري بأنه كان رجلا يطأ الفصاحة بنعليه^(١٥) فإننا سنكتشف في الأوصاف الجسدية نوعا من

مهانة الشخصية أو تجميلها إن لم يكن تملقها. وكان عيسى بن هشام يصف نفسه من خلال الإسكندري (ولعلنا ندهش أن المؤلف لم يصف عيسى بغير الصفات العامة) أما أبو الفتح فهو في إحدى المقامات قتي ذو لثة بلساته وفتح بأسنانه^(١٦) وهو أيضا "رجل لطيف البنية مليح الحلية في صورة النملة"^(١٧) "وهو رجل رخي الصدر منشرحه نشيط القلب مرحه"^(١٨) :وهو رجل ليس بالطويل المتمدد ولا القصير المتردد^(١٩) "وهو شاب في زى ملئ العين ولحية تشوك الأخدعين وطرف شرب ماء الرانين"^(٢٠) فهو إجمالا ذو شارة وجمال وهينة وكمال^(٢١). وأثر في النفس بجملة هذا التشبيه "شاب كأنه العاقية في البين"^(٢٢).

كل هذه الأوصاف التي أسبقت بإسراف على الإسكندري قد تكون داخلة في باب "تحسين القبيح" الذي تحدث عنه النقاد القدماء وجعلوه أحد معايير تأكيد القدرة لدى الشاعر الخطيب، ولكن المطالب الفني قد يستدعي تجميل القبح في بعض المواقف إعمالا لقاعدة "أن الشيء من غير معذنه يستغرب" فإذا كان الشحاذ أو صاحب الكنية جميلا ذا هبة ووقار ثم كشفت الأحوال عن عكس مايتزين به كان هذا ادعى للدهشة وإثارة للأعجاب، مع هذا نرى أن الأمر يمكن أن يستدعي عكس ذلك وقد أثار الجاحظ في البيان والتبيين قضية صورة الخطيب أو هيئته ومدى تأثيره على المستمعين^(٢٣) مما قد يعني فيما نحن بصدد أن عيسى بن هشام في تقديمه ووصفه لشخصية الإسكندري كان ينطوي على إعجاب به ورغبة في تجميله وستر معايبه مما يرجح عندنا قرب المسألة بين الرجلين أو اتحاء المسألة بدرجة تجعل منهما شخصا واحدا.

أشار أديب معاصر ممن لهم قدم في صناعة الرواية (٢٤) في مقمته لمقامات بديع الزمان الهمداني إلى أن هذه المقامات يمكن أن تقرأ على أنها رواية، ولص عبارته "إن المقامة شكل قصي خاص وأن مقامات بديع الزمان بالتحديد عمل روائي إذا جاز التعبير" (٢٥). وهذا القول فيما يرى الغيطاني جديد بالنسبة لمقامات الهمداني بصفة خاصة ولكنه ليس كذلك فيما يتعلق بالبحث عن عناصر روائية مستتبطة في شكل مقامات فقد درس الدكتور عبد المحسن طه بدر حديث عيسى بن هشام لمحمد المولحي في نطاق بحثه عن عناصر روائية ونشأة فن الرواية في الأدب العربي الحديث (٢٦). فالعبداء موجود في دراسات سابقة وإن كانت العودة به إلى التراث الحكائي العربي في النفتة الجديدة نسييا، لكن مألوفه الروائي جمال الغيطاني هو عملية الربط بين التشكيل الفني للمقامات باعتبارها حكايات صغيرة يتحقق لكل منها نوع من الاستقلال في الشكل والمضمون، ومع ذلك لا تكون الحكاية المفردة بمعزل عن سابقتها ولاحقتها، وهذا التصرف في الشكل الفني وتوازن وحداته بين الاتصال والانفصال له نظائره في فنون "تشكيلية" أخرى، فيمكن الربط بين هذا العنصر وبين فلسفة النقش والزخرفة الإسلاميين كما نشاهد في المساجد والتصوير التي أبدعتها العمارة الإسلامية، يقول "إتني لأميل إلى اعتبار هذه المقامات وحدات منفصلة بل إنها عمل فني متصل وإنني لأشبهها بوحدات الزخرفة العربية في فن "الأرابيسك" حيث تبدو لكل وحدة زخرفية استقلالها وعالمها الخاص، ولكنها تتكامل وتبدو في صورة أخرى عندما تتصل بوحدات أخرى، وأحيانا يكون الوصل بخط نحيل لا يكاد يلحظ، لكنه يغير من إيقاع العمل الفني كله" (٢٧). ستكون لنا وقفة مع قضية الشكل الفني في المقامات وما يعنيه الاتصال والانفصال في

الوحدات (المقامات) لأننا نعتقد أن هذا المطلب يحتاج - كى يتحقق - إلى توافر عدة عناصر فى انتقاء الأماكن وترتيب الأحداث والحيل فى كل مقامة على حدة، وفى سياقها مما قبلها وبعدها، ونؤثر أن نتوقف الآن عند عنصر أساسى من عناصر الرواية كما نظر لها نقادها فى العصر الحديث ونعنى عنصر "الشخصية" فقد استحدثت "الرواية"^(٢٨) هذا الوصف حين تحقق لها شرط الشخصية الإنسانية المتحركة فى المجتمع التى تعيش زمانها العام والخاص ومن الواضح أن عنصر "الشخصية" يفرض نفسه عند قارئ المقامات عند بديع الزمان كما عند غيره من ساروا على طريقته. وبالتسبة لبديع الزمان - الذى نعنى به فى هذه الدراسة - فإنه قدمها من خلال رواية هو "عيسى بن هشام" الذى سيصبح بتكرار اسمه فى صدر جميع المقامات الإحدى والخمسين كما وصلتنا فى صورتها الراهنة - أهم شخصية فى هذه المقامات (ربما لترجة أن محمد المويلحى حين كتب مقاملته الحديثة سماها: حديث عيسى بن هشام فنسبها إلى راويها ولوس إلى بطلها الإسكندرى) بما يطغى على شخصية بطل هذه المقامات أبى الفتح الإسكندرى الذى لم يكن موجودا فى بعض هذه المقامات، وإن يكن هو صاحب الحيلة الذى يصل بالخدعة إلى مداها ويمنح المقامة - كل مقامة - مذاقها الخاص. إنه شخصية متلونة تماما تقنعت بعدد كبير من الأتعة وتصنعت من لغة الأداء بأساليبها المتفاوتة، واصطنعت من المهين والصناعات وادعت من المبادئ والأهداف ما يكاد يحيط بكافة أنماط العمل السائد فى عصره فى حدود مايدل على زمن الأرمنة والضياع. رغم هذا التلون بالأصباغ الزاهية فى شخص الإسكندرى فإن عيسى بن هشام الذى قام بصناعة الخط الموازى، الثابت الراسخ الذى لايعرف التلون يبقى أكثر وضوحا فى وجدان القارئ وعقله. فإذا استأثر الإسكندرى بالطرافة فإن عيسى بن هشام هو الذى يمنح المقامات

معناها المحدد وفكرتها الراسخة. وهنا سنفكر في شخصيتين وقد يكون مصدرنا للإعجاب بهذه الأشكال الحكائية العربية المبكرة أن نجد الحكاية فيها متداولة بين بطلين وليس من صنع بطل واحد كما هو الشأن في الحكايات البسيطة، وربما اثار هذا في إحساننا تساؤلا عن أهمية الشخص الآخر وبصرف النظر عن من هو الشخص الأول الذي يتمتع بالأهمية والشخص الآخر المساند له وهل هو الإسكندري أو عيسى بن هشام فإن التساؤل الأهم كان - انطلاقا من هذا المبدأ نفسه - عن العلاقة بين هذين الشخصين. إن "الأردواجية" أو "الثنائية" قديمة جدا في الضمير الإنساني وفي الفكر فالأشياء من مادة وصورة. والإنسان من جسد وروح والفكر الأفلاطوني قام على أسطورة (الصندوق)^(٢٩) إلى آخره. فهل يمكن اعتبار عيسى ابن هشام الوجه الآخر لأبي الفتح الإسكندري. وأنهما في حقيقتهما شخص واحد أحدهما يعيش في الواقع والآخر يجسد المثال، أو أن أحدهما يتحرك في الممكن والآخر يحلم بالأمنية. أو أنهما معا طبقتان من طبقات النفس الإنسانية التي لا تلتزم حالة واحدة. ولد فطن الإسكندري نفسه إلى هذا المعنى "الوجودي" للمعاناة الإنسانية حين قال:

لا تلتزم حالة ولكن در بالنيالي كما تدور

وهنا نلاحظ أن هذا البيت قد جاء في ختام المقامة الأولى "القريضية" التي تعتبر بمثابة "خطبة الكتاب" أو مقدمته، وهذا البيت الختامي سجل بلا تعقيب من الراوية مما يعني التسليم بهذا المبدأ أو عدم الاعتراض عليه، وقد ترند هذا المعنى نفسه مع اختلاف الصياغة لى أكثر من مقامة، فالمقامة الثانية "الأزادية" تنتهي بثلاثة أبيات:

فقض العمر تشبيها على النامس وتمويها
أرى الأيام لاتبقى على حال فأحكيها

ويوم شررتي فيها

ليوما شرها في

والمقامة الثالثة "البلخية" تنتهى بهذين البيتين:

أخذوا العصر خليطاً

إن لله عبداً

وبضحون نبيطاً

فهم يعمون أعراب

وفى ختام المقامة السابعة عشر "المكفوفية" يقول:

في كل لون أكون

أنا أبو كتمون

فإن دهرك دون

أختر من الكسب دوناً

إن الزمان زبون

زج الزمان بحمق

ما لعقل إلا الجنون

لا تكذب بعقل

فهذا المعنى يتردد في كثير من المقامات إن لم يكن في جميعها بدرجة تدفعنا إلى غلبة الظن بأن هذه الفكرة عن الشخصية الإنسانية هي الأساس والمحرك الذي قامت عليه كل المقامات. ونلاحظ أن هذه الأبيات جميعها جاءت في ختام المقامات ولم يتبعها تعقيب ما وكنتها "الحكم النهائي" أو الرأي الذي لا ينقض مما قد يعنى أن الراوية عيسى بن هشام والبطل الإسكندري يلتقيان عند هذه النقطة بالذات - وجوب التلون وضرورته، أو مستويات الشخصية الإنسانية - ويختلفان حول أشياء أخرى سلوكية أو مظهرية لاتمس جوهر الفكرة.

هذه التساؤلات عن العلاقة بين عيسى بن هشام وأبوية المقامات وأبى الفتح الإسكندري بطلها أو بطل أكثرها، لها دوالها المعما المستمدة من بناء المقامات ذاتها ونحن لانطرح هذا التساؤل ونبحث عن جوابه في المقامات لبلوغ هدف سيكولوجي وحسب وإنما - الأهم من هذا - أنه في حالة القول بأن العلاقة بين الشخصيتين هي العلاقة بين الواقع والأمنية أو الذاتى والاجتماعى أو الحقيقة والوهم سيكون اعترافاً

بسبق الفن الحكائي العربي إلى إنجاز فنى متميز وإقراراً بأن الشخصية ذات الأبعاد التي يقوم عليها فن الرواية الحديثة قد سبقت إليه المقامات وبلغت به المدى الذي يتجاوز قدرات صناع القصص والأخبار والحكايات في ذلك العصر.

ولكن من أين تستمد العلاقة التكوينية أو العضوية بين الراوية والبطل أسباب إمكانها؟ لقد قرأنا المقامات قراءة متأنية وفصلنا عناصرها ومكوناتها وطرحنا التساؤلات حول ما يمكن اعتباره بعض المسلمات، بمعنى أننا قرأناها دون التسليم بأية بديهة من بديهياتها، ومن هذا المنطلق كان اكتشاف العنصر الأول الذي يكشف لنا عن أن العلاقة بين الراوية والبطل - ابن هشام والإسكندري - هي العلاقة بين الوجه والقناع دون أن نجزم تماماً أي الرجلين "الوجه" وأيهما "القناع" وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: لقد روى عيسى بن هشام جميع المقامات فهو يقوم بدور "المقدم" أما أبو الفتح فإنه الشخص جواب الآفاق الذي تنقل بين مدن ومناطق ومنازل متباعدة جداً قد تكون بمساحة الدولة الإسلامية أو مناطقها الخاضعة للخلافة العباسية في عهد الهمداني، وفي كل مقامة اشترك فيها الرجلان كان الإسكندري يتخفى وكان عيسى يتولى الكشف عن الحيلة وجلاء حقيقة الشخص المتخفى مما يعنى بدهاة أن الراوية والبطل موجودان معاً في نفس المكان.

وليس من الممكن أن ننظر إلى هذا التلازم على أنه مصادفة تتكرر، إلا في حدود اصطلاح فنى أو مسامحة شخصية ليست مستغربة على أساليب لئن التصصى بصفة خاصة^(٣٠). غير أننا نلاحظ أن التكرار يتجاوز المدى الممكن لقبوله فالمصادفة تتحول إلى إلحاح، والاحتمال إلى

تلازم فإينما وجد الإسكندري وجد عيسى بن هشام مما يحمل على الظن
أنهما وجهان لشخص واحد أو هو "الوجه والقناع". أما تكملة هذه الفكرة
بالتبحث في أيهما الوجه وأيهما القناع فإن هذه ليس بالأمر الجوهري بالنسبة
للبناء الفني وهو الذي نهتم به أكثر مما نهتم بالمعنى أو المضمون على أنه
ليس من الصعب أن نرصد ونتتبع حالة الفوضى الضاربة في الأخلاق
والمعاملات والسلوك والقيم وعلاقة الطبقات إلى آخره، مما يدمج العصر
كله بأنه عصر الفوضى وضياع المعالم، مما يترتب عليه أن يكون
الإسكندري هو الواقع، هو الأصل، هو الوجه العملي المهموم بالحياة، الذي
نست عليه طبائع زمانه الضاري، ويبقى الراوية بمثابة القناع أو الضمير
المختفى أو الحلم أو الأمنية، إن عيسى بن هشام هو ما يحلم به الإسكندري
وما يمتنى أن يكونه ولكنه لا يستطيع. ومن الطريف أن نلاحظ أن عيسى بن
هشام يكاد يسلم لأبي الفتح بأنه ابن الضرورة وأنه متلائم مع زمانه
ولامتلص أن يكون كما هو وعلى ما هو عليه من سلوك وحيلة وهذا هو
السبب الثاني الذي نيسط القول فيه.

ثانياً: قد لاحظنا أن عيسى هو الذي يتولى كشف حيلة أبي الفتح وإظهار تخفيه.
ولكننا نلاحظ أيضاً أنه لم يفعل ذلك أبداً علانية بين الناس، ومن ثم لم يعمل
على فضحه والتدبير به والتحذير من تدليسه. إنه يكتفى بمراقبته بل قد
يظهر منه نوع من الإعجاب بقدره الإسكندري على اصطناع المهن وادعاء
القدرات ولا يقف حائلاً أبداً دون أن يحظى الإسكندري في تخفيه بإعجاب
الناس وباقتناص ما تيسر معلناً له - دون غيره - أنه قد فطن إلى حقيقته،
وأنه يعرفه، وفي كل مرة لا يراوغ أبو الفتح ولا يتهرب بل يسلم له دون

ملاحاة، ويعتذر عن ادعائه اعتذارا هينا طريفا يكون خاتمة المقال مما يحى أنه ليس فى نيته أن يقلع، وأن عيسى بن هشام ليس فى نيته أن يتجاوز مهلاته فى كشف الشخصية ومفاجأتها بأنه يعرفها - إلى فضحها أمام الآخرين أو تحذيرهم منها - فهذا القدر من "حسن الفهم" لظروف الشخصية وقبول تأويلها لمعنى الضرورة أو التسليم برأيها فى العصر ورجائة وأحداث وأسلوب التعامل معه كل هذا سيدفع إلى الاعتقاد بأن ابن هشام ليس شخصية أخرى تختلف عن شخصية الإسكندري، إنهما يعودان إلى أصل واحد وإن يكن أحدهما يؤثر العمل ومواجهة الزمان بما يتطلب، والآخر يعبر عن قلق الضمير أو الرغبة فى الاعتذار، ونقدم مثلا توضيحيا لما نعنيه بهذا العنصر الثانى الكاشف عن العلاقة بين الوجه والقناع. ففى المقامة "السحبتانية" وفى موضع غريب وغير متوقع يلتقى الراوية والبطل ويتجسد الموقف بنبرة عالية حادة تناسب مادعيه الشخصية المتكررة من صفات وإمكانات، بهذه الصياغة الحادة الجهيرة يقدمها الهمذانى كما يتصورها عيسى بن هشام راوية المقامة:

"خرق سمعى صوت له من كل عرى معنى، فانتحيت ولده. حتى وقلت عنده، فإذا رجل على فرسه. مختلق بنلمسه. قد ولانى قذاله. وهو يقول من عرفنى فقد عرفنى. ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنلمسى. أنا بكورة اليمن. وأحدوثه الزمن. أنا أدعية الرجال. وأحجية ريت الحجال، سلوا عنى البلاد وحصونها، والجبال وحزونها، والأودية وبطونها، والبحار وعيونها، والخيل ومنتونها، من الذى ملك أسوارها، وعرف أسرارها ونهج سمعتها، وولج حرتها. سلوا عنى الملوك وجزالنها،

والأغلق ومعذنها، والأمور وبواطنها، والعلوم ومواطنها، والخطوب ومفاتها، والحروب ومضايقتها، من الذى أخذ مختزنها ولم يؤد ثمنها، ومن الذى ملك مفاتها وعرف مصالحتها؟ أنا والله فعلت ذلك... (٣١).

حين نتأمل صياغة هذا النص ومضمونه، سنضع فى اعتبارنا الآثار الواضحة لعصر الإزدهار الفكرى والنشاط السياسى فى القرن الرابع الهجرى (عصر الهمذانى) وماواكبه من غزوات وحروب وقيام دويلات وسقوط أخرى ونشاط الدعوات السرية والباطنية مما نجد له ملامح واضحة. ونضع فى اعتبارنا أيضا الأسلوب الذى تكلم به وما تجلى به من دلائل الثقة بالنفس واليقين بالدعوى: "من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى" وتفتح هذه "الأنا" الأولى الباب إلى "أنوات" أخرى مثل "أنا باكورة اليمن" - أنا أدعية الرجال - أنا والله فعلت - أنا والله شهدت .." ويتصدر القسم أكثر من جملة ويحيل على مشاهديه ومستمعيه أن يبحثوا عن هويته حين يطرحها فى صيغة "من الذى فعل كذا وكذا" ثم يتجاوز هذا الجانب الصياغى إلى تحليل المضمون فنجد أن حجم الادعاء كبير جدا، ولم يكن غريبا على ادعاءات عصره الذى عرف علم الباطن وعرف ادعاء النبوة وأشباههم. فأبو الفتح فيما يدعيه يكاد يكون جامعا لكل ألوان النشاط وكل مستويات الأنوار فى عصره رغم تناقضها أو تفارقتها الواضح، ومن الوجه المنطقي كيف يمكن أن يكون سفر بين الملوك وشهد مصارع العشاق ومصر العصور الناعمة وخاض الخطوب والحروب فى نفس الوقت، وكيف يكون باكورة اليمن وأحدثة الزمن ومع هذا اجتسب ورد الحدود المورديات؟! خلاصة القول أن هذه الادعاءات

المريضة - المراقبة في نفس الوقت - لا تستقيم لشخص واحد، هي أقرب ما تكون إلى حديث النفس أو الأمنية أو شطحات الخيال ومغامرات اللاشعور الذي قد يعبر عن معاناة عكسية كحلم الجائع بالخبز مما يعنى أن الإسكندري في حقيقته (وهنا يكون عيسى بن هشام هو المتحدث الحقيقي أو الوجه) يعاني الضيق والحصار والضياع والفقر وأنه إنسان بلا دور، إنسان هامش من سواد الناس ممن لا تعبأ بهم سلطة ولا تهتم بهم سياسة ولا تنصّب لهم جيوش غزوية أو منحورة وإنما يدعهم كل عبث وينوسهم الخاسر والظافر. هذه نقطة سيكولوجية مهمة في اعتبارنا ونحن نقرأ وصف الشخصية لنفسها وطريقتها لإقناع الآخرين بأهميتها، ولكن ما يشغل الآن هو استجابة عيسى بن هشام أو رد فعله على ادعاءات الإسكندري، تقول عبارته في وصف تلك اللحظة، قال عيسى بن هشام: 'لذرت إلى وجهه لأعلم علمه فإذا هو والله شخيلاً أبو الفتح الإسكندري، وانتظرت بجفان اللعامة بين يديه. ثم تعرضت فقلت: كم يحل دوازيك هذا؟ فقال يحل الكيس ماشئت. فتركته وانصرفت' (٣٢).

فلاحظ. أولاً المسافة الشاسعة بين الثمن لمطلوب لخبرة الشخصية (المدعاة) بالحياة والناس والأحداث والثمن الذي ارتضاه بالفعل لهذه الخبرة المدعاة، وهو ثمن متواضع جداً دلت عليه عبارة 'يحل الكيس ماشئت!'. وكذلك المسافة الشاسعة بين حجم الادعاء وتواضع رد فعل الراوية الذي اكتفى بأن يقرر أنه تركه وانصرف. فهنا لا نجد في عيسى بن هشام معاني الغضب لكرامة الصدق أو مزاعم الأديباء ومبالغات المضالمين، هذه الثورة التي تصدر عن رفض لسلوكهم وإيمان بأنهم على خطأ. إن موقف

عيسى بن هشام من رحيل أبي الفتح الإسكندري وادعاءاته لا يتجاوز أبدا عبارات العتب وإظهار الدهشة بل قد تصل إلى الاستطراف والاستطراف، وقد يكفي بأنه قد عرف حقيقة هذا المدعى ثم ينصرف عنه دون تعليق كما في نهاية هذه المقامة "السجستية" فهذه المساحة الشامعة بين ما يمكن أن يعتبر ذنبا وما يمكن أن يعتبر عقوبة على هذا الذنب وانعدام التناسب بينهما له دلالة أخلاقية إنسانية: "التسامح والعطف على الضعف الإنساني" وهو ملمح أصيل ونبيل ينبغى أن يعترف به الفكر العربي الإسلامي وقد وقفت عند وجهه من أوجهه في دراستي للفن السخرية عند الجاحظ^(٣٣) ولكن الدلالة التي نعني بها الآن فهذا القدر من التسامح قد ينم عن الرضى بل قد ينم عن تملق الذات أو الاعتذار عن السلوك الخاص مما يعنى في النهاية أن شخصية أبي الفتح ليست بعيدة أبدا عن شخصية عيسى بن هشام، إنها قريبة منها جدا وقد تكون الوجه الآخر لها، أو القناع الذي تركبته لتمارس حياتها العملية في زمن التحريف والترريف فلا تجد بأسا من ممارسة التحريف والترريف ومن ثم لا تجد ضرورة لمعاقبة النفس على ما هم مضطرة إليه.

ويتكرر هذا الصنيع الذي يؤكد تسامح الراوية مع البطل (تملق الشخصية لذاتها وغفرانها لذنوبها وتجنبها للتشهير بمعاييبها) في مقامات متعددة مما يجعل هذه سمة أساسية من سمات العلاقة بين الوجه والقناع، ففي المقامة "الأصفهانية" - وهذا مجرد مثال - يدعى الإسكندري أنه رأى رسول الله (ص) في المقام ويتحلل عنه أدعية يستجلب بها عطايا المصلين في المسجد، قال عيسى بن هشام: "فقد انثالت عليه الدراهم حتى حيرته

وخرج فتبعته متعجبا من حذقه بزرته وتمحل رزقه، وهممت بمساعلته عن حاله، فأمسكت، وبمكالمته أسكت، وتأملت نصاحته فى وقاحته، وملاحته فى استماحته، وربطه الناس بحيلته، وأخذة المال بوسيلته، ونظرت فإذا هو أبو الفتح الإسكندرى، فقلت كيف اهتديت إلى هذه الحيلة، فتبسم وأنشأ يقول:

الناس عمر فجوز وبرز عليهم وبرز
حتى إذا نلت منهم ماتشتهيه فلروز^(٣٤)

نستطيع أن نستخلص من وصف عيسى بن هشام للموقف النهائى للمقامة ثلاثة أمور مهمة تتصل بالكشف عن العلاقة بين الشخصيتين:

أ - أنه لم يمسارع إلى مكالته وتكرر عبارة "أمسكت، مسكت" وهذا يناقض تماما لم يستوجب موقف الادعاء والكذب فى مجال الدين وشخص الرسول (ص) بصفة أساسية.

ب - أنه لرن كل صفة سيئة بوصف حسن وقد رجع هذا إلى مأثور تراثى حيث نظر بعض النقاد إلى أن مقدرة الشعر تتجلى فى تحسين القبيح وتبيح الحسن ولكنها هنا تقصد إلى تحسين القبيح "نصاحته فى وقاحته، ملاحته فى استماحته" فهى وقاحة نصيحة واستماحة مليحة. هكذا برز المرغوب فى ثياب المقبول بل المرغوب.

ج - ثم هذا التعليق الأخير حين سأله كيف اهتديت إلى هذه الحيلة، فكان جوابه أنه تبسم* ثم نظم البيتين السابقين يسخر فيهما من ادعاء الناس ويعترف بانتهازته صراحة.

وبهذه العناصر الثلاثة المحددة يتأكد لنا أن رد الفعل لا يتناسب مطلقاً مع الفعل في ختام هذه المقامة وأن العقوبة ليست في حجم الخطأ وهنا كما في المقامة السابقة وفي مقامات أخرى لا يصعب الاهتداء إليها.

ثالثاً: تقابلنا في سائر المقامات صياغة واحدة لا تختلف على لسان عيسى بن هشام حين يتحدث عن أبي الفتح وذلك بأن يصفه بأنه "شيخنا" بصيغة التوقير والريادة والانتساب فللشيخ دلالة على الجلالة والشيخ هو المعلم وإضافتها إلى ضمير المتكلم (نا) يؤكد ذلك، كما تعنى التعظيم للمتحدث عنه وتعنى الانتساب إليه، وهذه الصياغة مضطربة في جميع المقامات التي ظهرت فيها شخصية الإسكندري، وعلى سبيل المثال:

"فإذا والله شيخنا أبو الفتح"

"فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح"

"فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري"

"فإذا والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري".^(٣٥)

ففي هذه الصيغ المتكررة في الدلالة يتجلى القرب والأنس والتوقير والقرح باكتشاف الشخص ولقائه. ثم نجد في مدخل المقامة "الأسدية"^(٣٦) ما يدعم ماتراه من هذه العلاقة الخاصة أو المطابقة ما بين الراوية والبطل حيث يقول:

"حدثنا عيسى بن هشام قال: كان ييلقى من مقامات الإسكندري ومقالاته ما يصفى إليه النور، وينتلص له العصور، ويروى لنا من شعره ما يمتزج بأجزاء النفس رقة ويفض عن أوهام الكهنة دقة، وأنا أسأل

الله بقائه حتى أزرق لقاءه، وأتعجب من فعود همته بحالته، مع حسن
الله*

فهنا نجد الدليل على اهتمام الراوية بالبطل اهتماما يتجاوز
الاعجاب المجرد لأنه يتطور إلى نوع من الحرص على لقائه والعناية به
حتى يدعو له بطول اليقاء ويعتبر أن تحقيق هذا اللقاء بمثابة رزق وتوفيق
من الله. فهذا القدر من الرضا ينفي اختلاف المهيج كما يدل على رغبة
دفينة في النفس أن يتوافق الوجه المعلن للشخصية أو الوجه المضمّر أو
الخبئ لها. فكان الإنسان في الحقيقة يعيش الحيرة بين ما يستطيع وما يتمنى،
بين ما يتوق إليه بدوافعه الداخلية واستعداده الفطري وما يتولعه المجتمع منه
ولا يقبل سواه، فهنا نجد الراوية عالما بحقيقة أبي الفتح ومتعجبا من أنه
يرضى فعود الهمة (أى الكنية والحيلة) رغم توافر نواعى الفجاح
والسطوع (حسن الألة والفصاحة والقدرة على الإبداع) فهذا هو التمزق بين
الواقع والممكن أو الأمنية، ومع هذا التوق إلى التوحد والحرص على
السلامة يرجح أننا نرى الحقيقة نواجه شخصا واحدا وجهه المعلن
الاجتماعى هو الراوية بما يمارس من انضباط وما يمتن من نشاط يقره
المجتمع وتقبله آداب الجماعة، ووجهه الخفى الذاتى هو أبو الفتح بما
يمارس من حيلة وما تضطره إليه قسوة الحياة من ادعاءات وأكاذيب.

رابعاً: وعلى ضوء هذه العبارة الأخيرة من العنصر السابق نصل إلى هذه السمة
الأخيرة من مؤشرات اكتشاف علاقة الوجه بالقناع، فقد رأينا أن عيسى بن
هشام يتحرك فى إطار المواصفات الاجتماعية ويلتزم الآداب العامة والذوق
السائد، وعلى العكس منه أبو الفتح الإسكندرى الذى يستبجح أى شئ ليلبرغ

غاياته غير عابئ بأدب أو أعراف أوليم، وقد اطرده هذان النسقان حيث
 تواجد الراوى والبطل فى المقامة الواحدة، ولكن يحدث فى عدد قليل من
 المقامات أن يكون الراوية والبطل هو نفسه عيسى بن هشام ويختفى ذكر
 أبى الفتح أو الإشارة إليه، وقد حدث هذا فى مقامتين على وجه التجديد هما
 "البغدادية" و "الدينارية"^(٣٧). وفى المقامة الأولى يفر عيسى بن هشام
 بفلاح قادم إلى بغداد (المدينة) ليغال وجبة غذاء دسمة ويترك هذا الفلاح
 لينفع الثمن ضربا مبرحا ثم يدفع من ماله أيضا فى حين يشاهده عيسى بن
 هشام عن بعد تتملكه روح التسفى والقسوة التى لامبرر لها. وهنا فى هذه
 المقامة لا يحتفظ عيسى بن هشام بصفاته النمطية المأثورة وإنما يحل فى
 ثياب أبى الفتح الإسكندرى الانتهازى اللبق الذكى الذى لا يتردد فى
 اصطناع أى شئ للحصول على ما يبتغيه. وفى المقامة "الدينارية" يظهر
 هذا الطابع المنحرف الحاد حين يظهر عيسى بن هشام دينارا ويعلن أنه
 سيهبه لمن يكون أشد إذاعا فى هجانه لشخص آخر ومن خلال هذه الحيلة
 الخبيثة يتشكل سياق المقامة كهجائية حوارية غاية فى الإكذاع والطرافة
 معاً فهذه الحيلة الشريرة التى تغرى بالعداوة والهزاء والانتقاص من الناس
 لاتناسب شخصية عيسى بن هشام ودوره المأثور فى المقامات الأخرى،
 وإنما تناسب أبا الفتح الإسكندرى فى صورته المعهودة التى نعرف، وقد يدل
 هذا فى النهاية أنه عندما يغيب القناع فلن الوجه الحقيقى يمكن أن يقوم
 بنفس الدور أو أنه يشى بملامح القناع ويحاول أن يودى وظيفته.

ويتفرع عن هذا الجانب أن نتأمل الوضع أو الصفة الثابتة التي يكون عليها عيسى بن هشام الراوية لحظة لقائه بالإسكندري وعلاقة هذا الوضع أو تلك الصفة المنتحلة التي يكون عليها الإسكندري في نفس المؤلف. ولا بد أن نضع بعض المحاذير فقد أشارت دراسات القدماء والمحدثين إلى أن مقامات ببيع الزمان تتجاوز هذا العدد المحدود الذي وصلنا بأضعافه (ذكروا أنها تجاوزت الأربعمئة في حين لم تعد المقامات المنشورة في النسخة التي نعتمد عليها إحدى وخمسون مقامة)^(٣٨). مما يترتب عليه أن نتحفظ في تقبل النظام الذي ظهرت به في هذه المقامات الإحدى والخمسين في تسلسلها، فإذا كان محمد غنيمي هلال قد أخذ عليها أنها لم ترع الجانب الزماني في تصوير شخصية الإسكندري الذي ظهر في بعض المقامات المتقدمة شيخاً أو كهلاً ثم ظهر في مقامات أخرى بعدها شاباً أو فتى مما يعنى في نظر الدكتور هلال أن الهمداني لم يكن يفكر في "شخصية واحدة" تتحرك في زمن محدد المسافة بقرى ما كان يستجيب للحادثة أو الموقف الذي يستدعي "الشخصية" في لحظة ما منقطعة عما قبلها وما بعدها، لقد ناقشنا هذا الأمر من قبل ورأينا أن مفهوم الزمن في الرواية الحديثة يكتب مرونة بحيث تبدأ بعض الروايات من آخرها أو من وسطها أو في أي لحظة من حياة بطلها دون أن ينظر إلى هذا على أنه عائق دون إدراك "الشخصية" واكتشاف جوانبها الإنسانية لإعادة تركيب العمل الفني وفق التسلسل العام للزمن الخارجي. ونضيف هنا احتمالاً قائم عليه الدليل هو هذه المقامات المنقوذة التي نقرأ عنها ولا تعرف نصها ولا موقعها من السياق. مع هذين التحفظين نحاول أن نضع صفات الراوية ووضعها الاجتماعي في مقابل أو مواجهة صفات الإسكندري ووضعها المنتحل في كل مقامة لنرى هل يكشف هذا عن توافق أو تناقض بين الشخصيتين، ولعله من الطريف حقاً أن نعرف بداية أن الإسكندري

الذى وضع على وجهه فى كل مقامة تناعا وانتحل فى كل مقامة مهنة مختلفة تنتهى إلى غاية واحدة أنه مجرد شحاذ بائس يحتال على العيش. يتولى الكشف عن مكنون شخصيته راويه هو أيضا فى كل مقامة يعلن عن صفة أو مهنة مختلفة عن المقامات الأخرى. فهو تاجر مرة وحاج مرة أخرى. وطالب علم، ومسالر فى قافلة مجهولة الهوية، وشاعر فى حضرة سلطان، ومطارد متهم فى غيرها... إلخ. مما يعنى أن الادعاء بدرجة ما لاصق بالأصل والصورة معا ولكن هل توجد علاقة تحكم النسبة أو الصفة بين الشخصين؟

فى المقامة الأولى يصف الراوية نفسه بأنه صاحب عيشة موفورة له ضياع وأموال وحباوت ورفقة. أما الإسكندرى فهو شاب متقف له يد فى الشعر وأهله، انقلب عليه الدهر فجعل يتسول بهذه الثقافة.

وفى المقامة الثانية كان عيسى بن هشام فى بغداد إبان موسم التمور يختار من أنواعها وصادف الإسكندرى الذى جمع حوله عددا من الأطفال وبسط يده يطلب التسول.

وفى المقامة الثالثة كان عيسى تاجر يز ثريا وكان الإسكندرى شابا فى زى ملئ العين يدعى الشرف.

وفى المقامة الرابعة يتسم وضع الراوية بالغموض ونص عبارته "حدا بى إلى سجستان أرب" فى حين كان الإسكندرى قد امتطى فرسا وأرسل ادعاءاته العريضة وكأته رجل كل العصور وكل المهمات. الرجل الذى يعرف كل شين.

وفى المقامة الخامسة كان عيسى فتى السن يركض وراء الغرايات فى حين كان الإسكندرى يملك المال الكثير ويدعى الفقر ليزداد غنى¹¹.

وفى المقامة الثامنة كان عيسى مطارداً بتهمة أنه سلب كنزاً وأصاب مالا ليس له فغادر موطنه إلى أنريجان فصادف الإسكندري الذي كان مجرد عابر سبيل يتسول.

وفى المقامة العاشرة يأخذ عيسى موقع عابر السبيل ونص عبارته "كنت بأصفهان أعتزم المسير إلى الري" ويلتقى بالإسكندري الذي زعم أنه رأى الرسول (ص) فى المنام وأخذ عنه دعاء وراح يتاجر ببيع هذا الدعاء مستقراً الورع والخوف لدى الحاضرين.

وهكذا تمضى سائر المقامات حين يتوافر الراوية والمشكندري معا ونحاول أن نكتشف خطأ محمداً أو علاقة ثابتة بين الوجه والقناع - من حيث الصفة والوضع - فلا نكاد نستقر على قاعدة، ونحب أن ننبه إلى أن غياب القاعدة فى هذه العلاقة لا يودى إلى رفض المبدأ الأساسى وهو علاقة الوجه بالقناع، ولكن يودى إلى عدم ثبات هذه العلاقة على قاعدة منطقية مضطربة وهذا مما هو مقرر الآن لدى الكتاب الرمزيين فحين يستخدم الروائى الرمز فى روايته لا يلزم أن يكون هذا الرمز متسقاً مع سائر الرموز أو موحداً فى دلالاته وكأنه المفتاح الذى يفتح جميع الأبواب. إن الرمز يودى وظيفته مرتبطاً بالموقف ولا يحول هذا دون حق الروائى فى استخدام رمز آخر فى موقف آخر.

أما العلاقة العامة - الأساسية لفن الرواية - وهو أن "الشخصية" أهم دعائم الفن الروائى وأنه ينبغى أن تكون الشخصية إنسانية، قادرة على استدعاء الواقع يزمانها متفاعلة مع الأحداث التى تعاشها فإن هذه الشروط جميعها متوفرة فى بطل المقامة "الإسكندري" ومتوفرة على نحو أكثر عمقا وأغزر فنا حين ننظر إلى عيسى

ابن هشام والإسكندري على أنهما شخصية واحدة نطل عليها من مستويين الواقع
والمخيل أو المحتمل.

وإذا كان فن الحكاية، في مقاربتة لقن الرواية، ينهض على دعامتين:
الشخصية في الزمان، ثم المكان، فإبنا نتوقف عند هذا العنصر الثاني بعد وقفنا مع
الشخصية.

الزمن:

ارتبط فن القصة عند العرب بالرواية، ومن ثم فإنه مجرد ناقل لأحداث مضى زمانها حتى وإن تدخل في سياقها بوضوح أو تحفظ من عنده، وقد استدعى هذا الطابع الحكائي أمرين:

أولهما سبادة صيغة الماضي في استخدام الفعل، لأن الرواية ينظر إلى الأحداث على أنها قد انقضت كفعل وأنه مجرد ناقل حتى وإن نس بعض مشاعره أو تعقيباته وشروحه في سياق الحكاية.

ثانيهما ما أدى إليه وجود هذا الرواية من غلبة الطابع السردى فالحكاية العربية التقليدية حكاية سردية، يؤدي فيها الحوار وظائف محددة أو عابرة، في حين يستمر الرواية في متابعة التطور الزمني للأحداث وتتبع سلوكيات الأشخاص متحركين في هذا الزمن ذاته. قد نجد المشهد الحوارى ولكنه لن يكون متضمنا لجوهر الحكاية فضلا عن أن يكون القالب الفنى لها على نحو ما نجد عند الإغريق في مآثرهم المسرحى.

على أن الرواية القديم في عصر المشافهة والكاتب في عصر التنوير لم يعدا طريقة بتغليان بها على الإحساس بسيطرة السرد وغلبة الشعور بالزمن الماضى، فلا بد أن صانع الحكاية يشعر بأن صيغ الحضور، وكذلك مشاهد الحوار يمكن أن تستأثر بانتباه أكبر عدد من المتلقين من خلال شعورهم بالمشاركة أو على الأقل بأن الأحداث المروية لا تزال حية أو قريبة عهد بالحياة، لذلك حاول أن ينوع فى صيغ اللغة (الأفعال بصفة خاصة) كما لجأ إلى الحوار أحيانا ليقطع تسلسل السرد، ويبث مزيدا من المرح فى حكايته.

ويشعرنا الكاتب الذكي دائما بالمشاركة في المشاهدة عندما يروي حكايته أو قصته، أي ينتقل من الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر بطريقة لا يظهر فيها أثر لانفصال أجزاء الحكاية ولايكشف هذا الانتقال عن أي فجوة تخل بيننا هذه الحكاية أو تضعف من توالي الأحداث فيها.

ولايموز الهمذاني هذا الذكاء الفني الواضح الذي يأخذ به قارنه إلى مقاماته. فعندما يكون الراوية موجودا فإن هذا يضي أن الحكاية حدثت في الزمن الماضي، ولا بد أن تأتي كل صيغة الأفعال فيها ماضية. وعلى الرغم من ذلك فإن مشاهد بعض مقامات الهمذاني إن لم تكن أغلبها تأخذ قارئها رويدا رويدا إلى صيغة الحاضر حتى يتحول المشهد من حدث مروى إلى حدث مشاهد دون تكلف أو إغراب. ويتم للمؤلف ذلك عندما تكثر المشاهد الحوارية في المقامة فهي تتيح الفرصة لهذا الانتقال التكرجي من الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر، وليس المهم أن تتوالى تعبيرات المشهد الحوارى مثل "قال، قلت" ولكن يجب أن يكون لذلك نور في كشف دخلة الشخصية أو مهمتها، أو الكشف عن جانب من جوانب الحدث، فإذا لم يود المشهد الحوارى هاتين الوظيفتين أو إحداهما فليس له من الحوار إلا مظهره الخارجى الذى لا يؤثر فى تعبير صيغة الزمن الماضى إلى الحاضر.

يخلط الهمذاني خلطا ذكيا بين صيغة الماضى وصيغة الحاضر، الأمر الذى يشعر معه القارئ بأن الحدث يجرى أمامه بل يحفره على الأشتراك فيه - وإن لم يكن المجال متاحا - فى المقامة "السجستانية"^(٣٩) يشد الانتباه رجل على فرسه مختق بنفسه، له صوت فى كل عرق منه معنى، يردد كلامه بكل ثقة بالنفس ويسخر من كل من لا يعرفه ويستمر فى وصف نفسه إلى أن يفاجئنا بما يؤكد تحول الزمن من الماضى إلى الحاضر فى المقامة.. فمدخل هذه المقامة السجستانية تقليدى تماما على

النحو المؤلف في سائر المقامات. "حدثنا ... قال ... " فبعد سلسلة من الأفعال الماضية التي تؤكد الطابع الحكائي السردى نجد في مواجهتنا "إذا" الفجائية التي تضعنا في قلب مشهد حي وكأننا بعد الاستماع إلى الراوية قد أزيح أمامنا السائر عن مشهد تمثيلي، ويتأكد هذا الطابع مرة أخرى باستخدام ضمير شديد الحضور والإلحاح عليه إلحاحا بينا هو "أنا" التي تكررت ست مرات بصيغتها، ومرة واحدة استخدمت كتي " هذا فضلا عن أفعال الأمر التي تجسد المشاهدة، إذ لا يصدر الأمر عن حاضر ولا يوجه إلا لمن يفترض فيه سماعه.

وفي نهاية خطبته يتحول بسامعيه إلى صيغة المضارعة تأكيدا لهذا الجانب الذي يعنى حيوية المشهد وتكامل ركنيه من قائل ومستمع.

وفي المقامة "الأسدية" يلجأ إلى تصرف آخر ليغير في الزمن والصيغة فهي تبدأ على النحو التقليدي بصيغة الماضي، ولكن الراوية عيسى بن هشام لا يلبث أن يستخدم صيغة المستقبل يعبر من خلالها عن تشوقه لحدوث فعل في الزمن الآتي ويكون من حظنا أن يتحقق هذا الأمل ويلتقى الراوية والبطل فيكون من المفهوم ضمنا أننا نواكب تطور هذا الحدث في الزمان.

تصدر صيغة "حدثنا ... قال ... " مطلع المقامة "الأسدية" ويلى ذلك مجموعة من الأفعال التي تؤكد الطابع الحكائي السردى، نجد بعدها أداة "حتى" التي لها معنى "مكاني" والتي تهيئ المستقبل في حالة استخدامها في معنى الزمان ويعقبها فعل مضارع أيضا مما يتأكد به تحولها إلى صيغة المستقبل^(٤٠). وتنتهي الأمنية المعلقة بقاء مصادفة في مدينة "حمص" وكان الإسكندري كميده متكررا يستعين على حيلته بطقلين يرفق بهما قلب الجمهور، وعلى الرغم من أن هذا المشهد مروى بصيغة الماضي - وهذا غفلة ما كان يصح أن يقع الهمذاني فيها بسهولة - فإن

مفردات المشهد لها حضورها وبخاصة حين يلقي الإسكندري ثلاثة أبيات من الشعر تشير إلى الطفلين، مما يؤكد الحضور الجماعي في المشهد. وفي هذه المقامة "الأسدية" ذاتها نستخلص مايمكن أن يعتبر استخداما خاصا للهمذاني للفعل الماضى بحيث يوه من خلاله الإحساس بالحضور وتكامل المشهد بتعبيرات سريعة خاطفة أننا نعيش المشهد ذاته، ولسنا نسمع رواية منقولة عنه، ففى مشهد هجوم الأسد على القافلة العابرة تتتابع الأوصاف فى جمل قصيرة متدفقة كأنها "حصوات" تتلقى تباعا فى ماء ساكن فترسم دوائرها المستمرة وكأنها دائرة واحدة. ففى وصفه لهجمة الأسد على رجال القافلة تكفى العبارات بهذه الصيغ المعتضبة المتدفقة يقول : فخانته أرض تدمه حتى سقط ليداه وفعه، وتجاوز الأمد مصرعه إلى من كان معه ". ونكاد نطمئن إلى هذا المسلك اللغوى فى صياغة الجملة يتكرر عند الهمذاني كلما أراد أن يصف منظرا حيا يقوم على الحركة أو تودى الحركة فيه دورا فعلا ، مثلا فى نفس المقامة يصف لحظة انقلاب قاطع الطريق على سيده وإظهار هويته بهذه العبارات: "تقلت ويحك ماتصنع؟ قال: اسكت بالكع، والله ليشدن كل منكم يد رقيقه، أو لأغصنه بريقه، فلم ندر مانصنع وأفراسنا مربوطة، وسروجنا محطوطة". إن طول الجملة يتفق والفعل المتضمن فيها أو المطلوب إحدائه. ونجد سندا فيما نراه فى وصفه لحادث قتل قاطع الطريق، إن هذا لابد أن يتم فى خفة ومباغثة وهكذا يوحى إيقاع الجمل، يقول: "ثم تنا إلى لينزع الخف، ومننت يدي إلى مكين كان معى فى الخف وهو فى شغله، فأثبتته فى بطنه وأهنته من منته، فما زاد على فم فغره وألقمه حجره"⁽⁴¹⁾ ولقد بلغ الحوار أعلى درجات تداخله بالسرد ومن ثم الانتقال به من صيغة الماضى إلى مشهد الحضور نجده فى المقامة "البدائية" التى توشك أن تكون حوارا مستمرا إذا تغاضينا عن طريقة التقديم الضرورية وجملتين عقب بهما على

الحادثة، أما جسد المقامة فقد نهض على حوار مستمر بين المحتال والطامع (الراويّة - والصوادي) زكماً ذكرنا سابقاً في المقامة "السجستانية" فإن صيغة الماضي تنصدر ثم تظهر إذا الفجائية وكأنما يزاح الستار عن مشهد متوقع مهد له السرد، وعلى النحو الذي شاهدناه أيضاً في المقامة "السجستانية" فيما بعد إذ يقوم في جوهره على الحوار الذي يؤكد طابع الحضور حتى وإن كان بصيغة الماضي.

المكان :

في تعرضنا لعنصر المكان في مقامات بديع الزمان الهمداني نذكر أربع

ملاحظات:

الأولى: أن الاهتمام بالمكان من خصائص الفن القصصي بصفة خاصة سواء في القديم أو في الحديث. وفي العصر الحديث كان الاهتمام بالمكان في سبيل تأكيد إمكانية التجربة وواقعية المضمون، بحيث لا يتصور حدوث الممكن في غير زمان ومكان معينين. أعتبر النص على الزمان والمكان بمثابة دليل إقناع على واقعية الحدث والشخصيات والمضمون بصفة عامة. أما في القصص القديمة فإن الاهتمام بالمكان يفرض نفسه بغريزة القص لدى القاص ولكنه يكتفى بالإشارة المجملية كقوله يقول: كنا في أرض كذا أو بلاد كذا فيحدد للموقع دون الموضع.

الثانية: أن المكان في الأدب العربي القديم كان دائما يتمتع بذاتية خاصة تتبع من إحساس المتكلم به ولعلنا نذكر بيتي المطلع في معقبة امرئ القيس وماتضمنا من أسماء الأماكن مما استدعى تهكم الباقلائي منهما ومن الشاعر (٤٢) والبقلائي لم يضع في اعتباره العلاقة الخاصة التي تربط الشاعر بتلك الأماكن ومايدل عليه التردد والإطالة من الشغف وشدة القلق.

الثالثة: تكرر فيما سبقت الإشارة إليه من احتمال أن ترتيب مقامات الهمداني كما جاءت إلينا عبر المخطوط والمحقق ليس هو الترتيب النهائي أو الذي صدر عن المؤلف وهذا مترتب بالضرورة على إقرار من مؤرخي حياته وسيرته العلمية أنه كتب في المقامات أضعاف ما انتهى إلينا منها.

الرابعة: أننا سنستخدم المكان في هذه الفقرة على مستويين "المكان العام" أي المنطقة أو المدينة التي يجري فيها الحدث في داخل المقامة ويحدث غالباً أن تحمل المقامة اسمها عنواناً مثل المقامة "البلخية" نسبة إلى مدينة بلخ والمقامة "السجستانية" نسبة إلى مدينة سجستان ... إلخ.

أما المستوى الثاني فنقصد به "المكان الخاص" الذي ارتبط به حدث المقامة ذاته، كأن يذكر أنها جرت بين جبلين أو في غابة أو داخل مسجد أو على قارعة الطريق.

ثم نعود إلى تأمل ما بين أيدينا من مقامات ورتبها حسب النسخة المنشورة فنجد أننا إزاء إحدى وخمسين مقامة حملت كل منها عنواناً هو اسم شخصية أو مكان أو صفة غالبية وبصفة عامة سنجد أن أسماء الأماكن - المناطق والمدن - تأخذ المكان الأول في اهتمام الهمداني بدرجة تعري بأن نتبع هذه الأماكن علنا نصل من هذا التتبع إلى تصور أو اكتشاف فكرة عن علاقة من نوع خاص أو مميز بين الكاتب وهذه المواقع التي أثرها، مع هذا فإننا لا نرغب في أن نحمل ما لم يكن يقصد إليه من ذكر هذه الأماكن.

والآن ننقضي المقامات وعناوينها لنكشف مدى أهمية المكان فيها. فمن بين إحدى وخمسين مقامة سنجد إحدى وعشرين مقامة تحمل أسماء أماكن ونقسمها مبدئياً إلى:

أسماء مدن، وأسماء مناطق، فمن أسماء المدن: بلخ، الكوفة، أصفهان، بغداد، البصرة، بخارى، الموصل، شيراز، حلوان، نيسابور.

أما المقامات التي حملت أسماء مناطق فهي: سجستان، أنريجان، جرجان، الأهواز، قزوين، العراق، أرمينية. وبعض هذه الأماكن توجد مدن بأسمائها أيضاً

مثل: بخارى، وسجستان، وحلوان، وشيراز. وهناك أماكن مثل المارستان (المقامة المارستانية).

وتجاوز عناوين المقامات إلى مداخلة فنجد النص على المكان فى مقدمة هذه المداخل ولابأس من أن نجد إشارة إلى أماكن ومدن سبقت الإشارة إليها أو جاءت بعد ذلك فى عناوين أخرى، فالبصرة مثلا هى المكان المناسب لأربع مقامات أخرى غير المقامة البصرية فقد جرت فيها المقامة "المضيرية" والمقامة "الوعظية" والمقامة "المخزلية" والمقامة "الخلفية" أما بغداد فليما عدا المقامة "البغدادية" جرت فيها المقامة "الأزائية" والمقامة "المجاعية" والمقامة "الدينارية" والمقامة "القرية". وكذلك تجرى المقامة "الغيلانية" فى جرجان وتشاركها المقامة "القرية" وإن كان ينص على أنها فى جرجان الأصبى، وتجرى المقامة "المكفوية" فى بعض بلاد الأهواز فهى تشارك الأهواز فى بينها، وتنفذ بلاد الشام بخمس مقامات. فقد جرت المقامة "السامانية" فى دمشق والمقامة "الشعرية" فى بلاد الشام بصفة عامة، وجرت المقامة "الحمداية" بمجلس سيف الدولة أى بحلب، وجرت المقامة "الأسدية" فى مدينة حمص، والمقامة "التميمية" التى تجرى أيضا فى بلاد الشام.

وهكذا يفرض "المكان" نفسه على سائر المقامات تقريبا فالمقامة "القرية" تبدأ بعبارة "كنت ببعض بلاد فزرة"، و"الإبيلية" تجرى فى واد أخضر، و"الملوكية" تحدث أثناء منصرفه من اليمن، و"الصفورية" عند القول من الحج، ويمكن أن نقول إن استقرارها لهذا الجانب انتهى إلى أن سبع مقامات فقط من بين إحدى وخمسين مقامة هى التى خلت من نكر مكان واقعى حقيقى يمكن العثور عليه وتحديده على خريطة العالم الإسلامى. وهذه المقامات هى تحديدا: "النهيدية" و"الناجمية" و"العلمية" و"الوصية" و"الخميرية" و"المطلبية" و"البشرية" فلدينا إحدى

وعشرون مقامة تحمل أسماء مناطق أو مدن، وهي نسبة عالية لاشك. وإذا نتأمل موقع همدان مدينة المؤلف بين المناطق التي ورد ذكرها في مقاماته سنجد أنها تقريبا مركز دائرة تكون محيطها من سمرقند وبلخ في الشمال الشرقي من همدان، وسجستان في الشرق، والأهواز في الغرب، وأذربيجان في الشمال، ولن تخرج بقية المدن والمناطق التي ذكرها عن محيط هذه الدائرة، ثم نتأمل تتابع الأماكن والمناطق على الترتيب الذي وردت به المقامة التي بين أيدينا فلا نجدها تخضع لاعتبار معين من التدرج أو الانتشار أو التحرك في اتجاه، أو التراجع عن اتجاه غيره. فبلخ هي أولى المدن ذكرا ثم تليها منطقة سجستان وفي المقامة التالية تكون في الكوفة لنعود إلى أذربيجان فخرجان وأصفهان وهكذا يغيب أي منطق في ترتيب هذه المدن والمناطق مما يعني أن الهمداني لم يرد أكثر من الطرافة والإعراب وذكر بلاد بعيدة عن إدراك القارئ العام ومشاهدته، يرغب في أن يقرأ عنها ويتعرف عليها. والحقيقة أن الهمداني لم يقرب صورة هذه المدن إلى القارئ ولم يعرف بها ولم يهتم بأن تكون الحادثة الجارية على أرضها مما يتوافق وطباع أهلها أو ينتسب بالضرورة إلى أخلاقها أو تاريخها. إنه لم يرهق نفسه بطلب شئ من هذا ويعنى ذلك كله أن مطلبه قد انحصر في الطرافة وإثارة الرغبة في المعرفة ولكنه بصفة عامة تحرك في حدود المناطق التي له بها علم وإن لم يستخدم علمه بها لتأكيد واقعية التجربة أو واقعية التصوير، إنها مجرد أسماء لأماكن كان يمكن أن تختلف دون أن يلحق بالمقامة أي ضرر أو يصيبها أي نقص، فيما نرجح.

لقد نشأ الهمداني في "همدان" كما تدل النسبة، وهي إحدى مدن فارس الشمالية، وكما يقول الذين ترجموا له: فقد قدم جرجان وذهب إلى نيسابور وزار

خوارزم وخراسان وسجستان، ولم تبق بلدة من بلاد هذين المصرين إلا دخلها. ثم استوطن هراة وهى إلى الشرق من همدان وفيها كانت نهايته.

وخلاصة هذا كله أن الأماكن أو المدن أو المناطق التى ذكرها الهمذانى فى مقاماته لم تتجاوز حدود خبرته الشخصية المباشرة وإن لم يحسن الإفادة من هذه الخبرة كما أشرنا من قبل، إذ لم يصف هذه المدن أو الأماكن أو المناطق كما لم يترث فى اختيار الحيل والأحداث والمفاجآت التى تجرى فى كل منطقة بحيث تناسب طبيعة هذه المنطقة أو طبائع أهلها^(٤٣). وليس من شك فى أنه لو كان لعل لقدم إلينا شكلا فريدا من الأدب القصصى النثرى لم يسبق إليه ولم يفكر فيه أديب قبله. وهناك أماكن أخرى ومناطق لم يذكر المترجمون له أنه دخلها أو عاش بها مثل الموصل وبغداد والبصرة والكوفة، لكن هذه المدن كانت فى صميم التراث اللغوى والفقهى والأدبى الذى تكونت منه عقلية الهمذانى وصقلت به شخصيته الأدبية. ومن هنا جرت على قلمه دون أن يشعر بأنه يردد أسماء ليست له بها خبرة ثم نتوقف عند المكان بالمعنى الخاص الذى يقصد منه أن يرسم "أرض الحدث" وهذا الجانب مهم جدا فى الأعمال القصصية لأنه يتجاوز أن يكون مجردشارة رمزية أو إشارة عامة إلى كونه عنصرا من عناصر الإقناع بالحدث لى ذاته، فحين تكون الحادثة سرقة مثلا فإن هذا يستدعى أن يوصف المكان وصفا تمهيديا يمد القارئ ويهيئ خياله لتقبل مفاجأة هجوم العنسر أو اللصوص، أما إن كانت الحادثة على نحو مااستشهد لى المقامة: الخمرية حيث يسهر النذمان لاحتساء الخمر فإن وصف المكان يتطلب ألفاظا وصورا تتناسب وأجواء اللهو والترفيه. فإلى أى مدى كان الهمذانى يراعى جانب التلاوم والتكامل بين المكان والشخصيات والحادثة المنتقاه ليقيم عليها حكاية المقامة؟.

لم يكن الهمداني يقصد قصدا إلى تحريك شخصياته تبعاً للمكان - كما تبين لنا من رصد العوالم والمواضع التي ترند ذكرها في مقاماته وإنها على تعددها وحرصه على ذكرها لم يلتزم بتكوين المقامة الشامل التحاماً بنائها - كما أنه لم يضع في اعتباره أن يجعل المكان مناسباً للحدث وحقائقه إلى جانب ماأراده الهمداني من إحداث الإغراب والظرافة. ولاعنى بذلك أن الهمداني لم يناسب مطلقاً بين المكان والشخصية والحدث وإنما فعل ذلك بوضوح يبدو في مجموعة من المقامات قد نحصرها في تسع مقامات هي: الأندية والجاحظية والبخارية والقزوينية والحلوانية والإبيلية والصيمرية والخمرية.

يتوافق وجود الراوية أحياناً في مكان ما مع حلول موسم من المواسم مثل وجوده ببغداد و«الت الأزاد»^(٤٤) أو حين نهوض تجارة البزير إلى بلخ^(٤٥) أو عندما يحدو به أرب إلى سجستان^(٤٦)... إلخ.

وهو في كل ذلك لايقصد إلى ربط هذه الأماكن بالأشخاص أو بالأحداث الجارية، وإنما يتفق جريان الحدث مصادفة، يستشعرها القارئ من خلال لراعه للقصة أو المقامة.. لأن الكاتب يركز على الحدث نفسه دون أن يكون للمكان أي ارتباط به من حيث الشخصيات أو حركة الأعمال، ويكون ذلك مصادفة، وعند حلوله في هذا المكان (المنطقة أو المدينة) ... وهي مصادفة كصد إليها الهمداني قصداً ليبنى أساس الحدث عليها، وماعدا ذلك يكون مجرد استكمال للقصة أو للمشهد الحادث.. ونرى في بعض مقدمات المقامات نوعاً من التوازن بين انطلاق الراوية نحو وجهة معينة (المنطقة أو المدينة) وبين حركة الأعمال المؤدية إلى تحقيق هذا الأمر من جهة وبين الحادثة وما تتضمنه من عنصرى التشويق والمفاجأة من جهة أخرى. ويمكننا ملاحظة هذا الأمر في معظم المقامات وبالتحديد في مقدماتها.

ويظهر أثر المكان وعلاقته بالشخصيات والأحداث في المقامات التمتع التي
عندنا سابقاً، ويتبلور ذلك في ثلاث مستويات أو محاور هي:

أولاً: وصف المكان وصفاً جمالياً لذاته دون علاقة له بالحدث أو الشخصيات.

ثانياً: وصف المكان مرتبطاً بالشخصيات من حيث وجهة نظرها والحالة التي
تكون عليها.

ثالثاً: وصف المكان مرتبطاً بالحدث وبحالة الشخصيات.

ولابد لنا أن نفرق بين المكان بالمعنى العام وهو الحيز أو المساحة
الجغرافية، والمكان بالمعنى الخاص وهو الموضع التي تحل فيه الشخصية وينطلق
منه الحدث. فالمكان العام هو الذي يخدم جميع الأغراض كوصف الطبيعة في
المقامة الإبليسية^(٤٧) والمكان الخاص هو الذي يكون مهياً للحدث "كالحمام" في
المقامة الحلوانية^(٤٨)، أو دار التاجر البخيل (البغدادي) في المقامة "المضيرية"^(٤٩)
أو حانة الخمر في المقامة "الخمرية"^(٥٠) وقد يلتقى العام والخاص أو الموقع
والموضع في آن واحد كما في المقامة "الأسدية"^(٥١). وفي بعض المقامات يلج
الهمداني من المكان العام إلى المكان الخاص الذي يجري فيه الحدث. وسيكون
حديثنا في البداية عن المستوى الثالث لأهميته، ثم ننقل إلى المستوى الأول فالثاني.
وعندما نتبع هذه المقامات وعلاقة المكان بالشخصية والحدث فيها فإن أول
ما يواجهنا هو المقامة "الأسدية" التي يعمد فيها الهمداني إلى إبراز حدثين قد لا يجد
القارئ لأول وهلة أي علاقة لهما بالمكان الذي ينوي الراوية الاتجاه إليه (حمص)،
وقد لا يجد أي أهمية لهذين الحدثين العارضين فيهما. ولكن الهمداني في هذه المقامة
يقصد إلى إبراز المعاناة والصعوبة التي يواجهها راويته (عيسى بن هشام) ليصل
إلى هدفه ويحاول الملاصقة بين المكان ومجرى الأحداث فيها، يقول عيسى بن

هشام: انتقلت لى حاجة بجمص فشحننت إليها الحرص. فى صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاس لظهور الخيل. وأخذنا الطريق ننتهب مسافته. ونستأصل شافته. ولم نزل نفرى أسنمة النجاد بتلك الجياد. حتى صرن كالعصى. ورجعن كالتقى^(٥٢).

فبهذه العبارات نستطيع أن نتصور وعورة الطريق ومشقته بين موطنه حمص التى يقصدها مستخدما الألفاظ المناسبة لذلك: شحنت الحرص... ننتهب مسافته... نستأصل شافته... نفرى أسنمة النجاد... فأطريق طويل وشاق ووعر. ولكنهم لايعلمون الفرصة للاستراحة عندما يتاح لهم واد فى سفح جبل ذى الآء وأتل، كالعذارى يسرحن الضفائر وينشرن الغدائر، ولا بد أن نلاحظ علاقة الضدية بين الوصفين وليس بين المكائين فحصب، فالمشقة فى جانب والزاحة فى الجانب الأخر ويوصف مكان الراحة كما يتبدى للمتعب الذى عانى المشاق. ثم تميل بهم الهاجرة إلى ذلك المكان فينزلون ويغورون ويغورون. وبعد هذا الهدوء النسبى وهذا المكان الظليل... تحت المفاجأة... اضطراب الخيل، وتقطيعها للحبال، وتوجهها نحو الجبال، فالأسد قائم بعزم صارم وإقدام لايردع. وهدوء المكان وراحته وسكونه تمهيد للحدث الأتى بعده، فهو أشبه بالسكون الذى يسبق العاصفة. فقد هجم الأسد فى وقت كانت فيه الرفقة تحط فى سبات عميق - من أثر وعناء السفر - فى مكان ظليل بفعل الآء والأكل المشبع بالعذارى اللاتى يسرحن شعورهن وينشرن غدائرن فى دعة وهدوء... فيشير هجومه الإضطراب والخوف ويتحول الهدوء إلى صراع وثورة، ولعل الهمدانى يقصد من جنب آخر إلى أن شجر الآء بالذات له منظر جميل ومخير لبيع. فهو حسن الخضرة ولكنه مر الطعم كالعقم. وهنا يرمز الهمدانى إلى أن ماخفى على الرفقة أشد خطورة مما ما جذبهم إلى هذه الشجيرات ليستظلوا بظلمتها... وبعد انتهاء الحدث ينتقل الراوية إلى استكمال حكايته بقوله: وعدنا إلى

الفلاة وهبطنا أرضها وسرنا ... إلخ. فكأنه بهذه الكلمات يعبر عن استعادته ورفقته
رباطة جأشهم وهذوء نفوسهم نسبياً بعد ما حدث لهم "قعدنا إلى الفلاة" ليس معناها
أنهم كانوا بمكان غيرها وإنما هم واجهوا الحدث فأخرجهم من حالتهم الأولى إلى
حالة المواجهة وصد الاعتداء من قبل الأسد ويعودتهم إلى الفلاة عود إلى مألوف
الفعل "السير باتجاه الهدف" وبعد مضي وقت لم يحدده الراوية، لكنه يبدو طويلاً
بعض الشيء - كما تشير الألفاظ في الحكاية - يحدث لهم ما يثير دهشتهم واستغرابهم
وإعجابهم في البداية ثم يوقعهم في مشكلة جديدة أو هجوم جديد (قاطع طريق) فينال
منهم الخوف والجهد والإعياء إلى أن تخلصهم حيلة الراوية^(٥٣) من هذا المأزق.
ولا يزال تأثير المكان الأول مرابطاً بالحادثة الثانية فالرقعة مازالت في الفلاة الواسعة
مترامية الأطراف (لم نملك الذهاب والرجوع) كثيرة الأخطار والأهوال. وفي
المقامة "المضيرية" نموذج آخر من نماذج علاقة المكان بالحدث وبالشخصيات
عندما يبدأ عيسى بن هشام من "البصرة" حيث يجمعه بأبي الفتح الإسكندري دعوة
إلى مضيرة عند بعض التجار تذكره بدعوة مماثلة لكنها كانت السبب في بغضه
للمضيرة وكل ما يمت إليها بصلة. وفي هذه المقامة يفضى المكان العام إلى المكان
الخاص عندما يلتقى أبو الفتح الإسكندري بالتاجر البغدادي الذي يدعوه بالحاح إلى
طعام الغداء "المضيرة" في دارة في إحدى محال بغداد فيستجيب الإسكندري لهذه
الدعوة ويبدأ التاجر بالكلام والحديث من بداية الطريق إلى الدار وحتى يبلغ الجهد
بأبي الفتح الإسكندري نهايته ويحدث له ما يحدث في نهاية المقامة^(٥٤). والمكان
الخاص هنا ينقسم إلى تسمين: فمن العام "وسط المدينة" (بغداد) إلى المحلة التي تقع
داره في وسطها إلى الأكثر خصوصية وهو "الدار" التي يقيم فيها التاجر البغدادي
البخيل. ويلجأ التاجر إلى وصف هذه الدار بكل دقة وتفصيل، ولا يغفل عن صغيرة

ولاكبرية إلا وتقع من نعمة موقع المهم والضرورى والمتميز، فيطنب فى وصفه وشرحه من الناقذة (الطاقة) إلى الباب، ثم حلقة الباب، كل ذلك وهو لايزال خارج "الدار" ولم يدخلها بعد. وعندما قرع الباب ودخل شرع فى مخاطبة الدار بإعجاب وتيه: الجدران والمعارج والبنيان والأساس والمداخل والمخارج ثم يبدأ بطرح أسئلته على ضيفه "كيف حصلتأها، وكم حيلة احتأتها حتى عقدتها؟ وهو يتوقع أن الإسكندرى لن يستطيع الإجابة، ولكنه أراد فقط أن يشغله عن جوعة، ويطيل معه الوقت لينسيه ملأاء من أجله "المضيرة".

ووصف المكان فى هذه المقامة غاية فى ذاته، فهذه الأوصاف الامتطرائية على جمالها ووظيفتها الفنية تبدو غاية فى ذاتها إذا كنا ننظر إليها من زاوية المحتوى أو المضمون إذ كان قليلها يكفى للتملص من دعوة الإسكندرى للغذاء، مع كل مرأبناه من إلأاح لناجر عليه لقبول دعوته: "دعأى بعض التجار إلى مضيرة وأنا ببغداد ولزمنى ملازمة الغريم والكلب لأصحاب الرقيم إلى أن أجبته إليها"^(٥٥).

ونعنى بهذا أن وصف الأماكن المتعددة داخل الدار هذا الوصف الجمالى البديع التفصلى المسرف فى التفاصيل الذى يسبغ الأهمية على كل جزئية مهما كانت ضآلتها أو هوان شأنها قد لا يكون مقصودا لإضاعة الوقت والبلوغ بالضيف الجائع إلى حالة اليأس من الحصول على حاجته ولكننا نشعر أن هذا الوصف الجمالى البديع كأما لقد به الهمذانى أن يستعرض قدرته الفائقة على الاستطراء وتجميل الأشياء العادية وإكسابها حياة خاصة بها وكأنه سمسار ذكى تعود اللعب بمواطن المثشرقين وبإبراز جوانب الجمال فىما يعرض عليهم وتغطية الجوانب القبيحة التى لا بد أنه يراها أكثر مما يرونها، ولكنه يملك القدرة على تضليلهم عنها.

ألسنا نجده يقارب حقيقة المطلوب حين يصف الخوان والبطست وألة الطعام وصفا
بديعا مغريا فون أن ترد كلمة "الطعام" ذاتها على لسانه.

وهذا ضرب من المهارة الخاصة والدقة في انتقاء المشهد وتسايط الضوء

على مفرداته غير المطلوبة والتعتم على الجوانب المطلوبة.

وليس المكان وحده في هذه المقامة الذي يعد غاية لخلص البخيل مما
يكره، وإنما كل ما تطرق إليه من وصف للزوجة وطريقتها في طهي الطعام ما ترتديه
من ملابس، وحبهما لبعضهما وصلة القرابة بينهما، ووصف المحلة التي تقع بها
الدار ثم وصف الدار وكل وما يتصل بها، وكيف احتال لشرائها ثم وصف حاله في
التجارة وحذقه لربها^(٥٦). ثم تطرق إلى وصف الحصير الذي يجلسون عليه والغلام
الذي يخدمهم والبطست والإبريق والماء والمنديل ثم وصف الخوان وهو وصف يقع
في نهاية المطاف من الوصف عندما يتوقف فجأة عند وصف الكنيف وبشيد بنظافته
وراحته وكيف بنى ومم رمم؟ فنجد انه يستخدم وصفا غير مناسب يخرج به من
اللباقة والذلافة إلى الجلافة ومجافاة اللياقة ومن ثم يصل بضيقه إلى قمة الضيق
والياس، إنه يقول: "يتمنى الضيف أن يأكل فيه". فيستثيط الإسكندري غضبا ويقول
"كل أنت من هذا الجراب... لم يكن الكنيف في الحساب". والتاجر هنا أراد أن يؤكد
على ضيق الإسكندري بإطنابه في الوصف ودلته فيه... عندما جعل وصف الكنيف
في النهاية، ليتخلص من الضيف الذي شعر باشمزاز شديد إضافة لطول الصبر
على الجوع وتحمل حديث التاجر الممل، الذي لم يحصل منه في النهاية على
شيء، وإنما استهزى به من قبل الصبية فضربهم وانتهرهم وأصاب أحدهم بحجر
فضربوه ضربا مبرحا كثت "المضيرة" هي السبب فيه. ويوصف المكان في المقامة
"المضيرة" تظهر العلاقة بينه وبين الحدث (الدعوة إلى الطعام) وبين شخصية

البخيل من جهة وشخصية المحتال (الإسكندري) الذي يبدو في هذه المقامة لاحول له ولا قوة في مواجهة هذا البخيل الثرثار، الذي جعل في وصف الدار حجة للتخلص من غرم ثقيل عزم على الخلاص منه.

وفي هذا المستوى أيضا نقلنا الهمداني إلى حانة خمر في المقامة "الخميرية" واصفا المكان (الحانة) والقائمين عليه، والقادمين إليه (عيسى بن هشام ورفقته) ومطربه (أبا الفتح الإسكندري). والحانة هنا مكان خاص محدد تصده الرفقة (عيسو ابن هشام ومن معه) بعد جلسة سكر طويلة شربوا فيها كل ما لديهم من خمر فعزموا على استكمال شربهم في هذه الحانة وفي طريقهم إليها دعا داعي الفجر فأجابوه وهو سكارى فلاحق بهم من الضيم ماساءهم^(٥٧) عندما عرفهم الإمام فحرض عليهم الناس الذين انهالوا عليهم ضربا وتكيفا إلى جانب ما هم عليه من السكر. وظلت فكرة ذهابهم إلى الحانة تلح عليهم، فما إن انتهى النهار حتى تطلعوا بشوق إلى ربات الحانات وكانها النجوم في الليل الدامس. وحالتهم النفسية (الاستهتار لزاما) هي التي قادتهم إلى هذه الحانة لما راوه من نخامة أبوابها التي تدل على أنها من أكبر الحانات وأشهرها. ويتناسب ذلك مع ما عندهم من مال (الدينار إماما).

ومن وصف المكان يلج إلى وصف القائمين عليه ربة الحانة الجميلة الغزلة التي تمزح باللهجر بالوصل والبخل بالبذل^(٥٨). فهي من الدافوع التي تجعل الرواد يتمسكون بالبقاء وطلب المزيد من الخمر - إلى جانب ما أشعرتهم به من حسن ضيافة واستقبال وبشر وترحاب، فهذا المكان لا يطيب إلا بهذه الحركات. والمكان هنا متعلق بالحدث وبحالة الشخصية.

وعلى المستوى الأول يبدو المكان بشكله الطبيعي الجميل الذي لاعلاقة له بالحدث أو بالشخصيات فالهمداني هنا أراد وصف المكان وصفا جماليا لذاته فأورده

في بداية المقامة "القروينية" قانلا على لسان عيسى بن هشام: "تمالت الهاجرة بنا إلى ظل اثلاث في حجرتها عين كلسان الشمعة، أصفى من الذمعة، تسيع في الرضراض، سيع التضناض". لقد صور جمال المكان تصويرا تتخلله الحركة التي تضفى عليه الحيوية والطبيعية، فالعين ينبع منها الماء كفتيل الشمعة صائبا غير كدر يتدفق من الأرض الممتلئة بالحصى، كحية تسعى لاستنقر في مكانها. حركة هائلة وحذرة ورتيبة تدل على هدوء المكان وصلاحيته للقبولة والاستراحة. أما الحدث الآتى بعد ذلك فهو صوت جبار ليبح أنكر من صوت الحمار، وأضعف من رجع الحوار، يشغفه طبل كانه خارج من ماضى أسد، هو صوت المتسول (أبى الفتح الإسكندرى).

وفي المقامة الإبليسية" يصف الهمذاني على لسان عيسى بن هشام المكان الذى التقى به مع الشيخ المنتحل للشعر وصفا لاعلاقة له بالحدث أو بالشخصية، وإنما هو وصف جمالى لذاته أراد به التعبير عن إحساسه بجمال المكان ورومانسيته، يقول: "تحللت بواد أخضر فإذا أنهار مصدره، وأشجار ياسفة، وأنمار يابعة، وأزهار منورة وانماط مبسوطه". وهذا النوع من الوصف يشعر برويا نائم أكثر من إشعاره بمكان على أرض الواقع. ولعل ظهور إبليس فى هذه المقامة لم يكن يستدعى هذا الوصف الذى لا يصلح تمهيدا لظهور هذه الشخصية الغريبة الملهبة للخيال المثيرة للتوقعات غير الممكنة وإذا جاز لنا أن نستخدم اصطلاحات النقد الحديث فإن هذا الوصف الخيالى (الرومانسى) لم يكن النغمة المناسبة لظهور إبليس ولعل الوصف (السريالى) المهوش المغرب فى تفاصيله وتناقضاته كان هو الأنسب لإعداد مسرح الحدث لظهور الشخصية الغريبة. بل إن طريقته فى الإنعاش

بوصف السراج في تلك الفقرات التي تبدأ بقوله: "لئلى على حوت مصرور. فى بعض البحور. مخطف الخصور. بلدغ كألزنبور. ويعتم بالنور" ... إلخ.

هذا الوصف الذى يبدو للوهلة الأولى مستخفا غير ممكن (إلا على سبيل الإنجاز) كان يناسبه أن يكون وصف المكان الذى جلس فيه الشيخ جاريا على نفس النسق، فإن هذا كان يؤكد الطابع الغرائبى للمقامة ويحافظ على وحدة النسيج الفنئ فيها، ومن ثم يكون الجو العام "إبليسيا" فى كافة مفرداته وتفصيله من البداية إلى النهاية.

وعلى المستوى الثانى بطالعنا وصف المكان مرتبطا بالشخصية من حيث الحالة التى تكون عليها والمقامة "الجلوانية" تمثل ذلك خير تمثيل، وإن كان المكان لم يهيا كما طلبه الراوية (عيسى بن هشام) الذى كان عاتدا لتوه من الحج فأراد أن يزيل القل من رأسه، والوسخ من جسده، فطلب حماما نظيفا وواسعا، معتدل الماء طيب الهواء ليحقق لنفسه الراحة التى ينشدها. ومجرد وصفه للمكان يدعونا إلى الإحساس بحالته النفسية التى تطلبت هذا المستوى من الحمامات. فالوصف متخيل يصدر عن حالة نفسية تستولى على تلك الشخصية. وسيكون المتحقق صورة تناقض المطلوب، ولكن هذا التناقض لن يكون هو الذى اثبتق عنه الحدث، فقد تحقق لعيسى بن هشام ماطلب من شروط ولكن الحادثة الطريفة تستجد بمعزل عن هذا الوصف لأنها تتبع من سلوك الخدم فى الحمام (الحمامين).

أما فى المقامة "الجاحظية" فنراه يصف دار دعى فيها إلى وليمة، ووصفا لا يرتبط بالحدث بقدر ما هو وسيلة للولوج إليه، فنراه ينتقل من وصف الدار إلى وصف ما فيها من فرش وهينة واستعداد واضح لهذه الوليمة، ثم الخوان وما عليه من أصناف والأوان وزينات... إلخ. فكان الراوية بأخذنا عبر عين سحرية وينتقل من

مشهد إلى مشهد ليعبر بعهد ذلك إلى الموضوع الأساسى وهو الحدث الذى لايتعلق بالوصف المكائى ولايتصل به، غير أن هذا الوصف يتكرج فنيا بطريقة تأتفها الآن من حركة "الكاميرا" فى الأعمال الدرامية أو التسجيلية حيث يبدأ المشهد "بقطة" عامة من بعيد تعقبها "لقطة" مقربة لجزء معين أو لشيء محدد ثم ندخل إلى ذلك المكان نراه من الداخل بمفرداته فى حالة تجاور وتقابل تناسب حركة العين فى المكان من زاوية الداخل إليه. إن هذا يعرف الآن بفن السيناريو كما يطلق عليه أهل الفن فى زماننا، لكن الهمدانى بفطرته الصحيحة وتعمقه فى حركة الإنسان وتطور طريقته فى إدراك الأشياء قد اهتدى إلى شيء من ذلك. وإن كانت وميلته إلى التصوير هى الكلمة وليس الكاميرا، فإذا تأملنا ترادف الصفات وتقاليلها فى مدخل هذه المقامة "الجاحظية" سنجده يبدأ بوصف الدار إجمالاً أو فى عمومها ثم يدخل بنا إلى الدار ليوجه كاميرا الكلمات إلى المجلس العام بادنا بالبساط ثم النمارق والخوان، وينتقل عن المكان إلى شاغليه فنراه فى "لقطة" مقربة وهم يتحدثون ويتحاورون ويقصفون بين ورد وذن وعود، ثم يختلط الداخل بالمقيم فى "لقطة" جماعية من بعيد نرى الجميع مقبلين على الطعام. وينفس التسلسل السابق من العام إلى الخاص إلى الأخص يتابع حالة هؤلاء الأكلين، فيتخير من بينهم لقطات مقربة فمن حالتك بإزالة ناصع، ومن كان تلقاه فائق (المكان العام) أما البشر فعنهم رجل تسافر يده على الخوان وتسفر بين الألوان... إلخ. وينبغى أن نلاحظ هنا أن هذه المقامة المسماة بالجاحظية (نسبة إلى الجاحظ) بدأيتها إشادة بهذا الأديب المتميز، وخلصتها أن الاقتداء به أو الاكتفاء به دون غيره لايصح، فلكل زمان أسلوبه كما أن لكل عصر جاحظه!! فمن طريف مايلحظ على هذه المقامة أنها اقتبست عن الجاحظ طريقته فى وصف الشخصيات وتصوير المواقف النادرة والمشاهد الطريفة،

ومن يراجع كتاب البخلاء لن تخطيء عينه أن تجد هذا المشهد ذاته لإتسان نهم يتعامل مع طعام الآخرين بضراوة لا ترحم البخيل ولا ترأف بأعصاب الرقيب^(٥٩) فكان الهمذاني عادل بين الرأيين، بل عليه انتصف للجاحظ وانتصر لأسلوبه حين جعل جوهر المقامة قائما على الطريقة الجاحظية مطبقا لمنهجه في تشكيل الحكاية وصياغة النادرة كما نجدها في كتاب البخلاء بصفة خاصة.

ومما ينبغي ملاحظته في وصف بعض الأماكن - على هذا المستوى الثاني في الوصف - نجد الهمذاني يبدأ بتقديم أوصاف موجزة للمكان، وهي في إيجازها تكفي للإحاطة بعلامحه الأساسية، ثم يستدرجنا في عبارات خاطفة إلى وصف الأشخاص الذين يشغلون المكان بحيث تبدو تلك الأوصاف وكأنها استمرار لوصف المكان ذاته، في حين أننا نكون قد دخلنا في مرحلة جديدة هي مرحلة التعريف بالظنصر البشري (النموذج الإنساني) باعتباره جوهر المقامة ومناح المعنى فيها، وبهذا التحوير يتغلب الهمذاني على احتمال الوقوع في التكرار لتقارب أوصاف الأماكن. وفي نفس الوقت يكون قد شغل فضاء المقامة بمادة حية لأنها تتعلق بالإنسان، وأكثر حيوية لأنها تتفاعل مع أفكار القارئ عن الشخصية الإنسانية ومن ثم يمهد للحدث تمهيدا تدريجيا طبيعيا. وكل ما يؤخذ على هذا المستوى من الوصف أن "المكان" ستكون صورته نابعه من إدراك الشخصية له ولكن هذا الإدراك لن يكون عاملا فعالا في صناعة الحدث أو توجيهه وهذا فرق ما بين المستوى الثاني والمستوى الثالث الذي عرضنا له في بداية الموضوع.

هذه أهم عناصر البناء الفني في المقامة: الشخصية ومستويات حضورها، وألوان صورها، والزمان وكيف حاول الهمذاني أن يتغلب على صيغة الماضي المقروضة على تقاليد القص العربي عبر الراوية، والمكان ما بين الموضع والموضع،

ومدى مناسبته للشخصية والحدث. ونرى أن نتوقف عند إحدى المقامات لنفرسها من كالة جوانبها، نتكامل لدينا المعرفة بعناصر التكوين وجماليات الأداء.

المقامة الخمرية:

ونؤثر هذه المقامة بدراسة خاصة على نحو من التفصيل لأسباب تميزها في ذاتها وفي سياقها أو علاقتها بما قبلها من مقامات، ولأنها تعضد رأينا وتبرهن على بعض ما تقدمنا في الصفحات السابقة من إشارات فنية تتصل بالشخصية وبالحدث بصفة خاصة، وأول ما يلفتنا في هذه المقامة تعدد المواقف أو لحظات التوير " التي تصلح ختاماً للمقامة وغاية للحدث فيها مما قد يعنى أننا - في الحقيقة - إزاء مقامة مركبة، وكأنها محاولة تطوير لشكل المقامة الذي عهدناه في البداية ويتضح هذا حين نتعرف على "الحكاية" في داخل المقامة إذ نصادف جماعة من أصدقاء الأوس والبهجة في ليلة نشوة ينتهى مألدهم من شراب فيقررون الارتحال إلى "الحان" آخر الليل غير أن نداء الفجر يستوقفهم فيتجهون إلى المسجد لأداء الصلاة، ويتخذون موقفهم خلف الإمام الذي يؤدي صلاته ببطء ملحوظ (على الأقل من زاوية إتراك السكارى من خلفه) وتنتهى الصلاة بأن يكون الإمام قد فطن لسكرهم بسبب رائحة الخمر المنبعثة منهم، فيشهر بهم مما يؤدي إلى أن تنهال عليهم المصلون ضرباً وصنعاً وتمزيقاً، فيغادرون المسجد بأسوأ حال. ثم تبدأ مرحلة أخرى في المقامة بأن يسأل هؤلاء السكارى بعض الصبية عن إمام القرية. فيوصف بصفات التلى الورع وتكون المفاجأة أنه أبو الفتح الإسكندرى، مما يشير استغراب الجماعة، ولكن لاغرابة في إمكان التوبة والنسك، غير أن الحكاية تمتد لتختم بلقاء مباشر - وجها لوجه - بين الجماعة وعلى رأسها رواية الحكاية عيسى بن هشام وبين الإسكندرى. فما كان الليل يقبل حتى تذهب الجماعة إلى إحدى الحانات للشرب والسماع والترفيه، وهناك تتعرف على مطرب شيخ حسن الصوت وتكون المفاجأة الختامية أنه هو نفسه أبو الفتح الإسكندرى الذي يعتك عن سلوكه هذا بما

اعتد به في سائر مقاماته من ضرورة اصطناع الحيلة للتغلب على عثرات الزمان القاسد.

ونطرح هذه المقامة من زاويتين متميزتين: الأولى ما نراه على أنها انطوت على خلاصات وعناصر الشخصيات والأحداث والحيل التي سبقت بها المقامات المتقدمة عليها في الترتيب، وكأنها الخميرة أو البذرة التي انطوت على "سر الصنعة" أو أسرار التركيب الفني، والثانية تحليل عناصر البناء الفني وكيف تحقق لها قدر من التكامل وجمال التركيب بدرجة تجعل منها عملاً فنياً عصرياً يقوم على أسس جمالية فلسفية.

وبالنسبة للقضية الأولى، وهي أنها انطوت على خلاصات وعناصر الشخصيات والأحداث والحيل الموزعة في مقامات أخرى عديدة سابقة، سنلاحظ أولاً أنها من رواية عيسى بن هشام الذي قدم جميع المقامات. وفي هذه المقامة المتأخرة يروي حدثاً عن الماضي فيخبر أنه "شاب" مما يعني أنه ليس كذلك الآن، ولهذا يلم له التوازي والتلازم الزمني مع شخص الإسكندري الذي سيظهر في نهاية المقامة في صورة شيخ يحترف الغناء، تقول مقدمة المقامة: حدثنا عيسى بن هشام قال "اتفق لي في عنفوان الشبيبة خلق مسجيج وراي صحيح كالصياغة تدل على أنه يحكى عن ماضيه وليس عن حاضره فالتقدم في العمر يتلام ومآل إليه أبو الفتح دون نص على التحديد، لكنه مفهوم من صيغة الماضي "اتفق" والإشارة إلى عنفوان الشبيبة" على أنه مما كان من صفاته.

وقد تكررت صيغة الحكاية عن الماضي في مدخل أكثر من مقامة، بل قد تكون طريقة ثابتة في سائر المقامات فهو يبدأ المقامة "الكوفية" بقوله: "كنت وأنا فتى من أشد رحلى لكل عماية وأركض طرفى إلى كل غواية". وفي المقامة "البصرية"

يقول: دخلت البصرة وأنا من منى في فناء ومن الزى في حبر ووشاء ومن الغنى في بقر وشاء^(٦٠) ولعل هذا الجانب يحتاج إلى مبحث خاص عن الزمن في مقامات بدیع الهمذاني. وإمكان إعادة ترتيب المقامات على مراحل العمر أو على الأقل من زاوية ما يرويه حاضرا وما يرويه عن ماضيه.

وإلى هذا الجانب المختص بطريقة الدخول إلى الحدث سنجد جماعة السكاري وقد اصطفوا وراء الإمام وقد استولى عليهم السكر، فأحسوا بنقل الصلاة وطولها، وهذا الجانب قد تكرر من زاوية أخرى في المقامة "الأصفهانية" وكان عيسى بن هشام على وشك الرحيل ضمن قافلته أدركته الصلاة فعاش لحظة حيرة بين فوت الجماعة وفوت القافلة، فأثر الدخول لأداء الصلاة، لكنه لتوتر حالته كان شديد الإحساس بطول الصلاة^(٦١). وقد وصف عيسى بن هشام هذا المشهد من زاوية إحساسه بطريقة دقيقة جدا في الإحياء بالملل والإحساس بالبطء والضيق بالانتظار وتوقع الخسارة من حيث أراد الأجر^(٦٢). وتكرر صورة الإمام البطيئ إلى درجة الإملال في المقامة "الموصلية"^(٦٣). لكنه هذه المرة أمام محتال لا ضير أم يكون أبا الفتح نفسه، وأن إمامته مجرد حيلة للفوز بغنيمة حتى لا يجد حرجا في أن يترك المصلين سجودا ويهرب. وإذا دل هذا على ضيق بعض الناس بالوعاظ أو أن الوعظ قد تحول إلى مهنة في ذلك العصر وكل مهنة عرضة للتحريف، فإن ما يعيننا هنا "اللازمة" المتكررة في مشهد الصلاة البطيئة وضيق بعض المصلين وملهم لدوافع داخلية خاصة بهم.

وفي هذه المقامة الخمرية يعبر عيسى بن هشام عن أبي الفتح الإسكندري حين يكشف أمره بصيغة: "إسكندرينا أبو الفتح" بكل ما تحمل العبارة من ود وإحساس بالتقرب ووحدة الطلقت مما أشرنا إليه في فقرة الوجه والتنازع، ثم يذكر

عيسى بن هشام أبا الفتح بأبيات سمعها منه قديماً، اعترف فيها بتكرره وتقلبه بين المهين ورضائه عن ملوكه، مع إضمار التوبة فيما لو طال به العمر هذه الأبيات المدعاة هي:

كان لي فيما مضى	عقل ودين واستقامه
ثم قد بعنا بحمد	الله ففها بحجامه
ولئن عشنا كقبلا	فاسأل الله السلامه

والأبيات بمعناها قد تكررت على لسان أبي الفتح مراراً، لأنها تعبر عن جوهر شخصيته، أما الإشارة إلى مهنة الحجامه وأنها كانت المهنة الأولى لأبي الفتح التي تحول عنها إلى الكنية تحت أقتعة لمهن أخرى فإننا نجد النص عليها في عدة مقامات مثل "الطوانية" التي يظهر فيها أبو الفتح ممتهنا الحجامه صراحة وليس تخفياً، ويتمتع بالطرافة وخفة الظل ونعرف من حديث الشخصية عن نفسها أنه يجمع حدة الذكاء إلى الهلوسة والتخليط^(٦٤). وفي المقامة "الأرمينية" يدعى أبو الفتح أنه حجام ليحصل على بعض الأتم بعد أن وضع إصبعه فيه فنقرز منه صاحبه بعد أن أعلن أبو الفتح إدعاءه الحجامه^(٦٥).

وتتأمل عناصر البناء الفني في هذه المقامة فتجد الهمداني قد إستخدم "الماتور" من الحبل والوسائل التي يبيت بها الشوق ويحدد من خلالها الشكل والهدف: فالمقامة مروية عن عيسى بن هشام وهو مشارك في صناعة الحدث وليس مجرد راوية له، بل نستطيع أن نلمح قدراً من التوازن في الوجود وفي التأثير وكأنها مناصفة نقيّة بين ابن هشام والإسكندري وقد دل تلخيصنا السابق للحكاية على أنها تبدأ بفعل يصنعه عيسى وقد وصل بهذا الفعل إلى غايته حين أدى به السكر والظهور في المسجد إبان صلاة الجماعة إلى عقوبته مع أصحابه وطردهم،

وإذ يكتمل هذا الحدث ويصل إلى غايته ينتقل عيسى من موضع الفاعل المؤثر إلى الراوية المراتب المتلقى لحدث يصنعه غيره، أما هذا الخبر فكان الإسكندري نفسه الذى تولى صنع الحدث التالى، ونحن نطلق عليه هذه الصفة من قبيل التوسع والتسهيل، وليس فى النصف الثانى من المقامة أحداث وإنما نيا حيلة أو شخصية متخفية تتكشف عن واقع مناقض، وبذلك تختم المقامة وتكتسب مغزاها النهائى.

أما عناصر التشويق الموزعة بين المرحلتين فإنها تدور فى الصيغ المألوفة من المفاجأة والتكرار والمخامرة والتعرض للعقوبة ... إلخ، على أن البناء هنا يتسم بصفة أساسية نجعلها فى أنه قام على نوع من الثنائية والتقابل بين الأضداد، وقد لاحظنا أن الحكاية الممتدة قد قسمت مناصفة بين الراوية والبطل، قام كل منهما بأداء دوره فى حين كان يقوم الآخر بالدور المساند. ولكن ما نقصده بالثنائية أو التوازى بين النقيضين يتجاوز هذه القسمة فى الإطار الفنى إلى توزيع الصفات وتصوير الشخصيات واستخدام اللغة. فمن ناحية تصوير الشخصيات نجد أن شخصية عيسى بن هشام توصف بصفات متقابلة متضادة تجعل منها شخصية ذات ظاهر وباطن أو كلفها مصابة بالإنقسام على نفسها^(٦٦). فهى تمارس الحياة على مستويين متباعدين وتتحرك بين فريقين من الأصدقاء متنازعين بالطبيعة. فقد كان لديه إخوان للمقة وآخرون للنفقة، أى إن لدينا فريقا للمحبة الصائبة وفريقا للأفس والقصف. ويقابل هذا سلوكا أنه كان يرتع ويلعب وأيضا يتعبد ويؤدى الفروض، وكما سبقت الإشارة فإن الواقعة قد حدثت حين خلط بين الشخصيتين المتباعتين. هذه الازدواجية بين الجد والهزل، بين نوعى الأصدقاء قد تحققت لدى أبى الفتح الإسكندري بطريقة أخرى فقد كان إمام مسجد القرية ولكننا بعد حين نجده يعمل مغنيا فى إحدى الحانات. فهذا التقابل أو التضاد بين إمام المسجد ومطرب الحانة

يوازى التضاد الآخر السابق في شخصية عيسى بن هشام بين فريقين من الأصدقاء أو سلوكين في الليل والنهار. وإذا كان عيسى بن هشام قد وقع في المأزق حين خلط أوراق الصلاح بأوراق الفساد لمن الإسكندري - ذا الأعصاب الثابتة والتمرس بالحيلة والمكابرة - لم يطرف به جنن حين كشف عيسى بن هشام حيلته وتخفيه، بل راح يدافع عن سلوكه ويفاخر باحتياله: "أى ذكاك ترانى" (٦٧). ويقول:

أنا من كل غبار أنا من كل مكان
ساعة ألزم محرا يا، وأخرى بيت حان
وكذا يفعل من يعقل في هذا الزمان

وهكذا يتخلص الإسكندري من قلق الشعور بالذنب - إن كان لديه مثل هذا الشعور - بالاعتراف به وتسويغه والنفاع عنه.

وهكذا تتوازى وتتوازن الثنائية الأخلاقية عند عيسى بن هشام بالثنائية الوظيفية عند الإسكندري لتتقم نمطا فريدا من البناء الفني في مقامات الهمداني، وقد قامت الصفات الجزئية بهذا الدور الثنائي نفسه حين عبرت عن صفات متضادة حيناً، وحين جاء الجواب مخالفاً لمطلب السؤال حيناً آخر، فنجد عدداً من الصفات المتضادة أو المتقابلة مثل:

جـ	_____	هـ
المقنة	_____	النفقة
النهار - الناس	_____	الليل - الكأس
وراء	_____	أمام
حشرج	_____	تباشر وتناشر
قتلت	_____	أحييت

فتاة كالبرق ————— عجوز الملقق
 كاللهيب ————— كبرد النسيم

فهذا ليس من قبيل اللعب اللغوي بقدر ما هو تأكيد لتلك الثنائية التي نلمحها في الصفات بعامة وفي طبائع الأشخاص.

وحين يذهب عيسى بن هشام إلى الحان ويسأل عن مطرب النادى تخبره فتاة الحان عن وجود مطرب شيخ ظريف الطبع طريف المجون^(٦٨). ثم تروى عن بدء علاقتها بهذا المطرب الشيخ وكيف تعرفت به فتذكر من صفاته ما لا ينفد من صناعته، بل لعله أن يعاكس ويضاد المطلوب حين تصف كيف امتدت الثقة بينهما بقولها: "وذكر لى وفور عرضه وشرف ثومه فى أرضه ما عطف به ودى وحظى به عندى". فليس وفور العرض وشرف الأرومة مما يتفاخر به المطربون أو يدخل فى سر صناعتهم وتفوقهم فيها. وهذا ضرب من الثنائية طريف وديق، وكذلك تقوم الأوصاف بدورها المؤكدة لطبيعة التجربة، فليل السكرارى أخضر وموج البحر فى عيونهم مختلما، هذا الوصف ينبع من شعور المخمور أن الظلام يتحرك ويتصاعد فى طبقات كالأمواج، كما أن الوصف بالاعتلام له ظلاله الجنسية التى تدل على اضطراب الباطن وامتثاء شئ ما مجهول^(٦٩). ثم نلاحظ أخيرا كيف ربط الهمدانى أول هذه المقامة بنهايتها ربطا فنيا جيدا يعطى إحساسا بالرمز، فقد بدأت المقامة بليلة سكر وانتهت بجلسة سكر فى حضرة مطرب يتلون بكل الألوان، وقد يعنى هذا أن كل ماجرى لم يكن إلا أحداثا تجرى فى خيال سكير، وبخاصة أن الهمدانى فى طريقة دخوله إلى الحدث لم يحدد الواقع بالطريقة الصلبة التى تجعلنا نتقبل التجربة وكأنه لا محيد عنها فهذه الثنائية فى المدخل وتقسيم حياة عيسى بن هشام بين الجد والهزل والصحو والسكر، وأصدقاء المحبة، وأصدقاء الأس تجعلنا لانطمئن تماما

إلى دقته في رواية مايجرى عليه لأنه يرويه من زاوية المشاركة فيه، وهو من نعرف إدماناً، وعبثاً في تلك الليلة التي يختارها ليروى حكايتها، يذكر أنه مع رفائله تعاطوا نجوم الأنداح حتى نفذ مامعهم، فترأى لهم أن يستكملوا سكرهم بما انخروا من الدنان، فشربوا حتى أتوا عليها. فسول بهم شطط السكر إن يستكملوا متعتهم عند الخمار وكأنا لم يكنهم ماشرّبوا، وفي الطريق ثوب 'منادى الصبح' وهكذا يظهر الوجه الآخر للشخصية في موقف لا يحتمل الوجهين ولا يقبل التعامل بينهما، وهكذا دخل السكاري لاصطفوا وراء الإمام كما يزعم عيسى بن هشام أيام البررة الكرام بوقار وسكينة وحركات موزونة* ونحن نعرف أن هذا ممكن بالنسبة لمن كان في حالتهم لكن الهمداني لا يجد حرجاً في تقديم هذه الأوصاف في غير موقعها وسياقها استجلاباً للفكاهة من جانب وإيماء إلى كل ما يروونه سكير عن نفسه هو محض خيال وأوهام.

في هذه المقامة بصفة خاصة تتأكد العلاقة العضوية المباشرة بين الوجه والتناع بل تكاد المسافة تختفي بينهما، فإذا لم يكونا قد التقيا لصلح حدث واحد أو حادثة واحدة فإيهما معا يصدران عن هذه الازدواجية التي أشرنا إليها من قبل. وهذه ليست ازدواجية السلوك والأخلاق وإنما ازدواجية التكوين في صميم الشخصية. هذه رؤية نقدية للمقامة "الخمرية" التي نرى أنها تتطوى على أكمل أشكال المقامة، وأنها استجمعت أهم خصائص هذا الفن عند بدع الزمان الهمداني.

٥- نشر معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة (جامعة الدول العربية) عام ١٩٦٤م.

٦- كليوباترا ملكة بطلمية حكمت مصر في القرن الأول ق.م وانتهت حياتها بمأساة وكانت ملهمة لكثير من المسرحيات والرويات في آداب مختلفة. أما هيباتيا التي يصفها الدكتور محمد غنيمي هلال بأنها أول فيلسوفة مصرية وقد عاشت في أوائل القرن الرابع الميلادي بالإسكندرية وكتبت عنها مسرحيات ودراسات مختلفة. راجع ما كتب بشأن هاتين الشخصيتين في كتاب دراسات أدبية مقارنة، د. محمد غنيمي هلال - دار نهضة مصر - عام ١٩٨٥. أما فيما يتعلق بشخصية شهر زاد، وليس بن الملوح فلنظر ما كتب عنهما في كتاب النماذج الإنشائية في الدراسات الأدبية المقارنة، للدكتور محمد غنيمي هلال - معهد الدراسات العربية العالية (جامعة الدول العربية) ١٩٦٤ - وفيما يتعلق بشخصية ليس وموقف شعراء الفرس منها وتطويرهم لها بحيث تحول ليس من محب عفرى إلى عاشق صوفى فاستقر بها نموذجا إنشائيا، انظر لغنيمي هلال "إلى والمجنون" ترجمة لنص الشاعر الصوفى الفارسي عبد الرحمن الجاسمي الذي ولد عام ٨١٧هـ - ١٤١٤م - دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٧- محمد غنيمي هلال - النماذج الإنشائية في الدراسات الأدبية المقارنة معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية - ١٩٦٤ - ص ٧.

- ٨ - المصدر السابق ص ٨.
- ٩ - المصدر السابق - ص ٢٤. وراجع أيضا الثعالبي (أبو منصور عبد الملك النيسابوري) يتيمة الدهر ج ٣ - ص ٣٢١، ٣٢٢ - القاهرة - ١٢٥٣هـ، ١٩٤٣م. وليست شخصية أبي دلف الأولى بين الشعراء الذين دافعوا عن منهجهم في الحياة القائم على التمول والحيلة ومخادعة الناس، فقد كتب ابن المعتز في دراسته عن طبقات الشعراء المحدثين فصولا عن النوكي والحمقى من الشعراء، انظر ابن المعتز - ص ٢٤٨، ص ٣٨٢، ٣٤٠ وما بعدها - وهو مسبوق أيضا بإشارات من الجاحظ إلى شعراء من نفس الصفة، انظر البيان والتبيين - ج ٢ - ص ٣٤٤، ٣٦٤ - ج ٤ ص ١٠١، ١٠٢ - فأبو دلف كشخصية أو نمط سلوكي مسبوق بأشباه كثيرين ولكن الأهم أن هذه الشخصية كانت معاصرة لفنان مبدع لم يضيع فرصته في استخدام النموذج وتطويره وبهذا تحول من شخصية واقعية محددة إلى نموذج إنساني عام يجسد محنة الضائعين في عصور الأزمات عبر التاريخ.
- ١٠ - النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة - ص ٢٨.
- ١١ - المصدر السابق ص ٢٦.
- ١٢ - المصدر السابق ص ٢٧.

١٣ - ا.م فورستر - انظر كتاب E.M. Forster, Aspects of Novel P. 45, 55 & P 82,83 وفى هذه الصفحات يعرض للشخصية الجاهزة والشخصية النامية وعلاقتها بالحبكة وإمتداد الشخصية فى الزمن.

١٤ - ألكن روب جرييه "تحو رواية جديدة" تراجمات فى الآداب الأجنبية - ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى وتقديم الدكتور لويس عوض - دار المعارف - ص ١١. ويشير الدكتور لويس عوض فى مقدمته لترجمة كتاب "جرييه" ملخصا خصائص مدرسة الرواية الجديدة وهو يعتبر أحد دعائمها بأنها ثورة على المدرسة النفسية فى القصة وثورة على المدرسة التقليدية أيضا، ويقول بعبارة أكثر تحديدا "وربما كان المقياس هنا (فى الرواية الجديدة) ليس فعل الإنسان فى الشئ وإنما انفعاله به... وأتباع مدرسة الرواية الجديدة يحطمون الزمان أيضا كمقياس لمنغزى الحياة ويحلون المكان محل الزمان لأن وجود الأشياء فى المكان أوضح وأرسخ من وجودها فى الزمان.

١٥ - شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني - تح/محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - المقامة الحمداية ٢٩ - ص ٢٠٧.

١٦ - المقامة المجاعية ٢٥ - ص ١٦٢.

- ١٧ - المقامة الطلوانية ٢٢ - ص ٢٣٦، ٢٣٧.
- ١٨ - المقامة الحرزية ٢٣ - ص ١٤٦.
- ١٩ - المقامة الجرجانية ٩ - ص ٥٦.
- ٢٠ - المقامة البلخية ٣ - ص ٢١.
- ٢١ - المقامة الشيرازية ٣٢ - ص ٢٧، ٢٢٨.
- ٢٢ - المقامة الخلفية ٣٨ - ص ٢٩٨.
- ٢٣ - الجاحظ - البيان والتبيين - نج/ عبد السلام هارون - ص ٨٩، ٩٠ ذكر هذا منسوبا إلى سهل بن هارون ونص عبارته: "لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا، وكان أحدهما جميلا جليلا بهيا ولباسا نبيلا وذا حسب شريفا، وكان الآخر قليلا قمينا وباذ الهيئة دميمة وخامل النكر مجهولا ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقيل النميم على النيبيل الجسيم. وللباد الهيئة على ذي الهيئة، ويشغلهم التعجب منه على مساواة صاحبه به ولصار التعجب منه سببا للعجب به ولصار الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه لأن النفوس كانت أحقر ومن بيانه أيأس ومن حسده

أبعد فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبونه وظهر منه خلاف ماقدروه
تضاعف حسن كلامه في صنورهم وكبر في عيونهم لأن الشيء من غير
معناه أغرب وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم وكلما كان أبعد في
الوهم كان أطرف وكلما كان أطرف كان أعجب. وكلما كان أعجب كان
أبدع". والجاحظ في هذا الاقتباس الذي نقله عن سهل بن هارون يضع أمام
أعيننا إحدى وسائل التأثير الدرامي بصفة عامة من حيث تقوم الدراما على
التناقض والكوميديا بصفة خاصة التي من أهم وسائلها مفاجأة المشاهد
بعكس ما يتوكله من الشخصية كلاما وسلوكا.

٢٤ - هو الأديب الروائي جمال الغيطاني (الصحفي بدار أخبار اليوم بالقاهرة)
صاحب رواية الزيني بركات المشهورة وما بعدها من أعمال مثل وقائع
حارة الزعفراني، رسالة في الصباية والوجد - البصائر في المصائر - شطح
العدينة وغيرها. ويندل أسلوبه في الزيني بركات بخاصة، وتسميته رواياته
العشيرة، على اهتمام بالجانب التراثي. ولعله من هذا المنطلق عني
بإخراج مقامات بدیع الزمان الهمداني - انظر طبعة مؤسسة أخبار اليوم
١٩٨٨ - وقدم لها بما تضمنه الرأي الذي نعرضه الآن.

٢٥ - انظر مقامات أبي الفضل بدیع الزمان الهمداني وشرحها للعلاقة الفاضل
الشيخ محمد عبده - تقديم جمال الغيطاني - طبعة مؤسسة أخبار اليوم -
المقدمة ص ز - ١٩٨٨.

٢٦ - انظر - عبد المحسن طه بدر تطور الرواية العربية الحديثة في مصر
١٩٨٢:١٨٧٠ دار المعارف - الطبعة الثالثة - مكتبة الدراسات الأدبية -
١٩٧٦.

٢٧ - المرجع السابق - وبعض مما أشار إليه جمال الغيطاني مفاد من نقادة
الخاصة فقد درس في المدارس الصناعية وتخصص في نقش السجاد وقد
انعكس هذا الإدراك الجمالي للنقشات المتصلة المنفصلة على تشكيل
رواياته وبخاصة روايته الأولى "الزيني بركات".

٢٨ - نقصد بالرواية هنا ما ترجمت إليه كلمة "Novel" التي تعني: السرد النثري
المعتد الذي يصف سلسلة من الأحداث تتجه إلى تصوير المجتمع بعناصره
الخارجية والاهتمام بالشخصية الإنعاشية بحركاتها الخارجية وعالمها
الداخلي في آن واحد، وهذا هو القدر المشترك في تعريف الرواية التي
تنقسم إلى فنون ومستويات كالرواية الخيالية والرواية التاريخية ورواية
المغامرات وهذا يباعد بيننا وبين ما أردناه بهذه الإشارة إلى مصطلح
الرواية التي تعتبر النزعة الواقعية والقضية الاجتماعية والشخصية
الإنسانية أهم ركائزه - انظر تعريف Novel في معجم مصطلحات الأدب
للدكتور مجدى وهبه.

٢٩ - أسطورة الصندوق - انظر ما كتبه الدكتور لويس عوض في كتابه "مصوص
النقد الأدبي" - اليونان - دار المعارف ١٩٦٥ - في ترجمته لأنكلاطون

وفيها يحدد خصائص للسفته وفكره النقدي الذي يقوم على أن الأشكال منفصلة تماما من الأثبياء وتمييزة عنها" - أما أسطورة الصندوق فهي تجسيد لهذه الفكرة حيث يتخيل أن الحقائق المطلقة أو ماهية الأشياء توجد في داخل صندوق فيه ثقب وعبر هذا الثقب تتعكس ظلال الأشياء في داخله على حائط امامنا، لما تتركه الأبصار والحواس عموما هو صورة الأشياء فقط، الصور المتغيرة أو العرضية، أما الماهية أو الحقيقة فتترك بالفكر. - انظر ص ٢٢٧، ٢٢٨ - من المرجع المشار إليه.

٣٠ - نعرف ان من أساليب التقديم القصصي، أن تكتب القصة بضمير المتكلم فيكون راويتها هو بطلها المشارك في أحداثها ولكن القصة تكتب أيضا بضمير الغائب وتقدم الأشخاص بأسمائها ونحن نتقبل هذه الطريقة في التعرف على الشخصيات والأحداث دون أن نسال الكاتب (المولف) كيف عرفت هذا كله وأين أنت منه؟

٣١ - مقامات بديع الزمان الهمداني - المقامة السجستانية ٤ - ٢٦، ٢٧.

٣٢ - مقامات بديع الزمان الهمداني - المقامة السجستانية ٤ - ص ٢٠.

٣٣ - رسالة مخطوطة - الصخرية في أدب الجاحظ - ص ٣٥ وما بعدها.

٣٤ - المقامة الأصفهانية ١٠ - ص ٦٤، ٦٥.

٣٥ - راجع هذه الصيغ في المقامات، الأزانبة ص ٢٠، السجستانية ص ٢٠، الكوفية ص ٣٤، المكثوفية ص ٩٣، وقد حصرنا فيها جميع صيغ التعبير عن التعريف.

٣٦ - المقامة الأسدية ٦ - ص ٣٥.

٣٧ - وهما المقامتان الثانية عشرة، والثالثة والأربعون، وهناك مقامات أخرى يختفى فيها شخص الإسكندري أو ما يشار إليه إجمالاً أو وصفاً وقد يقوم ببطولة المقامة شخص آخر ولكن هذا غير ما نقصد من أن يكون الراوية هو نفسه البطل وهذا يتحقق في المقامتين المشار إليهما تحديداً.

٣٨ - انظر مقامة محمد محيي الدين عبد الحميد، في نسخة دار النشر العلمية - بيروت - لبنان - ١٩٧٩ - ومقامة الإمام محمد عبده - نسخة دار أخبار اليوم ١٩٨٨ - القاهرة.

٣٩ - المقامة السجستانية ٤ - ص ٢٥:٣٠.

٤٠ - إشارة إلى النحو التحويلي أساس نظرية "شومسكى" الذي رأى أن صيغة الماضى هي الأساس وأن التحول إلى المضارع أو الأمر يحتاج إلى دوافع إضافية بلاغية والدافع هنا هو كسر الإيقاع الزمنى بالخروج من صيغة

الماضى إلى المضارع، وأيضا تشخيص المشهد من حيث تدل صيغ
المضارع على الحضور.

٤١ - كذلك سلاحظ أن هذه المقامة مكونة من ثلاث نقلات (وهو أمر نادر في

بناء المقامة عند الهمذاني التي يقوم عادة على حدث واحد):

(١) اعتراض الأسد طريق القافلة والتغلب عليه.

(٢) ظهور شاب جميل الهيئة يقدم نفسه رقيقاً طواعية للراوى فيقبله، ثم

يتكشف عن قاطع طريق خطير.

(٣) بلوغ حمص والالتقاء مصادفة بالاسكندري وبذلك تحقق تطلع الراوية

لما كان يصبر إليه. وتختتم المقامة. وتختتم المقامة. وفي المشهد الوسيط

(لقاطع الطريق) لجأ الهمذاني إلى الحوار وهو حوار مشوق من حيث

يقوم على موضوع غير ممكن الحدوث ولكن لبقاة اللص والجشع

الغريزي في الإنسان (الراوية) يجعله يصنع دعاوى ومزاعم قاطع

الطريق.

٤٢ - البيتان هما:

تفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضع فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمسأل

أما تهكم البقلاني من البيتين فقد جاء في كتابه "إعجاز القرآن" إذ قال:

وقد كان يكتبه أن يذكر في التعريف بعض هذا، وهذا التطويل اذا لم يقد

كان ضربا من العي...)

البياتلقى أبو بكر محمد بن الطيب "إعجاز القرآن" - دار المعارف - الطبعة الرابعة - ص ١٦٠.

ويقول في مكان آخر: لم يقنع بذكر حد حتى حده بأربعة حدود كأنه يريد بيع المنزل، فيخشى - إن أخل بحد - أن يكون يبعه فاسداً أو شرطه باطلاً وهذا تهكم ما بعده تهكم يذكر الأماكن التي نص عليها امرؤ القيس في حين أنها تحمل دلالة خاصة متضمنة في علاقة الشاعر بهذه الأماكن.

٤٣ - تعرض الجاحظ في كتابه "البخلاء" - في بعض المواضع - إلى طبيعة البخل المتصلة في نفوس البخلاء التي لا يشك في أنها طبيعة المدينة أو البلد التي يعيشون فيها قد أشربت في نفوسهم جميعاً كباراً وصغاراً. ومثال على ذلك مدينة "مرو" بخل المراوزة "وخراسان" والخرسانية وأهل البصرة من المسجيين... كما ذكر أصحاب المهن والحرف وعرض لأصناف بخلهم وتقريرهم. الجاحظ - عمرو بن بحر - كتاب البخلاء (بخل المراوزة والخرسانيين) - ص ١٧ : ٢٨ (أهل البصرة من المسجيين) - ص ٢٩ : ٣٤. أما أصحاب المهن فمثالهم (قصة الكندي) ص ٨١ : ٩٣.

٤٤ - المقامة الآزانية ٢ - ص ١٨.

٤٥ - المقامة البلخية ٣٣ - ص ٢١.

- ٤٦ - المقامة المسجستانية ٤ - ص ٢٥.
- ٤٧ - المقامة الإبلسية ٣٥ - ص ٢٥٣.
- ٤٨ - المقامة الطوانية ٣٣ - ص ٢٢٢.
- ٤٩ - المقامة المضيرية ٢٢ - ص ١٢١.
- ٥٠ - المقامة الخمرية ٤٩ - ص ٤٦٥.
- ٥١ - المقامة الأسدية ٦ - ص ٣٥.
- ٥٢ - المقامة الأسدية ٦ - ص ٣٦.
- ٥٣ - الحيلة التي احتالها الراوية للخلاص هي : أن قاطع الطريق عندما طلب من الراوية نزع ثيابه بما فيها قال له الراوية - وهو بنوى الاحتيال للخلاص منه : هذا خف لبسته رطباً فليس يمكننى نزعها، فقال (قاطع الطريق) : على خلعها، ثم تنا إلى لينزع الخف، ومددت يدي من مته، فما زاد على تم نزعها، وألقه حجرة. المقامة الأسدية - ص ٤٤.

٥٤ - خرج الإسكندري من دار التاجر البغدادي البخيل مسرعا وجعل يعدو والتاجر يتبعه ويصيح: "يا ابا الفتح المضيرة، وظن الصبيان أن المضيرة لقب له فصاحوا صياحه، فرمى أحدهم بحجر من فرط الضجر، فلقى رجل الحجر بعمامة، فناصر في هامة. يقول الإسكندري فأخذت من النعال بما قدم وحدث. ومن الصفع بما طاب وخبث، وحشرت إلى الحبس، فأكلت عامين في ذلك النحس، فنذرت أن لاأكل مضيرة ماعشت، فهل أنا في ذا بالهمذان ظالم". المقامة المضيرية ٢٢ - ص ١٤٢ ، ١٤٣.

٥٥ - المقامة المضيرية ٢٢ - ص ١٢٣.

٥٦ - وفي كافة الجوانب تتجلى انتهازية التاجر للبخيل ودهلوه في الإيقاع بالأغرار والاستيلاء على ممتلكاتهم بأقل الأسعار، دون وازع من خلق أو شهامة وكان الهمداني يمهّد لقارنه لن يتقبل ختام المقامة، حيث نكتشف أن التاجر لم يفكر مطلقا في الوفاء بما وعد من تكديم الطعام، فلعل هذه المقامة تعبر عن المستوى الأعلى في بناء الشخصية بصفة خاصة، ولعل هذا ما أغرى كاتبها مسرحيا معاصرا هو الأستاذ الفريد فرج أن يعيد تشكيلها في مسرحية من فصل واحد في مجموعة (رسائل قاضي أشبيلية) وهي إحدى هذه الرسائل.

٥٧ - وفي فقرة تالية سنتوقف عند هذه المقامة الخمرية لنكتشف عن الجوانب الجيدة في بنائها وبخاصة فيما يتصل بالعلاقة الشخصية بالمكان والحدث.

المقامة الخمرية ص ٢٤ من البحث.

٥٨ - لاحظ ثنائية الوصف للشخصية وما بين هذه الثنائيات من تناقص فإتنا سنوقف عند هذه الخاصية التي نعتبرها جوهر التركيب الفني لتلك المقامة.

٥٩ - راجع وصف الجاحظ لصورة البخيل عند لقاء الطعام. في كتاب البخلاء ص ٧٩، ٦٩.

٦٠ - نوضح هنا أننا لم نرد من القول بأن عيسى بن هشام يحكى عن فترة زمنية مضت أنه استخدم صيغة الفعل الماضى (كنت) ، (بخلت) ، (تلق لى) لأن استخدامه للماضى شائع فى جميع المقامات بدرجة تكاد تجرده من معنى الزمان، وكانه مجرد طريقة لى الصرد الحكائى اما مانعنه من أنه يتحدث عن مرحلة من العصر سابقة فمستخلص من قرائن السياق مثل إشارته إلى "عفوان الشيبية"، كنت لى سنى لى فتاه"، وكنت وأنا فى العن^٢.

٦١ - المقامة الأصفهانية ١٠ - ص ٦١.

٦٢ - انظر عبارته تفصيلا فى المقامة الأصفهانية ص ٦٢.

- ٦٣ - المقامة الموصلية ٢١ - ص ١١٩ .
- ٦٤ - من وصفه لهذا الحجام قوله "جأضى برجل لطيف البنية، مليح الحيلة، فى صورة النمية".
- ٦٥ - المقامة الأرمينية ٣٦ ص ٢٨٣ .
- ٦٦ - لا تريد من هذه الإشارة ما يقصده علم النفس التحليلى بمرض "الشيزوفرينيا" أو انفصام، حيث يعيش الشخص حياتين منفصلتين وكأنه شخصيتان لا يعلم أحدهما بما يفعل الآخر. إن مانعنيه هنا أن عيسى بن هشام يعيش لمطين من الحياة متباعدين جدا أو متالضين لكنه على وعى تمام بما يفعل ويترك هذا الانقسام ويرتب حياته عليه. وحين حدث الخلط بين القسمين بأن ذهب إلى الصلاة سكران فكانت الواقعة.
- ٦٧ - كما يقول شارح المقامات "الدكاك" اصله الهدام وأراد منه المحتال لأنه بحيلته يهدم كل بناء ترفع الأمانة صرحه وتطى الثقة نراه.
- ٦٨ - المقامة الخمرية ٤٩ - ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

٦٩ - "الغلمه" تجاوز الحد فى الشهوة، وقد جاء فى لسان العرب منسوباً لحديث
تميم والجسامة: "قصادفنا البحر حين اغتلم، أى هاج واضطربت أمواجه،
والاغتلام مجاوزة الحد".

حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز

دكتور

احمد محمود صابون

أستاذ مساعد تاريخ قديم

كلية تربية دمنهور _ جامعة الاسكندرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُجِئ بعض الباحثين الى إدّعاء صلة اليهود بالعرب في الحجاز ، بصفة عامة ، ويشرب (المدينة المنورة) ، بصفة خاصة ، إلى عصور موغلة في القدم (١) . غير أن يهود شبه الجزيرة العربية لم يذكروا ألبا مذكوبا يتحدث عن ماضيهم فيها ، وكل ما عثر عليه من ذلك نصوص معدودة وجدت في اليمن ، لا تفصح عن شيء ذى بال عن اليهود واليهودية ، ناهيك عن وجودهم بالحجاز . كذلك لم يذكر أحد من المؤلفين وكتبه بنى إسرائيل شيئا من يهود عصر ما قبل الإسلام في بلاد الحجاز . ومن ثم فليس هناك من تاريخ اليهود في شبه الجزيرة العربية بعامة وبلاد الحجاز بخاصة ، إلا ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وكتب التفسير والأخبار والسير ، فمادتنا عن تاريخ اليهود في موضوع هذا البحث لا ترتقى الى عهد بعيد عن الإسلام (٢) .

تختلف المصادر العربية في الرقت الذى وصل اليهود فيه الى بلاد الحجاز ، الى درجة يصعب علينا التوفيق بينها .

تذهب بعض الآراء الى أن لتاريخ دخول اليهود يشرب حدث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حيث تتناول بعض الروايات (٣) صلة اليهود يشرب لرجعها الى عوامل دينية وسياسية . فمن العوامل الدينية ما أسنده ززين عن أبى المنذر الشرفى قال : سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبيد الله بن حنظلة العميل ، قال : وسمعت أيضا بعض ذلك من رجل من قريش عن أبى عبيدة بن عبد الله بن عمار بن باسار ، قال : فجمعت حديثهما لكثرة اتفاعة وقلة اختلاله ، قال : بلغنا أنه لما حج موسى (٤) ، عليه السلام ، حج معه أناس من بنى إسرائيل ، فلما كان في انصرالمهم أتوا على المدينة ، فرأوا موضعها صفة بلد نبي يمدون وصله في السوراة بأنه خاتم النبيين ، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بنى قينقاع ، ثم نزلت بعض قبائل العرب عليهم ، فكانوا معهم واتخذوا الأموال والآطام والمنازل ،

يتحصنون فيها من عدوهم الى قلوب الأوس والخزرج إياها على إثر حادث سيل العرم(٥)، ومن هؤلاء (يتو أنيف) ، وهم حي من (بلى) ، ويقال إنهم بقية من العماليق (٦) ، و (بنو مرید) مزید (مرند) ، حي من (بلى) ، وبنو معاوية بن الحارث بن ثبته بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وبنو الخلمي (الجمعاء) حي من اليمن ، فعاشوا مع من كان يشرب وأطرافها من اليهود .

يرى بعض الباحثين أن هذه الرواية تدل على أن اليهود سكتوا يشرب في عهد موسى عليه السلام ، إلا أنها لا تذكر معارك دارت بين اليهود والعماليق قبل دخول يشرب(٧) .

أما رواية السهودي أسد فيها : ابن زبالة وابن شبة عن جابر مرفوعا: أقبل موسى وهارون ، عليهما السلام ، حاجين لمرأ يشرب ، لخالها من يهود ، فخرجا مستخفين ، فترلا أحدا ، فغشي هارون الموت ، فقام موسى فحقر له لحدا ، ثم قال: يا أحي إنك تموت ، فقام هارون فدخل في لحده ، فقبض عليه موسى الرباب(٨) .
بينما تشير التوراة (٩) إلى أن هارون مات بعد الارتحال من آبار بني يعقان في موسى على جبل هور(١٠) ، على تخوم أرض آدوم .

يتساءل الأستاذ الدكتور محمد يومي مهران (١١) ، كيف يخاف موسى وهارون عليهما السلام ، من اليهود ، أما كان الأولى أن يقول أصحاب هذه الرواية أن النبيين الكريمين قد خافا من العماليق ، خاصة وأن أصحاب الرواية نفسها يرون أن الذين كانوا يشرب من يهود من بني قينقاع ، وهم من شيعة موسى وهارون عليهما السلام، وفي الوقت نفسه كان العماليق _ طبقا للرواية نفسها - يملأون السهل والجبل، ولهم بنو هف وبنو مطر وبنو الأزرق . ثم كيف علم موسى أن هارون سوف يموت ، وعلم ذلك عند ربي وحده ، ثم كيف يأمر موسى أخاه هارون بدخول القبر قبل أن يموت ، وأخيرا لأن قبر هارون حددته التوراة هناك على جبل هور في أرض التيه . ثم ألمت هذه الرواية هي رواية التوراة (١٢) ؛ وإن غُيّر بعض الاخباريين فيها ، بأن جعلوا موت هارون على جبل احد في يشرب ، بدلا من موته على جبل هور في أرض التيه ، وجعلت رواية التوراة ذلك بوحي من الله لموسى عليه

السلام ، لم انخرقت عن جادة الصواب بعد ذلك فجعلت الموت إنما كان سببه العصيان (١٣) .

أما عن العامل السياسي ، فإن بعض الروايات (١٤) تذكر استئصال أمر العماليق الذين انتشروا في الحجاز ، وملكهم اذ ذاك رجل منهم اسمه [الأرلم] ، وأنهم قد عتوا عتوا كبيرا . فلما أظهر الله موسى عليه السلام وطىء الشام وأهلك من بها ، _ يعني من الكنعانيين _ وتعددت إغارات العماليق على بني اسرائيل في الشام مما جعلهم يضجون بالشكوى إلى موسى عليه السلام ، لقليل انه بعث اليهم بعثا فأهلك من كان بها منهم ، ثم بعث بعثا آخر إلى عماليق الحجاز وأمرهم إن ظفروا بهم أن لا يستبقوا أحدا منهم بلغ الحلم ، فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن ملكهم الارلم بن أبي الارلم (١٥) ، فظنوا به على انقتل لوضاءته ، وقالوا : نستحيه حتى نقدم به على موسى عليه السلام ، فبى فيه رأيه ، فأقبلوا وهو معهم ، فقبض الله موسى عليه السلام قبل قدومهم ، فلما قربوا وسمع بنو اسرائيل بذلك تلقوهم وسألوهم عن أخبارهم ، فأخبروهم بما فتح الله عليهم ، فقالوا : فما هذا الفتى الذى معكم : فأخبروهم بقصته ، فقالوا : إن هذه معصية منكم لخالفتكم أمر نبيكم ، والله لا دخلتم علينا بلادنا أبداً ، فجالوا بينهم وبين الشام ، فقال ذلك الجيش : ما بلد اذ منحتم بلدكم خير لكم من البلد الذى لخصموه وقتلتم أهلها فارجعوا إليه ، وكانت الحجاز اذ ذاك أكثر بلاد الله شجراً وأظهرها ماء .

ويعلق السهوى بن اليهودى لد نزلوا يثرب في زمن موسى ، عليه السلام ، وظالت مدتهم بها في حياته ، حتى وقع منهم ما يقتضى خولته منهم عند مروره (١٦) . أما السهلي فيعقب مستعداً أن يكون بنو اسرائيل قد دخلوا يثرب والحجاز في عهد موسى ، عليه السلام (١٧) .

يرى بعض الباحثين أن السهلي عندما استبعد دخول بني اسرائيل الحجاز في زمن موسى ، عليه السلام ، لم يعتمد على دليل يقنع ، واكتفى بعد العهد لقط ، وذلك لا يكفي في تأييد الدعوى (١٨) أو رفضها . ويضيف أنه لم يرد في التوراة أن أول من قابل بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر قبيلة العماليق ، والذي يفهم من

هذا أن هذه المعارك الطاحنة ، التي دارت بين العماليق والاسرائيليين لدمية ، وأنها كانت في عهد موسى ، عليه السلام ، فقد كان خروجهم من مصر على يد موسى عليه السلام ، وأما كان العمالق موجودين في هذا التاريخ ، وإذا كانوا قد دخلوا في معارك مريرة مع بني اسرائيل ، لما الذي يمنع أن يشكوا بنوا اسرائيل من فعل العمالق ؟ وما الذي يمنع أن يكون موسى عليه السلام ، أراد تأديبهم وكفهم عن قومه ، فأرسل اليهم هذا الجيش ليحاربهم ويكفهم ؟ ويؤكد أنه لا مانع إذن أن يكون اخراج العماليق من يثرب حدث في عهد موسى ، عليه السلام ، وأن يكون الاسرائيليون قد استوطنوا يثرب من ذلك الحين (١٩) .

وعلى أية حال ، فإن هذه الرواية توجه اليها سهام الرب من أكثر من جانب ، وليس بالوسع القول بأنها ترمى الى ما فوق مظان الشبهات ، هذا اذا لم يكن هي نفسها شيعة ، وذلك لأسباب كثيرة : (٢٠) منها (أولاً) أن هذا الرأي الذي ذهب الي أن موسى عليه السلام ، قد رطى الشام وأهلك الكنعانيين ، لا أقول يعارض مع الحقائق التاريخية لعرب ، وإنما يعارض كذلك مع آيات القرآن الكريم _ فعلا عن نصوص التوراة _ ولقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة المائدة ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كُتِبَ لَكُمْ وَلَا تَوَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ٠ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِن لَّيْنَا قَوْمًا جَارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ٠ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْلَفُونَ أَفَمَن أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ٠ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَاقْتُلَا إِنَّا هَا هُنَا فَاعْتَدُونَ ٠ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، قَالَ لِأَنهَآ عَمْرُة عَلَيْهِمُ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَأَسْ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢١﴾ ٠

يقرر البعض (٢٢) ان حضارة العلم خمس عشرة سنة ، فاذا ابتدأت أمة لتعلم فلانها تحيي ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة . وأما حضارة الاخلاق فمدتها أربعون سنة ؛

فاذا اخذت الامة تستمك بالاخلاق لئنها لا تجنى الثمرة إلا بعد أربعين سنة ، لذلك أراد الله تعالى أن يبقى بني اسرائيل في البرية أربعين سنة ، حتى يفسى الجيل الذى نشأ في الذل والاستعباد ونشأ جيل ألف الحربية ولم تذله العبودية . وهكذا حال بني اسرائيل ، لأن الجيل الذى ولد في الذل وكبر حتى مرث عليه هلك في البرية ، وجاء الجيل الذى كان صغيراً أيام عبوديتهم في مصر ، والذي نشأ أو ولد في البرية في الحربية والعزلة ، لهم يبال بأولئك الناس ودخل عليهم بلادهم مع يوشع بن نون فملكها .

يذكر الطبرى (٢٣) حدثني المتى قال : حدثنا مسلم بن ابراهيم ، عن هارون النحوى، من الزبير بن الحرث ، عن عكرمة في قوله تعالى ﴿لأنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ ، قال التحريم التيه . ويقرر ذلك بعض العلماء حيث يرون أن "التيه" هو الذى حُدد بأربعين سنة ، وليس "التحريم" ، فالتحريم مطلق أبدي ، ومن أجل هذا يوقف في القراءة ﴿أربعون سنة يتيهون في الأرض﴾ عند قوله تعالى : ﴿لأنها محرمة عليهم﴾ ، ويتدا بقوله تعالى : لأنها حرمت عليهم تحريماً أبدياً لا تحريماً مقيداً بأربعين سنة ، وذلك أن الرجال الصالحين للحرب ، الذين عصوا أمر موسى ، عليه السلام ، ماتوا في البرية أثناء السنين الأربعين ، ولم يدخل أحد منهم أرض الموعد ، حيث فاتوا (اذهب أنت وربك فقاتلا) ، فكانت محرمة عليهم بإطلاق (٢٤) . ويتفق هذا النص القرآني ، مع نصوص التوراة (٢٥) ، ومن ثم يرى بعض العلماء أن جميع بني اسرائيل الذين خرجوا من مصر ، سوف يموتون في البرية ، ولن يروا أرض الميعاد أبداً ، ما عدا يوشع بن نون وكالب بن يفتاح (٢٦) ، وفي الاصحاح السادس والعشرين من سفر العدد ، أمر ربنا ياحصاء بني اسرائيل من ابن العشرين فما فوق من الذكور ، فبلغوا كما يقول الاصحاح ٦١٧٧٣ ، حيث ماتوا في البرية حسب وعيد الرب . ولكن يبدو واضحاً مدى المبالغة في الرقم ، وهي ظاهرة لدى توراة يهود (٢٧) .

يروى ابن كثير أن هناك خلافاً بين علماء السلف في دخول موسى ، عليه السلام، أرض كنعان (فلسطين) ، فذهب فريق ، على رأسهم ابن اسحاق ، إلى أن

موسى ، عليه السلام ، هو الذى خرج بيني اسرائيل من اليه ودخل بهم الارض المقدسه
 وأنه كان معهم يوم فتح مدينة الجبارين (٢٨) وهذا خلاف ما عليه أهل الكتاب
 وجمهور المسلمين ، حيث هناك وجه آخر للنظر يذهب اصحابه ، وعلى رأسهم ابن
 عباس وقادة والسدى وعكرمة ، الى أن موسى وهارون ، عليهما السلام ، توفيا في
 اليه ، وكذا كل من أبى المسر الى أرض كنعان مع موسى ، عليه السلام ، حين أمرهم
 الله تعالى بقتال من فيها من الجبارين (٢٩) • وما يدل على ذلك ما رواه الامام
 البخارى في صحيحه ، حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبدالرزاق أبانا معمر عن ابن
 طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت الى موسى ، عليه السلام ،
 فلما جاءه صكه ، لرجع الى ربه عز وجل فقال : أرسلني إلى عبد لا يريد الموت ،
 قال : لرجع اليه فقل له يضع يده على من ثور ، فله بما غطت يده كل شعره سنة ،
 قال : أى رب ثم ماذا ، قال : ثم الموت ، قال فالآن ، قال : قال الله أن يديه من
 الارض المقدسة رمية حجر ، قال أبو هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 لئو كنت لم لأريتكم قبره ، الى جانب الطريق ، عند الكتيب الاحمر" (٣٠) •

ومن هذا يتضح أنه لو دخل الارض المقدسة ما سأل في طلب ذلك ، وأنه لما
 كان مع قومه باليه وحانت وفاته ، عليه السلام ، أحب أن يقرب الى الارض التي
 هاجر اليها وحث قومه عليها ولكن حال بينهم وبينها القنبر رمية بحجر (٣١) •

جاء في التوراة : "وقال الرب لموسى ، هذه هي الارض التي ألفت لابراهيم
 واسحاق ويعقوب قائلا : لنسلك أعطيها ، قد أرتك إياها بعينك ، ولكنك إلى هناك
 لا تعبر ، لمات هناك موسى عبدالرب في أرض مؤاب" (٣٢) • وهكذا ينهب بعض
 المؤرخين المحدثين إلى أن موسى أمره الله أن يصعد الى جبل "نبو" وينظر الى أرض
 الموعد دون أن يدخلها ، ففعل ومات على الفسجة ، أى الأكمة التي من رمل أحمر ،
 على بعدة ١٤ كيلا الى الشرق من نهر الاردن ، ومات ودلسن في أرض مؤاب هناك
 وخفيت معالم قبره (٣٣) •

ومنها (ثانيا) أن القرآن الكريم - والتوراة من قبل - يكذبان ارسال جيش من
 بنى اسرائيل الى الحجاز ، فالقوم الذين جئوا عن أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها

الله لهم، ووصفوا أنفسهم بأنهم "كالجراد في أعين الجبابرة من بني عناق" (٣٤)، سكان
 كنعان . هؤلاء القوم ليسوا هم بالذين يجازون صحراوات بلاد العرب حتى يصلوا الى
 يثوب ، لم يقوموا فيها بمجزرة بشرية تنتهي بالبناء بلد بأسره ، إلا ولد الازرق ملكها .
 أو ليسوا هم أنفسهم الذين حاول الكليم عليه السلام ان يعرضهم على القتال حتى
 يصدعوا بأمر الله ويدخلوا الارض التي كتبها لهم ، إلا أنهم كانوا مع كثرتهم
 "تمسهم جميعا وقلوبهم شتى " ، كانوا يملطون الحرب ويهابون القتال ، بعد أن تمكنت
 منهم المذلة والصغار ، فصاحوا بموسى - كما تروى توراتهم - " ليتنا متا في أرض
 مصر " ، أو " ليتنا متا في هذا القفر ، ولماذا أبى بنا الرب لنمقط بالسيف " (٣٥) ،
 وكما يحكى القرآن عنهم : " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون " .

ومنها (لثالثا) يظهر من لخص ما يرويه الاخباريون عن العمالة ونقده أنه
 مأخوذ من معين الامراتيات ، فقد ورد ذكر العمالة في التوراة ، وكانوا أول شعب
 صدم بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر متجهين الى لسطين (٣٦) . وظلوا
 يحاربونهم ويكيدونهم خمسائر فادحة ، وأوقعوا العرب في نفوسهم ، ولهذا ظهر
 حقلهم على العماليق . ويتجلى هذا الحقد في نصوص توراتهم ، فيما قاله النبي
 (صموئيل) لثاءول(٣٧) أول ملك ظهر في بني اسرائيل ؛ قال له باسم اسرائيل : "
 إياي أرسل الرب لمحك ملكا على شعبه اسرائيل . والآن فاسمع صوت كلام
 الرب . هكذا يقول رب الجنود : التي الخقدت ما عمل عمليق باسرائيل حين وقف له
 في الطريق عند صعوده من مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق ، وحرموا كل ماله ،
 ولا تعف عنهم ، بل اقل رجلا وامرأة ، طفلا ورضيعا ، بقرا وغنما ، جملا
 وحمارا" (٣٨) وهذا الحقد هو الذي جعلهم يخرجونهم من لائمة النسب التي تربطهم
 بالساميين (٣٩) ، ليس هذا فقط ، بل أوحوا للاخباريين بمدى لثك بني اسرائيل
 بالعماليق ، لا على أيام موسى فقط، بل على أيام داود أيضا .

لقد حسب الاخباريون أن العمالة من سكان يثرب القدامى ومن سكان أعالي
 الحجاز ، فزعموا أن تلك الحروب لث ولثت في هذه المنطقة ، وأن اليهود لث سكنوها

هذه أيام موسى عليه السلام ، وقد أخذ الاحباريون رواياتهم هذه من اليهود ، ومن دخل منهم في الاسلام (٤٠) .

إن هذه الحرب لم تكن في يثرب ، وإنما في سيناء حيث كان يقيم فريق من العماليق في منطقة منها تدعى "رفيديم" (٤١) ، وأن العماليق ظلوا يضايقون بني اسرائيل حتى أيام الملك شاعول .

ومنها (رابعاً): أن الرواية تقدم لنا موسى عليه السلام في صورة لا تتفق ومكانة الكليم، وليس من شيم الألباء أن يرملوا الجيوش لتقتل الناس جميعاً . كنت ألهم أن يدعو الكليم العماليق الى عبادة الله الواحد القهار حتى اذا رفضوا كانت الحرب وليصرن الله من يصره . أما أن يرسل النبي الكريم - فيما يزعم الرواة - جيشاً الى يثرب ليقوم فيها بحجزة بشرية مروعة تنتهي بالناء القوم جميعاً ، الا ابن الارقم ضنوا به على الموت لوضاعته ، فأمر لا يمكن أن يقبل على علاته من عامة الناس ، فضلاً على أن يكون ذلك من كليم الله عليه السلام وحتى هذه ، لما شأن موسى بالعماليق في وسط بلاد العرب ، هل غفل أصحاب هذه الرواية عن أن موسى قد أرسل الى بني اسرائيل خاصة (٤٢) ، وليس العماليق بالتأكيد من بني اسرائيل ، كما أنهم هنا في يثرب - بعيداً عن مصر وللمطين ، فضلاً عن صحراء النيه - لم يعرضوا دعوته ، وربما لم يسمعوها بها أبداً ، وحتى لو كانوا قوماً جبارين - كما تذهب الرواية - أليس موسى عليه السلام مكلفاً بالقضاء على الجبارين في الارض ؟ وإذا كان كذلك ، فلماذا القضاء على العماليق بالذات ، وليسوا هم وحدهم الجبارين في الارض ، ثم ما موقعه من العماليق في غير يثرب؟

ومنها (خامساً) أن سكنى اليهود في يثرب بعيد جداً ، خاصة اذا ما تذكرنا أن موسى عليه السلام خرج ببني اسرائيل من مصر حوالي عام ١٢١٤ ق.م في رأي (٤٣) ، وفي رأي آخر في عام ١٤٤٧ ق.م (٤٤) ، بل إن هناك من يذهب إلى أن الخروج إنما كان في حوالي عام ١٥٧٥ ق.م ، طبقاً للآراء التي تربط بين اليهود والهكسوس (٤٥) .

ان مثل هذه التفسيرات - وما روى على أيام داود عليه السلام - لا يستبعد أن يكون مصدرها يهود بلاد الحجاز أو من أسلم منهم ، لآليات أنهم في هذه المنطقة ذو تاريخ ومجد قديم ، وأنهم كانوا ذوي بأس شديد ، وأن تاريخهم في هذه البقعة يمتد الى أيام الأنبياء وابتداء اسرائيل ، وأنهم لذلك الصفوة المختارة من بني اسرائيل (٤٦) .

يذكر بعض الباحثين (٤٧) المحدثين أن اليهود في أثناء تقدمهم نحو فلسطين والشام عامة لقوا مقاومة وعنفًا شديداً ، وتعرض رجوعهم الى مصر ورعا فضلت جماعات صغيرة منهم اللجوء الى الحجاز طلباً للامان والعافية وفراراً لما هم فيه من ضنك العيش وقلة ما لديهم من التثاء والبطيخ والككرات والبصل والثوم . وقد ضجوا بشكواهم تلك الى موسى عليه السلام معبرين بذلك عن جذب سيناء . ثم ان منطقة الحجاز ومعظم اجزاء شبه الجزيرة العربية كانت في ذلك الحين من أخصب بلاد الله .

كما يذهب البعض الآخر الى أن بني اسرائيل توقفوا في صحراء سيناء في أثناء خروجهم من مصر الى فلسطين وأن موسى عليه السلام تزوج من امرأة عربية كانت تعبد إلهاً صحراوياً قامياً يدعى "ياهو" وهو الإله الذى دعى "يهوه" فيما بعد(٤٨) وفائدة تلك الرواية أنها تشير صراحة الى وجود علاقات قديمة على عهد موسى عليه السلام بين اليهود والعرب ، والذين كان من طبيعة حياتهم حينئذ التقل طلباً للمرعى سواء في صحارى شبه الجزيرة العربية وفي صحراء سيناء . ولما كانت فلسطين امتداداً طبيعياً للحجاز كان من الطبيعي اتصال سكانها بالحجاز واتصال سكان الحجاز بفلسطين وذهاب جاليات يهودية الى العربية الغربية للتجار وللإقامة هناك ولا سيما عند مواضع المياه وفي الاراضي الخصبة العامرة غير أنه لا يستطاع التحدث عن هجرة اليهود الى هذه الانحاء في تلك الفترة حديثاً علمياً معزواً بالكتابات والتواريخ (٤٩) .

وأخيراً لتساءل : اذن ما أصل هذه الروايات التي جعلت موسى عليه السلام يرسل جيشاً الى يثرب يقضى على سكانها ؟ ومن أين جاء بها الإخباريون ؟

الرأى أن مصدرها التوراة ، وأنها وصلت الى الاخباريين محرقة ، ثم المخرضا
بعد ذلك مصرين لها من قصص التوراة أحدهما قصة موسى والمديانيين ، والاخر
قصة شاتول والعماليق ترى انه المؤرخين المسلمين لم يظهروا على القصتين في التوراة ،
بل نقلوهما من مصادر غير عليمه بما جاء في التوراة ، وبما عن مسلمة أهل
الكتاب (٥٠) .

يذهب البعض (٥١) الى أن هجرة يهود الى بلاد الحجاز كانت في عهد شمعون
الذى كان قبل داود ، عليه السلام أى في نهاية القرن الحادى عشر قبل الميلاد ،
وعرلت هذه الهجرة بهجرة قبائل شمعون . ويرجع محمد السيد الوكيل (٥٢) هذا
الرأى ويذهب الى أنها كانت بعد القضاء على العماليق إبان عهد موسى عليه السلام
واحلال البلاد التى كانوا يسكنونها ، وأن هذه الهجرة هي المذكور في رواية ابن
النجار (٥٣) " وهم - أى اليهود - يمدون في التوراة أن ليا يهاجر من العرب الى بلد
فيه نخل بين حرتين ، فأقبلوا من الشام يطلبون صفة البلد ، فنزل طائفة بيضاء ،
وتوطنوا نخلا ، ومضت طائفة ، فلما رأوا خير ظنوا أنها البلدة التى هاجر اليها ، فأقام
بعضهم بها ، ومضى أكثرهم وأشرفهم ، فلما رأوا يثرب سبخة وحررة ونخلا قالوا :
هذا البلد الذى يهاجر النبي اليه فنزلوه .

ويضيف محمد السيد الوكيل ان هجرة اليهود الى بلاد الحجاز انما تدل على
اطمئنانهم عند دخولهم شبه الجزيرة العربية ، حيث كانوا يرتادون ويختارون الاماكن
التي ينزلون بها . وهذا يدل على عدم وجود معارضة لهم عند دخولهم ولم يكن لهم
ذلك الا بعد القضاء على العماليق عدوهم اللدود (٥٤) .

يروى ابن النجار أنه قد وقعت هجرة لقبائل شمعون ، وانها كانت بعد القضاء
على العماليق واحلال البلاد التى كانوا يسكنونها ، وكانت هذه الهجرة من اللطين
الى شمال الحجاز وفي نهاية القرن الحادى عشر قبل الميلاد تقريبا ، حيث يجد اليهود في
توراتهم أن ليا يهاجر من العرب الى بلد فيه نخل بين حرتين ، فأقبلوا من الشام يطلبون
صفة البلد ، فنزل طائفة بيضاء ، وتوطنوا نخلا ، ومضت طائفة ، فلما رأوا خير ظنوا
أنها البلدة التى يهاجر اليها ، فأقام بعضهم بها ، ومضى أكثرهم وأشرفهم ، فلما رأوا

يثرب سبعة وحرّة وغلا فائرا : هذا البلد الذي يكون مهاجر النبي اليه فنزلوه (٥٥) ويؤكد بعض الباحثين أن هذه الرواية التي تشير الى تلك الهجرة ، من ذكر العماليق ، إذ كانوا قد قضى عليهم على يد هذه القبائل ، وكانت آخرتهم على يد قبيلة شمعون التي قتلهم عن آخرهم ، واستولت على ديارهم . كما أنها تدل على اطمئنان بني اسرائيل عند دخولهم شبه جزيرة العرب ؛ فكانوا يرتادون ويحارون الاماكن التي ينزلن بها، وهذا يدل على عدم وجود معارضة لهم عند دخولهم ، ولم يكن لهم ذلك إلا بعد القضاء على العماليق عدوهم اللدود . كذلك لم تشير الرواية الى الضغط البابلي أو الروماني اللذين كانا سببا في الهجرةين الآتيتين - لهذا كله يرجح لديهم أن هذه الرواية خاصة بملك الهجرة (٥٦) .

وهناك اعراض على قبول هذه الرواية لاسباب (٥٧) منها (أولاً): أن سبط شمعون هذا كان أضعف الاسباط الامرائيليين حتى وفاة سليمان عليه السلام في عام ٩٢٢ ق م وانقسام الدولة بعد ذلك مباشرة الى يهوذا واسرائيل . وكعاد يجمع المؤرخون اليهود أنفسهم على أن قبيلة شمعون كانت تعيش بصفة دائمة على هامش القبائل الاسرائيلية ، وأنها لم تحتل المكانة التي تجعلها تقوم بدور مسغل في التاريخ الاسرائيلي ، فضلا على ان تقوم بهجوم ساحق على بلاد العرب . ومنها (ثانياً): أن التوراة (٥٨) نفسها تكاد تصاهر سبط شمعون دون غيره من أسباط اسرائيل ربما لضآلة شأنه ، حتى إنها لا تكاد تعرض للذكر هذا السبط الا عند دخول بني اسرائيل أرض كنعان ، وبعد طلب من يهوذا ، ثم مرة اخرى عند رحيله من جنوب يهوذا الى واحة معان في أخريات القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق م (٥٩) ، وقد دفع هذا بعض الباحثين الى ان يشكوا في أن يكون سبط شمعون هذا كان له وجود في عالم الحقيقة (٦٠) .

من المؤكد أن هذه الرواية موضوعة ، فبعد هذه الفقرة المزعومة بقليل نجد رواية

أخرى .

يذكر البعض (٦١) ما الصح به ابن زبالة كتابه عن بدء من سكن يثرب لاقلا عن شيخه من أهل يثرب قالوا : كان سكان يثرب في سالف الزمان صعل ولجاج ،

فغزاهم داود النبي عليه الصلاة والسلام ، واخذ منهم مائة ألف عسراء ، قالوا :
وسلط الله عليهم الدود في أعناقهم فهلكوا ، فقبورهم هذه التي في السهل والجبل ،
وهي التي بناحية الجرف ، وبلية امرأة منهم تعرف بزهرة ، وكانت تسكن بها ،
فاكثرت من رجل وأزادت الخروج الى بعض تلك البلاد ، فلما دنت لركب غشيها
الدود ، فقيل لها : إنا نرى دودا يمشك ، فقالت : بهذا هلك قومي ، ثم قالت : رب
جد مصون ، ومال مدفون ، بين زهرة ورائون ، وقالوا : ولها الدود .

وهنا تساؤلات للاختارين : ماذا فعل النبي الأواب بهذه المائة الف من عدوآء
يثرِب ، فضلا على السب في سببين ؟ وهل صحيح أن يثرِب كان بها في تلك الآونة
من القرن العاشر قبل الميلاد مائة ألف من العدائى؟ وهل صحيح كذلك أن الله تعالى
قد أهلك أهل يثرِب جميعا ؟ وأخيرا ماذا فعل أهل يثرِب حتى يصب داود عليهم نقمته
الى هذا الحد(٦٢) .

هناك رواية اخرى تلعب الى أن اليهود انما قسموا الى يثرِب على أيام داود عليه
السلام ، (١٠٠-٩٩٠ ق م) وهي رواية لا تعتبر أن تكون تحريفا لاحداث في التوراة
عن ثروة قام بها "أبشالوم" ضد ابيه داود عليه السلام وكانت ثروة خطيرة حتى أن
داود عليه السلام لم يجد مجواره غير حرمة الخاص ، وحتى اضطر الى أن يعبر الاردن
الى "مخايم" تحت حماية النابوت مع رجاله ، حتى لا يقابجا بأبشالوم وأتباعه في العاصنة
أورشليم(٦٣) ، بل لمجد أن ابن خلدون يذكر أن داود عليه السلام لحق بأطراف
الشام ، وليل : لحق بحير وما اليها من بلاد الحجاز ، ثم تراجع للحرب فهزم داود عليه
السلام ابنه أبشالوم ، غير أن اليقوي يذكر أن داود عليه السلام هرب من ابنه
أبشالوم ماشيا على رجله ، حتى صعد عقبة طور سيناء ، وبلغ منه الجرع حتى لحقه
رجل معه خبز وزيت ، فأكل منه ، ودخل أبشالوم مدينة آيه ، وصار الى داره واخذ
سراى آيه لوطنهن ، وقال : ملكني الله على بني اسرائيل ، وخرج معه اثنا عشر ألفا ،
فطلب داود ليقته ، فهرب داود حتى جاز نهر الاردن (٦٤) .

هكذا يبدو واضحا مدى الاضطراب في تحديد المكان الذى لحا آيه داود عليه
السلام فهو في رواية لحا الى "مخايم" في عبر الاردن ، وهو في رواية ثانية المخايم الى

يثر ب سبخة وحررة وغلا قالوا : هذا البلد الذى يكون مهاجر النسي اليه لفرلوه (٥٥) ويؤكد بعض الباحثين أن هذه الرواية التي تشير الى تلك الهجرة ، من ذكر العماليق ، إذ كانوا قد قضى عليهم على يد هذه القبائل ، وكانت آخرهم على يد قبيلة شععون التي قتلهم عن آخرهم ، واسرلت على ديارهم . كما أنها تدل على اطمئنان بني اسرائيل عند دخولهم شبه جزيرة العرب ؛ فكانوا يرتادون ويتنارون الاماكن التي ينزلن بها، وهذا يدل على عدم وجود معارضة لهم عند دخولهم ، ولم يكن لهم ذلك إلا بعد القضاء على العماليق عدوهم اللدود . كذلك لم تشير الرواية الى الضغط البابلي أو الروماني اللذين كانا سببا في الهجرة الآتيتين - لهذا كله يرجح لديهم أن هذه الرواية خاصة بتلك الهجرة (٥٦) .

وهناك اعراض على قبول هذه الرواية لاسباب (٥٧) منها (أولاً): أن سبط شععون هذا كان أضعف الاسباط الاسرائيليين حتى وفاة سليمان عليه السلام في عام ٩٢٢ ق م واتساق الدولة بعد ذلك مباشرة الى يهوذا واسرائيل . وكعاد يجمع المؤرخون اليهود أنفسهم على أن قبيلة شععون كانت تعيش بصفة دائمة على هامش القبائل الاسرائيلية ، وأنها لم تحتل المكانة التي تجعلها تقوم بدور مستقل في التاريخ الاسرائيلي ، فضلا على ان تقوم بهجوم ساحق على بلاد العرب . ومنها (ثانياً): أن التوراتي (٥٨) نفسها تكاد تصحاهل سبط شععون دون غيره من أسباط اسرائيل ربما لفضالة شأنه ، حتى إنها لا تكاد تعرض لذكر هذا السبط الا عند دخول بني اسرائيل أرض كنعان ، وبعد طلب من يهوذا ، ثم مرة اخرى عند رحيله من جنوب يهوذا الى واحة معان في أخريات القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق م (٥٩) ، وقد دفع هذا بعض الباحثين الى ان يشكوا في أن يكون سبط شععون هذا كان له وجود في عالم الحقيقة (٦٠) .

من المؤكد أن هذه الرواية موضوعة ، لبعدها هذه القوة المزعومة بقليل نجد رواية

أخرى .

يلذكر البعض (٦١) ما افصح به ابن زبالة كتابه عن بدء من سكن يثر ب ناقلا عن شيخه من أهل يثر ب قالوا : كان سكان يثر ب في سالف الزمان صعل وفاق ،

لفزعهم داود النبي عليه الصلاة والسلام ، واخذ منهم مائة ألف عنبراء ، قالوا :
وسلط الله عليهم الدود في أعتاقهم فهلكوا ، لقبورهم هذه التي في السهل والجبل ،
وهي التي بناحية الجوف ، وبقيت امرأة منهم تعرف بزهرة ، وكانت تكن بها ،
فاكثرت من رجل وأرادت الخروج الى بعض تلك البلاد ، فلما دنت لركب غشيها
الدود ، لقبيل لها : إنا نرى دودا يمشك ، فقالت : بهذا هلك قومي ، ثم قالت : رب
جسد مصون ، ومال مدلول ، بين زهرة ورائون ، وقالوا : وقلها الدود .

وهنا تساؤلات للاخباريين : ماذا فعل النبي الأواب بهذه المائة الف من عنبراء
يثر ، فضلا على السبب في سبب ؟ وهل صحيح أن يثر كان بها في تلك الآونة
من القرن العاشر قبل الميلاد مائة الف من العذارى ؟ وهل صحيح كذلك أن الله تعالى
قد أهلك أهل يثر جميعا ؟ وأخيرا ماذا فعل أهل يثر حتى يصب داود عليهم نقمته
الى هنا الحد (٦٤) .

هناك رواية أخرى تنهب الى أن اليهود انما لقموا الى يثر على أيام داود عليه
السلام ، (١٠٠-٩٦٠ ق م) وهي رواية لا تعدو أن تكون تحريفا للاحداث في التوراة
عن ثورة قام بها "أبشالوم" ضد ابيه داود عليه السلام وكانت ثورة عظيمة حتى أن
داود عليه السلام لم يجد مجواره غير حرمة الخاص ، وحسب اضطر الى أن يعبر الاردن
الى "مخيم" تحت حماية النابوت مع رجاله ، حتى لا يفتاج بأبشالوم وأتباعه في العاصمة
أورشليم (٦٣) ، بل لمجد أن ابن عمه يذكرون أن داود عليه السلام لحق بأطراف
الشام ، ولبل : لحق بحير وما اليها من بلاد الحجاز ، ثم تراجع للحرب فهزم داود عليه
السلام ابنه أبشالوم ، غير أن العقوبي يذكرون أن داود عليه السلام هرب من ابنه
أبشالوم ماشيا على رجليه ، حتى صعد عقبة طور سيناء ، وبلغ منه الجوع حتى لحقه
رجل معه خبز وزيت ، فأكل منه ، ودخل أبشالوم مدينة أبيه ، وصار الى داره واخذ
سراى أبيه لوطهن ، وقال : ملكني الله على بني اسرائيل ، وخرج معه اثنا عشر ألفا ،
فطلب داود ليقطه ، فهرب داود حتى جاز نهر الاردن (٦٦) .

هكذا يبدو واضحا مدى الاضطراب في تحديد المكان الذي لجأ اليه داود عليه
السلام فهو في رواية لجأ الى "مخيم" في عبر الاردن ، وهو في رواية ثانية انما لجأ الى

خير في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وفي رواية ثالثة صعد الى عقبة طور سيناء ، بل ان نفس الرواية سرعان ما تعكس الاتجاه وتذهب به الى الشرق ، فصير به الاردن وبلهي أن اضطراب هذه الروايات يقلل من قيمتها التاريخية ، ويجعلها مظنة للشك والريبة فضلا على الشك في القصة من أساسها ، وهذا ما لحيل اليه ونرجحه ، فان هذه الروايات جميعا لا تعدو أن تكون أسطورة (٦٧) .

ومن ناحية اخرى ، فقد أشارت النصوص الآشورية الخاصة بالملك سرجون الثاني: " في بداية حكمي ، وفي السنة الاولى منه ، حاصرت السامرة واسوليت عليها ، وقلت من أهلها ٢٩٠ و٢٧٠ مواطنا ، واسوليت على حمين عربة من السلاح الملكي ثم احللتها بـ ١٠٠٠٠ مواطنا ، مواطنين جددا من بلاد كت لد اسوليت عليها ، وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب ، كما يفعل الآشوريون " (٦٨) .

وعلى هذا ، فان مقوط السامرة انما يكون قد تم في أوائل السنة الاولى من عهد سرجون الثاني ، ولا بد أن ذلك قد حدث بعد ديسمبر عام ٧٢٢ ق.م بعدة وربما كان ذلك في عام ٧٢١ ق.م . وهما يتناقض مع رواية الملك شلمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق.م) والتي ينسب فيها مقوط السامرة الى ايامه (٧٠) ، فقد ضرب حصاراً شديداً حول السامرة ، ولكنه مات قبل أن يفتحها ، ففك الحصار ، ونجحت السامرة مؤقتا (٧١) . بل ان هناك من يذهب الى أنها قد سقطت في عام ٧١٥ ق.م (٧٢) وآخر يذهب الى أن سقوطها كان في عام ٧١١ ق.م (٧٣) .

تشير التوراة (٧٤) الى أن سرجون الثاني - في أول الامر - هجر أكثر عناصر السكان من اليهود أهمية . ربما البلاء والأغبياء - الى " حليج وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي " ، وبعد سنوات قليلة - ربما في عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق.م - وبعد فلالق سورية وفلسطين شارك فيها معظم سكان الولايات المختلفة ومن بينها دمشق والسامرة تكررت العملية بصورة اكبر ثم سرعان ما شارك سكان شمال غربي شبه الجزيرة العربية في هذه الاضطرابات بنصيب كبير او قليل ، وحين نجح الملك الآشوري في القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل - كما تقول التوراة - على أن ياتي بقوم

آخرين وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم جماعات من العرب ، حددهم النص الآشوري " بقباثل تامودي وأبلاديدي ومرسيحانو وجايايا والعرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء (٧٥) ، والذين لا يعرفون برؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد جاءوا بجزاهم لأى ملك ، ميت الأحياء منهم، ونقلهم الى السامرة (٧٦) .

يذكر الاستاذ الدكتور غيب ميخائيل ابراهيم (٧٧) أن المؤرخ اليهودي يوسف بن متى يروى أن القبائل العشر " لا تزال وراء الفرات حتى الان وهم لي أعداد بانفة الكثرة" ، وهي يالسات يسجلها عن العصر الذى عاش فيه . كما أن ازدراس يمدنا عنهم بقوله " ان هذه القبائل العشر هي التي حمل أهلا اسرى من أرضهم في زمن هوشع الملك الذى اسره شلمنصر ملك آشور ، وعبر بهم المياه وجاء بهم الى أرض جديدة وافقوا فيما بينهم أن يعدوا عن جواهر الكفتلر وأن يذهبوا الى بلاد بعيدة لا يسكنها الناس حتى يحفظوا هناك بتماثيلهم التي لم يسعهم الاحتفاظ بها في بلادهم نفسها . ودخلوا الفرات عن طريق ممرات ضيقه للنهر _ لان المرتفعات كانت تكشف عن وجودهم ان اخزقوها - وأولقوا القيضان حتى عبروا ، لان الطريق في هذه البلاد كان طويلا ، وكان يسرق عاما ونصف عام ، ويسمى هنا الاقليم " أرسارث" Arsareth ، شمال غربي البحر الاسود ، وقد سكتنا هناك حتى ذلك الوقت " (٧٨) .

ونقرأ في التوراة (٧٩) أن الملك الآشوري قد جاء كذلك يقوم من بابل وكوث (تل ابراهم على بعدة حسة عشر ميلا الى الشمال الشرقي من بابل) ، ومن عوا وحاه وسفروايم (وهما بلدتان على ضفتي الفرات ، على بعدة ستة عشر ميلا جنوب غرب بغداد، ويرى البعض أنها " أبو حبه" الحالية ويرى اخرون انها "شومورية" شرقي بحيرة حمص) (٨٠) ومن سوسة وعبلام . وربما كان الآشوريون يهتفون من وراء ذلك الى كسر التحالفات القديمة ، بإدخال أجناب في البلاد ، ربما كانوا في بعض الحالات من الآشوريين انفسهم ، والتمهيد لظروف جديدة أكثر ملاءمة للامبراطورية الآشورية للطموح، ومن الصعب ان تقدر أهمية هذا التهجير ، وان كان على الاقل قد عمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية بدرجة أكثر لفاعلية مما سبقه

خير في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وفي رواية ثالثة صعد الى عقبة طور سيناء ، بل ان نفس الرواية سرعان ما تعكس الاتجاه وتذهب به الى الشرق ، لتعبر به الاردن وينتهي أن اضطراب هذه الروايات يقلل من قيمتها التاريخية ، ويجعلها مظنة للشك والريبة لضلا على الشك في القصة من أساسها ، وهنا ما نميل اليه ونرجحه ، فان هذه الروايات جميعا لا تعلق أن تكون امطررة (٦٧) .

ومن ناحية اخرى ، فقد أشارت النصوص الآشورية الخاصة بالملك سرجون الثاني: " في بداية حكمي ، وفي السنة الاولى منه ، حاصرت السامرة واسوليت عليها ، وخلصت من أهلها ٢٩٠ و ٢٧٠ مواطنا ، واسوليت على خمسين عربة من السلاح الملكي ثم احتلتها بمكان أكثر مما كان فيها ، مواطنين جديدا من بلاد كتي قد استوليت عليها ، وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب ، كما يفعل الآشوريون " (٦٨) .

وعلى هذا ، فان سقوط السامرة إنما يكون قد تم في أوائل السنة الاولى من عهد سرجون الثاني ، ولا بد أن ذلك قد حدث بعد ديسمبر عام ٧٢٢ ق م بمدة وربما كان ذلك في عام ٧٢١ ق م . وهذا يتناقض مع رواية الملك شلمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق م) والتي ينسب فيها سقوط السامرة الى ايامه (٧٠) ، فقد ضرب حصاراً شديداً حول السامرة ، ولكنه مات قبل أن يفتحها ، لفك الحصار ، ونجحت السامرة مؤقتا (٧١) . بل ان هناك من ينسب الى أنها قد سقطت في عام ٧١٥ ق م (٧٢) وآخر ينسب الى أن سقوطها كان في عام ٧١١ ق م (٧٣) .

تشير التوراة (٧٤) الى أن سرجون الثاني - في أول الامر - هجر أكثر عناصر السكان من اليهود أهمية . ربما البلاء والأغنياء - الى " حليج وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي " ، وبعد سنوات قليلة - ربما في عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق م - وبعد قلاقل سورية وللسطين شارك فيها معظم سكان الولايات المتحالفة ومن بينها دمشق والسامرة تكررت العملية بصورة اكبر ثم سرعان ما شارك سكان شمال غربي شبه الجزيرة العربية في هذه الاضطرابات بنصيب كبير او قليل ، وحين نجح الملك الآشوري في القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل - كما تقول التوراة - على أن يأتي بقوم

آخرين وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم جماعات من العرب ، حددهم النص الآشوري " بقبائل تامودي وأباداديلدى ومرسيمانو وجاياا والعرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء (٧٥) ، والذين لا يعرفون برؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد جاءوا بجزاهم لآى ملك ، سبت الأحياء منهم، ونقلتهم الى السامرة (٧٦) .

يذكر الامتاذ الذكور نجيب ميخائيل ابراهيم (٧٧) أن المؤرخ اليهودى يوسف بن متى يروى أن اقبائل العشر " لا تزال وراء الفرات حتى الان وهم في أعداد بالغة الكثرة" ، وهي بيانات يسجلها عن العصر الذى عاش فيه . كما أن ازدراس يحدنا عنهم بقوله " ان هذه القبائل العشر هي التي حمل أهلا اسرى من أرضهم في زمن هوشع الملك الذى اسره شلمنصر ملك آشور ، وعبر بهم المياه وجاء بهم الى أرض جديدة واتفقوا فيما بينهم أن يعدلوا عن جماهير الكفار وأن يذهبوا إلى بلاد بعيدة لا يسكنها اناس حتى يحفظوا هناك بماليهم التي لم يسعهم الاحتفاظ بها في بلادهم نفسها . ودخلوا الفرات عن طريق ممرات ضيقة للنهر _ لان المرتفعات كانت تكشف عن وجودهم ان اخذوا لها - وأوقفوا الفيضان حتى عبروا ، لان الطريق في هذه البلاد كان طويلا ، وكان يستغرق عاما ونصف عام ، ويسمى هذا الاقليم " أرسارث" Arsareth ، شمال غربي البحر الاسود ، وقد سكروا هناك حتى ذلك الوقت " (٧٨) .

ونقرأ في الصورة (٧٩) أن الملك الآشورى قد جاء كذلك بقوم من بابل وكوث (تل ابراهم على بعدة خمسة عشر ميلا الى الشمال الشرقي من بابل) ، ومن عوا وحاه وسفروايم (وهما بلدتان على ضفتي الفرات ، على بعدة ستة عشر ميلا جنوب غرب بغداد، ويرى البعض أنها " أبوجه" الحالية ويرى اخرون انها "شومورية" شرقي بحيرة حمص) (٨٠) ومن سوسة وعيلام . وربما كان الآشوريون يهدفون من وراء ذلك الى كسر التحالفات القديمة ، بإدخال أجناب في البلاد ، ربما كانوا في بعض الحالات من الآشوريين انفسهم ، والتمهيد لظروف جديدة أكثر ملاءمة للامبراطورية الآشورية للطموح، ومن الصعب ان تضر أهمية هذا التهجير ، وان كان على الال قد عمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية بدوجة أكثر لاعلية مما سبقه

من اجراءات(٨١) • ويرى البعض انها كانت أول هجرة يهودية من للطين وعلى نطاق واسع (٨٢) ويقدر عددها حوالي أربعمالة ألف نسمة سکوا هربى الاردن(٨٣) •

وهكذا يبدو واضحاً انه ليست هناك أية اشارة في التوراة أو في النصوص الآشورية أو كتابات المؤرخين القدامى إلى تهجير يهود من السامرة الى يثرب أو إلى غيرها من بلاد العرب، ومن ثم فإن هناك رفضاً لفكرة اتجاه هجرة يهود الى بلاد الحجاز في القرن الثامن قبل الميلاد إثر سقوط السامرة في أيدي الآشوريين •

وهناك فريق من المؤرخين (٨٤) يرى أن هجرة اليهود الى يثرب إنما كانت بعد سقوط القدس وتدمير الهيكل في القرن السادس قبل الميلاد على يد "نبوخذ نصر" (٦٠٥-٥٦٢ ق.م) في عام ٥٨٦ ق.م (ربما في أغسطس ٥٨٧ ق.م) ، وإعادة كثير من اليهود إلى بابل وهو ما عرف في التاريخ باسم "السي البابلي" (٨٥) (٥٨٦-٥٣٩ ق.م) عندما قتل اليهود "جداليا" نائب "نبوخذ نصر" في للطين اعترم نبوخذ نصر أن يحل المشكلة اليهودية حلاً نهائياً كما يظن، فاستولى مرة اخرى على القدس وحرقتها عن آخرها ، وهدم هيكل سليمان عليه السلام وقتل أبناء صديها أمام عينيه ، ثم سجن عبيده هو نفسه وأسر جميع سكان المدينة تقريباً وساقهم أمامه الى بابل • وهنا أدرك اليهود مدى الكارثة التي حلت بهم • وخوفاً من إنتقام "نبوخذ نصر" كان الهرب إلى مصر هو سبل النجاة الوحيد أمامهم (٨٦) ويذكر Guinebert أن الامر البابلي لم يشمل اولئك البطء الذين ليست لهم حماسة دينية كالفلاحين وصغار الصناع ، فقد ترك السيد الجديد هؤلاء يعملون له اذ لم يتوقع منهم أية معارضة (٨٧) وهكذا لقراء في التوراة " فقام جميع الشعب الصلبر إلى الكبير ، وروؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر لأنهم خافوا من الكلدانيين (٨٨) • وهكذا لم يجد اليهود ملجأً يحتمون به سوى مصر التي خرجوا منها ، وجعلوا يوم خروجهم عيلاً ، بل أكبر أعيادهم، وأعني به " عيد الفصح " ، ومن الواضح من نصوص التوراة أن سكنى اليهود قد اخلت من سكانها ، فقد سى الصفوة منهم إلى بابل ، وفرت البقية منهم ، ومنهم إزها إلى مصر ، وتبعثت أسباط اسرائيل في شرق الارض وغربها (٨٩) ، ومع ذلك

لهناك بعض العلماء من نقاد التوراة - Cook - ينكر صحة قصة الاسر كما جاءت في التوراة في اسفار الملوك وحزقيال وأرميا وعزرا - ويرى انه لم يكن هناك نفي ضخم من اليهودية ، وإنما كل ما حدث أن بعضا من الاشراف قد سجنوا في بابل ، وأنه بعد صلحة الغزو البابلي عاد الأهالي من مخاباتهم الموقته إلى بيوتهم القديمة بعد أن أعيد بناؤها (٩٠) .

وكانت المرحلة الثانية من السبي تشرينا جديدا لمن سمح لهم بالبقاء بأورشليم . ويذكر بعض الاخباريين العرب ومنهم الطبري ان نبوخذ نصر (بمختص) أتى بيت المقدس فصالح ملك بني اسرائيل ، وهو رجل من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف ، فلما بلغ طبرية ولت بنو اسرائيل على ملكهم فقتلوه ، وقالوا : راهنت أهل بابل وخذلتنا واستلموا للقتال ، فكتب قائد مختصر إليه بما كان ، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يواليه ، وأن يضرب أعناق الرهائن الذين معه ، فسار مختصر حتى أتى بيت المقدس ، فأخذ المدينة عنوة ، فقتل المقاتلة ، ومسى النرية (٩١) .

وبعد شهر من الزمان تلقى القائد الكلداني الأوامر بتحطيم كل ما يستطيع تحطيمه ومسى كافة السكان ما عدا الطبقات الدنيا التي كلفت بالقيام على شئون الفلاحة والزراعة . ونقل الزعماء إلى رملة وتم الاستيلاء على المعادن الثمينة والذخائر والمقتنيات الغالية ونصب جداليا بن اخيقام بن شافان (وهو يهودي) حاكما من قسربابل على من بقي من أهل يهوذا في اورشليم ولكن سرعان ما اغتيل اذ "جاءه اشعور بن نيبان يشع من النسل الملكي وعشرة رجال معه وظهروه لمات وأيضا اليهود والكلدانيين اللذين معه في المصفاة ، فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر لانهم خافوا من الكلدانيين (٩٢) .

ويواصل الطبري يقول : وبلغنا انه وجد في سجن بني اسرائيل إدريا ، وكان الله تعالى بعث ليا - فيما بلغنا - إلى بني اسرائيل ، يحلرهم ما حل بهم من مختصر ، ويعلمهم أن الله سلب عليهم من يقتل مقاتلتهم ، ويسبي ذراريهم ان لم يعوبوا وينزعوا عن سيء أعمالهم ، فقال له مختصر : ما خطبك ؟ فأخبره أن الله بعث إلى قومهم ليحلرهم من الذي حل بهم ، فكذبوه وجسوه . فقال مختصر : يس القوم قوم

عصوا رسول ربهم ! وكنى سيده ، وأحسن إليه ، فاجمع إليه من بقي من حلفاء بني اسرائيل ، فقالوا : إنا قد آمننا وظلمنا ، ونحن نوب إلى الله مما صنعنا ، فداع الله أن يقبل توبتنا . فدعا ربه فأوحى إليه أنهم غير لاعلين ، لأن كانوا صادقين للقيصوا معك بهذه البلدة ، فأخبرهم بما أمرهم الله به ، فقالوا : كيف نقيم ببلدة قد خربت وغضب الله على أهلها ، فأبوا أن يقيموا ، فكذب بختصر إلى ملك مصر : إن عيداً لي هربوا مني إليك ، فسرهم إلي ، وإلا غزوتك وأوطأت بلادك بخيل . فكذب إليه ملك مصر : " ما هم بعيديك ، ولكنهم الاحرار أبناء الاحرار ، فغزاهم بختصر لقتله ، وسى أهل مصر ، ثم سار في أرض المغرب ، حتى بلغ أقصى تلك الناحية ، ثم انطلق بسى كثير من أهل فلسطين والأردن ، فيهم نايال وغيره من الأنبياء .

وقال ابن الكلبي - نقلاً عن ابن كثير - ومن ذلك الزمان تفرقت بنو اسرائيل في البلاد فنزلت طائفة من الحجاز ، وطائفة بشرب وطائفة وادي القرى وذهبت شرقاً منهم إلى مصر (٩١) . ويميل جواد على إلى قول هجرتهم إلى بلاد الحجاز ، لأنهم سهل يسور إذ الأرض واحدة وهي متصلة والطرق مفتوحة مطروقة ، ولا يوجد أى مانع يمنع اليهود أو غيرهم من دخول الحجاز ، ولا سيما أن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من الرعب ، فهم يحثون عن أقرب ملجأ إليهم بمخيمهم من تلك ملك بابل بهم ، وأقرب مكان مأمون إليهم هو الحجاز . (٩٤) كما أنها كانت مذكورة في التوراة ومعلوم أنها ستكون مهاجر نبي يعث في آخر الزمان ، فالسبب الحقيقي هنا هو الضغط البابلي على اليهود الذي اضطرهم إلى التفكير في ترك فلسطين (٩٥) واستيطان بلاد الحجاز .

غير أن ابن قتيبة يقتصر على لجوء طائفة من بني اسرائيل إلى مصر طلباً لحماية ملكها (٩٦) حيث وجدوا أن اللجوء إلى مصر فيه أمان لأرواحهم وحلوا معهم إرميا دون أن يعبتوا باحتجاجه (٩٧) .

روى بعض أهل السير عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال وبلغني أن بني اسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور نبوخذ نصر عليهم وفرقتهم وذلتهم فتركوا . وحكى ابن الجار - نقلاً عن السهودي - عن بعض العلماء أن سبب ذلك أن

علماءهم كانوا يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة انه يهاجر الى بلد فيه نخل بين حرين ، فأقبلوا من الشام يطلبون النصفة حرصا منهم على جماعه ، فلما رأوا تيماء وفيها النخل عرفوا صفته وقالوا : هو البلد الذى نريده فنزلت طائفة منهم فيها ، وضت طائفة أنها خير فنزلوها ، ومضى اشرفهم وأكثرهم فلما رأوا يثرب سبحة وحررة وفيها النخل قالوا : هذه البلدة التى تكون مهاجر النبي العربي عليه الصلاة والسلام، فنزل النضر بطنحان. (٩٨) غير أن بعض الباحثين اغدلين لا يذكر أن يهود في أثناء سبي نبوخذنصر قد ارتحلوا إلى بلاد الحجاز ، فان نبوخذ نصر نهب الهيكل وبيت الملك ثم أحرقهما وأشعل النار في المدينة كلها ، ودك أسوارها وأسر أهلها جميعا ، فلم يرك فيها إلا أقر الفقراء ، وقتل سرايا رئيس الكهنة ، كما قتل قراد الجيش وكبار رجال الملك ، وأما سائر الشعب فأخذهم مقبدين بالسلال ومباهم في بابل ، ثم أقام على النين ابقاهم من الفقراء واليا يسمى جدليا (٩٩) .

وتدل الاكتشافات التي تمت في عدة مواقع بفلسطين على ان عددا من المدن قد تم تدميره في أوائل القرن السادس قبل الميلاد ولم تكن بعد ذلك اطلاقا ، أن عددا منها دمر في نفس الوقت ثم عاد اليها العمران جزئيا بعد فترة وأن جانباً آخر قد دمر ولم يعد العمران إليه إلا بعد فترة طويلة من الهجر تميز بتير ملحوظ في طبقة الأرض ولراتن خارجية تمت اسمائها لاغراض غير مدنية ، ولا تعرف حالة واحدة كان فيها بلد من يهوذا الأصلية مسكونا بصفة مستمرة خلال فترة النفي (١٠٠) .

ويذهب بعض المؤرخين المغدلين الى القول بأن اليهود كانوا في حملة من كان في جيش الملك الكلداني "نبوخذنصر" (٥٥٥-٥٣٩ ق م) حين جاء الى تيماء (١٠١) ، لأقاموا بها بمواضع اخرى من الحجاز بلغت يثرب ، وأن هؤلاء اليهود أقاموا منذ ذلك الحين في تلك الاماكن واسرطنوا وادى القسرى واماكن اخرى الى مجيء الاسلام (١٠٢) ، محدثنا بعض نصوص الملك الكلداني أنه : " اتجه الملك إلى تيماء في وسط بلاد العرب، وباهر يسير الحملة عن طريق لم يعهد من قبل ، وذبح أسير تيماء بسيفه ، كما ذبح أولئك المقيمين في مدينته وفي الاقليم ، ثم استقر في تيماء ، وجعل هذه المدينة راتمة ولحمة ، وحوطها الى ما يشبه قصور بابل (١٠٣) .

وقد عثر في حران عام ١٩٥٦م على كتابة يتحدث فيها "نويدي" عن أنه قد أخضع ليماء ولدك (الحالط) وخير (خبر) وشرب ، وكانت هي آخر موجه استطاع البابليون الوصول إليه في بلاد العرب (١٠٤) . ذلك لم تشر نصوص "نويدي" إلى وجود اليهود في جيشه وإلى أسكانه إياهم في هذه الأراضي، ولم يعثر على كتابات تحدث عن هذا العهد أو عن العهد الذي سبقه أو الذي جاء من بعده عن وجود يهود في تلك المناطق (١٠٥) ، لذا فإنه لا يمكن تأكيد وجودهم في تلك المناطق إلا بنصوص وكتابات تشير إليهم (١٠٦) .

أصبحت فلسطين في العصر الروماني ولاية رومانية يتولى حكمها مندوب للإمبراطور Procurator . كانت تتكون من أربعة أقاليم : الجليل وسامريا وللسطين القرية ومنطقة يربيا فيما وراء الأردن . وكان هناك نزاع دائم بين الطائفتين : المخالفة التي تسمى باسم الفرسيين والمحررة التي تسمى بالهدوقيين من اليهود أنفسهم إلى جانب ذلك العداء الدفين الذي كان موجودا بين الإغريق واليهود جميعا في المنطقة ، يضاف إلى ذلك ظهور طائفة المسيحيين ولزيادة أعدادهم بمرور الوقت . هذا الوضع الاجتماعي المعقد بالإضافة إلى صغر حجم القوات الرومانية التي لم تتجاوز ٣٠٠٠ جندي روماني والمشكلات الاقتصادية التي عانى منها الشعب، جعل من السهولة بمكان إندلاع الثورة في فلسطين، حتى إن تولي هذه الولاية كان أمرا لا يمسد عليه أي وال روماني . وقد أجل قيام هذه الثورة في أوائل عهد نيرون وجود وال كفته استطاع أن يدير الأمور بدبلوماسية كبيرة وأعطى به انطوليوس فليكس (٥٢-٦٠م) وقد ساعدته في ذلك زوجته اليهودية دورميلا شقيقة هرود الثاني أجريا . وعندما وقعت أحداث الشعب عام ٦٠م بين الإغريق واليهود في فيصرية لجح فليكس في انقاذ القديس بولس من أيدي اليهود ووضعه في منطقة حصينة (١٠٧) .

لم يستمر الولاية الرومان في حكمهم لفلسطين طويلا ، وذلك بسبب سوء الإدارة في حكمهم وقد كانت السبب الرئيسي في اشتعال نيران الثورة في سنة ٦٦م . ويرجع السبب الرئيسي لاشتعالها إلى رغبة اليهود الملحة في أن يتألوا استغلالهم . لقد انتهزوا فرصة المشكلات التي حدثت في أرمينيا وانشغال روما بها ، فالتاروا

الاضطرابات في فيصية ، ثم هوا ثاترين في بيت المقدس بزعامة يوسف (١٠٨) .
ولما فشلت في مواجهتهم القوات الرومانية بقيادة والي سوريا كيتوس
جالوس (١٠٩) ، عهد الامبراطور الروماني نيرون (٥٤ - ٦٨ م) الى ابنه لسيان
بتولى قيادة الجيوش في سوريا ويقمع الثورة . وقد تمكن لسيان من اخضاع منطقة
الريف والحصون المنعزلة دون مقاومة ، كما تمكن من عزل بيت المقدس عن بقية
فلسطين وأعلن لسيان قائد الجيوش في سوريا نفسه امبراطورا (٦٩-٧٩م) عندما
كان يعد اعادة لحصار بيت المقدس (٦٨-٦٩م) ليهدي نيرون بعهمة القضاء على الثورة
الى ابنه ليتوس مع جيوش من مصر ليتولى امر حصار بيت المقدس (١١٠) ، ولدة
خسة أشهر بقوات كبيرة ، أحاطت بالمدينة من كل جانب . وقد انتهى هذا الحصار
بفقوط بيت المقدس في سبتمبر عام ٧٠م ، واضرمت النيران فيها ، بل لقد دكت
ودمرت تدميرا كاملا وسويت بالواب ، كما تم تحريب وحرق الهيكل الذي كانوا
يقاخرون به كل الأمم ويهاون بفخامة بنيانه وما فيه من أوان ذهبية ولطيف (١١١) .
يقدر المؤرخ اليهود المعاصر للاحداث " يوسف بن متى " عدد القتلى بمليون
وللاثمانة وخمسين الفا ، فضلا على تسعمائة الف أسروا أو يعوا رقيقا كما مات مئات
الالاف غيرهم من الجماعة والأوبنة والمذابح . ومع أن الباحثين يرون في هذه الاعداد
مبالغة كبيرة فان البعض يقدرهم بما لا يقل عن ثلاثة أرباع المليون ، ويقدرهم آخرون
بما لا يقل عن ستمائة الف ، فإذا صح هذا الرقم الأخير ، ولعله وما كان الحرب في
المعقول ، لذلك يعني انقراض جنس حقيقي ، لم يكذب برك من يهود شينا ، ويدر أن
بعض عناصر من يهود فلسطين فرت الى مصر وحاولت تآليب اليهود بها للثورة ضد
الرومان ، ولكنهم لم يصيبوا نجاحا كبيرا (١١٢) ، كما فر بعض من اليهود ، أيضا إلى
قيرص ولييا وشبه الجزيرة العربية ، حيث سكنوا في غير وتيماء ويثرب ووادي
القرى (١١٣) .

وعندما قام الامبراطور هنريان (١١٧ - ١٢٨م) بزيارة للسلطن عام ١٢٠م ،
أصدر قرارات عدة ، منها تحريم تقديس يوم السبت ، إبطال عادة الحتان ، ومحويل
بيت المقدس إلى مستعمرة رومانية ، فأغضب هذا اليهود كثيرا ، وأدى إلى قيام ثورة

سمعان/شمعون بن باركوخبا" (١٣٢-١٣٥م) فاستولى على بعض معاقل الرومان ، واستقل بيت المقدس ، زخذاها عاصمة سياسية ودينية ، وحرب العملة باسمه ، فأمر الامبراطور "هيريان" قائد "بوليوس سيليرس" بالقتاء على الثورة ، ونجح القائد الروماني في أغسطس عام ١٣٥م في القبض على "باركوخبا" وقله ، واستولى على بيت المقدس لم هدمها تماما ، وأزال معالمها ومعالم هيكلها ، إذ حرت الارض وسواها ، وبنى فوقها مدينة جديدة باسم "ايليا كايترلينا" ، واستبدل بالمعبد القديم معبدا جديدا خصمه للمعبود الوثني الروماني "جزيير كاييرليني" . وقام الرومان بمنحة نهاية حمت مصر اليهود في اللطين - كدولة وكقومية - فقد صفت بقايا اليهود بالقتل والتشريد . ويقدر "ديودور الصقلي" عدد القرى التي دمرت ب ٩٨٥ قرية ، وعدد من هلك من السكان ب ٥٨٠ الفا نتيجة الحرب والمجاعة . واحتضت يهوذا القديمة ليحل محلها ولاية سوريا للطين القصلية لتصبح بعد ذلك المعقل الرئيسي لانصار الديانة المسيحية (١١٤) .

وبرغم المبالغة في هذه الاعداد فان اليهود قد طردوا فعلا من للطين الى كل اجزاء الامبراطورية الرومانية وغيرها ، وكان عام ١٣٥م ، هو التاريخ الذي انتهت فيه نهائيا علاقة اليهود بفلطين سياسيا ومكانيا ، انه الخروج الاخير ، وحتى نترك مدى ضآلة ما بقي من اليهود وبعد كل المنابح والمطاردات (بعد السى الاشورى والبابلي والروماني الاول عام ٧٠م) ، يكفي أن نذكر ان عدد يهود الخروج الاخير اثما يقدر بنحو أربعين الفا أما ما بقي من هذا وذاك من يهود للطين فشرادم ضئيلة ازدادت تناقصا فيما بعد ، وقد حرمهم الامبراطور هيريان من أن تطأ أقدامهم الارض المحيطة بيت المقدس في غير اليوم التاسع من شهر أغسطس الموافق يوم تدمير هيكلهم هناك . ولعل من أهم تلك البقايا "السامريين" الذين تحولوا إلى فرقة فرعية مغلقة في نابلس (١٢٥) .

ولما كانت الهزيمة التي مني بها اليهود على يد الرومان والحائر الفادحة التي أصابهم في الأموال والأرواح شديدة ، كان من الطبيعي أن يتجه اليهود إنان عصر الاضطهاد الروماني لهم في للطين إلى أعالي الحجاز وإلى يثرب ، ويرجع ذلك إلى

القرنين الاول والثاني بعد الميلاد وليس من شك في أن الأدلة التاريخية في جانب هذا الاتجاه أكثر من غيره ولعل من أهم هذه الأدلة الظروف السياسية التي كانت يهود عمر بها في تلك الفترة - بعد أن نجح الروم في السيطرة الرومانية (١١٦)، فضلا على أن شبه الجزيرة العربية كانت ما تزال في بداوة تشبه ما كان عليه اليهود إلى حد ما .

ويذكر جواد على أن المؤرخ سوزمين Sozomenos يرى أن اليهود كانوا ينظرون إلى العرب الساكنين شرق الحد العربي (Limes Arabicus) على أنهم من نسل اسماعيل وإبراهيم عليهما السلام ، وما أنهم أي اليهود من نسل اسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، فهم جميعا اذن من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام ، وعلى هذا من ذوى رحمتهم ، ولهم صلة قريبي ، وكانوا يرجون لذلك دخولهم في دينهم ، واعتناهم دين إبراهيم جد اليهود والعرب ، وقد عملوا على تهويد بعض من ارتك

العرب (١١٧) .

هذا فضلا على أن أمر هرب اليهود إلى أعالي الحجاز ودخولهم إليه أمر سهل يسير فالارض واحدة وهي متصلة ، والطريق مفرحة ومطروقة ، ولا يوجد ما يمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز ، ولا سيما أن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من فتك الروم (١١٨) . وتزيد المصادر العربية هذا الاتجاه فذكر انه لما ظهرت الروم على بلاد الشام قتلوا من بنى اسرائيل خلقا كثيرا ، كما نكلوا بهم ونكحوا نساءهم ، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو هذيل (بهذل) هارين من فلسطين يريدون الحجاز إذ كانوا يرون أنها أنحاء بعيدة آمنه ، فلما فصلوا عنهم بأهلهم اتبعهم الروم فأعجزوهم ، وهلك جند الروم في المقارن والصحارى الخالية من الماء (١١٩) ، لم أخذت جموع من اليهود في شبه الجزيرة العربية تزداد وكثرت بعد أن ظهرت الروم على بنى اسرائيل جميعا بالشام ، ثم قصد بنو النضير وقريظة وبنو بهذل جملة واحدة إلى يثرب فارتادوها حتى تخيروا اخصب بقاعها فسكنوها (١٢٠) .

هذه الروايات مأخوذة عن يهود المدينة أنفسهم (١٢١) . ويذكر ابن خلدون أن تلك الهجرة لليهود إلى بلاد الحجاز تستند على أساس تاريخي صحيح (١٢٢) ،

فالذي نعرفه ان فتح الرومان لفلسطين ادى الى هجرة عدد كبير من اليهود الى الحجاز، فلا يستبعد أن يكون يهود الحجاز نسل من أولئك المهاجرين (١٢٤) .

أفكالت يثرب وخيبر وروادى القرى خالية من السكان العرب حين نزلها اليهود، بحيث استعمروها بسهولة دون أن يجدوا من ينازعهم ، أم انها كانت مأهولة بطون عربية نازعت اليهود ثم غلبت على أمرها ؟ المصادر لا تعطي ما يعتمد عليه في هذا الموضوع ، غير أن اسرائيل ولقنسون يذكر بأنه يجب الا يقرب عن البال ان جهات يثرب وروادى القرى كانت غير اهله بكثير من العرب بل كانت جموع منهم تأتي الى وديانها في أولات معينة من السنة كهوائل راحلة مع ابلها لتأكل من أعشابها ثم تنرح عنها الى جهات اخرى (١٢٥) ولكن لا استطاع الموافقة على هذا القول ، فهذه المناطق بطبيعتها أماكن استقرار دائم عامرة بالقرى وكانت بها محطات تجارية منذ أيام المعينين ، ثم انها مناطق خصبة وتكثر بها الوديان التي تسيل بالمياه وتكثر فيها الآبار والعيون ، ولا يعقل ألا يجذب خصبها السكان إليها والاقامة بها (١٢٦) .

وهكذا سكنت جاليات يهودية منطقة يثرب والطرق المؤدية الى الشام وان تركزت كتل اليهود الكبرى - على ما يبدو - في يثرب بالمدائن ، حيث كان فيها قبائل للثلاثي : ليقاق والنضير وليريطعة ، وإلى جانبها كانت توجد بطون وعشائر يهودية مطرفة (١٢٧) ذهب الاخباريون إلى انها تنيف على العشرين بطناً ، ومنها بنو القضيص ، وبنو ناضعة ، وبنو مريد ، وبنو معاوية ، وبنو ماسكة، وبنو محم (محمس) وبنو زعوراء، وبنو زيد اللامت ، وبنو حجر ، وبنو لعلبة وبنو الشطية ، وبنو عكرمة ، وبنو مرابة ، وبنو عرف ، وبنو هذل (بهذل) ، هذا الى أعداد اخرى من اليهود سكنوا في جهات مختلفة من يثرب (١٢٨) .

ويذكر بعض الباحثين أنه كان مع اليهود يثرب بطون عربية من اليمن ومن بلخ ومن سليم ومن عمان ، ثم ان قبائل عربية كبيرة كانت تعيش بجوار هذه الاماكن الحصنة حالئها اليهود والحلوا منها حاة يدالعون عنهم كحلف يهود خيبر مع غطفان ، ولا تذكر المصادر شيئاً عن الصراع الذي حدث بين اليهود والقبائل العربية ، وهي بذلك تسكت عن تاريخ اليهود جملة ، ولا تراها تعرض لشيء من تاريخهم إلا ما كان

منه مرتبطا بالأحداث التي تتصل بالمسلمين ، وتفسر ذلك معلوم ، وهو أن هذه المصادر أهملت تاريخ اليهود نظرا إلى موقفهم العدائي من الدعوة الإسلامية ، وقد كرههم العرب لأغفلوا الحديث عنهم إلا فيما هو متصل بموقفهم العدائي هذا(١٢٩) . كما أن اليهود كانوا يعيشون في أحياء وقرى خاصة بهم في يثرب وما حولها كجاليات طارئة على عادة بني إسرائيل منذ تشردهم في مختلف الأحياء والبلاد(١٣٠) . ويتضح ذلك من كثرة الحصون والآطام التي أقامها اليهود للإحياء بها وكانت في الغالب تحمل اسم رجل أو زعيم مهم من رجالات اليهود ، أو اسم عشيرة يهودية(١٣١) ، أو اسم واد من الأودية التي يقيمون بها (١٣٢) ، أو اسم جبل من جبالها (١٣٣) ، أو يحمل اسما له مدلوله عند اليهود (١٣٤) . ولقد كان إنشاء الحصون وتقويتها وتليحها وإعدادها بالمقاتلين للقتال من أبراجها ومن فوق الاسوار، ومن وراء الجدران إذا ما تعرضت للخطر، هو أساس العقيدة القتالية وخطط الحرب عند اليهود . إلا أنهم في بعض الأحيان كانوا يلجأون إلى الأصحار والخروج إذا ما اضطروا إلى ذلك ، كما كانوا في حالات الهجوم يتخذون من الحصون قاعدة لإنتطالهم لم ملجأ يحصون بداخله إذا لم يحقق الهجوم أهدافه وولوا مدبرين(١٣٥) .

وهذا يدل على أن اليهود لم يكونوا مطمئنين إلى مقامهم ببلاد الحجاز وخاصة يثرب، وأنهم كانوا يخشون هجوم القبائل عليهم ، ويجعلنا لا نظمن إلى أن وجود اليهود كان هنا سهلا ، كما شك في حدوث هجوات يهودية كبيرة دلعة واحدة ، ونرجح ان هجرات اليهود كانت بأعداد قليلة متتابعة ، وأن عددهم ظل يكثر شيئا لشيئا حتى غلبوا على هذه المناطق (١٣٦) .

وقد كانت التجارة بشكل خاص من أهم مرائق الحياة عند اليهود في الحجاز، وكان أهم مراكز تجارتهم في خيبر ، وهي واحدة من أهم مراكز التجارة والأسواق الموسمية ، لا في بلاد الحجاز وعند الحجازيين فحسب ، بل في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، فجمهرة المؤرخين العرب القدامى يعلونها ضمن "أسواق العرب المشهورة ومبايعتهم فيها" (١٣٧) . أما المخدلين منهم فانهم يقررون " أن خيبر كانت من مجامع أسواق العرب في الجاهلية (١٣٨) استادا إلى الدراسة المفصلة الواسعة في مصادر

الميراث العربي . ولما كانت قيام الاسواق وازدهار التجاره وثناء الاموال يتطلب توافر عنصرى الأمن والطمأنينة (١٣٩)، فان اليهود في مناطق حصونهم ظلوا يعيدون عن الصراع الدولي الذى شهدته بعض المناطق في شمالي شبه الجزيرة العربية وجنوبها قبل الاسلام ، فلم يرد في المصادر أنهم كانوا طرفا في أى نزاع دولي ، كما ظلوا يعيدون عن المنازعات والحروب القبلية التي كانت تشب بين القبائل العربية في شمال الحجاز أو المدن الحجازية ، ووقفوا على الحياد ينشدون السلام والأمن ، كما كانوا يتمتعون عن ايواء الخلاء أو القنطرة ولا يدخلونهم بيتا مخافة أن يجروا على أنفسهم الويلات (١٤٠)، لأن السلام والسكينة من أهم أسس النجاح في الاعمال التجارية .

كانت سوق خيبر من الاسواق العربية الأصيلة لا من تأسيس يهود ، وعلى هذا فان يهود الحجاز كانوا حديثي عهد بالإسقرار في الحجاز بالنسبة للقبائل العربية الضاربة في القلم ، وهذا مما يوحى ان اليهود نزحوا إليها إبان عصر الاضطهاد الروماني لهم .

وهكذا دخلت اليهودية يثرب وخبير ووادي القرى في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد وسرعان ما تركزت في يثرب وفي الواحات المتجمعة في اتجاه الشمال حتى حدود شرق الاردن طوائف يهودية متماسكة غنية نسيا برؤسها حاخام ، وبها مدرسة وصندوق تعاوني ، ان صح هذا التصير (١٤١) .

ويختلف المؤرخون في جنسية يهود يثرب ، أهم عرب تهودوا ، أم هم اسرايليون نزحوا الى الاقاليم العربية، ولقد على الرأى الاول المؤرخ العقوي ليهو ينكر وجود طوائف يهودية أصلها من بني اسرائيل في شبه الجزيرة العربية قبل عصر الاسلام ، ويؤكد ان القبائل اليهودية فيها كانت من العنصر العربي الأصل ، ويرى أن بني النضير وبني قريظة فرعان من قبيلة جذام ، إلا أنهم ليهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به" ، وبني قريظة " فخذ من جذام نخوة النضير (ويقال) ان تهودهم كان في أيام السموال ، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فسبوا اليه (١٤٢) .

هناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث بعد الميلاد ينكر أصحابها وجود يهود في شبه الجزيرة العربية (المقصود بذلك يهود بنى اسرائيل)

ويقولون أن الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في جهات غير ليسوا يهودا حقا إذ لم يملطوا على الديانة الإلهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود مخضوعا تاما(١٤٣) .
وقد ذهب بعض المستشرقين امتادا الى دراسة اسماء يهود الحجاز عند ظهور الاسلام الى أن اولئك اليهود لم يكونوا يهودا حقا ، بل كانوا عربا متهودين ، تهودوا بتأثير الدعاة اليهود (١٤٤) . ولكن الاستدلال من دراسة الاسماء على اصول الناس، لا يمكن ان يكون حجة للحكم على اصولهم واجناسهم (١٤٥) . وبصيف اسرائيل ولفنون: أن اليهود في شبه الجزيرة العربية لم تركوا النسبة الى قبائلهم واخذوا يسمون بأسماء الأماكن التي سكنوها ، والبلاد التي أقاموا بها حتى كان يعرف فلان بالارحليمي والآخر الجيروى(١٤٦) وهكذا .

وعلى الرأى الثاني عامة المؤرخين العرب كما اوضح الباحث سابقا . ومن جهة أخرى تجهد طائفة من المؤرخين الأجانب في أن تجد لبعض اسماء القبائل اليهودية اشتقاقا عبريا . فليذكر البعض ان بني لريظة وبني النضر عرفوا من بين اليهود ب (الكاهنين) ، نسبوا ذلك إلى جدهم الذى هو الكاهن بن هارون بن عمران . فهم على هذه النسبة من اصل رفيع ومن نسب حسيب يميزهم من بقية طوائف يهود ، ولعلنا كانوا يفاخرون بنسبهم هنا ، ويرون أن لهم السيادة والشرف على من سواهم من اخوانهم في الدين(١٤٧) .

ولكن نعرف جنسية اليهود في بلاد العرب ، فانه من الالهل أن ننظر في الاخلاق والتقاليد واتجاه الافكار والاعمال (١٤٨) . فنجد التشابه كبيرا بينهم وبين اليهود السابقين على عصرهم أو نلاحظ مواقف واحده ، ولولا اختلاف الزمان والمكان والاحداث ما استطاع أحد أن يفرق بينها ، فقد كانت عداوتهم لأنبيائهم ورسولهم السابقين على محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرة خلقية بارزة ، امتدت إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا السيل نستطيع أن نحكم بأن يهود يثرب بخاصة وشمال الحجاز بعامة ألرب الى العنصر اليهودى منهم الى العنصر العربى(١٤٩) . ويحوى القرآن الكريم (١٥٠) على معلومات واليه عن اليهود في المدينة ومناطقها وذلك لوقفتهم الجحودى والحجاجى ، الذى وبقوه من الدعوة

الاسلامية ، والايات القرآنية سواء في توجيه الخطاب الى يهود الحجاز في معرض ذكرهم في المواقف المتوعده ، في صدد بيان احوالهم واخلالهم قد نسبتهم الى اسرائيل دون استثناء وربطت بينهم وبين بني اسرائيل الاولين من لدن موسى بل من لدن يعقوب (اسرائيل) . وما كان منهم من احراج وتمعيز وكفر وتكذيب وغلر ونقض للشرائع وتحريف للكلام عن مواضعه ، وقد جعل القرآن اليهود المعاصرين والقلماء في موضع خطاب وسباق وسلسلة واحده في كثير من الآيات ، حيث يوجه الخطاب الى بني اسرائيل او الى اليهود بصفة المخاطب الاقرب ، ليقص ما كان من الاقدمين مقارنا اياه بما يقع من المعاصرين ، وهنا يرجح الصلة اللاحقة النسبية بين هؤلاء واولئك فهم يصعدون عن جلة واحده وخصائص واحده . ودون أن تشعر كذلك بالمدة الزمنية الهائلة التي بين زمن موسى عليه السلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم، وهي فترة لا تقل عن ألفين وأربعمائة عام (١٥١) .

وتوجه الخطاب إلى يهود يثرب بتعبير " بني اسرائيل " بهذا الاطلاق والشمول مع هذه الصلة اللاحقة التي يجعلها القرآن بين القلماء والمعاصرين منهم . يحطنا بحجم بأن اليهود في الحجاز كانوا طارئين وانهم اسرائيليون ، وأنهم لبسوا قبائل عربية اعتقت اليهودية، كما ذهب اليه بعض المؤرخين ، بل ليس في الحجاز قبائل عربية يهودية الذين والعرب الذين تهودوا في الحجاز لم يكونوا سوى افراد ، ولم يكونوا جماعة قبلية محسوسة (١٥٢) ، لان المهود في بني اسرائيل المتأخرين انهم كانوا لا يدعون احدنا الى دخول دينهم لا يثابروا انفسهم بوعده ابراهيم الخليل ، وحصر هذا الوعد في ذرية يعقوب بن اسحاق (١٥٣) ومن هنا يتضح أن اليهود أنفسهم لم يكونوا يميلون الى نشر ديانتهم بين الامم ، وفي ذلك يقول اسرائيل ولقسنون "ولا شك أنه كان في مقدرة اليهودية أن تزيد في بسط نفوذها الديني بين العرب حتى تبلغ منزلة ارضي مما كانت عليه لو توافرت عند اليهود آلية على نشر الدعوة الدينية بطريقة مباشرة ، ولكن الذي يعلم تاريخ اليهود يشهد بأن الامة الاسرائيلية لم تقل بوجه عام الى ادغام الامم على اعتناق دينها ، وان نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود " (١٥٤) ، وقد كان اليهود يحترون انفسهم شعب الله المختار من بين

شعوب الارض ، ولا تسمح أنفسهم ان تكون هذه الميزات لشعب اخر ليس منهم (١٥٥) وما يزيد هذا انه كان الى جوار اليهود بالمدينة بطون عربية صفوة لبل بحىء الاروس والخروج ، وقد بقيت هذه البطون العربية على اديان آباؤها القديمة ولم تنسق اليهودية على الرغم من انها عاشت زما طويلا مع اليهود ، وعلى الرغم من أن اليهود كانوا اصحاب الثروة والنفوذ في يثرب (١٥٦) .

والعرب الذين يهودوا في الحجاز لم يكونوا سوى المراد ، ولم يكونوا جماعة قبلية محسوسة كما أن عدم ذكر النسابين العرب القبائل اليهودية بين الاسباب العربية ، مما يدل دلالة واضحة على ان اليهود ليسوا عربا إذ لو كانوا عربا لما قبلوا ان يستبوا الى غير قبائلهم ، والمعلوم ان العرب كانوا يأنفون من الانتساب إلى غير قبائلهم بل كانوا يحرصون حرصا شديدا على المحافظة على انسابهم والافخار بها . وفي نفس الوقت لرى النسابين قد ذكروا القبائل العربية التي يهودت في اليمن ، والقبائل العربية التي تنصرت في الشام ، وردوها الى نسبا العربي الصحيح ، ولو كان يهود يثرب والحجاز عربا يهودوا لذكرهم النسابون ، وردوهم الى قبائلهم كذلك ، واننا نلاحظ ان اليهود لم يسوا انفسهم الى العرب بل حرصوا على المحافظة على نسبهم بني اسرائيل ، فكان بنو قينقاع يتسبون الى يوسف عليه السلام .

ويهود يثرب وبلاد الحجاز الذين أقاموا بين ظهرائى عرب لم يعرفوا سوى اللغة العربية لغة يتكلمونها ، لهذا كان من الضروري أن يتعلموا تلك اللغة ، وأن يحتمدوها لغة التخاطب حتى يمكنهم التعايش مع السكان الأصليين للمنطقة التي اخلدوها دار مقام لهم ، ومن المرجح ان هذه اللغة لم تخل من رطانة عبرية ، لانهم لم يذكروا استعمال اللغة العربية تركا تاما ، حيث ان اللغة العبرانية كانت لغة كتبهم وطقوسهم ومدارسهم وتخاطبهم (١٥٧) ويستلهم هذا من بعض الايات القرآنية (١٥٨) ، ففي سورة الانعام ، حوطت العرب على سبيل التيه إلى أن الله قد أنزل الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم لتلا يقولوا ان الكتب الالهية السابقة انزلت بغير لغتهم وانه لو انزل عليهم كتاب بلغتهم لكانوا اهدى من الامم التي جاءتهم تلك الكتب وهي بهذا الضمير تنطوى على دلالة ان الكتب التي كان يتداولها اليهود لم تكن عربية

اللغة . أما آية سورة فصلت فكانت على سبيل الرد على العرب الذين قالوا على سبيل التصحيز إن الكعب السماوية الأولى غير عربية اللغة، فكيف يكون القرآن من عند الله وهو عربي اللغة (١٥٩) . وهناك بعض الآثار، في ذلك ايضا، روى الترمذي عن زيد بن ثابت قال : (أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود قال : اني والله ما آمن يهود على كتاب . قال : فما مر بي لصف شهر حتى تعلمته له . فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهود كتبت اليهم واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم) (١٦٠) . ومنها ما رواه ابن سعد في ميثاق وقائع التكيل باليهود فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عبدا لله بن عتيك مع ثلاثة آخرين من أصحابه لقتل ابي رافع سلام بن ابي الحقيق النضري زعيم اليهود في خيبر وأنهم قدموا عبدا لله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فكانت معرفته باليهودية سببا لاطمئنان زوجة الزعيم اليهودي وفتحها الباب لاصحاب رسول الله لتمكنوا من إنجاز المهمة بسهولة . والخبر يفيد معرفة أمرين بصدده ما نحن فيه الاول : أن اليهود في خيبر كانوا يتخاطبون باليهودية ، والثاني : أن لغة بني النضير، الذين كانوا يقطنون المدينة كانت أيضا يهودية اى عبرانية . كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلى معظم اليهود عن المدينة والقرى الاخرى الى بلاد الشام فلم يكن لجلالتهم أى أثر وكل هذا دلالة حاسمة على ان الكتلة اليهودية في الحجاز كانت من بني اسرائيل وكانت طارئة على الحجاز (١٦١) .

كما يستدل من بناء الحصون والأطام عند اليهود في بلاد الحجاز انهم ليسوا عربا ولا من أصل عربي إذ لو كانوا عربا لكانت لهم في قبائلهم عزوة يتصرون بها على اعدائهم ولكان لهم من قبائلهم نصير يحزون به ويستصرونه ، وإنما بنى اليهود هذه الحصون وتلك الأطام ليتجنوا اليها اذا احزبهم أمر أو أصابهم مكروه ، ولو كانوا من اصل عربي لتحصنوا بقبائلهم ، وأرؤوا الى نصيرهم، وما يؤيد هذا أنه لم يكن لليهود في يثرب والحجاز عصية قلبية بين العرب ، وإنما كانت صلاتهم بالتقبائل العربية صلة حلف ومصالح مشروكة، ولذلك لم يجدوا من قبائل العرب من يقف الى جانبهم بدافع العصية حين حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم وطرد بعضهم من المدينة ولتضى

على بعضهم الآخر بل إنهم حين خرجوا من المدينة لم يلجئوا إلى قبائل العرب ينزلون
عليها إستانا إلى رابطة القرى ، وإنما لجأوا إلى إخوانهم في خيبر وليماء ووادي القرى
ثم رحلوا إلى الشام (١٦٢) .

وأخيرا ، على كل ما تقدم ، فإن يهود يثرب وبلاد الحجاز يرجعون إلى أصل
غير عربي وإن وجدت لهم أسماء عربية ، وإن صاهروا بعض العرب .

- محمد بن عاتق إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية ١٩٩٦ ، ص ٣١٢ .
- (١١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ - ٤٤٢ .
- (١٢) سفر العدد ٢٠ : ٢٢ - ٢٩ .
- (١٣) سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ - ٥٠ .
- (١٤) الأصفهاني (أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين) : كتاب الإغاثي ، الجزء الثالث ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان (د.ت) ، ص ١٩٦ وكلها :
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ ابن خلدون ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٧١ ، القسم الأول ، ص ٨٧ - ٨٨ ، القسم الثاني ، ص ٢٨٧ وكلها :
- ياقوت (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) : معجم البلدان ، الجزء الخامس ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٨٤ وكلها :
- محمد ليب البتروني : الرحلة الحجازية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٢٩هـ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
- (١٥) يذكر ابن خلدون أنه الأرم بن الأرم . انظر :
تاريخ ابن خلدون ٨٨/١ .
- (١٦) وفاء الوفا ١٦٢/١ .
- (١٧) السهيلي (عبد الرحمن بن عطاء) : الروض الأنف ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٩٠ .
- (١٨) محمد السيد التوكيلي : المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- (١٩) نفس المرجع ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ .
- (٢٠) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٣٧ - ٤٤٤ .
- (٢١) سورة التتمة : ٢١ - ٢٦ ، وانظر :
- الرمحشوي (أبو القاسم جلال محمد بن عمرو) : إكتشاف عن حقائق غوامض التنزيل وهو من الألمان في وجوه التفسير ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٦ وكلها :
- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) : الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب ، الجزء السادس ، القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ ، ص ١٢٣ - ١٢٣ وكلها :
- ابن كثير (عبد الله بن أبي القاسم) : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٥٣٢ - ٥٤١ وكلها :
- الأفريقي (أبو القاسم شهاب الدين السيد محمد) : ترويح العاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الجزء السادس ، القاهرة د.ت ، ص ١٠٦٧ - ١١١١ .
- (٢٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، بيروت د.ت ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
- (٢٣) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبري) ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٣٦ .
- (٢٤) تفسير القرطبي ، ص ٢١٢٦ - ٢١٢٧ وكلها :

- سيد قطب : في ظلال القرآن ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، القاهرة - بيروت ١٩٦٧ ، ص ٨٧١
وكلا :
- عبد الوهاب النجار : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ وكلا :
- محمد يومي مهران : إسرائيل : الكتاب الأول - التاريخ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٧ .
- (٢٥) سفر العدد ١٤ : ٢٢ - ٣٥ ،
سفر التثنية ٣ : ٢٧ ، ١٦/٣٤ ، ٦٠
- (٢٦) تفسير ابن كثير ٦٤/٢ .
- (٢٧) محمد عزرة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، بيروت ١٣٨٩/١٩٦٩ م ص ٩٤ .
- (٢٨) ابن كثير (أبو القلاء عماد الدين إسماعيل) : البدء والنهاية في التاريخ ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٦٦ ،
ص ٣١٧ .
- (٢٩) تفسير الخازن ٣٤/٢ - ٣٦ ، تفسير ابن كثير ٦٤/٢ ، ٦٥ ، تفسير روح المعاني ١٠٩/٦ ، ابن كثير :
البدء والنهاية ٤٣٦/٦ ، تاريخ ابن خلدون ١/٨٧ ، المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج
الذهب ومعادن الجواهر ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٦٢ - ٦٣ .
- (٣٠) صحیح البخاری ١٦١/٢ .
- (٣١) ابن كثير : البدء والنهاية ٣١٧/١ - ٣١٨ .
- (٣٢) سفر التثنية ٣ : ٢٥ - ٢٩ ، ١/٣٤ - ٨ .
- (٣٣) عبد الوهاب النجار : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .
- (٣٤) سفر العدد ١٣ : ٢٥ - ٢٣ .
- (٣٥) سفر العدد ١٤ : ١ - ٣ .
- 36) Mosil, A., The Northern Hegaz, New York, 1926, P.46.
هناك علة آراء عن ليرة حكم شاول منها القصة (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م) ومنها (١٠٢٠ -
١٠٠٤ ق.م) ، ومنها (١٠٣٠ - ١٠٠٤ ق.م) ومنها (١٠٢٥ - ١٠١٣ ق.م) ، ومنها (١٠٠٠ -
٩٨٠ ق.م) . انظر : محمد يومي مهران : عصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاغ الشام ، الاسكندرية
١٤٤٠هـ - ١٩٩٠ م ، ص ٢٤٦ - ٢٤٩ وكلا :
- ليب حن : تاريخ سوريا ولبنان والسليمان ، الجزء الأول ، ترجمة جورج حنادة عبدالكريم والملي ،
بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٣ وكلا :
- Epstein, L., Judaism, (Penguin Books), 1970, P.35;
Historical Atlas of the Holy Land, New York, 1959, P. 81.
- (٣٨) سفر صموئيل الأول ١٥ : ١ - ٣٥ .
- (٣٩) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٦ ، ص
٣٤٦ - ٣٤٧ .
- (٤٠) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء السادس ، ص ٥١٧ .

- ٤١) أطلق الاسرائيليون عليها "عربة" ، وهي تقع حول البواء ، التي تقع الى الشرق من وادي عربة ، في منتصف المسافة تقريبا بين رأس خليج الطبة والبحر الميت ، أو على بعدة خمسين ميلا الى الجنوب من البحر الميت . انظر :
- جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٠م ص ٥٣ .
- ٤٢) من المعروف أنه ليس هناك نبي على الإطلاق قد أرسل الى الناس كافة ، غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر السور :
- النساء : ٧٩ ، الاعراف : ١٥٨ ، ابراهيم : ٣٦ - ٣٣ ، ٥٢ ، الانبيا : ١٠٧ - الحج : ٤٩ ، الفرقان : ١٩ : ص ٨٧ .
- ٤٣) محمد بيومي مهران : اسرائيل : الكتاب الاول - التاريخ ، ص ٢٩٢ - ٣٠٣ .
- ٤٤) ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثاني - ترجمة محمد بدوان ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٢٦ وكذا :
- Lods, A., Israel, From its Beginnings to the Middle of the Eighth Century, London, 1962, P. 128;
- Finegan, J., Light from the Ancient Past, the Archaeological Background from Judaism and Christianity, I, Princeton, 1969, PP. 117f.
- ٤٥) باعور لبيب : بشائر من الدراسات المصرية القديمة ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٤٩ - ٥٤ وكذا :
- محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٣١ - ١٣٧ وكذا :
- Hell, H.R., The Ancient History of the Near East, London, 1963, PP. 406 ff.
- ٤٦) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء السادس ، ص ٥١٧ .
- ٤٧) زكي شوقية : المرجع السابق ، ص ٢٤ وكذا :
- عبدالله عبدالعزيم بن ابريس : مجمع المنبئة في عصر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الرياض ١٩٨٢/هـ ١٤٠٢م ، ص ٣٣ .
- ٤٨) لانتو : المرجع السابق ، ص ١٧ .
- ٤٩) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٣ .
- ٥٠) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .
- ٥١) فواد حنزة : لسان جزيرة العرب ، الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ص ٢٢٦ .
- ٥٢) محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٣٩ .
- ٥٣) ابن النجار (أبو عبد الله البغدادي محمد بن محمود بن الحسن بن عبد الله بن محاسن) : أخبار مدينة الرسول المشهور بالنبوة المنبئة ، تحقيق صالح محمد حال ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص ١٣ .
- ٥٤) محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٣٩ .
- ٥٥) ابن النجار : أخبار مدينة الرسول ، ١٩٥٦ ، ص ١٣ .
- ٥٦) فواد حنزة : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ وكذا :
- محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٣٩ .
- ٥٧) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ وكذا :

Noth, M., The History of Israel, London, 1965, P. 23 .

٥٨) يشرح ١٩: ١-١٩

لصلاة ١: ٣ .

٥٩) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٩٦ .

٦٠) إسرائيل وقسطن : تاريخ اليهود في بلاد العرب، مطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م ، ص ٣ وكذا :

Barney, C.F., Israel: Settlement in Canaan, London, 1918, PP. 37 ff.

٦١) ابن رسته : الإعلاق النبوية، ص ٥٩ - ٦٠ وكذا :

ولقدس التوفا ١٥٨/١ وكذا:

علي بن عبد الله السعدي : خلاصة التوفا بأخبار دار العطفى : صلى الله عليه وسلم ، تاريخ المدينة المنورة ، جده ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٥٦ .

٦٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

63) Cl Dozy, R., Die Israeliten Zu Mekka, 1864, S.S. 40 ff;

Noth, M., Op. cit., pp. 201 f.

٦٤) حمدليل كان ١٣: ١-١٨ ، ١٤/١٥ ، ١٤/١٦ ، ١٤/١٦ .

٦٥) تاريخ ابن خلدون (٩٧/٢ (القسم الاول) ، ت ٦٨٢/٢ (القسم الثاني) .

٦٦) الطوسي (أحمد بن أبي بطروب بن سفيان) : تاريخ الطوسي ، الجزء الاول ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص ٥٣ .

٦٧) محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد النيجر ، ص ٢٦٨ .

68) Lockenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. II, Chicago, 1927, Par. 55;

Ule, A.G., The Inscriptions of Sargon II. King of Assyria, Part I Annals, Paris, 1929, P.5;

Oppenheim, A.L., "Sargon II (721- 705): The Fall of Samaria", Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, New Jersey, 1969, P. 284

٦٩) محمد علي الباز : أباطيل التوراة والعهد القديم (١) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، دمشق

١٤٤١هـ/١٩٩٠م ، ص ٩٧ .

٧٠) أعلن هرتس (٧٣٢-٧٢٤ ق.م) العصيان في عهد الملك شلمنصر الخامس ، وتذكر التوراة : "أن ملك

آخور وجد في هرتس عمية ، لأنه أرسل الى "سوا" ملك مصر ، ولم يرد جبهة الى ملك آخور حسب كل سنة " . والحروف توضحها أنه لا يوجد ملك في هذه القوة من تاريخ مصر وهو يحمل اسم "سوا" ، ومن هنا كان الخلاف بين المؤرخين حول هلا الى "سوا" ، وربما كان الملك المقصود في نص التوراة هو "أوسركون الرابع" (٧٣٠-٧١٥ ق م) من الأسرة الرابعة والعشرين : انظر ملوك لبنان ١٧ : ٤ -

٥ وكذا: محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ - ٣٨٩ وكذا: Breasted, J.H.,

History of Egypt, New York, 1946, p. 549;

Oesterley, W.O.F., The legacy of Egypt, Oxford, 1947, p.228;

Finegan, J., Op. Cit., p. 210;

Kitchen, K.A., The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973, pp. 373 C.

محمد علي البدر: المرجع السابق، ص ٩٧ .

72) Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, p. 342.

73) Ibid, P. 210 .

٧٤) ملوك أول ١٢ : ٦ .

٧٥) انظر عن هذه القبائل العربية الشمالية :

الوهبي مرسل : شمال الحجاز، ترجمة عبدالمحسن الحسيق ، الاسكندرية ١٩٥٢، ص ٩١ - ٩٥ .

٧٦) محمد يوسفي مهران : مصر والشرق الاقصى القديم (٣) تاريخ العراق القديم ، الاسكندرية

١٤٤٠هـ / ١٩٩٠م ، ٣٩٥ - ٣٩٦ وكلا

Oppenheim, A.L., op. cit., p. 296 .

٧٧) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٢٦ - ٤٢٢ .

٧٨) ان هيرودوت يستعمل كلمة اسكيلين Scythians من اسكيد Scythos ويسميهما بالجرارين وينسبهم الى

المكان الذي اسطرت به الاسباط العشرة ، واما ما أورده عن هجرات الاسكيلين من آسيا الى أوروبا

ليطلق وما أورده لزدوس من هجرات القبائل العشرة ، ويتصل بهم هيرودوت من Araxes الى

Arsareth ، وهناك الضرا بالقرمين أقرباتهم من الاسرائيليين الجارين كذلك . ولقد عثر في القرم على

منات من القبر عليها تصور تشبه الى اسطوانات الاسرائيليين هناك . انظر :

نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

٧٩) ملوك ثلث ٢٤ : ٧ ، عزرا ٢٤ : ٩ .

٨٠) زكي شونبة : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ وكلا :

Cook, S.A., "The Fall and Rise of Judah," The Cambridge Ancient History, Vol.

III, 1965, PP. 383 ff.

٨١) محمد يوسفي مهران ، مصر والشرق الادنى القديم (٨) بلاد الشام ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

82) Roth, C. (ed.), The Standard Jewish Encyclopedia (Marsadah Publishing

Company), Jerusalem, 1962, P. 1317 .

٨٢) ملوك ثلث ١٧ : ٦ وكلا :

عبدالمجيد زاهد : الشرق والحالي، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٩٤ .

٨٤) تاريخ ابن خلدون ٥٩٤/٢ ، الكامل في التاريخ ٤٠١/١ ، ابو القلاء ١٢٣/١ .

٨٥) انظر عن السبي البابلي :

محمد يوسفي مهران : اسرائيلية: الكتاب الثاني - التاريخ، الاسكندرية ١٩٧٨ ، ص ٩٩٧ - ١٠٢٦ .

٨٦) ارما ٤١ : ١ ، ١٨ : ١ ، زكريا ٧ : ٥ ، ملوك ثلث ٢٥ : ٧ ، ٢٦ : ٢٦ وكلا :

ول هيرودت : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

87) Gulgnebert, Ch., Le Monde Juif au Temps Jews, Paris, 1935, pp. 30f.

٨٨) ملوك ثلث ٢٤ : ١٤ - ١٦ ، ٢٥ : ١١ - ٢٦ ،

ارما ٢٤ : ١ ، ٢٧ : ٢ ، ٢٩ : ١ - ٢ ، ٤٣ : ١ - ٧ .

٨٩) محمد يوسفي مهران : مصر والشرق الادنى القديم (٨) بلاد الشام، ص ٤٢٤ .

- ٩١) تاريخ الطبری : ٣٨/١ .
- ٩٢) طولها : ٥٥ : ٢٥ - ٢٦ .
- ٩٣) تاريخ الطبری : ٥٣٨/١ - ٥٣٩ . أبو الفداء ١٢٢٣/١ ولاء الزولا ١٦٦٠/١ من كبر : البداية والنهاية : ٣٩/٢ ، ياقوت : ٤٥٣/٥ - ٤٥٤ .
- ٩٤) لؤاد حمزة : المرجع السابق ، ص ٣٦ .
- ٩٥) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٨ .
- ٩٦) ابن لقيه (أبي محمد عبد الله بن مسلم) : البيبر ، حققه وقدم له لروت عكاشة ، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩ ، ص ٤٧ .
- ٩٧) نجيب ميخائيل الترابي : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ .
- ٩٨) ابن هشام : السيرة ٢٠٤/١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ياقوت : ٤٨٤/٥ ، ولاء الزولا ١٦٦٠/١ .
- ٩٩) زكي فودة : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .
- ١٠٠) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص ٤٥٤ - ٤٢٥ وكل :
- Albright, W.F., The Archaeology of Palestine, London , 1949, pp. 141f;
- Keller, W., The Bible As History, (Hodder and Stoughton), 1967, p. 205.
- 101) Muir, A., Northern Nejd, New York, 1928, p. 225 ;
- Gadd, C.J., "The Harran Inscriptions of Nabonidus", Assyriological Studies, Oriental Institute, University of Chicago, 8, 1933, p. 35;
- Hitti, P.K., History of the Arabs, London, 1950, p. 39.
- ١٠٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٣ .
- 103) Dougherty, R.P., Nabonidus and Belshazzar, New Haven, 1932, p. 106;
- Smith, S., "Events in Arabia in the 6th Century, A.D.," Bulletin of the Schools of Oriental and African Studies, 1954, P.P. 53, 83 .
- 104) Gadd, C.J., op. cit, p. 76.
- ١٠٥) عثر على عدد من الكتابات النبطية في الحجر وفي مواضع أخرى من لوز النبط وردت فيها أسماء عبرانية نظر ال أن أصحابها من يهود . يعود بعضها الى القرن الأول للميلاد ، ويعود بعض آخر الى ما بعد ذلك ، مثل الكتابة التي يعود عهدها الى سنة ٢٠٧ م ، وصاحبها رجل اسمه (يعني بر شمعون) أي (يعني بن شمعون) . فلو أن هذه الكتابات شخصيا ، ولا تفصح عن شيء ، لفي حال من عقلة أصحابها ، ولا من تاريخهم في هذه الأرضين - انظر :
- جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٣ - ٥١٤ وكل :
- Islamic Culture, vol. III, No. 2, April, 1929;
- Moravcsik, J., Judeo - Arabic Relations in pre-Islamic Times, Islamic Culture, III, 1929, p. 170.
- ١٠٦) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٣ .
- ١٠٧) آمال الروس : مصر في عصر الرومان ، الطبعة الثانية ، جدة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م ص ٨٦-٨٧ وكل :
- Salmon, E.T., A History of the Roman World, 30 B.C. - 139 A.D., London, 1963, pp. 80 ff.

- ١٠٨) تم أسر يوسف - الذي أصبح فيما بعد الكزوغ يوسف بن متى - على يد قوات لبيسان ، لم أصبح صديقا للقائد الروماني الذي أصبح هو الآخر فيما بعد الإمبراطور لبيسان . انظر :
آمال الرومي : المرجع السابق ، ص ٨٧ (٢) .
- ١09) Cary, M., History of Rome, London 1965, pp. 543 f.
١١٠) آمال الرومي : المرجع السابق ، ص ٩٥ وكذا:
- Milne, J.G., A History of Egypt under Roman Rule, London, 1929, pp. 28f.
١١١) عبدالوهاب النجار : المرجع السابق ، ص ٢٠١ وكذا:
- Hosmer, J.K., The Jews, Ancient, Medieval and Modern, London , 1885, p. 183.;
Charlesworth, M.A., "The Flavian Dynasty" , The Cambridge Ancient History, 1975, Vol. XI, p. 21 .
- ١١٢) مصطفى العمادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٧٩ .
- ١١٣) محمد علي البار : المرجع السابق ، ص ١٠٩ وكذا:
محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤٠ - ٤٤١ .
- ١١٤) عبداللطيف احمد علي : مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق الرديفة القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٢ وكذا:
احمد هلي : مقارنة الأديان (١) اليهودية ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٨٨ وكذا:
محمد بيومي مهران : سرييل ، الكتاب الثاني ، ص ١١٠٥ - ١١٥٨ وكذا:
مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ وكذا:
ول ديورانت : المرجع السابق ، ص ٥ وكذا:
- Cary, M., op. cit, pp. 648f.
Wilhelm Weber, "Hadrian", Cambridge Ancient History, 1975, vol. XLI P.P. 305, 313 f.
- ١١٥) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤٦ - ٤٤٢ .
- ١١٦) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٨ وكذا:
احمد ابراهيم الشريف : مكة والمنعة في الجاهلية وعهد الرسول ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٠٧ .
- ١١٧) جواد علي : المرجع السابق : ص ٥١٤ وكذا:
لاندر : المرجع السابق ، ص ١٦ .
- 118) Lacy, O'Leary, D.D., Arabia before Muhammad, London, 1927, p. 173;
Altheim, F und Stiehl, R., Die Araber in der Alten Welt, II, Berlin, 1964, p. 74.
- ١١٩) تاريخ الطبری ٣٨٤/١ .
- ١٢٠) تاريخ ابن خلدون ٢٨٧/٢ .
- عباس محمد العقاد : مطلع النور أو ظلال الحجة المعمنية ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٤٧ .
- ١٢١) ياقوت ٨١/٥ .
- احمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ وكذا:

محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٧) الخطبة الفريضة ، الاسكندرية

١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، ص ٤٢٣ .

(١٢٢) تلويح ابن خلدون ٥٩٤/٢ .

(١٢٣) كان يقيم ب (مقات) عند ظهور الاسلام ، اقوم من اليهود منهم (بنو جنبة) ، ولد كتب اليهم الرسول

صلى الله عليه وسلم ، وائل اهل (مقات) يدعوهم إلى الاسلام، أو إلى دفع الجزية وكتب إلى اقوم من يهود

اسمهم (بنو غاديان) ، وإلى اقوم آخرين (بنو غريش) .

انظر : ابن سعد : طبقات ٢٧٦/١ ، ٢٧٩ .

(١٢٤) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

(١٢٥) اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ١١ .

(١٢٦) أحمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

(١٢٧) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥٥٢ وكلا :

محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٢٣ .

(١٢٨) ابن هشام : السيرة ٤٢٨/٢ ، ٢٥٩/٣ ،

ولاء الوفا ١١٢/١ - ١١٦ .

اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ١٤ ، ص ١٦ .

(١٢٩) أحمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ وكلا :

اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(١٣٠) عزة فريزة : المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

(١٣١) اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(١٣٢) النبيل بكري : تلويح الخبير لأحوال أنفس النصارى ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٠٢هـ ، ص ٤٥ .

(١٣٣) الفسافي (لسان الهمم الحسن بن أحمد بن مقرب) : صلة جزيرة اليرب ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ،

(الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص ٣٥ .

(١٣٤) اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١٣٥) الشبلي : شرح كتاب السير الكبير لابن أحمد بن محمد بن أحمد الرسمي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،

القاهرة : ١٩٧١ ، ج ١ ص ٧٢ - ٧٣ وكلا :

سلام شاهي محمد سلام : حصون عمير في المعاهدة وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، الاسكندرية

١٩٨٩ ، ص ١٧ - ١٨ .

(١٣٦) الرومى الأتفي : ٥٢/٢ وكلا :

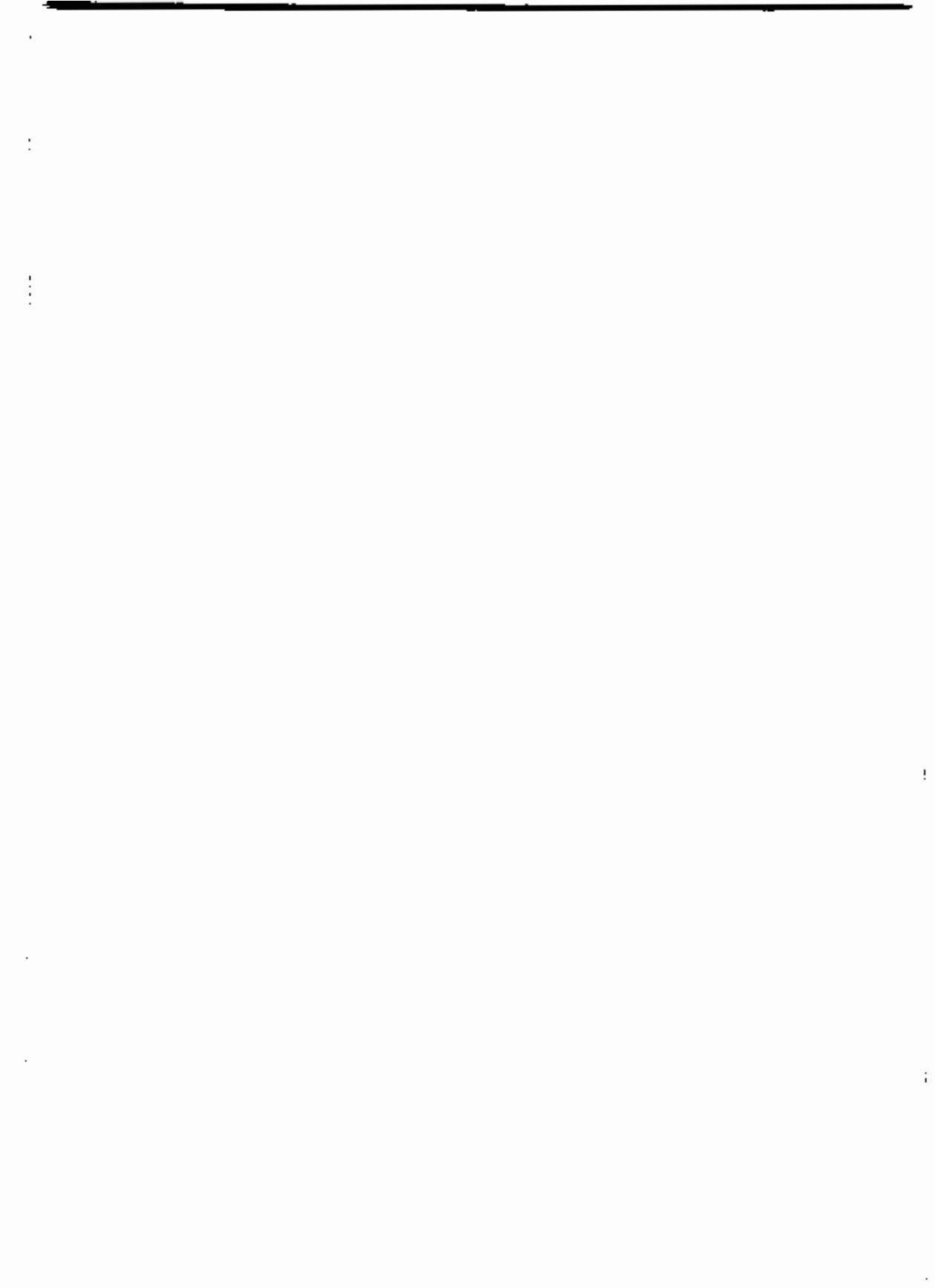
اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(١٣٧) ابن حبيب (أبو جعفر محمد) : المعجم تحفيل ابنزة ليحيى شخير ، حيدر آباد ، الهند ١٣٨٤هـ/

١٩٤٢م ، ص ١٩٦ وكلا :

- المفاتيح (أبو بكر أحمد بن علي) : خزائن الأدب ولباب لب لسان العرب ، الجزء الرابع ، القاهرة : ١٩٥٩ ، ص ٣٦٠ ، ٣٦٢ .
- (١٣٨) جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الخامس ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١١٢ .
- (١٣٩) عرفان حور : أسواق العرب ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٦٣ .
- (١٤٠) ابن النسي النسي : أيام العرب قبل الإسلام ، جمع وتحقيق ودراسة عماد الدين الباني ، بيروت ١٩٤٠/١٩٨٧ م ، ج ٢ ، ص ٥١٠ وكذا :
عرفان حور : المرجع السابق ، ص ٧٩ ، ٨٠ وكذا :
سعيد الافطاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٧ وكذا :
سلام شافعي عمرد سلام : النشاط التجاري في حير في الجاهلية وحسب القنح ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص ١٢٩ ، ٧ .
- (١٤١) وجيش بلاشير : تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - ترجمة الدكتور إبراهيم كيلاني ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٦٤ .
- (١٤٢) تاريخ القريش ٢/٢٦ ، ٣٩ .
- (١٤٣) أحمد سرمة : مفصل العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الخامسة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٦٢٨ .
- (١٤٤) Caskel, W., Das Attarabische Konigreich Libyan, Köln, 1954, s.19.
- (١٤٥) القوس والروم والمنفرد وغيرهم ممن دخل في الإسلام ، نسوا بأسماء عربية ، وحدثها أسماء عربية خالصة ، وتسمياتهم حلة لا تعني أن من تسمى بها كان عربي الأصل . ثم إن كثيرا من اليهود في العرب وفي أمريكا وفي البلاد العربية والإسلامية سموا أنفسهم بأسماء غير عربية ، ولكنهم كانوا وما زالوا على دين يهود . فلا أسماء وحلها لا تكفي في إعطاء رأى علمي في تعيين الأصول والأجناس ، ولا سيما في التزاكاته على طرق التجارة والواصلات وفي الأماكن التي يكثر فيها الاختلاط .
انظر :
- جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء السادس ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .
- (١٤٦) إسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ٦٥ . وكذا :
- (١٤٧) Margolionth, D.S., The Relations between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam, London, 1924, p. 59 .
- (١٤٨) ابن هشام السيرة : ١٨٣/٢ - ١٩٠ . وكذا :
عزة فورية : المرجع السابق ، ص ٤٣٨ - ٤٥٣ .
- (١٤٩) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .
- (١٥٠) سورة البقرة : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٢ - ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ١١١ ،
سورة النساء : ١٥٣ ، سورة آل عمران : ١٩٣ ،
سورة المائدة : ٢ - ١٣ ، ٧٨ - ٨١ .
- (١٥١) محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

- ١٥٢) احمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- ١٥٣) محمود عباس الطراد : المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٤٩ .
- ١٥٤) اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
- ١٥٥) سفر التثنية ١٤ : ١ وما بعدها .
- ١٥٦) عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .
- ١٥٧) اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ٢٠ وكلنا :
عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٤٣٦ وكلنا :
- محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٥٢ .
- ١٥٨) سورة الأنعام : ١٥٥ : ١٥٧ ، سورة فصلت : ٤٤ .
- ١٥٩) عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .
- ١٦٠) حماد القلي : التحقيق الجامع لأصول أحاديث الرسول ، الجزء الخامس ، القاهرة ١٣٦٨هـ ، ص ٢٣٠ .
وكلنا (كتاب) في الحديث تعني كتابتهم ولفظهم على ما هو مستفاد من مجموع الحديث .
- ١٦١) عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .
- ١٦٢) احمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ وكلنا : محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٥٢ - ٥١ .



التوازن واللاتوازن الاقليمي
دراسة جغرافية تطبيقية علي مدينة رايح

د. سامي صلاح الغمري
قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيز

د. أسامة رشاد جستية
قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيز



التوازن واللاتوازن الاقليمي

دراسة جغرافية تطبيقية على مدينة رابغ

المقدمة

ITF

اللاتوازن الاقليمي REGIONAL INEQUALITIES ظاهرة موجودة في أغلب الأمر في جميع دول العالم وبدون استثناء ، هذه الظاهرة تنعكس سلبياتها بشكل واضح على حجم وتركيبية النظام الحضري القائم في ذلك الاقليم وذلك لما تؤديه ظاهرة اللاتوازن الاقليمي الى صعوبات تنموية في الحاضر والمستقبل (HERBERT, E. THOMAS 1982 P 167) .. وقد ظهرت عدة دراسات واقتراحات جغرافية لدراسة الاثر السلبي لهذا التباين الاقليمي وايجاد حلول مناسبة له ، اما عن طريق تقييم الفرص الموجودة والمتاحة اقليميا مثل امكانية تحريك العمالة والتوازن بين مناطق العجز والوفرة اوقيام منشآت اقتصادية في مناطق العجز الحضري والمميزة بعناصر طبيعية واقتصادية مساعدة ، وهذه الدراسات تحاول جاهدة تسخير الحلول المناسبة من أجل ايجاد توازن اقليمي الي الحد المرضي بقدر المستطاع .

أما فيما يخص هذا البحث فإنه تناول ظاهرة اللاتوازن الاقليمي وتطبيقها على مدينة رابغ بعد معرفة تاريخ المدينة في الماضي وما كانت عليه من نمو وتقدم ، وما أصاب هذه المدينة من تراجع نتيجة لبناء طريق جدة المدينة السريع والذي ابتعد كثيراً عن مدينة رابغ ، وما وصلت اليه المدينة بعد قيام الأنشطة الاقتصادية الحديثة (المنشآت الصناعية الرئيسية الثلاث) . ولتحقيق ذلك فإن هذه الدراسة اعتمدت على تتبع النظريات المختلفة ذات

العلاقة بموضوع البحث بغية معرفة أكثر هذه النظريات امكانية للتطبيق علي منطقة الدراسة والتي أظهرت زن نظرية مردال (MYRDAL) تمثل نموذجا جيدا للتطبيق نظرا لأن صاحب هذه النظرية كانت تطبيقاته على دول العالم الثالث والذي يتميز بخصائص قد تختلف علي ما هو موجود بالعالم المتقدم .

والى جانب التعرف علي النظريات المختلفة فقد اعتمدت الدراسة علي النمل الميداني والذي استخدم أسلوب المقابلات الشخصية مع المسؤولين والاداريين في كل من بلدية رابغ ، المحطة التجارية لتوليد الطاقة الكهربائية ، مصنع الأسمنت ومصفاة بترومين (بترول) ، بالإضافة الي معظم المصالح الحكومية ذات العلاقة بموضوع البحث مثل ادارة التعليم والرئاسة والرئاسة العامة لتعليم البنات وفي نهاية البحث تقدم الباحثان ببعض النتائج والتوصيات المرتبطة بالتنمية الاقليمية بمدينة رابغ (انظر الاستبيان) .

تعريف مصطلحات البحث :

١ - التكتل الصناعي : INDUSTRIAL AGGLOMERATION

ويقصد به التجمعات الموقعية للانشطة الصناعية في منطقة جغرافية معينة بهدف الاستفادة من الوفورات الاقتصادية والموقعية المتوفرة من تكاوبا وقربها الجغرافي .

٢ - مؤثرات الترابط الصناعي : LINKAGE EFFECTS

ويقصد به تمركز المصانع ذات العلاقة الانتاجية المتشابهة في موقع جغرافي معين مستفيدة من بعضها البعض في انسياب وتسلسل المواد والمعلومات والسلع المصنعة والشبه مصنعة سواء في الانتاج الامامي او الانتاج الخلفي للنشاط .

٢ - الهبات الطبيعية والبشرية : INITIAL ADVANTAGES

ويقصد بها امكانية التفرق الاقليمي الجغرافي المتاحة له هذه الهبات الطبيعية والبشرية مقارنة بالاقاليم الأخرى المجاورة والتي لا تمتلك نفس الهبات الطبيعية والبشرية فيها وبالتالي يظهر كأقليم متفوق ومناسب يعجز الآخرين عن منافسته في الأسواق والانتاج والتوزيع .

٤ - السلع الاستهلاكية : CONSUMER GOODS

ويقصد بها جميع السلع والبضائع السريعة الاستهلاك الفردي والجماعي مثل الاجهزة والادوات والمواد التي يستعملها المجتمع في أى موضع جغرافي .

٥ - المساواة التنموية الاقليمية : REGIONAL EQUITY

ويقصد بها مساواة سكان قطر ما في جميع المنح والخطط التنموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتشمل التوزيع العادل في قيام ونشر المشاريع التنموية وبمشاركة جميع القطاعات والفئات في المجتمع الواحد وعدم تركزها في اقليم معين نون الأخر .

٦ - البنية الاساسية : (الهيكل الارتكازى) INFRASTRUCTURE

ويقصد بها المرافق والخدمات العامة التي توفرها دولة او قطر ما لتنمية الأنشطة الاقتصادية زراعية او صناعية او خدمات . وهذه المرافق تشمل مثل خطوط النقل بأنواعها الثلاثة ، وسائل الاتصالات الحديثة ، المياه ، الكهرباء ، والدوائر الحكومية الرسمية * المدن الصناعية * والبنوك والمستودعات ، والمواقف والصرف ،

٧ - سهولة التنقل والحركة : ACCESSIBILITY

ويقصد بها وجود وسائل النقل وشبكاتها لخدمة الأنشطة الاقتصادية في نقل المواد الخام أو حركة العمال من وإلى النشاط ، ونقل السلع والمنتجات الصناعية الي مراكز التوزيع المتباعدة في أقرب وقت وبأقل تكاليف شحن وتفريغ ممكنة .

٨ - الهامش والعائد الربحي : MARGIN OF PROFITABILITY

ويقصد بها العوائد المادية التي جاءت نتيجة الانتاج أو إنتاج وحدة واحدة مضافة الي الانتاج السابق . وعادة فإن الازياح الاجمالية تزيد وترتفع مع زيادة الانتاج التجاري حتى تصل الى نقطة انتاجية معينة تكون فيها اي زيادة انتاجية من حساب العائد الربحي .

٩ - التراكمية السببية :

سنظرية قالها عالم سويدي مردال (MYRDAL 1958) والتي يناقش فيها اهمية قيام نشاط اقتصادي في موقع جغرافي يساعد على سرعة دوران العجلة التنموية والحضرية في ذلك الموقع . ذلك ان قيام نشاط اقتصادي يؤدي بالضرورة الي سلسلة متواصلة من قيام نشاطات اقتصادية اخري لها علاقة وروابط اقتصادية مع المنشأة الاولى وذلك فيما يعرف بالروابط الامامية والخلفية والرفورات الاقتصادية ذات العلاقة بهم . وبعد فترة زمنية تتراكم وتكون نواة اقتصادية في ذلك الموقع .

١٠ - التنمية الصناعية :

يقصد بها تغيير وتحسين المستويات التقنية المتواجدة في القاعدة الصناعية المقامة . وذلك أن التحسين التقني يؤدي الي انتاج سلع بنوعية

وأسعار مطروحة في الأسواق المحلية والعالمية . هذه التنمية الصناعية تؤدي
الي تحسين المستويات المعيشية لمجتمع ذلك الموقع او الاقليم .

١١ - الدافع الاول : PRIME MOVER

ويقصد به وجود هبة طبيعية او بشرية في موقع معين تساعده علي
تقدمه وتفوقه علي الاقاليم المجاورة له . هذه الهبة الطبيعية او البشرية
(البترول مثلا) تؤدي الي تغيرات تنموية جذرية في مجتمع الاقليم علي جميع
المستويات الثقافية والصحية والتقنية فيه .

الاهداف :

شهدت مدينة رابع في السنوات الاخيرة قيام منشآت صناعية هامة
ساعدت علي حدوث تغييرات اقتصادية وحضرية وبالتالي الي اعادة عبد
التوازن الاقليمي لها ، ويهدف هذا البحث الي دراسة وتقييم هذه التغييرات
مستعينا بنظريات التنمية الاقتصادية والحضرية التي تناولت بحث وعلاقة
ظهور أنشطة اقتصادية في منطقة معينة وتأثيراتها الايجابية علي افراد
ومجتمع المنطقة التي شهدت حدوث هذا التغيير التنموي .

وفي هذا الصدد فقد تم الاستعانة بنظرية مردال في دراسة هذه
الظاهرة لنتبع التسلسل التنموي الذي حصل في فترة زمنية بسيطة بغية
معرفة زوجه التشابه والاختلاف بين الواقع الفعلي القائم بمدينة رابع والواقع
النظري الذي ناقشه مردال في نظريته .

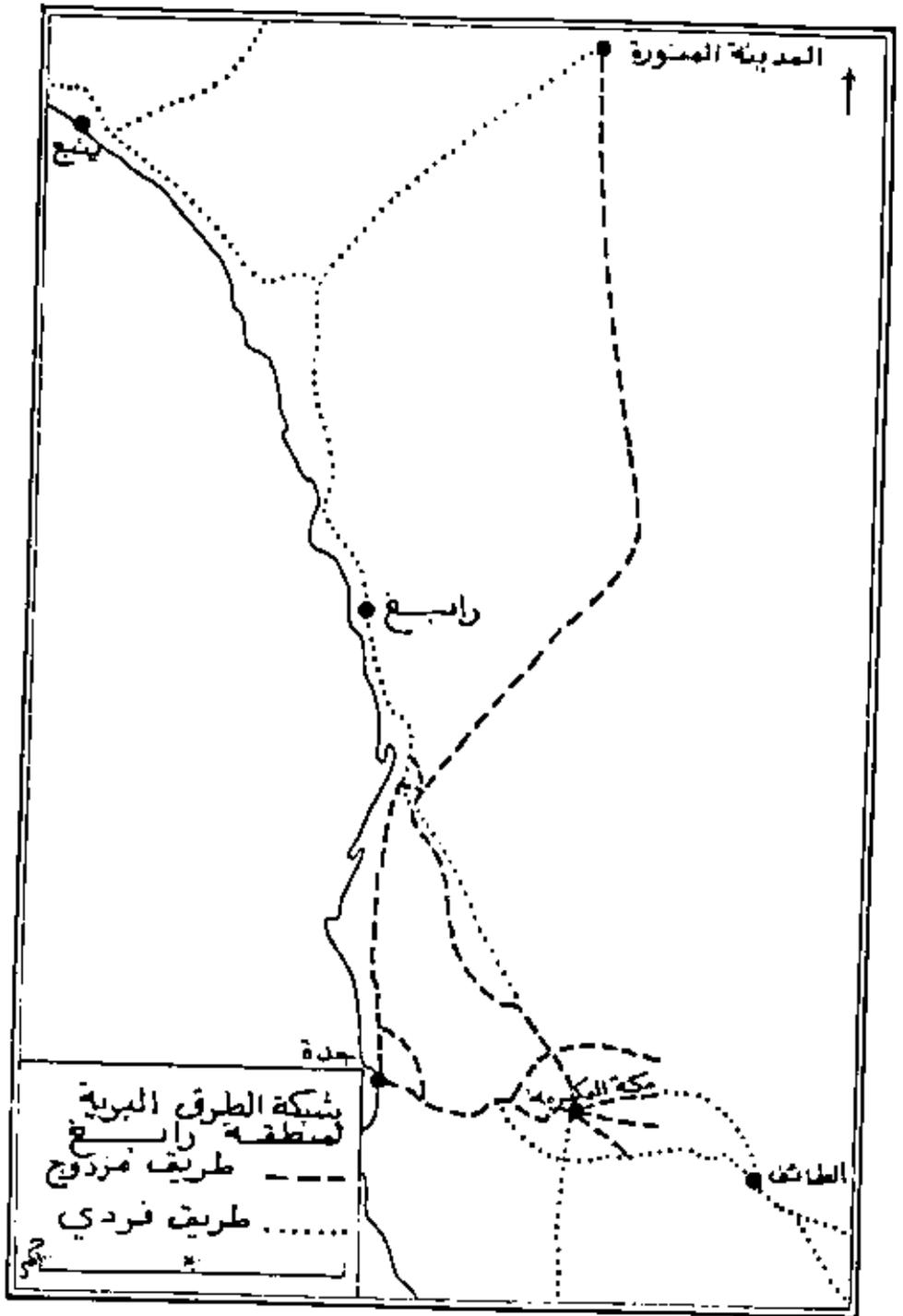
أهمية الدراسة :

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها محاولة لتتبع وكشف خصائص

التغييرات التنموية والتي مرت بها مدينة رابغ منذ بداية ظهور خطط التنمية في المملكة ١٩٧٠ - ١٩٩٠ م . حيث أن الدلائل التاريخية والجغرافية تشير الي أن أهمية موقع مدينة رابغ يكمن في أنها حلقة وصل بين المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة ولقوافل الحجاج والتجارة اضافة الى انها عبر تاريخها أصبحت نتيجة لاندثار الجحفة ميقاتا للحجاج القادمين عبر هذا الطريق (عاتق البلاوي ١٣٩٨ ص ٥٧) .

ومع ظهور الطرق البرية المسفلتة وانشاء طريق المدينة البري القديم والذي كان يمر بمدينة رابغ اضافة إلى زيادة عدد الحجاج الوافدين عن طريق البحر والذبان أديا إلى انتعاش المدينة اقتصاديا الا اننا نلاحظ ان أهمية هذه المدينة بدأت تتراجع بشكل ملحوظ وذلك نتيجة لدخول المملكة العربية السعودية مرحلة تنمية بناء الطرق السريعة خلال الثمانيات ، وانشاء الخط السريع الذي يربط كل من مكة وجدة بالمدينة المنورة عام ١٤٠١ هـ والذي اتخذ مسارا جديدا يبعد عن مدينة رابغ الامر الذي ادي بتوره الى بداية فقدان المدينة لأهميتها السابقة كحلقة اتصال بين المدن الرئيسية بالمنطقة الغربية وبمعنى آخر ان المدينة بدأت تفقد وظيفتها "ITS FUNCTION" التي كانت سببا ومبررا رئيسيا لوجودها RAISON DETRE وذلك أدي دون أدني شك الى نزوح وهجرات سكانية منها (DICKEN, P. 1986, P 57) (انظر الخريطة رقم ١) .

وفي مثل هذه الحالات عادة ما يحاول المخططون الاقليميون ومتخذي القرار "DECISION MAKERS" ايجاد بدائل اخرى تساعد علي اعادة الحياة للمدينة واكسابها صفة الاستمرارية ومبرر الوجود فالمعروف أن الوظيفة للمدينة رأس مال ثابت ليس من السهل تركه ببساطة بل يحاول أن يغري



وظيفة أخرى للظهور انطلاقاً من مبدأ تحقيق التوازن الاقليمي REGIONAL "BALANCE" بين أقاليم الدولة المختلفة (جمال حمدان ١٩٧٧ ص ١٨٦) وأن قيام المنشآت الصناعية الرئيسية الثلاثة بمدينة رابغ يعتبر نقطة تحول لاعادة الحياة مرة أخرى لهذه المدينة وتحقيقاً لمبدأ التوازن الاقليمي .

وتأتي أهمية هذه الدراسة في اظهار دور هذه المشاريع الصناعية والتي نشأت مع بداية الثمانيات وما تلعبه من دور بارز في احياء وتنمية المدينة اقتصادياً وحضرياً واعادة أهمية الموقع الجغرافي بها مرة أخرى .

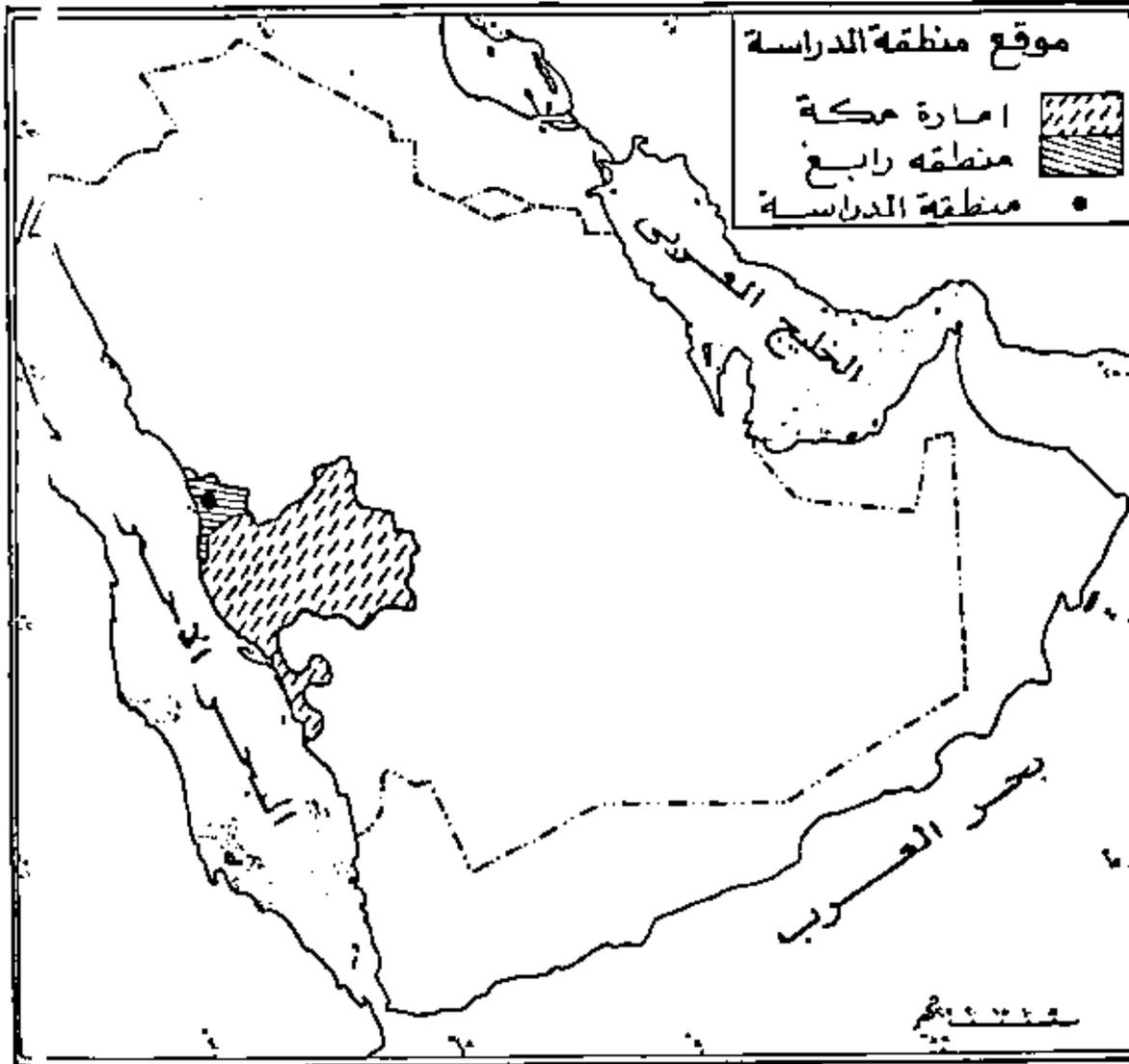
الخلفية الجغرافية :

تقع مدينة رابغ في غرب المملكة العربية السعودية علي السهل السادي الشرقي للبحر الاحمر بين دائرتي عرض ٢٢ر٤٨ شمالاً وخط طول ٣٩ر٥ شرقاً كما تداد طبيعي للسهل المعروف بسهل تهامة ويمساحة تقدر بحوالي ٤٩٢ هكتار (انظر الخريطة رقم ٢) ويحدها من الناحية الشمالية بدر ومن الجنوب خليص ومن ناحية الشرق المهد ، ومناخها فان مدينة رابغ تقع ضمن العروض المدارية الجافة والذي يعني ارتفاع في درجات الحرارة علي السنة ويبلغ متوسط درجات الحرارة في فصل الشتاء ١٥° م بينما في فصل الصيف تكون درجات الحرارة شديدة الارتفاع حيث يصل متوسطها حوالي ٤٥° م (عصفور ١٤٠٤ هـ ص ١٤٥) .

اما من ناحية الرطوبة النسبية فهي مرتفعة طوال العام وان كانت تزداد بصفة خاصة في أواخر شهور الصيف ويبلغ المتوسط السنوي للرطوبة النسبية حوالي ٥٨ % (عصفور ١٤٠٤ هـ ص ١٨٢) .

وبسبب موقع مدينة رابغ الجغرافي في العروض المدارية أدى الى ندرة

خريطة (٢)



في الامطار الساقطة وفي اختلاف مواعيد سقوطها وعدم انتظامها ، كما تسقط علي شكل عواصف ممطرة غالبا ما تكون خلال فصل الشتاء (نوفمبر - ديسمبر - يناير) ويبلغ معدل المطر السنوي حوالي ١٨ ملم (وزارة الزراعة والمياه) .

وفيما يخص الرياح السائدة فهي الرياح الشمالية والشمالية الغربية التي يصل معدلها الي ٤٠ ٪ بالنسبة للانتاجات الاخرى (الرويثي ١٩٨١م ص ٢٨) .

ومعظم السهل الذي تقع عليه المدينة مغطي بالرواسب الرملية التي تخترقها الأودية الشبه جافة ومن أهمها وادي رابع ووادي معرج ووادي الحنق وتمرة ووادي قديد ، ومعظم هذه الوديان تصب في البحر الأحمر في شكل غير منتظم حسب طبوغرافية المنطقة التي يجري فيها الوادي .

أما فيما يتعلق بموارد المياه والتي تعتبر عصب الحياة وأساس التنمية الحضرية فهناك المياه السطحية والتي تعتمد علي كمية الامطار الساقطة والتي تتصف بتفاوتها وقلة الكميات الساقطة ، ومع ذلك فإنه يستفاد منها في زيادة كميات المياه الجوفية وهناك الآبار والينابيع والتي تعتبر أكثر شيوعا من حيث الاستخدام وسد حاجة المدينة من المياه اللازمة اضافة الي محطة لتحلية مياه البحر بطاقة انتاجية مقدارها ١٢٤ متر مكعب يوميا (المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة ١٤١١ - ١٤١٢هـ ص ٢٠) .

السكان :

من الصعوبة بمكان دراسة التنمية الاقليمية لاي موقع جغرافي دون دراسة العنصر السكاني فيها ، وحيث أن نظرية مردال وضعت في اعتبارها

ان النمو السكاني يكون مصاحبا لهذه التغييرات الاقتصادية لمدينة رابغ في مرحلتها الاولى وعليه فانه لا بد من دراسة التغييرات السكانية لمدينة رابغ مختلفة بغية التوصل الى معرفة التغييرات المتداخلة بين السكان والانشطة الاقتصادية المختلفة .

يلاحظ من البيانات الاحصائية السكانية المتوفرة عن مدينة رابغ ان هناك تباينا كبيرا من مصدر لآخر ، فقد جاء في تقرير الدراسات السكانية والنوثة الحسابية بمدينة رابغ ان عدد سكان المدينة لعام ١٩٧٥م كان ٨٠٠٠ نسمة بناء علي نتائج دراسة المكتب الاستشاري (هاسبند) (وزارة الشئون البلدية والقروية ١٤٠٤ هـ ص ١) في حين نجد ان عدد السكان حسب تعداد عام ١٩٧٤م - ١٣٩٤ هـ قد بلغ ١٢ر٥٠٠ نسمة وفي دراسة لاحقة عن سكان مدينة رابغ قامت بها وزارة الشئون البلدية والقروية ، وكالة الوزارة لتخطيط المدن عام ١٤٠٨ هـ ضمن التقرير الفني لدراسات النطاق العمراني ، قدرت عدد سكان رابغ عام ١٤٠٧ هـ بـ ١٢ر٥٠٠ نسمة (وزارة الشئون البلدية والقروية ١٤٠٨ هـ ص ٢٤) ونلاحظ ان عدد السكان خلال الفترة المذكورة (١٢ عاما) ظل كما هو .

وقد نفسر هذا الثبات وعدم التغيير السكاني الى بعض العوامل الطبيعية والاقتصادية والتي أثرت تأثيرا سلبيا بصورة كبيرة علي عدم استمرار النمو السكاني المتوقع ان لم يكن هناك نقصان في اعداد السكان ، ويمكن ارجاع دور العامل الطبيعي وتأثيره بالدرجة الاولى الي وقوع مدينة رابغ ضمن النطاق المدائني الصحراوي (انظر ص ٨) والذي من خصائصه ندرة وتذبذب كميات الامطار السنوية فقد تنقطع سقوط الامطار لسنوات عديدة او تأتي فجائية في شكل عواصف رعدية تؤدي الي تكوين سيول

وفيضانات مدمرة وآخر هذه الفيضانات السيالية المدمرة كان عام ١٤٠٢هـ (الدراسات الميدانية ١٤١٣هـ) والذي ادى الى تدمير المزارع والمنازل المنتشرة على جانبي الوادي مما أدى بطبيعة الحال الى هجرة السكان وتزوحهم الى مناطق اخرى اكثر امانا .

وقد تؤثر التغييرات السلبية ايضا في تركيب النشاط الاقتصادي في المدينة بدليل ان نسبة المشتغلين في قطاع الزراعة والصيد لعام ١٣٩٤ هـ كان ٦٠٫٤٪ بينما انخفضت هذه النسبة بدرجة كبيرة الي ١٠٪ لعام ١٤٠٧هـ (وزارة الشؤون البلدية والقروية - ١٤٠٨هـ ص ٢٧) الا انه بعد عام ١٤٠٧هـ دخلت المدينة مرحلة تنمية جديدة بدأت بظهور المنشآت الصناعية بقطاعيها العام والخاص والتي ساعدت الي عودة وجذب أعداد سكانية اضافية ممثلة في العمالة الضرورية لتشغيل هذه المنشآت الصناعية حيث تؤكد البيانات الاحصائية المتوفرة هذا التغيير والتحول في تركيبة ونوعية العمالة للنشطة الاقتصادية لمدينة رابغ ، فنجد ان ما نسبته ٢٧٪ من العمالة لعام ١٣٩٤ هـ كانت تعمل في أنشطة اقتصادية غير زراعية ارتفعت هذه النسبة الي ٨٥٪ في عام ١٤٠٧ هـ (وزارة الشؤون البلدية والقروية - ١٤٠٨هـ ص ٢٧) .

نظرية مردال :

ان ظاهرة التوازن واللاتوازن الاقليمي وأثرها علي النظام الحضري بشكل عام افرز العديد من النماذج النظرية والتي حاولت تفسير ويلورة هذه الظاهرة ، فهناك النظريات الجغرافية الكلاسيكية الاقتصادية والتي ترجع التباين الاقليمي الي اسباب متعددة مثل رغبة اصحاب الاستثمار الاقتصادي

الي قيام النشاطات الاقتصادية في المواقع والتي تتميز بتكاليف مخفضة من جهة وذات الارباح العالية من جهة اخرى (مثل وفرة وجود المواد الخام والايدي العاملة الرخيصة ومعاهد التقنية الحديثة ووفرة شبكات النقل والمواصلات) ومن هذه الدراسات دراسة الفريد فيير ١٩٠٩م (فيبر ١٩٢٩) والتي تركز علي أهمية عنصري النقل والمواصلات والعمالة علي حتمية واختيار الموقع المناسب للنشاط ، ويتبع هذه المدرسة أوغست لوش ١٩٥٤ A. LOSCH والذي اعتبر ان عنصر السوق والاستهلاك من أهم العناصر التي تؤدي الي قيام وظهور المنشآت الاقتصادية في موقع جغرافي معين ، وهذا يؤدي بالتالي الي التغييرات التنموية والحضرية للمنطقة (DICKEN & LOYD 1990, P 93) .

وفي هذا الصدد يري جرينهت وازارد GREENHUT-ISARD (١٩٥٦) والذان ركزا علي أهمية العناصر السابقة مجتمعة ومتوفرة في المواقع الاستثمارية كما ان رستورن ROWSTORN ١٩٥٨م وسميث SMITH ١٩٦٦م اهتموا بنظرية الهوامش السكانية والتي ناقشت احتمالية انتشار المنشآت الاقتصادية بالقرب من الأرباح العالية وليس بالضرورة في بورتها (ص ١٨ CHAPMAN & WALKER ١٩٩١) (SMITH D. 197١, P 143 - 155) ومن العلماء الجغرافيين من يرجع ظاهرة التوازن الاقليمي الي عوامل سلوكية شخصية تؤدي بدورها الي حدوث مثل هذا التباين الحضري من اقليم الي اخر . ومن أصحاب هذا الاتجاه سيمون SIMON ١٩٥٧م والذي يقول بأن الانسان بطبعه يبحث عن أفضل وأعلي الأرباح المادية الاستثمارية الا ان الاعتبارات الاخرى الشخصية مثل قربه من موطنه او مجتمعه تؤدي بالتالي الي ظهور اقليم نامي دون الاخر . ويتفق مع هذا الاتجاه الن برد PRED ١٩٦٨م حيث يري ان

السلوكية الفردية قد تطغى وتفضل اجتذاب النشاط الاقتصادي في اقليم عن الأخر منها الماديات والارباح والتكاليف قد تأتي في اعتبار آخر ، على اساس فان الانسان هو الذي يقرر ويتخذ القرارات الاستثمارية ويفضل موقع استثماري عن آخر . وبالتالي تظهر اللاتوازنية بين الاقليم نتيجة تلك القرارات المتخذة منه (SMITH D. 1971, P 107) .

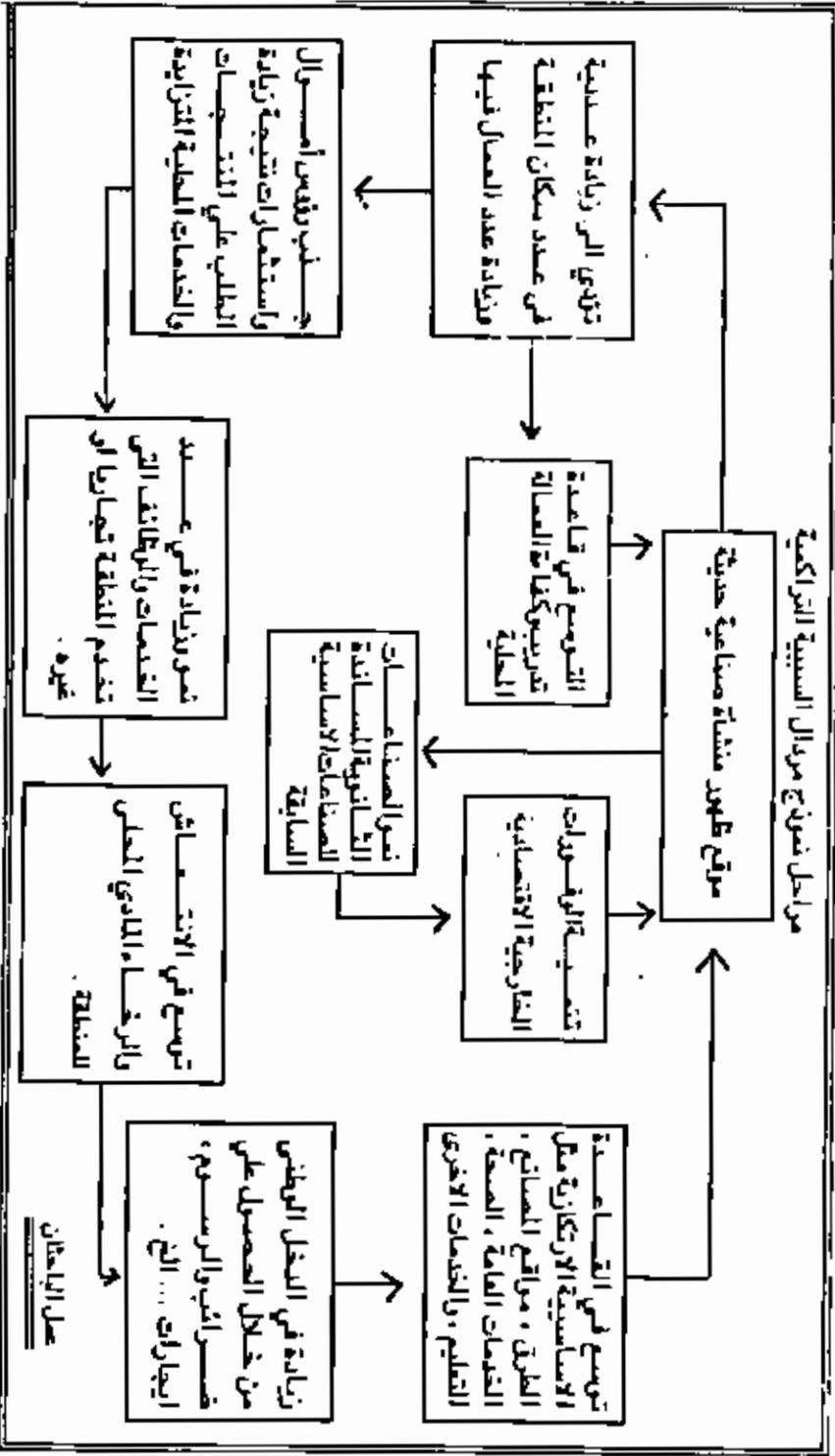
أما مردال ١٩٥٦م MYRDAL نظرية تعتبر واحدة من أهم هذه النظريات (MYRDAL 1957) الاقتصادية التي تبحث في حلول ومشاكل التنمية الاقليمية واللاتوازن الاقليمي خاصة في دول العالم النامي ، وتأتي اهمية هذه الدراسة انها وضعت اساسا لدراسة هذه الظاهرة في الدول النامية والتي تناقشها بمنظور مختلف بعض الشيء عن ما ذكر في أعلاه من النظريات الكلاسيكية يرجع ظهور التنمية الاقتصادية في اي اقليم جغرافي ليس فقط الي الوفورات الاقتصادية الداخلية والخارجية والتي دون شك ضروري للمنشآت الاقتصادية بل انه يرى الاسباب والتي سماها التأثيرات المتضاعفة (النوافع التنموية ٩ هي الاسباب وراء تتابع منظومة التنمية والتي تبدأ بقيام حسب النظرية بنشاط صناعي كبير يعتبر الجيل الاول والذي يؤدي الي سلسلة من التغييرات الجذرية التنموية المصاحبة لها وفقا للتدرج التسلسلي التالي :-

(أنظر الشكل رقم (١) .

المرحلة الاولى :

وهي التي يظهر فيها زيادة في الدخل القومي والفردى ذلك أن توفر وظائف عمل نتيجة لقيام المنشأة الصناعية الكبيرة لسكان المنطقة يؤدي الي ارتفاع المستوى المعيشي لهم . كذلك فان ارتفاع المستوى المعيشي لسكان

شكل رقم (١)



Charan and walker : المسمى

يحتتم قيام خدمات تجارية وحضرية اخرى مثل الاسواق التجارية ، المستشفيات الخاصة والحكومية . هذه الانشطة تحتاج الي توظيف عمالة محلية جديدة ، وهنا فان الزيادة العددية التراكمية المتتابعة في الخدمات الضرورية الحديثة الظهور تؤدي الي زيادة مكتسبة في عدد سكان هذه المنطقة النامية . هذه الزيادة تأتي علي افتراض ان معظم الوظائف الجديدة سوف تجلب معها عائلة مكونة في المتوسط من أربعة اشخاص . ومع الزيادة السكانية وارتفاع المستوى المعيشي في المنطقة فانه تظهر خدمات ومتطلبات ضرورية مثل المستشفيات والمدارس ووسائل النقل العامة ، هذه الخدمات تضيف وظائف عمل جديدة للمنطقة تؤدي الي اتساع القاعدة التنموية فيها تدريجيا .

المرحلة الثانية :

ومن نتائجها رفع قدرات ومستويات الكفاءة المهنية للعمال في القطاع الصناعي لتتلاءم مع المرحلة الصناعية الجديدة والتي من شأنها أن تستوجب ايجاد معاهد تدريب وتنمية القدرات البشرية العاملة والمتوقع منها التكيف مع التطورات التقنية الحديثة السريعة التغيير .

المرحلة الثالثة :

وحسب معطيات نظرية مردال فان المنطقة تدخل مرحلة تنموية جديدة الا وهي ظهور صناعات ثانوية مساندة تعتبر الجيل الثاني من الانشطة الاقتصادية فيها "ANCILARY INDUSTRIES" . هذه الصناعات الثانوية ارتبطت واعتمدت في قيامها بشكل كبير على المنتوجات الاولية المنتجة من الصناعات الاساسية السابقة للنشوء في الجيل الاول (GREEN, M. 1990, P 47) .

وتقوم الصناعات الثانوية بتقديم منتجات صناعية مصنعة وشبه مصنعة SEMI-FINISHED MATERIALS الي المستهلك ، ويتقديم وظائف وخدمات اخري مثل الصيانة وقطع الغيار ، مكونة بذلك ما يعرف باسم التكتل الصناعي AGGLOMERATION ECONOMIES . والذي بدوره له فائدة اقتصادية من حيث تواجد وتركز كثير من الانشطة الاقتصادية ذات العلاقة الانتاجية بالقرب الموقعي من بعضها البعض او الاستفادة من عامل الترابط الانتاجي في تحقيق زيادة العوائد الربحية وتخفيض تكاليف الانتاج والمصروفات (الهامش الربحي) PROFITABILITY MARGIONAL (WATT 1987, P 115-119) .

المحلة الرابعة :

وفي هذه المرحلة الاخيرة تظهر بوادر متممة ومشجعة لجذب أنشطة اخري من خارج المنطقة النامية تؤدي الي اضطرار المنطقة تنمويًا بشكل كبير . الا ان مردال أشار في نظريته بوجود توفر عنصرين رئيسيين هنا اولهما : عتبة القدرة الشرائية THRESHOLD ويقصد بها توفير الحد الأدنى من السكان لمنطقة ما لطلب خدمة معينة . ويعني آخر انه لابد من وجود حجم استهلاكي معين . كشرط اساسي لتغطية تكاليف انتاج وتشغيل هذه الخدمة ، وفي حالة عدم توفر هذا الشرط من القدرة الشرائية بالمنطقة فان قيلم النشاط الصناعي يصبح عديم الجدوى الاقتصادية . أما الوفورات الخارجية EXTERNAL ECONOMIES فيقصد به وجود خدمات حضرية URBAN ECONOMY وموقعية LOCAL ECONOMIES تساعد علي زيادة العوائد الربحية وتخفيض تكاليف الانتاج للمنشأة الصناعية وتتمثل هذه الوفورات الخارجية

الحضارية في المؤسسات الحكومية مثل البرق والبريد والهاتف ، والدفاع المدني ، المورد ، المواصلات ، الشرطة ، الشركات المختلفة مثل الكهرباء ، المياه ، التأمين ، البنوك ، بجانب الوفورات الموقعية مثل المادة الخام ، الايدي العاملة الرخيصة ، التمويل والاسواق .

تطبيق نظرية مردال علي التنمية الاقتصادية والحضرية لرابغ :

في هذا الجزء من هذا البحث سوف نحاول معرفة مدى التشابه بين النظرية والواقع التتموي القائم بمدينة رابغ ومعرفة ما اذا كان هناك فعلا علاقة كبيرة بين قيام ونشوء نشاط اقتصادي في موقع جغرافي معين وبين تنمية المنطقة اقتصاديا وحضريا وما قد يصاحب ذلك من مظاهر ايجابية وسلبية عليها . ويمكننا ان نعتبر ان منتصف السبعينات الميلادية هي بداية مرحلة جديدة للتغيير والتطور التتموي لمدينة رابغ ، حيث شهدت المملكة العربية السعودية منذ منتصف السبعينات طفرة في عائدات البترول الكبيرة ، واخذت ركزت الخطة الخمسية الاولى ١٩٧٠ - ١٩٧٥ م على بناء القاعدة الاساسية BASIC INFRASTRUCTURE والتي تكون معظم المتطلبات الضرورية اللازمة لتوطين النشاط الاقتصادي (الهيئة المركزية للتخطيط - ١٩٧٩ - ١٩٨٠ م ص ٢٥) . وكان الهدف النهائي من ذلك هو ايجاد بدائل ومصادر اخري للدخل القومي بجانب انتاج البترول .

ومع بداية خطة التنمية الثانية (١٩٧٥ - ١٩٨٠) كان معظم هيكل البنية الاساسية الضرورية قد اكتمل مما شجع على ظهور مرحلة جديدة من مراحل التنمية الاقتصادية الشاملة والتي تتمثل في جذب رؤوس الاموال المحلية والاجنبية من الاستفادة منها كوفورات اقتصادية خارجية وكانت هذه

بداية لظهور وتنوع الأنشطة الاقتصادية (وزارة التخطيط - ١٩٧٥ - ١٩٨٠ ص ٢٨ - ٢٠) .

ومدينة رابغ لا تشذ عن هذه القاعدة ، فقد استفادت من هذه المرحلة مدعومة بموقعها الاستراتيجي المميز (خريطة رقم ٢) مما أدت الى اختيارها لقيام ثلاث أنشطة اقتصادية رئيسية منها بترومين ، بترولا لتكرير خام البترول ، ثم اعقبها الشركة العربية المحدودة لانتاج الاسمنت واخيرا المحطة البخارية لتوليد الطاقة الكهربائية علي مستوى المنطقة الغربية ككل .

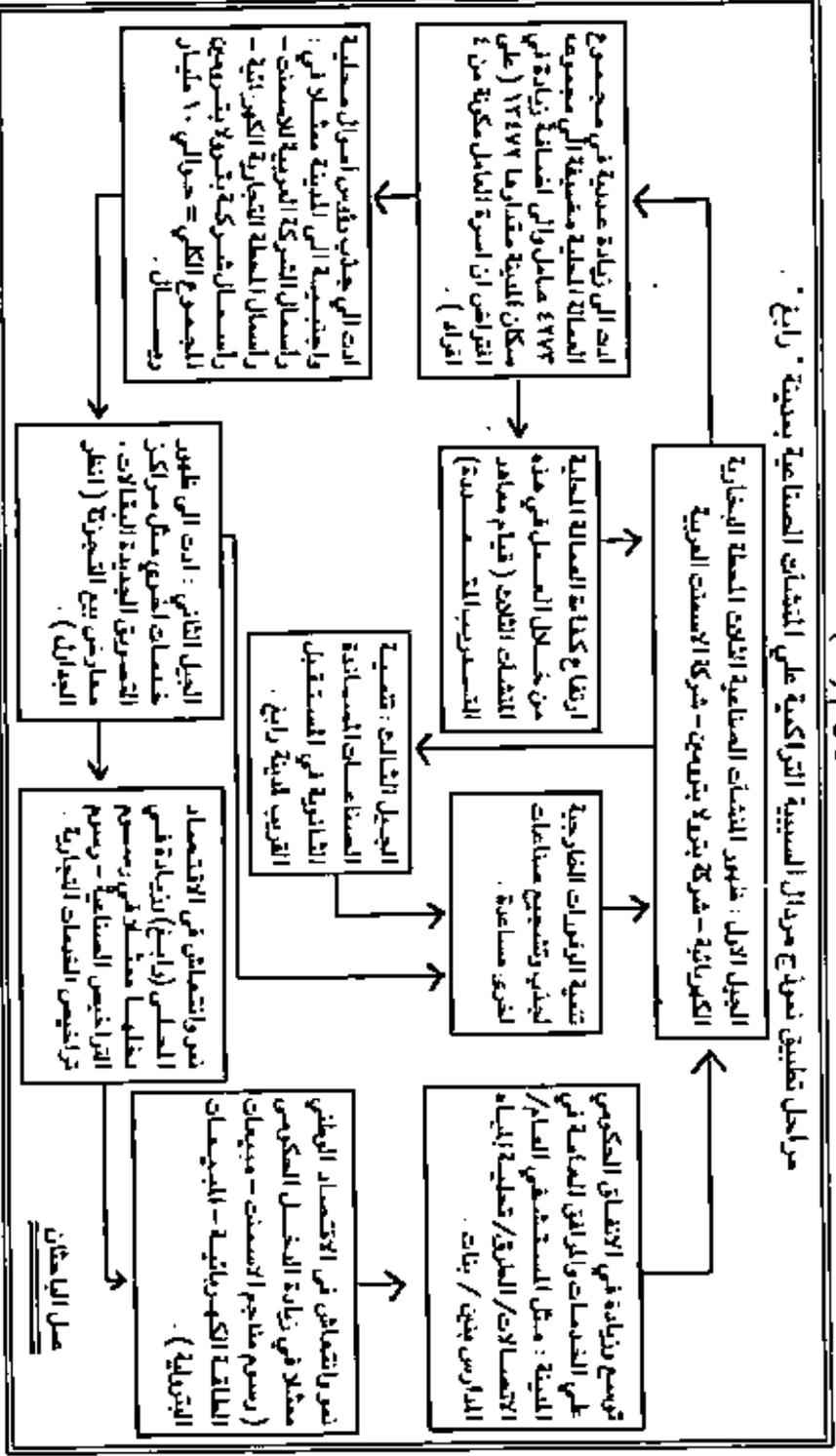
وللاهمية الاقتصادية لهذه المنشآت ودورها الرئيسي في التنمية الاقتصادية والحضرية لمدينة رابغ فلابد من اعطاء موجز عنها .
مصنع الاسمنت :

اختيرت مدينة رابغ كموقع أنسب لقيام اسمنت الشركة العربية المحدودة بسبب أن الموقع القديم شمال مدينة جدة كان يواجه صعوبات عديدة لعل من أهمها ان التوسع العمراني لمدينة جدة زحف علي مناجم الحجر الجيري المادة الخام الرئيسية في صناعة مادة الاسمنت بالاضافة الى اضرار التلوث الهوائي الناجم عن عمليات التصنيع . وبناء عليه فقد تم بناء المصنع الجديد عام (١٩٨٠) وبدا الانتاج الفعلي عام ١٩٨٤ بطاقة انتاجية حوالي مليون وثلاثمائة الف طن سنويا وهي ضعف الطاقة الانتاجية للموقع القديم .

ان وفرة المادة الخام (الحجر الجيري) في الجزء الجنوبي لمدينة رابغ واللازمة لانتاج الاسمنت هي من أهم عوامل التوطن الصناعي للمصنع في هذا الموقع بالتحديد ويشغل المصنع مساحة قدرها ٦ كجم^٢ تحتوي على

شكل رقم (٢)

مراحل تطبيق نموذج مردال السببية التراكمية على المنشآت الصناعية بمدينة " رابع "



المصدر : الدراسة الميدانية .

مناجم الحجر الجيري والتي بإمكانها تزويد المصنع بالمواد الخام لحوالي ٢٠ عام من الطاقة الانتاجية ويعمل بالمرقع حوالي ٢٨٥ عاملا اغلبهم ايدي عاملة وافدة . وفيما عدا وجود خدمة تموينية بسيطة لبعض المستلزمات اليومية فان معظم الاحتياجات والمستلزمات اليومية للسكان يتم الحصول عليها من مدينة رابع (راجع نتائج البحث) كما وأن المصنع يعتبر احد المصادر الرئيسية لتزويد الاقليم الغربي باحتياجاته من الاسمنت (الدراسة الميدانية ١٤١٢هـ) (انظر الخريطة رقم ٢) .

المحطة البخارية لتوليد الطاقة الكهربائية :

أن اتخاذ القرار بتوطين المحطة البخارية في مدينة رابع من قبل الشركة السعودية الموحدة للكهرباء كان لاسباب عديدة لعل من أهمها موقع مدينة رابع وسطا بين أهم مدن المنطقة الغربية مكة - جدة - المدينة المنورة - الطائف - رابع - ينبع (الخريطة ٢) حيث أن الموقع المتوسط يقلل من تكاليف توزيع الطاقة الكهربائية علي المستوى الاقليمي ، كما ان وجود المياه اللازمة لعمليات التبريد علي ساحل البحر الأحمر كان عاملا موضعيا أخرا حيث أن المحطة تحتاج الي كميات كبيرة من مياه التبريد تصل الي ٤٠٠ طن يوميا (١٠٠٠٠٠٠) جالون يوميا (دراسة ميدانية ١٤١٢هـ) .

وبناء علي ما سبق ذكره فقد بدأ العمل في المشروع عام ١٩٨٢م وقد استغرقت عمليات البناء ثلاث سنوات بعدها بدأ الانتاج الفعلي للكهرباء بطاقة مقدارها ١٠٤٠ ميجاوات عام ١٩٨٥ وذات الطاقة الانتاجية ١٥٢٠ ميجاوات مع بداية عام ١٩٩٢ . وبهذه الطاقة الانتاجية فان المحطة تغطي اكثر من ٥٠ ٪ من الطاقة الكهربائية في الست مدن السابقة الذكر ويبلغ عدد

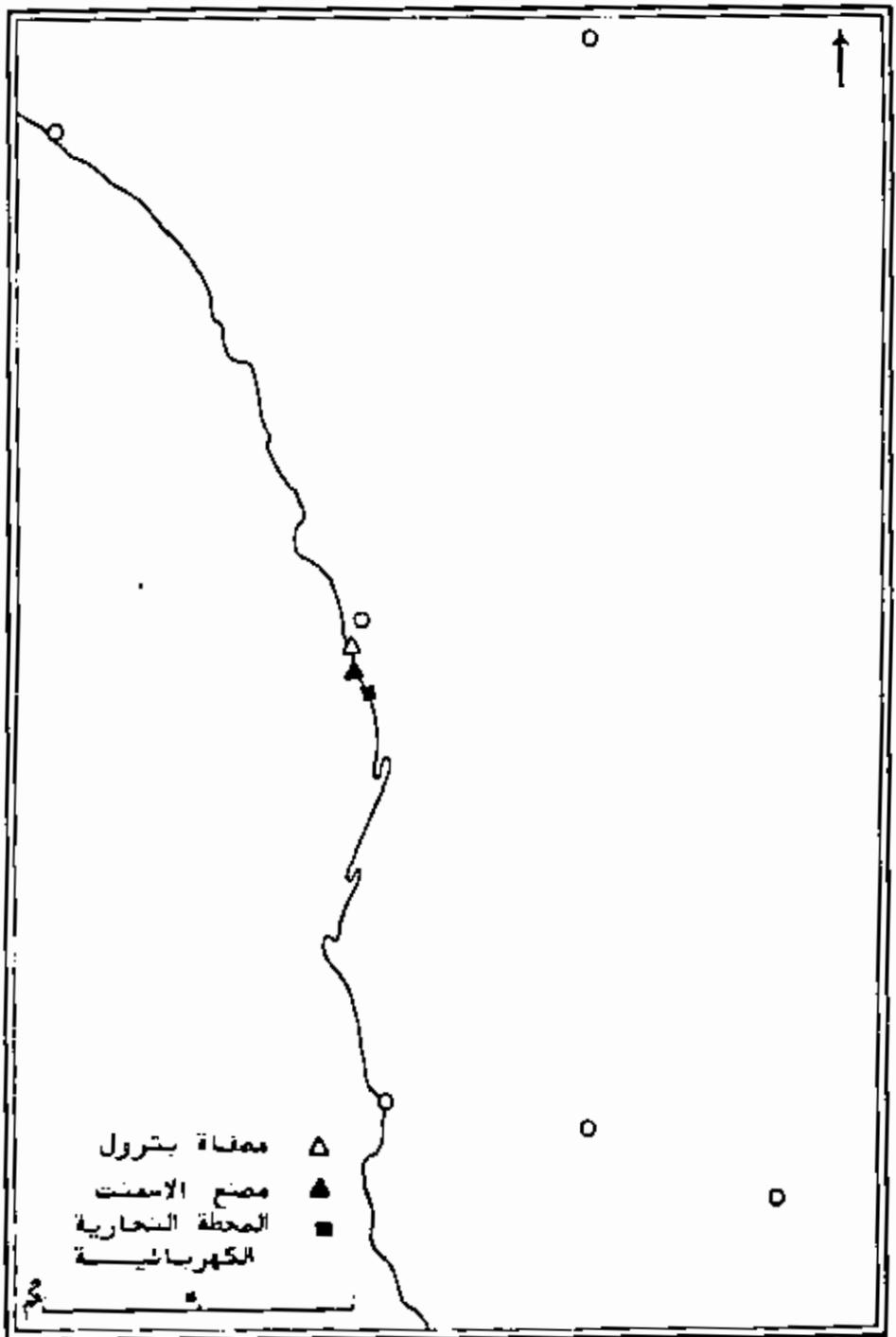
العمال حوالي ٢٥٠ عاملاً تمثل نسبة السعوديين فيهم حوالي ٢٥٪ من مجموع العمالة (الدراسة الميدانية ١٤١٣هـ) .

ونتيجة لعدم توفر العديد من الخدمات الضرورية مثل السكن والمدارس والتموين فإن هذا دفع العمال وأسرتهم الي سد احتياجاتهم من هذه الخدمات من مدينة رابغ (انظر نتائج البحث) (انظر الخريطة رقم ٢) .

بترومين بترولا :

وهي احد مصافي تكرير البترول الرئيسية الواقعة علي ساحل البحر الاحمر وتقع المصفاة في الجزء الجنوبي الغربي لمدينة رابغ علي بعد ١٠ كم (انظر الخريطة رقم ٢) ومن عوامل التوطن الصناعي والتي دفعت قيام المصفاة في هذا الموقع الجغرافي بالتحديد هو قربها من مدينة ينبع الصناعية والتي تقع الي الشمال من من مدينة رابغ ، حيث ان مدينة ينبع الصناعية تعتبر مصدر البترول الخام لمصفاة رابغ بالاضافة الي عوامل التوطن السابقة فان هذا الموقع يعتبر منفذ استراتيجي بحري هام يتم من خلاله تصريف المنتجات البترولية الي الاسواق العالمية في اوربا وامريكا الشمالية وأفريقيا ، حيث ان هذا الموقع يحقق فارق كبير في اختصار المسافة المقطوعة الي الدول الصناعية المتقدمة في غرب اوربا وأمريكا الشمالية مقارنة بنقل البترول من الخليج العربي الي هذه الدول (خريطة ٤) وهذا بدوره سوف يؤدي الي تقليص تكاليف شحن البترول الي الاسواق العالمية بأسعار اقل .

وقد اعتمدت المملكة العربية السعودية لفترة طويلة منذ بدايات الانتاج الاولي عام ١٩٢٨ وحتى عام ١٩٨٠ في تصريف معظم منتوجاتها البترولية



من منافذها الرئيسية علي ساحل الخليج العربي الا ان الازمة الخليجية الاولى والثانية اثبتت اهمية وجود منفذ استراتيجي ثاني علي البحر الاحمر ، وتشارك مدينة رابغ مدينة ينبع الصناعية في هذا النور الاستراتيجي الهام . ويشتمل المجمع على مصفاة تكرير بطاقة انتاجية تبلغ ٢٢٥ الف برميل يوميا تمتلكها كل من بترومين وشركة بترولوا العالمية . ويأتي نود بترومين في هذا المجمع الصناعي في تقديم الخدمات الضرورية مثل الخدمات السكنية والمتمثلة في المينة السكنية الحديثة والتي تبلغ طاقتها الاستيعابية ٥٠٠ نسمة ، وذلك للعاملين الذين يقومون بادارة وتشغيل هذه المصفاة ، ويشتمل المجمع ايضا على محطة لتوليد الطاقة الكهربائية ومحطة لتحلية المياه وتنقيتها ، اضافة الي وجود مرفأ بحري لاستقبال ناقلات الزيت وتصدير المنتوجات البترولية (المؤسسة العامة للبترول والمعادن - بترومين رابغ ١٤١٠هـ ص ١) .

ويبلغ عدد العاملين بالمجمع الصناعي حوالي ٢٥١٨ نسمة . ومما يميز هذه المنشأة الصناعية عن سابقتها بان معظم الايدي العاملة من السعوديين حيث تصل نسبتهم الي حوالي ٧٠٪ من مجموع العاملين بها .

تحليل البيانات :

قبل دراسة وتحليل التشابه الموجود بين النظرية والتطور التتموى في مدينة رابغ لا بد ان نشير الي ان هناك نقص في البيانات والمعلومات المطلوب توفرها بغية التحقق من هذه النظرية على الوجه المرضي . الا ان هذا النقص في بعض البيانات لا يمنع من اجراء مثل هذه الدراسة حيث ان البيانات التي تم الحصول عليها من العمل الميداني تعطي مؤشرات عامة يستفاد منها في

تحليل هذه الدراسة وتقييمها .

ومن تحليل البيانات الاحصائية المتوفرة فان الاطار العام للتطور الاقتصادي الحضري لمدينة رابغ يتماشى الي حد كبير مع المراحل الرئيسية للنظرية (انظر الشكل رقم ١) .

حيث نلاحظ من دراسة النظرية ان بداية الشكل تتمثل في عمليات البناء والتشغيل والانتاج لهذه المنشآت الصناعية الجديدة والتي امتدت للفترة الواقعة ما بين أواخر السبعينات وحتى منتصف الثمانيات وتعتبر هذه المرحلة البداية الاولى لانطلاقة التنمية الاقتصادية والحضرية للمدينة حيث ان عددا من المهتمين بهذا الجانب من الدراسات التنموية والذين اظهروا اهمية الدفعة الاولى INTIAL KICK كضرورة اساسية لانطلاقة الاقليم نحو التغيير التنموي (انظر نظرية مردال) (WHEELR & MULER 1981, P 65) .

وقد اهتم مردال بالتغييرات المواقية لظهور المنشآت الصناعية الجديدة والخصائص والمميزات التي تمتاز بها المراحل الرئيسية في النموذج والتي حددها في أربعة مراحل رئيسية متعاقبة ويمكن تحديد ملامح هذه المراحل لمدينة رابغ علي ضوء البيانات الاحصائية والمعلومات المتوفرة عن هذه المنشآت الرئيسية وما واكبها من خدمات حضرية مختلفة علي النحو التالي :-

المرحلة الاولى للتطوير التنموي لمدينة رابغ :

طبقا لنظرية مردال فان ملامح هذه المرحلة يمكن تلخيص خصائصها بالمراحل التنموية والتي مرت بها مدينة رابغ . حيث أن قيام هذه المنشآت الصناعية السابقة الذكر قد تتطلب وجود ايدي عاملة بأعداد كبيرة لتشغيلها

وادارتها ومن الطبيعي ان وجود فرص العمل هذه وبهذا الحجم انما هو انعكاس ايجابي للزيادة الكبيرة في الدخل القومي المستغلة من عائدات البترول في هذه المنطقة وبالتالي أدت الى ارتفاع المستويات المعيشية للفرد وتحسين مستوي الخدمات بينها بل ان تتالى وتتابع ايجاد فرص العمل المختلفة استمر ليشمل قطاع الخدمات ، ذلك ان النظرية اوضحت ان الزيادة السكانية وارتفاع المستويات المعيشية للسكان تؤدي الي قيام هذه الخدمات الضرورية مثل المدارس والمستشفيات والمرافق العامة .

وحسب البيانات عن بعض هذه الخدمات وجد أن هناك زيادة كبيرة في اعدادها . وعلي سبيل المثال فان القطاع التعليمي شهد زيادة في اعداد الفصول الدراسية والطبية والطالبات والمدرسين والمدارس بنسب زيادة كبيرة لمدينة صغيرة الحجم السكاني كمدينة رابغ وذلك في الفترة ما بين عام ١٤٠٥ - ١٤١١هـ (انظر الجدول (١) ، (٢)) .

هذا بالاضافة الى ان الخدمات الأخرى مثل الهاتف قد تضاعف عدد الخطوط العاملة بها الي مايزيد عن أربعة أضعاف خلال الفترة ما بين ١٤٠٠ - ١٤١١هـ . كما ان خدمة التلكس والتي لم تكن متوفرة حتى عام ١٤٠١هـ تضاعفت الي ٢٠ ضعفا في عام ١٤١١هـ (انظر جدول رقم ٣) .

وشملت التطورات التنموية قطاع النقل والمواصلات كجزء لايتجزأ من البنية الأساسية الضرورية للتنمية . فنجد ان هناك زيادة واضحة في عدد الكيلومترات المسفلتة ما بين عام ١٤٠٧هـ ، عام ١٤١١هـ حيث كان مجموع الشوارع الرئيسية المسفلتة بمدينة رابغ عام ١٤٠٧هـ ١٠٧ كم ارتفعت الي ١٤١ كم عام ١٤١١هـ (انظر جدول رقم ٤) .

المرحلة الثانية :

وهي المتعلقة برفع كفاءة وتدريب العمالة في النشاطات الاقتصادية الحديثة النشوء . ونظرا لان مدينة رابغ صغيرة الحجم حديثة العهد بالتنمية الصناعية المتطورة وفجائية قيام المنشآت الصناعية الثلاث بها في فترة زمنية قصيرة جدا ، فاننا نجد ان معظم العمالة فيها اما عمالة اجنبية وافدة ذات تخصصات تقنية مختلفة أو عمالة سعودية حصلت على تخصصات تقنية من معاهد وجامعات من خارج مدينة رابغ . الا ان هذا لا يمنع ان نشير هنا ان العمالة في هذه المنشآت الصناعية بفئتيها تكتسب المزيد من الخبرة والتدريب المهني في مجال الاعمال المهنية المختلفة وذلك من خلال الممارسة اليومية ، وبطبيعة الحال فان المحصلة النهائية هي رفع مستويات وكفاءة قدراتهم لتلائم المتطورات التقنية الحديثة كما اشارت اليه النظرية .

جدول رقم (١)

بيان بعدد الطلاب والفصول الدراسية والمدرسين بمدارس رابغ لجميع المراحل ١٤٠٠ - ١٤١١ هـ .

السنة	عدد الطلاب	عدد الفصول	عدد المدرسين
١٤٠٠	١٣٩٢	٦٨	٨٥
١٤٠٥	١٧٠٦	٧٥	١٠٦
١٤٠٨	٢١١٦	٧٩	١٠٨
١٤١١	٢٥٨٢	٩١	١١٨

المصدر :

- وزارة المعارف - الادارة العامة للتعليم بالمنطقة الغربية .

- مركز التوجيه التربوي بزابغ عام ١٤١١ هـ .

- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

جدول رقم (٢)

بيان بعدد الطالبات والفصول الدراسية والمدارس بمدارس رابع
لجميع المراحل ١٤٠٠ - ١٤١١ هـ .

السنة	عدد الطلاب	عدد الفصول	عدد المدرسين
١٤٠٥	٣٨٨٤	١٦٠	٢٧١
١٤٠٨	٤٤٨٢	١٧٩	٢٣٦
١٤١١	٤٩٧٦	١٩٦	٢٣٦

المصدر :

- الرئاسة العامة لتعليم البنات - مندوبية تعليم البنات ،
- مكتب التوجيه التربوي برابع عام ١٤١١ هـ .
- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

جدول رقم (٢)

بيان لعدد خطوط الهاتف والتلكس العاملة بمدينة رابغ .

السنة	عدد خطوط الهاتف	عدد خطوط التلكس
١٤٠٠	٧٥٢	صفر
١٤٠٢	٢٢٢٦	٩
١٤٠٥	٢٥٥٨	١٢
١٤٠٨	٢٨١٥	١٦
١٤١١	٣١٩٦	٢٠

المصدر :

- وزارة البرق والبريد والهاتف - منطقة جدة للاتصالات - مركز رابغ

للاتصالات عام ١٤١١ هـ .

- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

جدول رقم (٤)

الزيادة في سفلتة الطرق الرئيسية بمدينة رابغ .

١٤١١	١٤٠٧	الشوارع والطرق الرئيسية .
٦٠	٢٧	شارع الملك عبد العزيز
٣٦	٣٦	شارع الملك فهد
١٨	١٨	شارع الملك خالد
٢٧	٢٧	شارع الملك
١٤١	١٠٨	المجموع

المصدر :

- وزارة الشؤون البلدية والقروية - وكالة الوزارة لتخطيط المدن - المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية للمنطقة الغربية - التقرير الفني لدراسات النطاق العمراني - بلدية رابغ ١٤٠٨ هـ .
- العمل الميداني عام ١٤١٣ هـ .

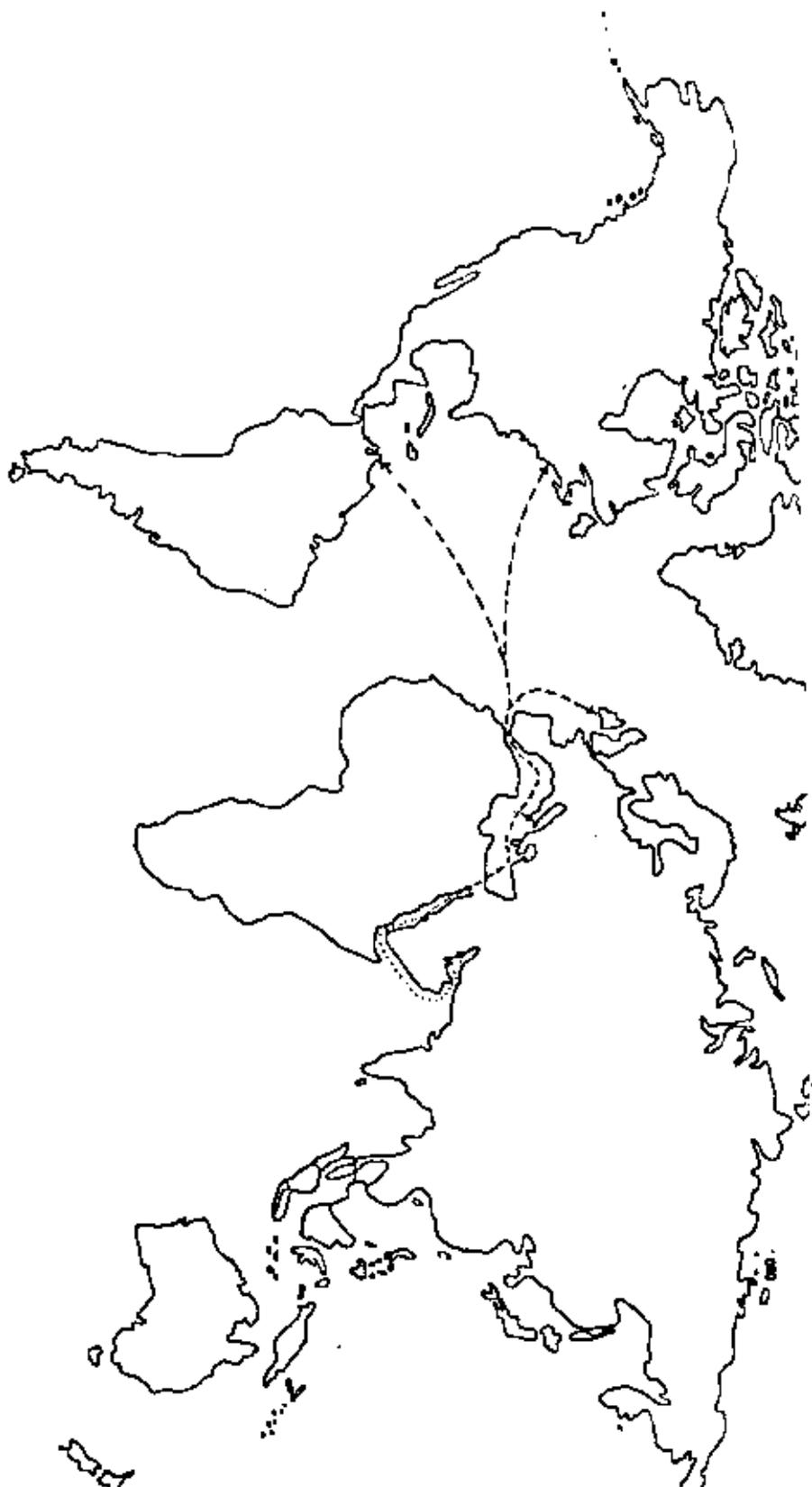
المرحلة الثالثة :

والمتمثلة في قيام الصناعات الثانوية المساندة والتي تقوم اساسا علي السلع من الصناعات الاساسية في الجيل الاول والتي لم تظهر بعد بمدينة رابع .

ويرجع عدم ظهور صناعات الجيل الثاني بالشكل الذي توقعته نظرية مردال الي سبب رئيسي وهو حداثة انتاج هذه المنشآت الثلاثة والتي لاتتجاوز بضع سنين ، حتي تتمكن بنورها من اتاحة فرصة استثمارية للقطاع الخاص او العام للاستفادة من منتوجاتها كمواد داخلية INPUT MATERIALS في الصناعات المساندة الثانوية تم الحصول علي منتوجات استهلاكية CONSUMER GOODS قابلة للتسويق المحلي والخارجي .

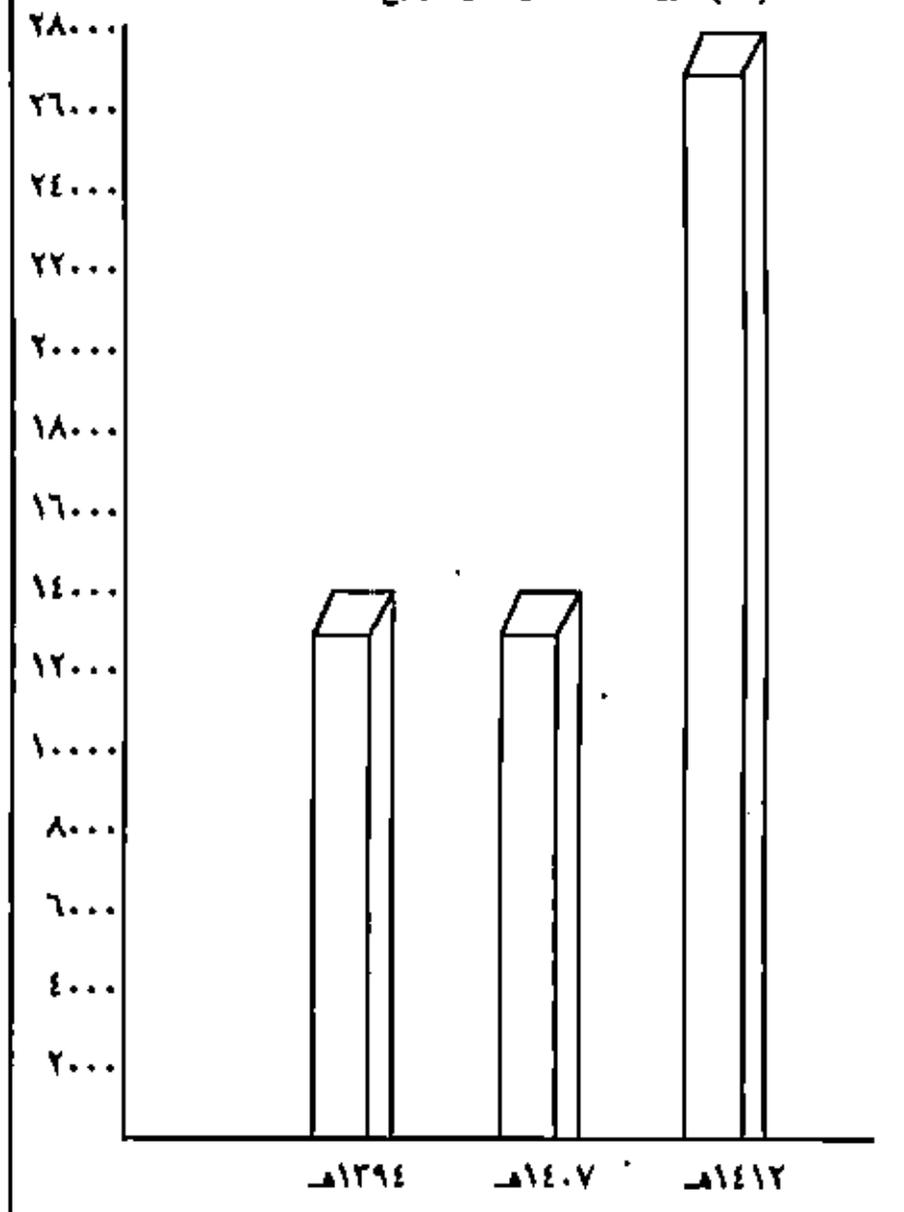
المرحلة الرابع :

والتي تعتبر مكملة للمرحلة السابقة حيث انها تشترط وجود أولا الحد الأدنى من السكان القادرين علي استهلاك السلع المنتجة بمختلف أنواعها حتي يمكن تغطية تكاليف الانتاج واستمرار المنشأة في زداء نشاطها الاقتصادي ووجود ، ثانيا الوفورات الاقتصادية EXTERNAL ECONOMICS والتي تستفيد منها الصناعات في تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة الارباح . وعند تحليل وتطبيق هذين العنصرين الهامين علي مدينة رابع لابد ان نذكر بادىء ذي بدء ان المنشآت الصناعية الثلاث الرئيسية والتي تم اقامتها كانت اساسا بهدف ايجاد توازن تنموي اقليمي REGIONAL EQUILTY لجميع مناطق المملكة وخاصة تلك المناطق التي بدأت تعاني من تراجع واضمحلال اقتصادي كما هو الحال في مدينة رابع .



Scale 1:100,000

شكل (٢) الزيادة السكانية لمدينة رابغ ١٣٩٤ - ١٤١٢ هـ .



المصدر :

- التعداد السكاني ١٣٩٤ هـ .

- وزارة البلديات والشئون البلدية والقروية ١٤٠٩ هـ .

- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

ومما يدل على ذلك أن عنصر عتبة القدرة الشرائية POPULATION THRESHOLD في مدينة رابغ لم يكن موجودا في اعتبار متخذي قرار DECISION MAKERS استثمار الصناع في قيام المنشآت الصناعية . ذلك ان القدرة الشرائية والحد الأدنى للسكان الذي أشار اليه مردال في نظريته غير متوفرة بالشكل المطلوب بمدينة رابغ بالرغم من الزيادة السكانية عند مقارنتها بالانتاجية العالية لهذه المنشآت ، حيث تشير البيانات الاحصائية التي تم الحصول عليها من المنشآت الصناعية السابقة الذكر من أن مجموع العمالة بها قد بلغ ٤٢٧٢ عامل عام ١٤١٢هـ منهم ٢٠٦٨ عامل متزوج و ١٢٠٥ عامل أعزب وبهذا تشكل العمالة المتزوجة ٧٢٪ من المجموع الكلي ، وحسب اقتراحنا السابق (انظر الشكل ٢) فان كل اسرة تتكون من أربعة افراد في المتوسط وبذلك فقد أضافت ما مجموعه ٩٢٠٤ فرد الى سكان المدينة وبإضافة هذا المجموع الى مجموع العمالة اعلاه فيكون مجموع الاضافة الكلي لسكان مدينة رابغ يبلغ ١٢٤٧٧ نسمة . يتضح ان هناك اضافة سكانية واضحة شهدت المدينة فعلا .

اما بالنسبة للوفورات الخارجية فالبرغم من توفرها موقعا والتي تسمح بقيام العديد من الصناعات المساندة والثانوية ، الا أن عدم قيام هذه الصناعات يعود الي ان القدرة الشرائية اللازمة والتي يسورها تعتمد علي حجم سكاني معين وهي العنصر الرئيسي المؤثر في ظهور او عدم ظهور هذه الصناعات الثانوية المتنوعة في مدينة رابغ غير موجودة .

وعليه فيمكن تقدير عدد سكان مدينة رابغ لعام ١٤١٢هـ لحوالي ٢٧٠٠٠ نسمة (انظر الشكل رقم ٢) وهذا يطابق مع ما أشارت اليه النظرية بحدوث زيادة سكانية مصاحبة لقيام النشاط الصناعي في منطقة ما

وما يعقب ذلك من تسلسل تنموي في المنطقة .

النتائج :

ان قيام المنشآت الصناعية الثلاث السالفة اعاد لمدينة رابغ مكانتها الوظيفية والتي كادت ان تفقدها نتيجة تحول الطريق البري الموصل بين مدينتي جدة والمدينة المنورة .

فقد ساعدت هذه المنشآت الصناعية الي اعادة الآمال في تنمية اقتصادية حضرية لهذا الموقع الجغرافي والى اعادة توازنها الاقليمي المميز للمدينة وبشكل أفضل واكبر اهمية مقارنة بوظيفتها القديمة . فقد كانت وظيفتها الرئيسية تتمثل في كونها موقع وسط بين المدينتين واقتصر دورها علي تقديم الخدمات السريعة وكمحطة استراحة للمسافرين .

اما في الوقت الحاضر وضمن اطار التنمية الصناعية الحديثة ، فان مدينة رابغ تحولت الي نشاط اقتصادي متنوع القاعدة والاستثمار وهذا مما يدفع الباحثان الي التوقع من ان تصبح مدينة رابغ بؤرة استقطاب اخري متممة لمدينة ينبع الصناعية وتؤديان الي مرحلة صناعية اكبر وعلي نطاق المنطقة الغربية ككل ... الا انه لوحظ ان هناك بعض عوامل التنمية تحتاج الي حوافز ودوافع استثمارية بغية جذب رؤوس الاموال الخاصة لتلعب دور اكبر فيما يتعلق بالصناعات التابعة للجيل الثاني (الصناعات المساندة) والتي لم تنمو بنفس الخطوات السريعة كتلك التي شهدتها صناعات الجيل الاول الاساسية (المنشآت الثلاث) ، مما يؤدي ذلك الي تباطؤ في التنمية الاقتصادية بشكل عام كما هو المتوقع الذي افترضته النظرية .

كم أظهرت الدوايسة ان الوفورات المدنية (الخدمات الحضرية) تمت

بشكل ملحوظ خلال فترة زمنية وجيزة على جميع القطاعات سواء التعليمية او الصحية او خدمات وسائل النقل والاتصالات ، كعامل من عوامل التوطن الصناعي . فاذا اضفنا وجود المنشآت الصناعية للجيل الاول ووجود البنية الاساسية والخدمات الحضرية يظهر لنا ان الفرصة مناسبة وجيدة لاستقطب الصناعات المساندة الى مدينة رابع بذلك مستقبل تنموي زاهر ان شاء الله .

لوحظ علي مدينة رابع ، وعلي الرغم من كونها مدينة ساحلية ، الا انها فقدت هذه الصفة لظهور المنشآت الصناعية الثلاث والمشاريع الخاصة والعامه وما تتطلبه من مياه في عمليات التبريد .

وقد استحوذت هذه المشاريع الخاصة والعامه علي معظم الواجهة البحرية تاركة المدينة متجهة نحو الجهة الشرقية ومؤثرة علي النمو العمراني في نفس الاتجاه الشرقي وهذا بخلاف ما كان متوقعا .

التوصيات :

وعلينا ان نتم هذه الدراسة ببعض التوصيات والتي يمكن ان تطرح بعض الافكار والتي تعود بالنفع والتنمية علي مدينة رابع ، وقد أمكن ايجاز هذه التوصيات في عدة نقاط من أهمها :-

١ - ايجاد الوسائل والطرق الكفيلة بتشجيع القطاع الخاص للاستثمار في مجال الصناعات الثانوية المساندة وتكثيف التسهيلات والقروض المالية المختلفة للمستثمر والعامل على حد سواء .

٢ - انشاء طريق برى مزدوج يربط الخط السريع الموصل بين جدة - المدينة المنورة وبين مدينة رابع ويكون بديلا عن الخط البرى الفرعى الحالى والذي لا يتناسب مع طموحات التنمية الحضرية والاقتصادية للمدينة ، وان تعبيد

طريق بري مزيج سريع سوف يساعد على تلبية وما تلبية المرحلة الحالية الصناعية من كثافة مرورية وحركة سريعة للعمال والشحن والتنقل من مكان الى آخر .

٣ - ضرورة ايجاد متنفس بحري (كورنيش) يهدف الي رفع مستوى الخدمات الترفيهية في المدينة ، ويساعد علي تشجيع المستثمرين في مجال الخدمات المدنية . ويؤدي هذا بطبيعة الحال علي المدى الطويل الي رفع الحركة التنموية الحضرية بشكل افضل مما هو عليه في الوقت الحاضر .

٤ - ضرورة قيام بنك للمعلومات والبيانات الاحصائية الصناعية والحضرية بهدف توفير المعلومات والتي تساعد الباحث والمستثمر في اتخاذ القرارات المناسبة علي اسس علمية صحيحة بعيدة عن مجال التخمين الذي لا يمكن له في عالم الاستثمارات الاقتصادية والحضرية الكبيرة الحجم والانتاج .

المراجع العربية :

١ - المملكة العربية السعودية : وزارة الشؤون البلدية والقروية - وكالة الوزارة لتخطيط المدن - المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية بالمنطقة الغربية ١٤٠٨ هـ - نطاق النمو العمراني لمدينة رابغ .

٢ - المملكة العربية السعودية : وزارة الشؤون البلدية والقروية - المديرية العامة للمنطقة الغربية ١٤٠٤ - تطوير شبكات توزيع مياه الشرب وملحقاتها لمناطق التوسع الجديدة لمدينة رابغ - تقرير الدراسات السكانية والنوطة الحسابية لمدينة رابغ .

٣ - المملكة العربية السعودية : وزارة البرق والهاتف والهاتف منطقة جدة للاتصالات - مركز رابغ للاتصالات ١٤١١ - بيانات عن تطوير اعداد المشتركين في خدمات الهاتف والتلكس بمنطقة رابغ .

٤ - المملكة العربية السعودية : وزارة المعارف ، الادارة العامة للتعليم بالمنطقة الغربية مركز التوجيه التربوي برابغ ١٤١١ بيانات عن تطور عدد الطلاب والمدرسين والفصول بمدارس رابغ لجميع المراحل .

٥ - المملكة العربية السعودية : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، مندوبية تعليم البنات برابغ مكتب التوجيه التربوي برابغ ١٤١١ ، بيانات عن عدد الطالبات والفصول الدراسية والمدارس بمدارس رابغ لجميع المراحل .

- ٦ - المملكة العربية السعودية : المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة ١٤١١ -
التقرير السنوى لعام ١٤١١ - ١٤١٢ هـ .
- ٧ - المملكة العربية السعودية : وزارة الزراعة والمياه - قسم الهيدرولوجيا -
النشرة الهيدرولوجية رقم ٩٥ لعام ١٩٦٦ - ١٩٧٠ م .
- ٨ - المملكة العربية السعودية : الهيئة المركزية للتخطيط - خطة التنمية الاولى
١٩٧٠ - ١٩٧٥ م .
- ٩ - المملكة العربية السعودية : وزارة التخطيط - خطة التنمية الثانية ١٩٧٥
- ١٩٨٠ م .
- ١٠ - المملكة العربية السعودية : المؤسسة العامة للبترول والمعادن بترومين
رايغ ١٤١٠ - مشروع التجهيزات الاساسية برايغ .
- ١١ - البلادي عاتق ١٣٩٨ : على طريق الهجرة - دار مكة للنشر
والتوزيع .
- ١٢ - حمدان جمال ١٩٧٧ : جغرافية المدن - الطبعة الثانية
عالم الكتب .
- ١٣ - الرويشي محمد ١٩٨١ : موانئ السعودية علي البحر الاحمر - رسالة
دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب جامعة القاهرة .
- ١٤ - عصفور محمد ١٤٠٤ : الجغرافية الطبيعية لامارة رايغ - امارة رايغ
دراسة جغرافية ميدانية قسم الجغرافيا - جامعة الملك
عبد العزيز - الطبعة الاولى .

- 1- Chapman K., and D. Walker. 1987 industrial location basil .
- 2 - Dicken, p. 1986.
- 3 - Dicken, p. & Houd, p. 1990; Location in spaace theoretical perspectives in economic geography. 3d edition. Harper collins, New York.
- 4 - Green, m. b. 1990; mergers and acquisitions. Geographical and spatial perspectives. Rpuledge. London.
- 5 - Herbert, d. t and Thomas, c. j 1982 Urban geography, a first approach New York : John Willey,Sons.
- 6 - Smith, d. m. 1971. Industrial locaution; an economic geographical analysis. 2ed. Nediton New York : John Willey.
- 7 - Watts H. d 1987 industrial geography. Longman. London.
- 8 - Wheeler, j. o., and p. o. Muller. 198. Economic geography. New York; John Willy.

الأسئلة

يهدف هذا الاستبيان للاجابة على بعض التساؤلات والمتعلقة بالدراسة التي يقوم بها الباحثان والغير متوفرة في المطبوعات المنشورة . أن الاجابة على هذه الاستفسارات سوف يساعد نون ادنى شك ان شاء الله في الوصول الى نتائج ايجابية ، ان الاسئلة الواردة في هذا الاستبيان لاتحتاج الي وقت كبير لانها صممت بطريقة سهلة . لذا نرجو منكم المساعدة في الاجابة عليه .
معلومات عامة :

- ما هو اسم المنشأة :
- ما هو العنوان الحالي :
- ما هو تاريخ انشاء المصنع :
- ما هو تاريخ بدء الانتاج الفعلي :
- ما هو جملة عدد العمالة :

غير سعودي	سعودي	المهنة
.....	اداري
.....	فني
.....	عامل
.....	أخري

- ما هو رأسمال الشركة عام..... المبلغ
- ما هو رأسمال الشركة عام..... المبلغ

المواد الخام :

- ما هو المواد الخام المستخدمة في الانتاج ؟

اسم المادة الخام	الكمية اللازمة	المصدر لها	وسيلة نقلها
١ -			
٢ -			
٢ -			
٤ -			
٥ -			

- ما هي الطاقة الانتاجية المصممة للمنشأة :

- ما هي الطاقة الانتاجية الفعلية للمنشأة :

- ما هو شكل الانتاج :

مادة خام اولية لصناعة اخري (نعم) (لا)

مادة خام نصف مصنعة (نعم) (لا)

كاملة التصنيع والاستعمال (نعم) (لا)

- ما هي مساحة الارض والملحقات التابعة له متر مربع

- هل ارض المصنع (مؤجرة) (ملك خاص)

- ما هو الدافع الانساني لقيام المصنع في هذا المكان :

١ - لوجود مادة خام .

٢ - سهولة النقل والمواصلات .

٢ - قربها من السوق .

- هل يقوم المصنع بتصدير منتجاته (نعم) (لا)

- اذا كانت الاجابة بنعم الرجاء الاجابة على الاتي :

عدد انواع المنتجات	الجهة المصدر اليها	الكمية
١ -		
٢ -		
٣ -		
٤ -		

- هل يقوم المصنع بتدريب عمالة (نعم) (لا)

- اين يقوم بتدريبهم (.....)

- ما هو عدد العمال الذين يسكنون خارج منطقة العمل
ويستخدمون وسيلة نقل (.....) .

- ما هو عدد العمال الذين يسكنون داخل منطقة العمل (.....) .

- هل قام المصنع بانشاء مساكن خاصة للعمالة
بالقرب منه (نعم) (لا)

- هل قام المصنع بانشاء مساكن للعمالة بعيدة عنه (نعم) (لا) .

- هل تتوفر الخدمات التعليمية بجميع مراحلها واجميع
العاملين (نعم) (لا) .

- هل تتوفر الخدمات الصحية الشاملة لجميع العاملين
بالمصنع (نعم) (لا) .

الاعطانات :

هل يتمتع المصنع بالاعفاءات الجمركية في :

- مواد الخام .

- الضمانات الاجتماعية ؛

- التصدير الى الخارج .

- اخري

هل الحماية الجمركية كاملة النسبة (-----) جزئية (-----) .

ماهي (في اعتقادكم) نسبة العاملين بالمصنع والذين يستخدمون
الخدمات التالية الموجودة بمدينة رابع :

- المواد الغذائية بأنواعها (-----) .

- الطابع (-----) .

- الحلاقة (-----) .

- المطاعم (-----) .

- الخدمات الترفيهية (-----) .

- المساجد (-----) .

التوازن واللاتوازن الاقليمي
دراسة تطبيقية علي مدينة رابغ

إسامة بن رشاد جستنية . سامي صلاح الضمري

استاذ مساعد / قسم الجغرافيا / كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية .

تعتبر ظاهرة التوازن واللاتوازن الاقليمي من الظواهر الجغرافية الملموسة في دول العالم خاصة الدولة النامية منها . ولاهمية هذا الموضوع فقد قام الباحثان بتطبيق احدي اهم النظريات التي تتناول بالدراسة والتحليل هذه الظاهرة وهي النظرية السببية التراكمية لمردال ١٩٥٦م (MYRDAL) والتي ناقش فيها كيفية قيام منشزة اقتصادية في موقع جغرافي يؤدي بالضرورة الى سلسلة متتابعة من نشاطات الاقتصادية ذات العلاقة في الموقع والتي تظهر مستويات تنمية متساوية بين الاقاليم وهذا يؤدي الي نمو المستوطنة المحيطة بالمنشزة الاقتصادية و (MYRDAL) بذلك يريد ان يوضح كيف ان المنشآت الاقتصادية في حقيقة امرها هي الدوافع الرئيسية لظهور التنمية الاقتصادية والحضرية والتي يري ان تؤخذ بعين الاعتبار بشكل خاص عند المخططين الاقليميين اذا ارادوا تخفيف حدة اللاتوازن الاقليمي بين مناطق الدولة وقد اثبتت الدراسة التطبيقية عن مدينة رابغ الي حد كبير ماتوصل اليه (MYRDAL) حيث ان اختيار مدينة رابغ لقيام المنشآت الرئيسية الثلاث ... (مصفاة بترولين - بترول - مصنع الاسمنت والمحطة البخارية لتوليد الطاقة الكهربائية) قد اعاد لمدينة رابغ صفة الاستمرارية كمنطقة حضارية بعد ماكادت ان تفقد هذه الصفة بسبب تحول الطريق البري الذي كان يربط بين مدينة جدة والمدينة المنورة .

ABSTRACT

REGIONAL EQUALITY & INEQUALITY A STUDY CONDUCTED ON RABIGH CITY

OSAMA B. JASTANIAH, SAMI SAL-GHAMRI

ASSISTANTS PROFESSORS / DEPARTMENT OF GEOGRAPHY

FACULTY OF ART AND HUMANITIES

KING ABDUL AZIZ UNIVERSITY

JEDDAH - SAUDI ARABIA

The regionalequality and inequality is considered to be tangible geographical phenomenon in all countries of the world, especially in the under developed countries (Third World), as this topic is very much essential, the two researchers have applied one of the most important theories which had been studied and analysed for this phenomenon. This theory is called Circular and Cumulative Causation by (Myrdal) Sweden Economist 1956. Myrdal Theory discussed the conditions for constructing an economical establishment in geographical location which will necessarily leads to a serial chain of economical activities related to the said location and would give an equal level of prosperity among regions. Also, this will lead to the development of the city surrounded by an economical establishment. Myrdal, would like to clarify the reality of an econoical establishment which is behind the main motive of any economical and urban development. His point of view is to take the regional area into consideration in special way, in order to min-

imise the acute regional inequality between the country regions. The study that was carried on Rabigh city has proved to a high extent what Myrdal had searched out for. However, the reason for choosing Rabigh city to build up the three main establishments such as (Petromin Refinery - Petrofa, Cement Industry and the Vapor Station for Electrical Power) has given for Electrical Power) has given to Rabigh the quality of continuance as an urban region while the city was about to lose this quality due to the road divergence connecting both cities, Jeddah and Al - Madinah.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد
ﷺ .. وبعد ،

يسرنا ان نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من كان له نور فعال في
ظهور هذا البحث ، ونخص بالشكر كل من :-

- رئيس بلدية رابغ ومنسوبيها ،
- مدير مركز رابغ للاتصالات ،
- الادارة العامة للتعليم بالمنطقة الغربية (مركز التوجيه
التربوي رابغ) ،
- مندوبية تعليم البنات رابغ (مكتبة التوجيه التربوي) .
- المسئولين في المحطة البخارية لتوليد الطاقة الكهربائية .
- بترومين ، بترولا .
- شركة الاسمنت العربية المحدودة .



الجفاف وتأثيراته الأيكولوجية في الوطن العربي

د. عبد الله رمضان عبد الله الكندري
العميد المساعد للتخطيط الأكاديمي
كلية الدراسات العليا
جامعة الكويت



الجفاف وتأثيراته الأيكولوجية في الوطن العربي

- ١ (مقنمة
- ٢ (تعريف الجفاف، التصحر، التحولة، العجز المائي
- ٣ (التنبؤ بالجفاف
- ٤ (البيئات المختلفة في الوطن العربي
- ٥ (الأهمية النسبية للمناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي
- ٦ (الخصائص الرئيسية للأنظمة البيئية في المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي
- ٧ (هيلمس مستوى جفاف الصحارى في الوطن العربي معادلة بنمان
- ٨ (أسباب الجفاف في الوطن العربي
- ٩ (أثر دورات الجفاف والنشاط البشرى في التصحر بالمناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي.
- ١٠ (إستراتيجية مجابهة الجفاف في الوطن العربي.

الجفاف وتأثيراته الأيكولوجية في الوطن العربي

(١) مقدمة:

يعتبر الجفاف ظاهرة مناخية طبيعية مؤقتة تحدث بسبب التقلبات الواضح في معدل التساقط الملوي وتوزيعه الجغرافي. وتدل الدراسات التي أجريت عن المناخ العالمي (١) أن هناك تغيرا مناخيا واضحا يميل نحو الجفاف في معظم المناطق العربية وأن المنطقة قد شهدت فترة جفاف عام (٣٠٠٠) قبل الميلاد، وأن مناطق الشرق العربي قد شهدت دورات جفاف في نهاية الستينات وانتشرت إلى دول الساحل بما فيها موريتانيا والصومال والسودان في عقد السبعينات، وبدأت آثار دورات الجفاف تنتشر في دول المغرب العربي في بداية عقد الثمانينات. ومن خلال دراسة السجلات المناخية والتاريخية لبعض الدول العربية تبين أن هناك تغيرا مناخيا واضحا يتجه نحو الجفاف من القرن العشرين، وهذا أحدث قلق في البلدان العربية بل أن دورات الجفاف سوف تؤثر بشكل كبير في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية مما يتطلب سرعة التخطيط للحد من تأثيراتها السلبية.

(١) Hart, F. K. 1983 Climate and Desertification, World Climate Programme, WCP - 44 - UNEP - WHO.

٢) تعريف الجفاف:

نظرا لحدثة كثير من التعاريف والمفاهيم البيئية كالجفاف والتصحر والتحول والعجز المئى وغيرها، فإن خلط هذه المفاهيم والتعاريف وعدم التفريق بينها بشكل علمى دقيق يؤدي إلى سوء فهم تلك التعاريف وبالتالي عدم الفهم الدقيق لأبعاد ومسببات الظاهرة المراد معالجتها. لذا من المفيد إلقاء الضوء على تلك المفاهيم البيئية التى يمكن تلخيصها فيما يلى:-

الجفاف: تستخدم كلمة الجفاف للتعبير عن نقصان الموارد المائية، وهى ظاهرة طبيعية مؤقتة فجائية وغير دورية، قد تطول فترة وجودها لسنوات عديدة.

التصحر: لها تعاريف متعددة منها تحول منطقة أو إقليم ما من منطقة قاحلة أو شبه قاحلة إلى صحراء نتيجة لاختلاف التوازن الأيكولوجى للنظم الأيكولوجية فى تلك المنطقة وهى شكل مصطنع للبيئة الجافة.

التحول: وهى ظاهرة مناخية طبيعية تتميز بأنها مستقيمة، وتقع المناطق المتأثرة بالتحول فى المناطق الحارة التى تتساقط عليها أمطار قليلة ولكنها كافية لتماسك النظام الأيكولوجى الهش من الإهيار، وتتوفر

المتطلبات البدائية الأساسية لمكان تلك المناطق، ويبين الشكل (١) التوزيع الجغرافي للمناطق القاحلة والصحارى فى العالم.

العجز المائى: هى حالة مصطنعة قد تحدث فى أية منطقة عندما تصبح كمية الطلب على الماء أكثر من الموارد المائية المتاحة. لذا فإن العجز المائى يمكن أن يحدث فى أى منطقة فى العالم وقد يؤدى إلى تدهور خصوبة التربة. ويمكن التغلب على العجز للمائى عن طريق ترشيد استخدام المياه والبحث عن مصادر أخرى(١).

٣) التنبؤ بالجفاف:

من الصعوبة بمكان تحديد أوقات حدوث دورات الجفاف أو تحديد مدى شدتها، وذلك نظرا لكونها ظاهرة مناخية طبيعية متغيرة وغير دورية. فالجفاف مرتبط بشكل وثيق بالعوامل والمعطيات المناخية مثل درجات الحرارة، والأمطار، والكتل الهوائية والتوزيع الجغرافى للضغط الجوى. ومن الصعوبة التكهن بهذه العوامل الطبيعية نظرا لعدم توفير معلومات دقيقة شاملة عن التغيرات المناخية فى الوطن العربى، وعلى الرغم من توفير

(١) El-Baz, F.1984. Deserts and Arid-Lands. Kluwer Academic Publishers Group, Distribution Center, P.O.Box 322. 3300 AH Dordrecht, The Netherlands.

الأساليب الإحصائية الحديثة ونظريات الاستقراء والتنبؤ المبينة على أساليب علمية فإن عملية التنبؤ بحدوث دورات الجفاف لا تزال صعبة التحقيق، حيث أن تلك الأساليب والنظريات تستطيع تحديد السلاسل الزمنية ولكن لا تستطيع أن تتعدى ذلك إلى قراءة أو تحليل المستقبل بدرجة عالية من الثقة، لأن ظاهرة الجفاف ظاهرة طبيعية غير دورية، إضافة إلى أن معظم الإحصائيات والبيانات المطلوبة للنماذج والنظريات الإحصائية الرياضية غير متوفرة بشكل دقيق في الوطن العربي.

والطريقة النظرية غير الدقيقة المتبعة في التنبؤ بالجفاف هي تلك المعتمدة على دراسة المعطيات المناخية المختلفة ودراسة مدى تشابهها مع تلك للمعطيات المساندة في الفترة السابقة لدورات الجفاف في الماضي، وذلك لمعرفة دورات الجفاف في المستقبل.

٤) للبيانات المختلفة في الوطن العربي:

يمكن تقسيم البيانات المتواجدة في الوطن العربي التي تختلف في درجة حساسيتها للتصحّر إلى :-

١- مناطق رطبة وشبه رطبة: وهي مناطق ذات كثافة سكانية مرتفعة، كما تتميز بكثافة الغابات والأحراج والمراعى. ومعظم هذه المناطق عبارة عن مرتفعات وهضاب جبلية على السواحل وتتخللها السهول، يمارس الإنسان فيها قطع الأشجار والشجيرات لاستخدامات اقتصادية وإجتماعية مما

أدى إلى زيادة معدلات التصحر حتى وصلت إلى تصحر شديد في بعض هذه المناطق على الرغم من طبيعة تكوينها وظروفها المناخية التي تجعلها بعيدة عن المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية(١). كما أن ضيق الجريان المائي في هذه المناطق ساعد على زيادة معدلات تعرية التربة مما أدى إلى تصحرها والذي انعكست آثاره السلبية على المناطق الزراعية والإنتاجية.

٢- مناطق جافة وشبه جافة: أما المناطق الجافة وشبه الجافة فمعظمها مراعي ومناطق زراعية تمتاز بكثافة سكانية متوسطة، يتزايد فيها النشاط البشري، حيث يمارس السكان حرفة الزراعة البعلية والمروية. ونظرا لتكوين تلك المناطق والظروف المناخية إضافة إلى طبيعة النشاط البشري والكثافة السكانية فإن جميع درجات التصحر يمكن أن تشاهد في هذه المناطق.

٣- مناطق شبه صحراوية: تمتاز هذه المناطق بكثافة سكانية منخفضة حيث يمارس السكان حرفة الزراعة القديمة في حيازات زراعية

(١) الشوريجي م ١٩٨٦ التصحر في الوطن العربي واثره على الإنتاج الزراعي والأمن الغذائي - مطبوعات المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة.

صغيرة تنتشر في الواحات والوديان، كما يمارس جزء آخر من السكان حرفة الرعي المتنقل. ولقد بدأت حدة التصحر تزداد في هذه المناطق نظرا لطبيعة النشاط البشري وعدم مراعاة القدرة البيولوجية لعناصر النظام الأيكولوجي في هذه المناطق، إضافة إلى الإفراط في إستغلال الموارد وبخول التكنولوجيا الحديثة وشق الطرق وحفر الآبار واستخدام السيوليات وما إلى ذلك من وسائل تكنولوجية حديثة لم تستغل بشكل يبنى سليم.

٤- مناطق صحراوية: من أهم خصائص المناطق الصحراوية خلوها من السكان تقريبا، وإن وجدت أعداد قليلة من السكان فلها تمارس الرعي المتنقل ولا تمارس النشاط الزراعي. ويتركز السكان - إن وجدوا - بالقرب من الواحات. انظر شكل (٢).

٥) الأهمية النسبية للمناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي:

تعاني المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي تدهورا مستمرا وزحفا للصحراء، وإهمالا واضحا من قبل حكومات الدول العربية في خططها التنموية المختلفة. ولقد بدأت مظاهر ذلك التدهور والإهمال بالظهور في الآونة الأخيرة مما كان له تأثير سلبي في هذه المناطق.

ولكن على الرغم من ذلك فإن المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي لاتزال تحتل أهمية نسبية كبيرة خصوصا في مجال توفير

للحاجيات الأساسية للإتمسان العربي، مثل الغذاء والموارد المعدنية والمياه. ويمكن حصر الأهمية النسبية لهذه المناطق فيما يلي: (١)

- ١- تساهم المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي بتوفير جزء كبير من الغذاء وخصوصا الحبوب حيث أنها تمثل نحو 85% من المساحة الإجمالية المزروعة بالحبوب في الوطن العربي، والنسبة المتبقية تأتي من الأراضي التي تعتمد على الزراعة العروية.
- ٢- تساهم المنتجات الحيوانية الغذائية في المناطق الجافة وشبه الجافة العربية بنحو 50% من إجمالي الإنتاج في الوطن العربي.
- ٣- تضم المناطق الجافة وشبه الجافة العربية عدة ملايين من الحيوانات، وتتنوع هذه الثروة الحيوانية بين أبقار وتعتمد 30% منها على مراعى المناطق الجافة وشبه الجافة، والإبل وتعتمد 90% منها على مراعى هذه المناطق، و 70% من المعز والضأن تعتمد على مراعى المناطق الجافة وشبه الجافة.
- ٤- تقع معظم المراعى في الوطن العربي ضمن نطاق المناطق الجافة وشبه الجافة وهي تساهم بنحو 60% من إجمالي الموارد العلفية المتاحة في المنطقة العربية.
- ٥- تعتبر المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي سر التوازن

(١) جان خورى وغيره ١٩٨٥ تخفيف آثار دورات الجفاف، ورقة أعدت للندوة العلمية في مجال الجفاف، تكبير المياه والإنتاج الزراعى، أغادير ١٩٨٥، أكملد ٤٥/ع١ - دمشق.

البيئي والعامل الأساسى فى حفظ هذا التوازن، نظرا لما تضمه من ثروات حيوانية ونباتية متنوعة من طيور وحيوانات ثيبيية وزواحف وغيرها، كما تضم النباتات الرعوية ونباتات الزينة والنباتات العطرية والطبية والنباتات العثبة للتربة والتي تعتبر فى حد ذاتها ثروات ذات أهمية كبيرة للإنسان العربى.

٦- تضم المناطق الجافة وشبه الجافة مخزونا كبيرا من الثروات المعدنية وأهمها البترول والغاز الطبيعى والذهب واليورانيوم والفوسفات وغيرها، كما تضم مصادر طاقة جديدة ومتجددة تتمثل فى الطاقة الشمسية وطاقة الرياح التى تلعب دورا كبيرا فى اقتصاديات معظم الدول العربية فى الوقت الحاضر وسوف يكون لها دور بارز فى المستقبل.

٧- نظرا لاتساع مساحة المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى فإنها تتلقى جزءا كبيرا من مجموع سقوط الأمطار حيث أنها تستحوذ على 30% من المجموع الكلى للأمطار فى الوطن العربى(١).

٦ الخصائص الرئيسية للأنظمة فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى:

١- إحدى أهم خصائص الأنظمة البيئية فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى تتمثل فى أنها هشة وذات حساسية عالية وغير مستقرة،

(١) Have, F.K. 1983 Climate and Desertification, World Climate Programme, Wcp, UNEP-WHO.

وأن التوازن فى عناصرها الأساسية وجزيئات تلك العناصر توازن حرج، حيث تختل هذه النظم أو تنهار نتيجة لحدوث أى تغير فى تركيب أو طبيعة أحد عناصرها الرئيسية، وتكون عملية التدهور فيها سريعة وملموسة فى حين أن عملية تطويرها وتتميتها مرة ثانية بطيئة وتحتاج إلى فترة زمنية طويلة. ويرجع ذلك مرة أخرى الى التكوين الهش والحساس وغير المستقر لتلك الأنظمة الذى وجد نتيجة للتفاعلات المختلفة للعوامل الرئيسية للنظم البيئية فى المناطق الجافة وشبه الجافة عبر التاريخ، مما جعل لكل نظام بيئى مميزات وخصائص تختلف عن الأخرى.

٢- انتشار الجفاف فى المناطق الجافة وشبه الجافة العربية معظم شهور السنة، والجفاف فى هذه المناطق ناتج من الدورة الطبيعية للهواء. ومن أهم ملامح ظاهرة الجفاف فى هذه المناطق الانخفاض الواضح فى معدلات التساقط السنوى وعدم انتظامه على مدار السنة، وسوء توزيعه جغرافياً، وارتفاع معدلات التبخر والتبخر نتيجة لارتفاع درجة الحرارة والتفاوت الحرارى اليومى والسنوى الكبير مما أثر بشكل كبير فى مواردها المائية وتكنى نوعيتها.

٣- انتشار التربة الكلسية والملحية والرمليّة والجبسية وغيرها من مجموعات التربة التابعة للترب الجافة وغير المتطورة التى تعاني مشكلات كثيرة مرتبطة بمحدوديتها الإنتاجية نظراً لنقص العناصر

الغذائية الأساسية اللازمة للإنتاج الزراعي(١).

٤- انخفاض إنتاجية المناطق الجافة وشبه الجافة مقارنة بالمناطق الرطبة وشبه الرطبة نظرا لكثرة المشكلات التي تعانيها الأنظمة البيئية في هذه المناطق المتمثلة في شحة المياه وقلة خصوبة التربة وارتفاع درجة الحرارة واشتداد الرياح وانتشار الكثبان الرملية وغيرها من العوامل التي أدت إلى انخفاض إنتاجية هذه المناطق.

٥- ضالة الغطاء النباتي تعتبر إحدى السمات البارزة للنظم البيئية في المناطق الجافة وشبه الجافة، ويمتاز الغطاء النباتي في هذه المناطق بانخفاض كثافته وإنتاجيته الحيوية وبساطة تركيبه وقلة أنواعه، مما ساعد على تعرية التربة وإزالة عناصرها العضوية وبالتالي تدهور قدرتها البيولوجية. ويجب أن نضع في الاعتبار أن الأمر لا يقتصر على الإنتاجية بل تعداه ليصل إلى تكسب قدرة الغطاء النباتي على التكاثر الطبيعي وتكوين البذور الصالحة للتكاثر.

٦- نشاط حركة الكثبان الرملية في كثير من المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي يهدد الأراضي الزراعية والمناطق الحيوية من مدن وقرى وطرق وغيرها. ولقد كان لاستواء الأرض أثر واضح في زيادة

Gile, L.H. and GROSSMAN, R.B. 1979. The desert project soil (1) monograph. Soil and land scapes of a desert region astride the rio grande valley new las cruces, New Mexico. Soil conservation services, USDA.

سرعة الرياح ومعدلات التعرية ونشاط حركة الكتلان الرملية في هذه المناطق. (١)

٧- اختفاء واضطراب الحياة البرية يعتبر أهم السمات البارزة للأنظمة البيئية في المناطق الجافة وشبه الجافة العربية، حيث أن اختفاء الغطاء النباتي تدريجياً وتدهور النبات الطبيعي قد أفقد الأحياء موطنها وقرنتها على الحياة والتكاثر، وأدى التدهور البيئي والجفاف إلى انقراض أعداد كبيرة منها أو دفع بالكثير إلى الهجرة نحو مناطق تتشابه ظروفها البيئية مع بيئاتها الأصلية.

(٧) قيام مستوى جفاف الصحاري في الوطن العربي - معادلة بنمان:

ولكي نحدد بشكل دقيق مستوى جفاف الصحاري فإنه يمكن الرجوع إلى معادلة بنمان التي تبين النسبة بين المعدل السنوي لكل من الأمطار (م) والبخر المحتمل (خ). وعلى أساس تلك المعادلة يمكن تقسيم الصحاري في الوطن العربي إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

المنطقة الأولى:

المنطقة شبه الجافة حيث:

$0.02 > م / خ > 0.50$ ويزيد المعدل السنوي للأمطار عن 160 مم.

Kalaf F.I., Gharip, I.M. and Al-Hashash M.Z. 1984. Types and characteristics (١) of recent surface deposits of Kuwait Arabian Gulf 1984 Journal of Arid Environments, VOL. 7, pp. 9-33.

تشغل المنطقة شبه الجافة المرتفعات في شمال العراق وفي بعض مناطق سوريا والأردن واليمن وبعض المناطق في السودان والمرتفعات والمناطق الساحلية في مراکش وتونس والجزائر.

المنطقة الثانية:

المنطقة الجافة حيث:

$$0.03 > \text{م / خ} > 0.02$$

وتقسم هذه المنطقة إلى إقليمين أساسيين:

- ١- إقليم مختلف الجفاف: حيث فترة الجفاف قصيرة ويتراوح المعدل السنوي للأمطار من 100 إلى 160 مم.
- ٢- إقليم ظاهر للجفاف: حيث فترة الجفاف طويلة نسبياً ويتراوح المعدل السنوي للأمطار بين 20 - 100 مم. وينتشر هذا الإقليم في معظم النول العربية حيث تحيط بالصحراء شديدة الجفاف والتي لا يزيد متوسط المطر السنوي فيها عن 100 مم.

المنطقة الثالثة:

المنطقة شديدة الجفاف حيث:

$$\text{م / خ} > 0.03$$

ويقل المعدل السنوي للأمطار عن 20 مم. ويمكن تقسيم هذه المنطقة

إلى ثلاثة أقسام:

- ١- إقليم يمتاز بشتاء بلود وصيف حار، حيث يصل متوسط درجة الحرارة لأبرد شهر من 0.0 إلى 10 درجة مئوية.
- ٢- إقليم يمتاز بشتاء لطيف وصيف حار، حيث تصل أعلى درجة حرارة ما بين 20 إلى 30 درجة مئوية.
- ٣- إقليم يمتاز بشتاء لطيف وصيف شديد الحرارة، حيث يصل متوسط درجة حرارة أبرد شهر 10 - 20 درجة مئوية وأحر شهر أعلى من 30 درجة مئوية(١). وتغطي المنطقة شديدة الجفاف أجزاء كبيرة من الوطن العربي متمثلة في الربع الخالي في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى التي تكون أجزاء كبيرة من مصر وليبيا وتونس وموريتانيا والجزائر والمغرب.

ويمكن تصنيف الجفاف على أساس:

- الجفاف المناخي
- الجفاف الهيدرولوجي
- الجفاف الزراعي
- الجفاف الإقتصادي

(١) حلقة العمل حول "إستراتيجية تطوير الموارد المائية تحت ظروف الجفاف" المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد) والمكتب الإقليمي للعلوم والتكنولوجيا في الدول العربية (الونسكو) دمشق ١٩٨٩.

تدل دراسات الباحثين والعلماء أن المناخ بعناصره المختلفة (حرارة، مطر، تيارات هوائية وغيرها) يعتبر أحد الأسباب البيئية وراء الجفاف في الوطن العربي. ولقد أصابت فترات الجفاف دول الحزام الساحلي الأفريقي في الفترة من 1982-1983 والتي أثرت بشكل كبير في الإنتاجية الزراعية فانخفضت صادراتها من الحبوب بل ازداد الأمر سوءا عندما اضطرت بعض الدول إلى إستيراد الحبوب من الخارج بعد أن كانت مصدره له.

كما نلت الدراسات الحديثة أن التلوث للهوائي الناتج من النشاط الصناعي له تأثير في الجفاف، حيث أن زيادة غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو قد ساعدت على حجب أشعة الشمس وأحتباسها بالقرب من سطح الأرض.

ويعتقد كثير من علماء البيئة والمناخ بأن كميات ثاني أكسيد الكربون سوف تزداد وتتضاعف خلال الخمسين سنة القادمة، وهذا بدوره سوف يؤدي إلى تسخين الأرض وارتفاع معدلات درجة الحرارة حيث أن ارتفاع مستويات تركيز ثاني أكسيد الكربون سوف يكشف من الحاجز الهوائي المسبب لظاهرة التسخين، المسبب في ذلك هو أن جزيئات غاز ثاني أكسيد الكربون تعتبر شفافة تسمح بمرور الضوء وأشعة الشمس الى سطح الأرض وتعمل على رفع درجة حرارتها. ولكن عندما يبدأ سطح الأرض بفقد الحرارة المكتسبة والزائدة فإن ذلك يتم بواسطة الأشعة تحت الحمراء،

ولما كانت هذه الأشعة قادرة على امتصاص الحرارة المنبعثة من الأرض فإنها سوف تبقى بالقرب من سطح الأرض وفي الغلاف الجوي بدلا من الانطلاق في الفضاء الخارجي وسوف ينتج من هذه الظاهرة ارتفاع في معدل درجة الحرارة في العالم قد تصل ما بين 1.5 و 4.5 درجة مئوية في نهاية القرن الحالي(١) وهذا ساعد على تسخين المياه وزيادة معدلات التبخر، وقد ترتب على ذلك تغيير في الدورة الهيدرولوجية.

كما دلت دراسات أخرى(٢) أن ارتداد أشعة الشمس عن سطح الأرض إلى الغلاف الجوي عند هوالش المناطق الصحراوية، أدى إلى تقليل معدلات التساقط السنوي. والفكرة الأساسية التي يستند إليها هذا الرأي العلمي هو أن للصحراء تعبير حوضاً حرارياً يطلق الحرارة إلى الغلاف الجوي بمعدلات أكبر مما تتلقاه الصحراء وهذا يعمل على تسخين طبقة التروبوسفير ويؤدي ذلك بدوره إلى ضعف التيارات الهوائية.

(٩) أثر دورات الجفاف والنشاط البشري في التصحر
بالمناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي:

إن للجفاف تأثيرات سلبية كبيرة في النواحي الاقتصادية

(١) الدكتور عبد الله الكندري - البيئة والتنمية المستدامة، دولة الكويت ١٩٩٢ ص ٦٤.

Kovda, V.A. 1980 Land Aridization and Control.

(٢)

والاجتماعية والبيئية، فظاهرة الجفاف يمكن ان تتأثر بها مختلف الأقاليم المناخية بدرجات متباينة. ولما كانت ظاهرة الجفاف مثل الظواهر الطبيعية الأخرى لا نستطيع السيطرة عليها أو منعها من الحدوث فإن أقصى ما يمكن للإنسان أن يطمح إليه هو التخفيف من أثارها السلبية من خلال إستراتيجية واضحة واضعين في الاعتبار التقلبات المناخية التي يمكن التنبؤ بها حيث تعطى صورة دقيقة للأوضاع المناخية المستقبلية، وإجراءات عملية لتطبيق الخطة التي من شأنها تخفيف الأثار السلبية للجفاف.

وأهمية موضوع الجفاف وتأثيراته السلبية تأتي من حقيقة أن المناطق الجافة وشبه الجافة وشديدة الجفاف في الوطن العربي تمثل نحو 90% من إجمالي المساحة الكلية. ولذا فمن الأهمية بمكان دراسة أثار دورات الجفاف والنشاط البشري في المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي للوقوف على تأثيراتها المختلفة التي تؤدي في النهاية إلى تصحر مناطق شاسعة في الوطن العربي مستقبلا. وتصبح الحاجة ماسة إلى وضع إستراتيجية من أجل تخفيف تلك الأثار(1).

(1) الشخازرة، محمد 1985 الإعتبارات البيئية في تنمية وصيانة الأراضي في المناطق الجافة وشبه الجافة لكساد ص ب 2440 دمشق، الجمهورية العربية السورية.

بختلف أثر دورات الجفاف والنشاط البشرى على التصحر فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى تبعاً لعدة عوامل أهمها:

- طبيعة وتركيب التربة.
- التفاوت فى معدلات التساقط وتوزيعها الجغرافى.
- نوعية وطبيعة الغطاء النباتى.
- الظروف البيئية الأخرى مثل طبوغرافية الأرض، درجة الحرارة وغيرها

ويمكن حصر تأثيرات الجفاف على التصحر فى الوطن العربى

بما يلى:

- 1 - دورات الجفاف والامستغلال البشرى السىء مثل الرعى الجائر المبكر يودى إلى لقتلاع جذور الأشجار والشجيرات والأعشاب وتدهور المراعى الطبيعية وتحولها تدريجياً إلى صحراء نظراً لانخفاض إنتاجها وتدهور قدرتها البيولوجية.
- 2 - ازدياد شدة الجفاف يؤثر فى النبات بشكل واضح، ويؤثر فى إنتاجية النبات وانخفاض جودته وقلة نمو المجموع الخضرى والجذرى، وقلة الثمار وانخفاض التزهير، مما يودى إلى انخفاض مساهمته فى الاقتصاد القومى أو تحقيق الإكتفاء الذاتى وتضييق الفجوة الغذائية.
- 3 - إن دورات الجفاف المتكررة والشديدة لها تأثيرات سلبية على نسبة الإنبات وقوة النمو للنباتات الحقلية، كما أنها مسؤولة عن التأخير فى

موعد الزراعة والتصنيع وحجم المنابل ونسبة عقد الأزهار وغيرها، مما يؤدي إلى انخفاض إنتاجيتها بشكل كبير وفشلها في تحقيق الإنتاج ذي القيمة الاقتصادية المؤثرة.

- 4 - إن زيادة الجفاف وما يصاحبها من استغلال مكثف وغير رشيد للأشجار والشجيرات في بعض المناطق للجافة وشبه الجافة في الوطن العربي تأثرا واضحا في ظهور حالات التصحر، حيث يقوم بعض المزارعين باقتلاع الأشجار والشجيرات لاستخدامها للحصول على الطاقة، أو زراعة الأرض الهامشية وتحويلها إلى أراض زراعية والتوسع في استخدام الحرث الميكانيكي الحديث والحراثة والزراعة في المنخفضات والوديان والأخراط في حفر آبار عميقة وتوطين السكان بشكل غير سليم. كل هذه الممارسات ساعدت وتساعد في المستقبل على تصحر كثير من هذه المناطق التي تعتبر بيئاتها هشة وغير مستقرة.
- 5 - تساهم دورات الجفاف المتكررة في انجراف التربة وتهديم بيئتها وفقدان خصوبتها، وذلك عن طريق التلثير في الغطاء النباتي الذي يختفي بشكل تدريجي مما يجعل التربة عرضة لعوامل التعرية والجرف وظهور الصخرة الأم أو تحويلها إلى مناطق كثبان رملية أو ملحية وبالتالي خروجها من نطاق الإنتاج الزراعي والرعي إلى نطاق التصحر والصحراء.

١٠) استراتيجية مجابهة الجفاف في الوطن العربي:

من أجل مكافحة الجفاف والتخفيف من أثاره السلبية على الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية لابد من تبنى استراتيجية واضحة مبنية على أسس علمية مستندة إلى واقع عملي للظروف البيئية والطبيعية والبشرية في الوطن العربي، ويجب أن تشارك في استراتيجية مجابهة الجفاف جميع القطاعات بدءاً من القاعدة الشعبية حتى الجهات العلمية والإدارات الحكومية في الدولة وحتى يحظى القرار المتخذ في هذا المجال على قبول جميع الأطراف (١).

ويمكن أن تتضمن الاستراتيجية المقترحة لمجابهة الجفاف في الوطن العربي الخطوات التالية:

- أ- خطط وقائية: يجب التركيز في البداية على الخطط المتعلقة بالوقاية حيث أن تكلفتها الاقتصادية منخفضة ومردودها البيئي والاقتصادي والاجتماعي مرتفع، ويمكن أن تتضمن خطط الوقاية ما يلي:
 - إصدار نشرات دورية لتوعية المستهلكين بأهمية المياه وكيفية الحفاظ عليها.

Sankary M.N.1984. Desertification control, productivity enhancement and (١) management intensification of the mediterranean-type arid and marginal areas in of Regional Research and the ECWA Region, Expert meeting on the Development Training Programmes on the Desertification Control in the ECWA Region, 27 Feb. - 1 March, 1984. ICARDA, Aleppo Syria.

- دراسة حالات الجفاف السابقة وتصنيف أنواعها وأثارها والخطط التي اتخذت من أجل تخفيف أثارها ومدى نجاحها.
- زيادة كفاءة المصادر المائية سواء سطحية أو جوفية وتمييزها على المدى الطويل.
- زيادة كفاءة الرصد المناخي والمائي.
- التوسع في البحوث والدراسات العلمية والتطبيقية لإيجاد أفضل السبل في التقليل من المياه المفقودة.

ب- خطط متبعة أثناء مرحلة الجفاف: الهدف الأساسي من هذه المجموعة من الخطط هو تخفيف حدة فترة الجفاف عن طريق إيجاد وسائل علمية مصممة للزيادة المتوفرة من مصادر المياه وتقليل معدلات الطلب عليه.

ج- خطط لاحقة لمرحلة الجفاف: الهدف منها حصر الأضرار والخسائر الناجمة عن الجفاف ومحاولة مساعدة السكان المتضررين.

د - خطط متبعة في تخفيف حدة الجفاف: الهدف من هذه الخطط هو محاولة التقليل من الطلب لكي يتناسب مع العرض. ويمكن تحقيق ذلك بعدة وسائل أهمها:

- صيانة مصادر المياه المتوفرة، ويتم ذلك عن طريق صيانة المياه الجوفية، وذلك بحصر مناطق الموارد وطبيعة المنطقة، وزيادة التغذية الاصطناعية للطبقات الجوفية.

- صيانة مصادر للمياه السطحية، والهدف من الصيانة تخفيف العبء من المياه عن طريق الحد من تبخر المياه السطحية.
- للتوسع في إنشاء الأقنية والمجارى والأنهار التحويلية وذلك بإنشاء السدود للتخزينية ومحطات الضخ لتحويل المياه من الأقنية التي تتوفر فيها المياه إلى الأقنية الجافة.

هـ- خطط متبعة لتوفير موارد مياه جديدة وبديلة: ويمكن أن يتحقق ذلك بعدة وسائل أهمها:

- تحسين كفاءة الشبكات المائية.
- المطر الاصطناعي.
- تحلية المياه المالحة.
- للتوسع في استعمال المخزون من البحيرات.

المراجع

- اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا 1982 تقرير عن إجتماع الخبراء الخاص بإدارة الموارد الزراعية وحفظها وتنميتها في منطقة غربي آسيا بدمشق / سورية - دمشق.
- اللطفي محمد 1985 التصحر تهديد خطير لحياة الإنسان ورقة عمل ندوة المخططين والقياديين والإداريين والمسئولين عن التصحر بمراكش/المملكة المغربية. مشروع الحزام الأخضر لدول شمال أفريقيا، تونس، الجمهورية التونسية.
- المعهد الوطني للبحث الزراعي 1985 تدخلات الباحثين بالمحطة المركزية للزراعة الصحراوية - ورقة عمل ندوة المخططين والقياديين والإداريين والمسئولين عن مقاومة التصحر بمراكش/المملكة المغربية، مشروع الحزام الأخضر لدول شمال أفريقيا، البنفيدير، الجمهورية التونسية.
- الشوريجي، م، أ 1982 الحصر الأولي للموارد الرعوية الطبيعية في دول الخليج والجزيرة العربية.
 - ١ دولة الكويت 1982
 - ٢ دولة البحرين 1982

- ٣ دولة قطر 1982

- ٤ المملكة العربية السعودية 1982

- الشوريجى م.أ. 1982 الندوة العربية الثالثة لإدارة وتنمية المراعى الطبيعية فى الوطن العربى تونس 1982

- مصطفى الشوريجى 1982 نبذة عن المراعى الطبيعية فى الوطن العربى ودور المركز العربى فى تميمتها. نشرة اليونسكو الإقليمى للعلوم والتكنولوجيا للحول العربية، المجلد 10 - العدد 1 و 2.

- الشوريجى م.أ. 1986 التصحر فى الوطن العربى وأثره على الإنتاج الزراعى والأمن الغذائى. مطبوعات المركز العربى لدراسات المناطق الجافة والأراضى القاحلة.

- الشوريجى م.أ.، بركودة.ى، اسكندر.ف، بطيخة.م.ن، الشيخ سليمان.أ. 1980 حالة الموارد الرعوية فى مشروع حوض الحماد. أكساد حماد/ ت 7 / مر / 1.

- الشوريجى م.أ.، تاج الدين.ص.من، بركودة.سى، بطيخة.م.ن، الشيخ سليمان.أ.، صناديقى.ن 1982 دراسات الموارد الرعوية فى حوض الحماد أكساد. /حماد/ت 24 /م/ 3.

- المجموعة الإحصائية لمنظمة اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا، العدد السابع الأمم المتحدة - اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ECWA
- المنظمة العربية للتنمية الزراعية 1982 دراسات الأمن الغذائي- المجلد الثاني- للموارد الطبيعية في الوطن العربي.
- أبو عطادة، ع.ر، فريدم، ف.ع، وردة، م.ف، حمن، ن.م، الشوريجي، م.أ، بومسي، م.ع، علوش، ع. 1984 حصر وتقييم مصادر الأعلاف في الوطن العربي، المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة بعمشق والمنظمة العربية للتنمية الزراعية بالخرطوم.
- اليونيسكو (برنامج العباب) 1975 تحليل نظم في الأيكولوجيا وفي تكبير الموارد الطبيعية. الملحق 5 في التقرير النهائي عن الاجتماع الأقليمي بشأن وضع برامج تعارفية للبحوث الأيكولوجية بالمناطق القاحلة وشبه القاحلة في شمال أفريقيا نشرة رقم 30
- الحضري، الهادي 1984 تجربة دول مشروع الحزام الأخضر بشمال أفريقيا في تثبيت الكثبان الرملية (دراسة عمل الندوة العربية الأولى لتثبيت الكثبان الرملية ومكافحة التصحر- تحت الطبع). البليندير ص.ب 57 تونس-الجمهورية التونسية.

- الأمانة التنفيذية لمشروع العزلم الأخضر شمال أفريقيا 1979
محاضرات ندوة الكساء النباتي نشرة عدد 1 البليفيير ص.ب 57
تونس-الجمهورية التونسية.
- الزراعة والمياه 1985 العدد الثاني/ السنة الثانية أكساد ص.ب 2440
دمشق- الجمهورية العربية السورية.
- الزراعة والتنمية 1984-1985 العدد الأول/ السنة الثالثة، العدد الثاني/
السنة الرابعة ص.ب 474 الخرطوم- الجمهورية السودانية.
- التصحر تهديد خطير لحياة الإنسان (ورقة عمل) الندوة العلمية حول
المخططين والقائدين والإداريين المسؤولين عن مقاومة التصحر
7 - 11/10/1985 مراكش- المملكة المغربية.
- الشخاترة محمد 1984 الكتيبان الرملية في الوطن العربي، أكساد
ص.ب 2440 دمشق - الجمهورية العربية السورية 14 - للشخاترة،
محمد 1985 التصحر في الوطن العربي أكساد ص.ب دمشق -
الجمهورية العربية السورية.

- الشخاترة، محمد 1985 الأعتبارات البيئية فى تنمية وصيفئة الأراضى فى المناطق الجافة وشبه الجافة أكساد ص.ب 2440 دمشق، الجمهورية العربية السورية.
- الغامدى سعيد 1982 عوامل تدهور المراعى وما بجرى لإعادة تميمتها حاليا - ورقة عمل مقمنة للندوة الثالثة للمراعى - إدارة المراعى والغابات - وزارة الزراعة والمياه - الرياض - المملكة العربية السعودية.
- الكشبان الزملية فى مصر 1983 - معهد الصحراء - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا - المجالس النوعية - مجلس بحوث البيئة - القاهرة - جمهورية مصر العربية. للفلاحون العرب 1982 .
- الكتاب الإحصائى السنوى للبلاد العربية العدد الخامس، مجلس الوحدة الإقتصادية العربية، الأمانة العامة 1988
- الكتاب السنوى للإحصاءات الزراعية المجلد الرابع، المنظمة العربية للتنمية الزراعية 1984.
- الكنبرى، عبد الله 1992 البيئة والتنمية المستدعية، دولة الكويت.

- الكندروي، عبد الله 1985 اقتصاديات الموارد - دراسة تحليلية للموارد الطبيعية والبشرية - وكالة المطبوعات - دولة الكويت.
- القريم، ع.و، 1981 أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية، وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية.
- العوضى، ج م ع 1988 الرمال الزاحفة في بيئة الكويت الصحراوية، جمعية حماية البيئة، الكويت.
- آل سعود، م.م. 1987 الاتساق الرملي وخصائصه الحجمية لصحراء الدهناء على خط الرياض النمام. وحدة البحث والترجمة - قسم الجغرافية بجامعة الكويت - الجمعية الجغرافية الكويتية.
- العودات محمد عيدو، عبد الله يحيى - التلوث وحماية البيئة، جامعة الملك سعود الرياض 1985 ص 8-9
- الصندوق العربي للإعانة الإقتصادية والاجتماعي دولة الكويت 1989
- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، برامج الأمن الغذائي العربي، الجزء الثامن، المخزون الإستراتيجي العربي، الخرطوم 1984

- برغودة.ي، 1984 الجفاف والتصحر في موريتانيا، المشكلة والحلول المطروحة. وثيقة مقدمة إلى الدورة السادسة للجنة الدائمة للأرصدة الجوية، جامعة الدول العربية، دمشق 14-26 كانون ثاني (يناير) 1984
- برغودة.ي، بيومي.م.ع، 1983 الحصر الأولي للموارد الرعوية الطبيعية في دول الخليج والجزيرة العربية.
- برامج الأمن الغذائي العربي، المنظمة العربية للتنمية الزراعية 1980
- برنامج البيئة، 1988 تقرير أولى عن الوضع الراهن لمظاهر التصحر وشكله، زحف الرمال بالكويت. معهد الكويت للأبحاث العلمية، الكويت.
- بن عبي محمد، بن إبراهيم عثمان 1985 مكافحة التصحر في موريتانيا ورقة عمل مقدمة لندوة المخططين والقياديين والإداريين والمسؤولين عم مقاومة التصحر، مشروع الحزام الأخضر لدول شمال أفريقيا، البليديير، تونس.
- برنامج الأمم المتحدة للتنمية، مكتب الأمم المتحدة للمنطقة السودانية الساحلية 1981 برنامج تثبيت الكثبان الرملية في الجمهورية الإسلامية. التقرير النهائي UNSCO , DES, MAO/80/SO3 .

- جمعة ح.فا. 1985 دولة الإمارات العربية المتحدة (تحت الطبع)
المشاركة الزراعية والأمن الغذائي في الوطن العربي - المنظمة
العربية للتنمية الزراعية.
- حسين أبو زيد 1985 تيسير التوريد بالماء الشروب خلال فترة الجفاف
للعالية بالمغرب. المكتب الوطني للماء. المغرب.
- حدادين منذر 1989 الأهمية الإستراتيجية للمياه في الأقطار العربية
مؤتمر الموارد المائية للدول العربية وأهميتها الإستراتيجية، عمان من
2 - 4 أبريل، مركز البحوث والدراسات المائية، الجامعة الأردنية.
- جان خوري 1977 لمحة عن دور المياه الجوفية في مكافحة التصحر
في الدول العربية، ورقة أعدت للإجتماع التحضيري للدول العربية
لمؤتمر التصحر العربي، دمشق. 1977 أكماد م/ت 9 دمشق.
- جان خوري وغيره 1985 تخفيف أثر دورات الجفاف، ورقة أعدت
للندوة العلمية في مجال الجفاف، تيسير المياه والإنتاج الزراعي --
أغادير 1985 أكماد 1 ع/45 دمشق.
- جان خوري 1985 تطبيق تقنيات متطورة لاستكشاف دراسة المياه
الجوفية في المناطق الجافة العربية، مُشرة أعدت للندوة العربية للموارد

الطبيعية والتنمية الإجتماعية والإقتصادية المتكاملة فى المناطق الجافة،
دمشق 1985 أكساد م/ن 50 دمشق.

- حورى جان، رسول آغا وائىق، درويى عبد الله 1986 الموارد المائية
فى الوطن العربى وأفانها المستقبلية، وثائق.

- ندوة مصادر المياه وامتخداماتها فى الوطن العربى، الصندوق
العربى، للمركز العربى، الصندوق الكويتى، ص 575 - 634.

- ديكلوب 1976 برنامج مكافحة زحف الصحراء وإصلاح آثاره فى
السودان (الجزء الأول والثانى) وزارة الأغذية والزراعة والموارد
الطبيعية - المجلس القومى للبحوث - الخرطوم - الجمهورية
السودانية.

- سنكرى م.ن 1980 التقرير الفنى السنوى لوحدتة بحوث المراعى والبيئة
الجافة المشتركة. المركز العربى لدراسات المناطق الجافة والأراضى
القاتلة.

- سنكرى م.ن 1983 المراعى الجافة وأهميتها فى الوطن العربى،
المهندس الزراعى العربى العدد التاسع 14 - 22.

- استراتيجية برامج عمل المركز العربي في تنمية وتطوير المناطق الجافة والأراضي القاحلة 1982.
- سنكري.م.ن 1984 التقرير الفني السنوي لوحدة بحوث المراعى والبيئة الجافة المشتركة. المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة بدمشق.
- شوقي أسعد 1985 للمشروع الأقليمي الرئيسي للإستخدام الرشيد وصيانة الموارد المائية في المناطق الريفية في الدول العربية والتركيز على نظم المياه التقليدية، تقرير أعد للندوة الإقليمية للتقنيات المائية تونس 1985 أكساد د/م/ت 46 دمشق.
- شوقي أسعد 1986 تنمية الموارد المائية في الوطن العربي وترشيد إستخداماتها، نشرة أعدت لندوة مصادر المياه وإستخداماتها في الوطن العربي، الكويت 1986 دم/ن/م 59 دمشق.
- مجلة التصحر 1984 للتصحر (مجلد ٢) مكتب تنسيق برامج مكافحة التصحر بوزارة الزراعة والرى والصرف الزراعى كلية الزراعة جامعة تشرين للجمهورية العربية السورية.

- معهد الصحراء 1983 الكتيبان الرمالية فى مصر - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا - المجالس النوعية - مجلس بحوث البيئة - القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- زين الدين عبد المقصود. البيئة والإنسان، دراسة فى مشكلات الإنسان مع بيئته، دار البحوث العلمية، الكويت 1990.
- مقداد قاسم، حديد بركات، الأميرم 1986 مصادر المياه وإستخداماتها فى القطر العربى السورى للفترة 1979 - 1983 وثائق ندوة مصادر المياه وإستخداماتها فى الوطن العربى، الصندوق العربى، المركز العربى، ص 53 - 62
- مشتركة 1981 برامج الأمن الغذائى العربى، المولود الطبيعية، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الخرطوم.
- محمد عبد الفتاح القصاص 1983 قضايا البيئة المعاصرة. العلوم الحديثة، العدد الأول.
- نحل أ 1984 لتصحرو دور الحراجين فى مكافحته. مجلة الزراعة والتنمية فى الوطن العربى - العدد الأول 1984

-- نظرة تحليلية في مشكلة الغذاء في البلدان العربية، الدكتور صبحي القاسم 1982 مؤسسة عبد الحميد شومان.

- ولكنسون ج من - ترجمة: علي الهنا 1985 بيئة الصحاري للدلتة - وحدة البحث والترجمة - قسم الجغرافيا بجامعة الكويت - الجمعية الجغرافية الكويتية.

- والظون، ك - ترجمة علي شاهين، 1978 الأراضي الجافة. دار النهضة العربي للطباعة والنشر - بيروت.

- Ahmed M.U. and Eddib, A.A. 1975- The development of water-resources in Libyan Sahara. Proc. 2nd World Congr. Int. Wat Resour. Assoc. New Delhi 3 P. 1 : 10.

- Aldon, E.F. 1970. Fourwing saltbush can be field planted-successfully. USDA Forest Service, Research Note RM-173.

- Aldon, E. F. 1972. Critical soil moisture levels for field- planting fourwing saltbush, Jour. Range Mgt.25- 4 : 311-312.

- Beadle, N. C. W. 1952. Studies in halophytes I. The- germinations of seeds and establishment of the seedlings of five species of *Atriplex* in Australia. *Ecology* 33: 49-62.
- Bridges, J.O.1942. Reseeding practices for New Mexico ranges-N. Mex. Agr. Exp. Sta. Bull. 291. 48P.
- CONSTANTINESCO, I. 1976. Soil conservation for developing-countries. *FAO soil bulletin*, 30 ROME.
- Desertification Control Bulletin No. 11 December 1984 UNEP- P.O.Box 30552- Nairobi- Kenya
- Desertification of the United States,U.S.Government printing-office, Washington D.C., 20420, U.S.A.
- Et-Baz, F. 1984 *Deserts and Arid-Lands*, Kluwer Academic-Publishers Group,Distribution Center, P.O.Box 322, 3300/AH Dordrecht, the Netherlands.

- EL-HAG, M.M. 1984: Study of Desertification Based upon land â Sat ImageryN. Kordofan-SUDAN. Ph.D Tesis, UN. of GENT, GENT-BELGIUM.
- Foda, M,F.Khalaf,1 M. Al-Hashash; and A. Al-Kadi. 1984. Assessment of sand encorachment and erodibility problems in Kuwait. Kuwait Institute for Scientific Research, Report No. KISR 1297, Kuwait.
- FAO 1979 Survey and evaluation of available data on shared â water resources in the Gulf States and the Arabian peninsula Vol. I, II and III, Rome.
- FAO, 1980, National plan to combat desertification- Somalia- Technical ECWA Region, 27 Feb. 1 march, 1984. ICARDA, Aleppo Syria.
- Sankary, M.N. 1985, Chromosome reports for native and-introduced cbenopodiaceae species in Syria, Breeding Reports No./1. Range and Arid Zone Ecology Research Unit, University of Aleppo and the Arab Center for the Studies of Arid Zones and dry lands.

- Safar, M.I. 1985. Dust and Dust Storms in Kuwait.- Directorate General of Civil Aviation, Meteorological Departments, Kuwait International Airport, Kuwait.
- SHERIDAN, D. 1981: Desertification of the United States,- U.S. Government printing office Washington D.C.-20402 U.S.A.
- Somali Democratic Republic, 1982: Five year Development-Plan 1982- 1986 Ministry of National Planning, Mogadishu Somali
- Tabler, R.D. 1980. Geometry and density of drifts formed by-snow fences. Journal of Glaciology 21:311-322.
- UNEP, 1981: Desertification Control Bulletin, No. 5- P.O.Box 30552, Nairobi- KENYA.
- UNEP, 1984: Desertification Control Bulletin, No. 11- P.O.Box 30552, Nairobi- KENYA.

- UNSO, 1981: Medium and Long Term Program for Sand Fixation- in Mauritania phase I. South Dakota State University, Brookings, S. Dakota 57007 USA.
- United Nations Environment Programme, UNEP, Desertification- Control Bulletin, ISSN 0379- 2455
- UNESCO, 1977, Map of the world distribution of arid regions,- MAB Technical Notes, 7.
- WORLD ASSOCIATION OF Soil and Water. Conservation Newsletter- Volume 2No.1August 1985- 1001 22nd Street, N.W. Washington D.C. 20437 U.S.A.
- Wippermann,F.K., and G. Cross, 1985.The wind-induced shaping- migration of an isolated dune. A numerical Experiment. Boundary Layer Meterology. 36: 319-334.
- Zhenda, Z.S. Shu; W. Zhen; and D. Xinmin. 1986. Deserts of- China Institute of Desert Research, Academia Sinica Lanzhou, China.

- Khalaf, F.I, Gharib, I.M. and Al-hashash M.Z. 1984. Types and characteristics of recent surface deposits of Kuwait. Arabian Gulf 1984. Journal of Arid Environments, Vol. 7, pp.9-33.
- Kassas, M. and Ahmed, Y. 1987 Desertification Financial Support for the Biosphere, UNEP, London, Hodder & Stoughton Press.
- Kovda, V.A. 1980 land Aridization and Drought Control.-
- Mabbutt J.A. 1983. Assessment of the Status and Trend of Desertification in: The Background of The First General Assessment of Progress in Implementing the Plan of Action to Combat Desertification. Desertification Control Bulletin, James Walls 10: 5-14-84.
- Nord. E.C. and J.E. Whitacre, 1957. Germination of fourwing-saltbush seed improved by sacrifice and grading.
- Our Common Future, The World Commission on Environment and-Development, 1985.

- Odingo, Richard, S. 1991. The Definition of Desertification:- Its programmatic consequences for UNEP and the International Community in Desertification Control Bulletin, No. 18-1990, P. 31-50. A/Conf, 151/4Part 2, 1992.
- Protect and Produce 1984, The Land and Water Division-Agriculture Department FAO, Via Delle Terme Di Caracalla 00100- Rome Italy.
- Sankary, M.N. 1971. Comparative plant ecology of two-mediterranean type arid areas with emphasis on the autecology of twenty dominant species. Ph.D. Thesis. University California. Davis.
- Sankary, M.N. 1980, Improvement of rangelands by selection of suitable forage and range plants. In: Rainfed agriculture in the Near East and North Africa. Proceedings of the FAO Regional Seminar on Rainfed Agriculture in the Near East and North Africa, Amman, Jordan, 5-10 May, 1979 FAO, 1980.

- Sankary, M.N. 1984. Revegetation of the Syrian arid Areas.-
- Haloxyleto-Hordeetum Community, Second Inter Rangeland-
Congr. 13-18 May, 1984. Adelaide, Australia.

- Sankary, M.N. 1984. Desertification control, productivity-
enhancement and management intensification of the Mediterranean-
type arid and marginal areas in the ECWA Region, Export meeting
on the Development of Regional Research and Training
Programmes on the Desertification Control in the Report, Rome-
ITALY.

- FAO, 1984: Protect and Produce Soil Conservation for-
development, via delle terme di Caracalla 00100,Rome- ITALY

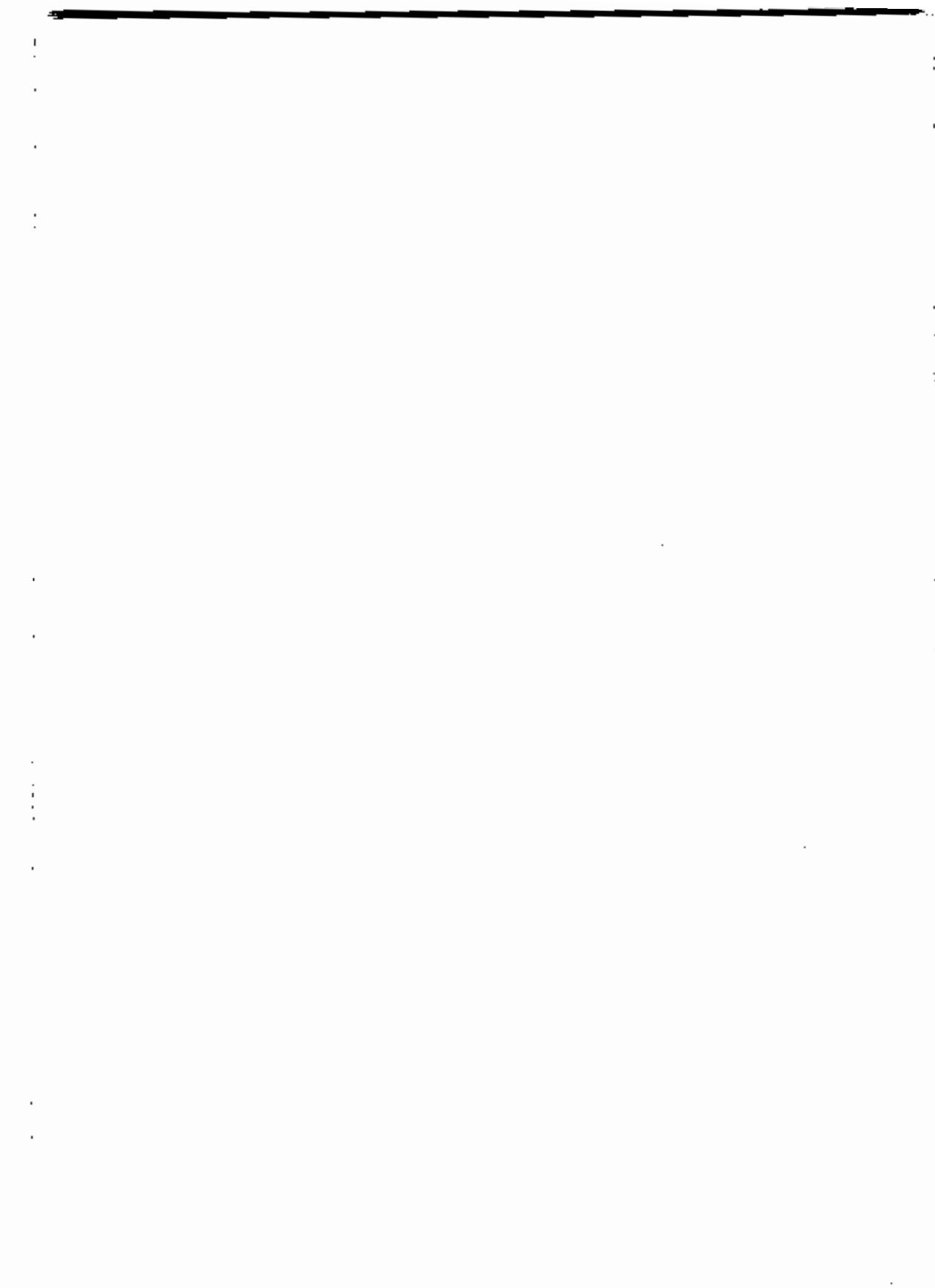
- FAO- UNEP. UNESCO.1980, Provisional Map of Soil
degradation- pisks, scale 1:5,000,000.

- FAO- UNESCO.1974. Soil map of the world, sheet No. VI- 1.

- FAO- UNESCO.1974. Soil map of the world, sheet No. VII- 2.

- FOTH, H.D. and Schaer, J.W. 1980. Soil geography and land- use, Wiley, New York, 484 p.
- GILE, L.H. and GROSSMAN, R.B. 1979. The desert project soil-monograph. Soil and land scapes of a desert region astride the rio grande valley new las cruces, New Mexico. Soil conservation service, USDA.
- Gischler C.E. 1979 Water resources in the Arab Middle East- and North Africa. MENAS Resources studies. MENAS press Ltd.,Cambridge.
- HAGEDORN, H et al 1977: Dune Stabilization, Germany Agency-for Technical Cooperation KTD, Dag-Hammarskjoid-Weg 1, P.O.Box. 5180 D 6236 Echborn W. Germany.
- Have, F.K. 1983. Climate and Desertification, World Climate-Programme, WCP, UNEP-WHO.

- Hervey, D.F. 1955. Factors which influence the reseeding of certain browse species in Colorado. Ph. D. Diss. ANM College of Texas, College Station, 109P.
- Hack, J.T. 1941. Dunes of Western Navajo country. *Geographic Review* 31: 240-263.
- Hagedorn, H, K. GieBnev, O. Weise; D. Busche and- G. Grunert. 1977. Dune stabilization- A survey of literature on dune formation and dune stabilization. Geographisches Institut Universtat, Wutzbug.
- Jean-Jacques Bochet 1983, Management of Upland Watersheds:- Participation of the Mountain Communities. FAO Conservation Guide 8, FAO, Rome- ITALY.
- KOVADA, V.A., SAMOILOVA, E.M., CHARLEY, J.L and- SKUJINS, J.J.- 1979. Soil processes in arid lands. In: Aridlands ecosystems: Structure, functioning and management. Vol. I ed. by D.W. Goodall, R.A. Derry and K.M.W. Hower. I.B.P. Cambridge Univ. Press, p. 439- 470 .

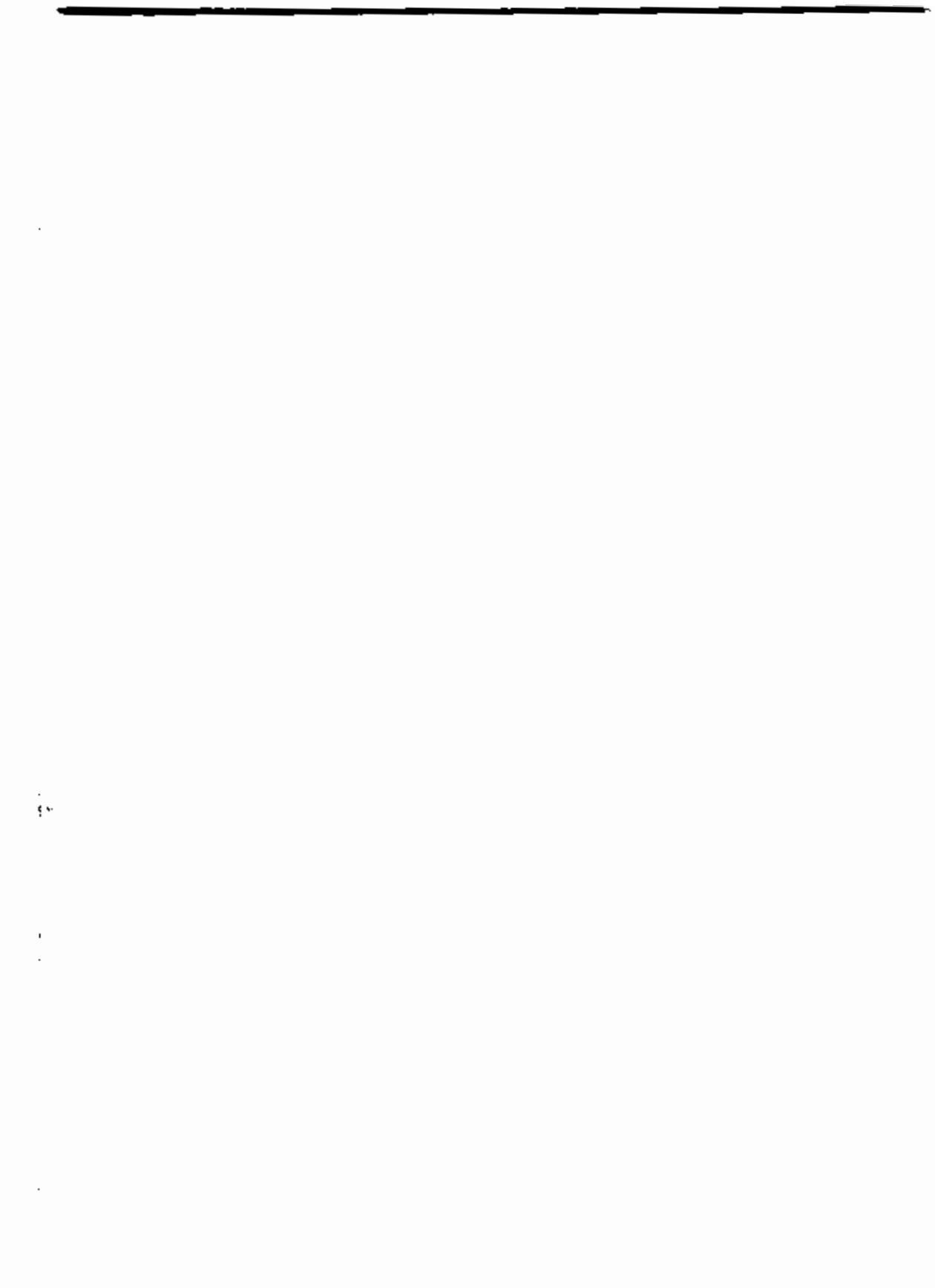


اللوتس و السافيو

في

التراث الكلاسيكي القديم

د. حسين الشيخ



اللوتس والسلفيون في التراث الكلاسيكي القديم

نباتان اشتهرا في ليبيا وكان لهما بعض الخصائص التخديرية والعلاجية ، وورد ذكرهما كثيراً في النصوص الأدبية والتاريخية اليونانية واللاتينية القديمة ، أولهما كان شجرة اللوتس ، وثانيهما كان نبات السلفيون . وربما تعود شهرة شجرة اللوتس إلى القصة التي رواها هوميروس في الأوديسية عن اللوتس واللوتوفاجي (١) ، حيث يرد ذكر هذه الشجرة لأول مرة حين يقص أوديسيوس كيف رسا مع بحارته علي سواحل بلاد أكلة اللوتس ، وهي الفاكهة التي لها (مذاق وحلاوة العسل) كما يقول هوميروس (٢) ، والتي تجعل من يأكلها ينسى أهله ووطنه ولا يعود يفكر إلا بهذه الثمرة العجيبة (٣) .

وتظل ثمار اللوتس - التي تحمل بعض صفات النباتات المخدرة كما يُفهم من هوميروس (٤) - شيئاً أسطورياً حتى يعيدها هيرودوت ثانية إلى الأذهان بحديثه عن شعب أكلة اللوتس ، ويشبّه حلاوة الثمرة بحلاوة ثمرة

(1) Λωτός (Rhamnus Lotus), Λοτοφάγοι (Lotus Eaters), Cf. Od., IX, 83 - 84.

(2) Od., IX, 94.

(3) Od., IX, 83 - 102.

(٤) ومن الملاحظ أن هوميروس لم يصف ثمرة اللوتس وإنما تعرّض لخواصها وحلاوتها فقط ، ولم تكن المرة الأولى التي يلمس فيها الشاعر موضوع النباتات أو الأشربة ذات الصفات التخديرية ، حيث سبق له في الأوديسية في موضع سابق أن وصف كيف كانت هيلين تستخدم عقاراً يجعل كل من يشربه لا يشعر بأى ألم وينسى ما حوله (Od., IV, 219 - 232) وتستبعد هنا أن يكون هذا العقار هو نفس =

البلح ، ويضيف أن أكلة اللوتس ، قد صنعوا من هذه الثمرة نوعاً من النبيذ
خاصاً بهم (١) .

ويعد هيرودوت يمرّ كمنوفون في عمله الشهير "أناباسيس" مروراً
عابراً علي أكلة اللوتس (٢) ، إلا أن سترابون بعده يقف عند اللوتس وقفة
أطول بعض الشيء حيث يضع أرض أكلة اللوتس بالقرب من خليج سرت
الصفري علي ساحل ليبيا الغربي (٣) ، وفي موضع آخر يضيف إليها جزيرة
"مينكس" بالقرب من خليج سرت الصفري أيضاً (٤) .

أما بلينيوس فلربما كان أول من أفاض - بعد ثيوفراستوس - في
بحثه عن اللوتس وخصائصه ، وحدد أرض أكلة اللوتس عند خليج سرت
الكبرى (٥) ، كما قارن بينه وبين نبات اللوتس المصري الشهير (٦) .

= ثمرة اللوتس ، رغم التشابه في الأثر الذي يحدثه ، حيث أشاره هوميروس بكلمة
Φάρμακον ، وعلى الأرجح فقد يكون هذا العقار نوعاً من القنب أو الحشيش
ἡκάνναβις الذي وصف لنا هيرودوت كيف كان أهل سكتيا يستعملونه في
حماماتهم بوضعه علي أحجار ساخنة حتى يستنشقوا بخاره الذي كان يعدّهم
بسعادة فائقة (Hdt., IV, 75) ربما أن طروادة تقع في نفس النطاق الزراعي
لمنطقة سكتيا ، فلربما عرف الطراوييون زراعة القنب أو الحشيش .

(1) Hdt., IV, 177.

(2) Xen., Anabasis, III, 11, 25.

(3) Strabo, Geog., XVII, 3, 17.

(4) Strabo, Geog., III, 4, 3, ; XVII, 3, 8.

(5) Plinius, N. H., V, 4.

(6) Plinius, N. H., XIII, XXXII, 107.

وقد أثرت أن اعتمد علي وصف بلينيوس حيث يلجأ ثيوفراستوس دائماً للمقارنة
بنباتات مختلفة مما قد يريك القارئ ، وعلى سبيل المثال فقد أفاض في وصف =

يقول بلينيوس :

" تنتج افريقيا أيضاً - في أجزائها التي تتجه نحونا (١) - شجرة معروفة هي اللوتس ، وتعرف في اللهجة الدراجة باسم " كلثيس " (٢) ، وقد استنبقت كذلك في إيطاليا إلا أنها فسدت لتغير التربة . وأفضل اللوتس هو ما وجد حول سرت ومنطقة النسامونس . وهي في حجم الكمثرى بالرغم من قول كورنيليوس نَبُوس بأنها ثمرة صغيرة . والحزوز التي علي أوراقها تشبه تلك التي علي أوراق السنديان ، إلا أنها أكثر عدداً . وهناك أنواع عدة من اللوتس تختلف أساساً في ثمارها ، لكن تلك الثمرة (التي نتحدث عنها) في حجم حبة الفول ولها لون الزعفران ، لكنها تغير اللون عدة مرات قبل نضجها مثل العنب . وتنمو في عناقيد كثيفة علي الأغصان مثل حب الأس ، ولكنها ليست مثل الكرز كما يحدث في إيطاليا ، وهي في موطنها حلوة جداً عندما تؤكل حتى أنها أعطت اسمها لجنس من الناس (٣) ولأرض هي كريمة جداً مع الغرماء الذين يأتون إليها

= خمسة أنواع مختلفة من اللوتس والتي لا يشترك إلا في الاسم فقط .

Cf. Theoph., I, 5, 3; I, 8, 2; IV, 2, 5; IV, 2, 12; IV, 8, 9 - 11; IV, 3, 1 - 2; V, 3, 1; V, 5, 6; VII, 8, 3; VII, 13, 5; IX, 7, 3 et Passim.

(١) أي المناطق التي تواجه إيطاليا .

(٢) ربما استعمل أطباء العرب اسماً قريباً من " الكلثيس " مع بعض التحريف وهو " الحلتيت " ، مع ملاحظة أن الحلتيت هو مرادف الإنجدان أو Ferula Tingitana الذي أطلق علي نبات السلفيون . راجع : ضياء الدين أبي محمد بن البيطار الأندلسي ، الجامع لمفردات الأنوية والأغذية في : علي فهمي خثيم ، نصوص ليبية دار الفكر ، طرابلس ١٩٧٥ ، صفحة ١٤٢ .

(٣) اللوتهاجي أو أكلة اللوتس . قارن ثيوفراستوس الذي يشترك مع بلينيوس في نفس أوصاف اللوتس . Theoph., IV, 3, 1 .

فتجعلهم ينسون موطنهم الأصلي (١) .

ويستمر بلينيوس في وصف استعمالات اللوتس قائلاً :

"يقال إن مضع هذا اللوتس يمنع أمراض المعدة ، وأفضل أنواعه لا يحوي نواة بداخله ، أما الأنواع الأخرى فتحوي نواة ذات شكل عظمي . كما يستخرج أيضاً من هذه الثمرة نبيذ يشبه "التبغ" (٢) وهو طبقاً لنَبُوس مرة أخرى لا يصلح لأكثر من عشرة أيام ، وهو يذكر أن النوي يطحن مع الحنطة ويخزن في براميل خشبية للطعام ، وقد أخبرنا يقيناً أن جيوشاً قد تغذت علي هذا (الخليط) بينما كانت تجوب افريقيا (٣) . وخشب (اللوتس) نولون أسود وهو مطلوب لصنع النايات المشجية ، بينما يصنع من الجذع مقابض المدي وأنوات قصيرة أخرى (٤) .

ثم ينتقل بلينيوس إلي المقارنة بين نبات اللوتس هذا واللوتس المصري ، فبرغم اشتراك النباتين في الاسم نفسه ، إلا أن الاختلاف كان واضحاً (٥) ، فاللوتس المصري نبات من الفصيلة العشبية كان ينمو في

(1) Plinius, XIII, XXXII, 104 - 105.

(2) Latin : Mulso, English : Mead.

وهو شراب من العسل المخمر ، وطبقاً لقول بليني وكورنيليوس نَبُوس نستطيع الإستنتاج بأن ثمرة اللوتس كانت فعلاً شديدة الملاحة حتي يمكن استخراج مشروب منها يشبه العسل المخمر .

(٢) والاشارة هنا إلي حاكم قورينا الذي حاول غزو قرطاجنة بالتحالف

مع Agathocles في ٢٠٨ ق . م . . Cf. Theoph., IV, 3, 2.

(4) Plinius, XIII, XXXII, 105 - 106; Theoph., IV, 3, 4; Cf. : Paus., VI, 26, 6; Mela. I, 7, 5; Hygin., Fab., 126.

(٥) وقد أشار ثيوفراستوس إلي اشتراك العديد من النباتات في الاسم نفسه رغم =

أحراش الدلتا ومستنقعاتها ويكتمل نموه عند انحسار مياه الفيضان ، ويشبه نبات الفول في ساقه وأوراقه ، وتنمو ثمرته علي رأس النبات ، وهي تشبه ثمرة الخشخاش وتحتوي علي حبوب دقيقة مثل حبات الذرة الرفيعة ، استعملها المصريون القدامى أحياناً لصنع نوع من الخبز (١) .

أما نبات السلفيون (٢) فيبدو أنه قد حظي باهتمام وانتشار أكبر ، ربما لقيمه السلعية التجارية ، وطبقاً لهيرودوت وبلينيوس فقد كان السلفيون ينمو في سيرينايا (قورينا) علي شريط بطول ٢٥٠ ميلاً ويعرض ٢٠ ميلاً (٣) ، ويبدو أنه كان مصدر الدخل الرئيسي لقورينا ، فكانت تحتكر تصديره إلي مختلف أجزاء العالم القديم ، وقد وجد في " لاكونيا " قذح صور عليه الملك " أركسلاوس الرابع " وهو يشرف بنفسه علي وأن السلفيون وتعبئته ، والذي كان يباع بوزنه فضة (٤) ، حتي إن سترابون يحدثنا عن محاولات لبعض تجار قرطاجة لتهريب السلفيون خفية (٥) .

واستخدم السلفيون كطعام وواء ، واستخدم عصيره كخمر ، إلا أن تحديده نباتياً بشكل واضح يبدو صعباً إلي حد ما - رغم الدراسات التي حاولت ذلك (٦) - إذ أنه كان قد انقرض علي عهد بلينيوس ، لكن يمكن القول = اختلافهم في الخواص ، وأخذ مثلاً علي ذلك " اللوتس " .

Cf. Theoph., VII, 15, 3.

(1) Plinius, XIII, XXXII, 107 - 110.

(2) Σιλφίον, Silphium, Laserpitium, Ferula Tingitana.

(3) Hdt., IV, 169; Plinius, V, 5.

Cf. Strabo, Geog., II, 2, 2; II, 5, 33; XI, 13, 7.

(٤) انظر شكل رقم (١) .

(5) Strabo, Geog., XVII, 3, 20.

(6) Chalmers Gemell, Silphium, Bulletin of the History of Medicine, Vol. XI, No. 4, July - Aug. 1966.

أنه من العائلة الجزرية طبقاً لوصف ثيوفراستوس له ، والذي يقول أنه نبات
نوجذر غليظ وساقه مثل ساق الفيرولا ، وورقه كورق الكرفس أو الكزبرة ،
هذا بالإضافة إلي وصف بلينيوس الدقيق له (١) .

يقول بلينيوس :

" ثم وبعد هذا سنتحدث عن " اللازر بيتيوم " وهو نبات مهم ومعروف
واسمه باليونانية " سلفيون " وقد وُجد في الأصل في مقاطعة تورينا . يسمي
عصيره " لازر " ويحتل مكانة هامة في الإستعمالات العامة وفي العقاقير ،
ويباع بوزنه دنانير فضية . وهو لا يوجد الآن في ذلك البلد منذ سنوات عدة
لأن دافعي الضرائب من الفلاحين الذين يستأجرون المراعي قد جرتبها من
برعي الأغنام عليه ، معتقدين أنهم بهذه الطريقة يحققون نفعاً أكبر (٢) .

وقد وجدت ساق واحدة فقط علي مائذكر والتي أرسلت إلي
الإمبراطور نيرون (٣) .

(1) Theoph., VI, 3, 1 - 2.

ورغم وصف ثيوفراستوس الدقيق للسلفيون (Theoph., VI, 3, 1 - 2) إلا أن
اعتمادي هنا على بلينيوس قد يبدو أكثر فائدة حيث أنه قد استفاد من ثيوفراستوس
وأضاف إليه ، هذا بالإضافة إلي توسعه في وصف فوائد السلفيون الطبية .

(2) Plinius, XIX, XV, 38 - 39.

وهو ما يخالف تفسير سترابون لانقرض السلفيون ، فيري سترابون أن البرابرة قد
قاموا بغزو المنطقة ، وبسبب عدوانهم قاموا بالقضاء علي جنود هذا النبات .

Cf. Strabo, Geog, XVII, 3, 22.

(3) Plinius, XIX, XV, 39.

ويستطرد بلينيوس قائلاً بأنه قد سبق واستوردت الحكومة الرومانية ثلاثين ليرة من
السلفيون أثناء اتصاله جايوس فاليريوس (٩٣ ق . م .) كما أن يوليوس قيصر قد
سحب من الخزينة الحكومية بالإضافة إلي الذهب والفضة ١٥٠٠ ليرة من السلفيون وذلك
في بداية الحرب الأهلية (٤٩ ق . م .) Cf. Plinius, XIX, XV, 40.

ثم يصف بليبيوس نبات السلفيون وكيف يستخرج منه العصير

وله جذر كبير سميك وساق تشبه ساق الشمر وتمائلها في السمك ، وكان من المعتاد أن يطلق علي أوراق هذا النبات ماسبيتوم ، وهي تشبه إلي حد كبير البقنونس ، أما البنور فكانت كالورقة ، بينما الورق الحقيقي يسقط في الربيع وكان من المعتاد رعى الماشية عليه (علي الورق) ، وفي البداية كان يعمل كمسهل ، ثم وبعد ذلك تسمن الحيوانات وتنتج لحماً ذا نوعية جيدة بدرجة غريبة

وبعد أن يسقط النبات أوراقه فقد اعتاد الناس أنفسهم أن يأكلوا الساق الأصلي مطبوخاً بشتي الطرق ، مسلوقاً أو مشوياً ، وهو يعمل معهم عمل المسهل أيضاً للأسابيع الستة الأولى ويستخرج العصير عادة بطريقتين من الجذر ومن الساق ، وكان الاسمان المرادفان له : زيرياس ، و كاولياس^(١) ، ونوعية الثاني أدني من نوعية الأول وهو قابل للفساد^(٢)

وفي موضع آخر يستمر بليبيوس في الحديث عن فوائد السلفيون واستعمالات أوراقه وجذوره قائلاً

وفي الوقت الحاضر يُستورد أساساً من سوريا ، وهذا السلفيون السوري ليس جيداً كالبارثي ، رغم أنه أفضل من الميدي ، أما سلفيون قورينا فكما قلت سابقاً قد انقرض الآن تماماً

وتستخدم أوراق السلفيون في الطب لتطهير الرحم واستخراج الجنين

(1) Καυλίαις الجذر Πείξιας الساق

(2) Plinius, XIX XV 42 43

الميت الذي لم يولد ، وعصيره المغلي يستخدم في صنع مبيد أبيض ذي نكهة طيبة ليُشرب بعد الحمام في جرعات تعادل (حقاً) واحداً أما الجذر فهو جيد لإلتهاب القصبه الهوائية ، وإجمالاً يُستخدم (لعلاج) ارتشاح الدم . لكن من الصعب هضمه عندما يؤخذ كطعام ، إذ يسبب غازات المعدة مع التجشؤ المستمر . وهو ضار بخروج البول ، ولكنه مفيد جداً مع النبيذ والزيت للكدمات ، ومع الشمع لأورام نواء الخنازير ، وتسقط نائل الملعقة (البراسير) إذا ما بُخر به عدة مرات (١) .

ثم يستمر بلينيوس في حديثه عن استعمالات عصير السلفيون هذه المرة وفوائده قائلاً :

" يستعمل عصير السلفيون ، الذي يُقَطَّر من السلفيون بالطريقة التي سبق أن ذكرتها ، والذي يُعدّ واحداً من أئمن نعم الطبيعة ، كعنصر (يدخل) في وصفات طبية كثيرة جداً ، أما وحده فهو يذفيء من القشعريرة ، وإذا ما أخذ في شراب فإنه يلطف من علل الأعصاب (الأوتار) ، ويقدم للنساء مع النبيذ ، ويُستعمل علي صوفة ناعمة كتحميلة للرحم (تصويفة) لينثير الحيض . ومخلوطاً (أي السلفيون) بالشمع لاقتلاع مسامير القدم (عين السمكة) من الأقدام بعد أن تكون قد حُدت دائرياً بالسكين ، وقطعة في حجم حبة الحمص مخففة (ممزوجة بسائل ما) تدر البول . وقد أكد لنا " أندرياس " أنه رغم أخذه جرعات وفيرة إلا أنه لا يسبب انتفاخ البطن (٢) ، وهو مساعد عظيم للهضم لكبار السن والنساء ، وأيضاً فهو عظيم الفائدة في

(1) Plinius, XXII, XI VIII, 100.

(٢) لاحظ ما سبق وقاله بلينيوس من أن أكلة جذر النبات يسبب غازات المعدة والتجشؤ المستمر . راجع حاشية ١

الشتاء عنه في الصيف ، حتى إنه أكثر من هذا للذين أقلعوا عن المُسكرات ، إلا أنه علي أية حال يجب أن توخذ الإحتياطات علي ألا تكون هناك أية قرحة داخلية .

وعندما يؤخذ (السلفيون) في الطعام فهو يساعد تماماً علي النقاة ، وإذا ما أُعطي في الوقت المناسب فإن له كل مقومات البواء الكاوي (١) ، حتى إنه أكثر نفعاً لهؤلاء الذين اعتادوا عليه من غيرهم الذين لم يألفوه . واستعمالاته الظاهرية تثبت بأدلة أكيدة قوِّم الشافية (٢) .

ويواصل بليينيوس تحديد فوائد عصير السلفيون عندما يستعمل من الظاهر هذه المرة ، فيذكر أنه عندما يوضع مخلوطاً بالماء على الجروح التي تتسبب من الأسلحة المسمومة أو لدغات الأفاعي أو عضه الكلب يشفيها ، وإذا مزج بالخل وجلي مع قشر الرومان فهو يشفي الدوالي حول فتحة الشرج إذا ما دهنت به ، وإذا استعمل ككمادات يعالج تشقق الأصابع وتورمها ، وإذا خفف بالخل والماء ودهنت به الأطراف فهو يخفف من آلام النقرس ، ويستعمل كفرغرة لإلتهاب اللوزتين ، وإذا جلي مع العسل واستعمل كمروخ فهو يخفف آلام عرق النسا واللمباجو (٣) .

وفي محاولة متواضعة لتحديد ماهية شجرة اللوتس ونبات السلفيون . نبدأ باللوتس الذي أتى أول ذكر له عند هوميروس - مع ملاحظة ما للشعراء من ميل طبيعى للمبالغة - ثم هيرودوت مع ما يؤخذ عليه أحياناً من نقله للمعلومات دون تحميص أو تعميمه لبعض الأحكام ، مروراً بكسنوفون

(١) الذي يدعى ويجفف ، راجع تعليق المترجم في طبعة اللوبي P. 366, Note d.

(2) Plinius, XXII, XLIX, 101 - 103.

(3) Plinius, XXII, XLIX, 103 - 105.

وسترابون اللذين لم يتعرضا لخصائص هذه الشجرة ، وإنما حاولا فقط تحديد مكانها ، حتى نصل إلي أول من تعامل مع الموضوع بشكل عقلائي ، ونعني به بلينيوس ، رغم أنه من الواضح أنه قد نقل وصف اللوتس وتعرض لخصائصه نقلاً عن سبقوه ، ويتأكد هذا من تلميحاته الدائمة مثل : " قال كورنيليوس نبوس - يُقال - أخبرنا " ، بينما يختلف الوضع حينما يصف اللوتس المصري ، فوصفه له بيبرو وثقاً مؤكداً تاکد العارف بما يصفه .

وربما تجدر الإشارة هنا بداية إلي رأى واحد من الدراسين الليين المحدثين الذي رأى اللوتس :

" هو ضرب من نبات الخشخاش المعروف في ساحل الإقليم الغربي من ليبيا باسم (القنقيط) والمنتشر فيها انتشاراً عظيماً حتى اليوم ، وهو يشبه اللوتس المصري ، وبه خواص مخدرة يعرفها عامة الشعب في ليبيا ، وتآكله العذاري مخلوطاً بالكسكسي لمعرفة حظهن في الزواج ، فيكون له تأثير مخدر ويحدث هذياناً وأحلاماً قد تستمر اليوم بطوله (١) " .

وربما كان من الأفضل في البداية أن نستبعد فكرة الخصائص المخدرة لشجرة اللوتس والتي لم ترد بشكل واضح إلا عند هوميروس ، فعلى الأرجح استعملها هوميروس كصورة شعرية مثيرة تزيد من حجم معاناة بطله أوديسيوس عندما يصبح مهدداً بأن يهجره بحارته ، أما هيرودوت فقد كان واعياً لمسألة النباتات المخدرة حينما شرح كيف استعمل أهل " سكذيا " القنب الهندي أو الحشيش $\eta\text{K}\alpha\nu\nu\alpha\beta\iota\varsigma$ ، وبالتالي فلو كان هناك أى وجه شبه بين اللوتس والقنب الهندي أو الحشيش الذى هو من فصيلة الخشخاش

(١) علي فهمي خشيم ، المرجع السابق ، صفحة ١١٩

لكان هيروdot أشار إلي ذلك ، أما كسنوفون وسترايون ومن بعدهما بلينيوس فقد استعملوا دائماً تعبير " أرض أكلة اللوتس " ، وهذا أمر طبيعي إذ كثيراً ما يرتبط المكان بأشهر ما ينتجه من ثمار (البلح الأسيوطي - بلح سيوة - نخيل فزان - عنب الشام) ، وبالتالي فتعبيرات مثل " أكلة اللوتس " أو " أرض أكلة اللوتس المضيافة " ، هي تعبيرات لا توحى بأية صلة بينها وبين أي نبات مخمر .

يضاف إلي ذلك أن نبات الخشخاش لا يحوي أية " نواة عظمية " بداخله كما وصف بلينيوس أحد أنواع اللوتس ، ولا يعصر الخشخاش ويستخرج منه أي نوع من النبيذ ، وإنما يحوي مجموعة من الزيوت ذات الصفة المخدرة .

وإذا استعدنا بعض أوصاف اللوتس من أنه في حجم حبة الفول ويغير من لونه عدة مرات قبل النضج وينمو في عناقيد كثيفة ، وبعض أنواعه لا يحوي نواة في داخله ، بينما البعض الآخر يحوي نواة ذات شكل عظمي ، ويستخرج منه نبيذ يشبه العسل المخمر ، لوجدنا أن هذه الأوصاف تكاد تتطبق علي نوع من البلح شديد الحلاوة - غالباً انقرض الآن - ويؤكد هذا أن المنطقة لازالت تشتهر حتي الآن بالبلح الجيد ، بالإضافة إلي أن محاولة استنبات اللوتس في إيطاليا قد فشلت كما يذكرنا بلينيوس ، وتفسير هذا واضح تماماً بسبب اختلاف الظروف المناخية حيث ينبت البلح في ظروف مناخية وتربة رملية مماثلة تماماً لظروف بلد مثل ليبيا ، لكنه لا ينمو في بلد مثل إيطاليا .

أما نبات السلفيون فيبدو أنه قد انتقل إلي أطباء العرب باسم الإنجدان

أو الحلتيت ، فقد وصفه ابن البيطار قائلاً (١) :

" سلفيون ، وهو شجرة الإنجدان ، ينبت في البلاد التي يُقال لها قورينا وأرمينيا وميديا " .

وفي موضع آخر يقول :

" حلتيت : هو صمغ الإنجدان ... ، وقد يُجمع من الإنجدان صمغ وهو الحلتيت بأن يشترط أصله وساقه ... ، والحلتيت المعروف بالقوريني وهو الذي من قورينا إذا ذاق إنسان منه قليلاً فإنه علي المكان يُبدل بيده كله ، ورائحته ليست بكريهة ، ولذلك إذا تناول منه لا يكون للغم رائحة شديدة ... ومن الناس من يسمي ساق هذا النبات سلفيون ويسمي أصله ماء عنطارس (٢) " .

ثم يصف ابن البيطار استعمال الحلتيت أو الإنجدان فهو :

" نافع مجشيه ... يوافق عرق النساء ... إذا طبخ بخل في قشر

(١) ضياء الدين أبي محمد بن البيطار الأندلسي ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، الجزء الأول ، طبعة بولاق ، صفحات ٥٨ - ٥٩ .

وقد أثرت الاعتماد على ابن البيطار حيث استعمل أوصاف بليني للسلفيون وأضاف إليها مقالة الرازي وحيش بن الحسن وابن سينا بتفصيل كبير .

(٢) ابن البيطار ، الجزء الثاني ، صفحات ٢٧ - ٢٨ .

وربما كانت تسمية " عنطارس " هي تحريف لكلمة Μαγύδαρις وهو اسم النبات الذي تحدث عنه ثيوفراستوس قائلاً إنه ينمو في سوريا ويشبه في خصائصه نبات السلفيون ، حتى إن البعض أطلق عليه اسم السلفيون .

Cf. Theoph., VI, 3, 7.

كما أن بلينيوس قد أشار إلي أنه بعد انقراض السلفيون من قورينا فقد كان يستورد من سوريا . راجع فيما سبق صفحة ٧ حاشية ٢ وصفحة ٨ حاشية ١ .

قارن أيضاً : ابن سينا ، القانون في الطب ، الكتاب الثاني ، طبعة بولاق ١٢٩٤ هجرية ، صفحة ٢١٦ حيث يقول : " ونوع آخر من الحلتيت - السلفيون - المعروف بسوريا ، وهو أضعف قوة من القوريني " .

رمان وتضعد به أذهب البواسير الثابتة في المقعدة ... وإذا شرب كان مبيداً
للأنوية القتالة ... ينفع من عسر البول ... ويدرّ الطمث ... مجفف لرطوبة
المعدة ... يستخرج الأجنة ... مقو للكبد والمعدة معين علي الهضم .

وكما هو واضح فهذا الوصف يتفق تماماً مع وصف بلينيوس السابق
لاستعمالات السلفيون وفوائده الطبية .

وبعد ابن البيطار يصف داوود الأنطاكي في تذكرته استعمالات الحلتيت
أو الإنجدان قائلاً :

أو الإنجدان قائلاً :

" حلتيت " صمغ الإنجدان ... ويسمى بمصر " الكبير " ... وهو
يستأصل شائفة البلغم والرطوبات الفاسدة ... وإذا غلى في الزيت وقطر يحل
الرياح ويرد المعدة والكبد والاستسقاء واليرقان والطحال وعسر البول والأورام
الباطنة والقروح والفالج ... ويسقط الأجنة ... ويضعف البواسير ... وهو
ترياق السموم كلها (١) .

ومرة أخرى يوافق وصف داوود الأنطاكي لاستعمالات الحلتيت أو
الإنجدان وصف ابن البيطار وبلينيوس لاستعمالات السلفيون مما يرجح كون
الثلاثة نباتاً واحداً (٢) .

(١) داوود بن عمر الأنطاكي ، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب ، الجزء
الأول ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، صفحات ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) ما يستلفت النظر هنا هو ذكر داوود الأنطاكي للحلتيت في مصر تحت اسم
" الكبير " ، فطبقاً للمصادر الكلاسيكية السابق عرضها وعلي حد علمي لم تعرف
مصر زراعة السلفيون ، وإن كان هذا لا يفي إمكانية استيراده من قورينا .
وفي مقابلة شخصية لبعض كبار السن من بنو الصحراء الغربية أجريتها في الصيف
الماضي في مدينة مرسى مطروح أخبرني بعضهم بأن لديهم عشبة برية تسمى =

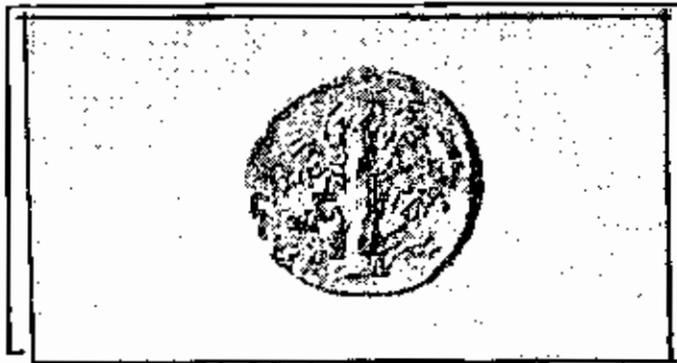
مما سبق يمكن القول باحتمال أن تكون شجرة اللوتس المنقرضة هي نوع من البلح شديد الحلاوة ، أما السلفيون فرغم أنه كان قد انقرض في قورينا ، إلا أن نوعاً آخر منه ظل يُؤتى به من سوريا ، وعرفه أطباء العرب باسم الحلقتيت أو الإندجان ، وظل موجوداً حتى العصر الحديث .

= "أبو كبير" يستعملون منقوعها لأوجاع المعدة . وربما أكد هذا ما أشار إليه أحد الدراسين الليبيين من أن "أبو كبير" نبات طبي منتشر في ليبيا ومناطق أخرى .
راجع علي قهسي خشيم ، المرجع السابق ، صفحة ١٢٩ .



شكل (١)

قدح أكسيلاوس : ويرى الملك الليبي الشهير أركسيلاوس وهو يشرف بنفسه علي وزن السلفيون وتعبئته تمهيداً لتصديره .



شكل (٢)

السلفيون علي عملة قوريناية



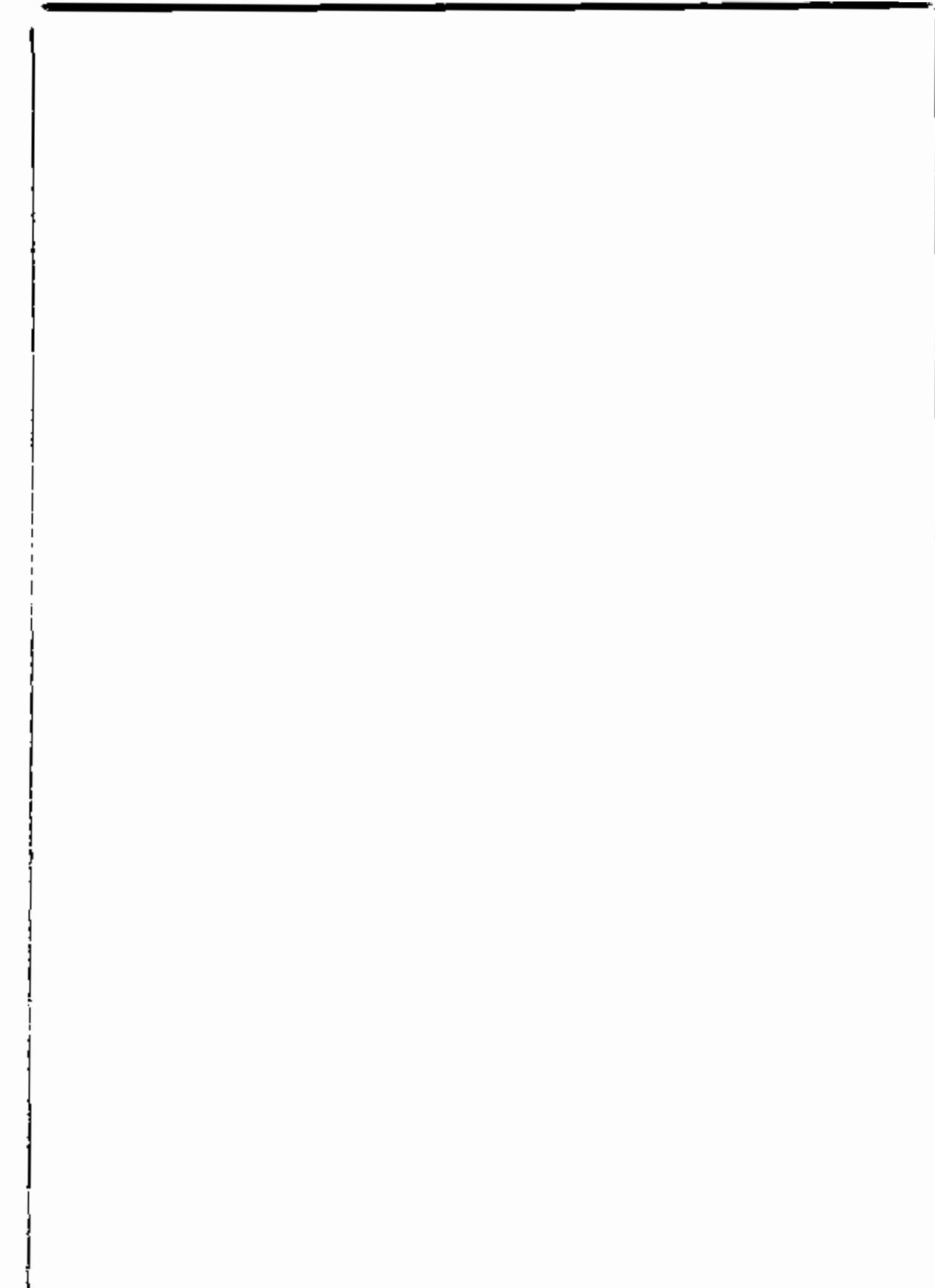
شكل (٢) رسم تخيلي لنبات السلفيون

الإسكندر الأكبر وبلاد العرب
ضوء جانبي من خلال فكره السياسي والديني

د. سلوى محمود نصر

مدرس بقسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



الإسكندر الأكبر وبلاد العرب ضوء جاتبي من خلال فكره السياسي والديني

يعتبر موضوع الإسكندر وبلاد العرب من الموضوعات التي مازال المجال فيها مفتوحا لمزيد من البحث، حيث لم يصلنا من أخباره إلا القليل، ومع ذلك فلا يمكن أن نتصور أن بلاد العرب كانت قليلة الأهمية بالنسبة للإسكندر، على الأقل في ملمحين أساسيين لا يمكن إغفالهما وهما: موقع المنطقة الإستراتيجي بالنسبة لإمبراطوريته، حيث تعتبر متاخمة لحدودها الجنوبية في المنطقة الآسيوية، التي امتدت فيها إمبراطوريته لتشمل الأراضي التي يحدها بحر إيجة غربا، ومنطقة البنجاب الهندية شرقا، بينما يحدها في الشمال منطقة القوقاز وبحر الخزر، بحيث لا يخرج من دائرة سيطرته في هذه المنطقة سوى أرمينيا وشمال شبه جزيرة العرب.

هذا من جانب والجانب الآخر الذي لا يمكن إغفاله هو إمكانيات منطقة بلاد العرب الإقتصادية، والدور الذي لعبته في حركة التجارة بين الشرق والغرب، سواء بصفتها كمنتج لعديد من السلع التي اشتهرت بها المنطقة مثل البخور والطيوب واللبان والعمر والقرفة وغيرها، أو بصفتها وسيط تجاري لعقد من السلع الأخرى التي كانت تأتي إليها عن طريق الصين والهند، مثل التوابل والمنسوجات الحريرية والرياش والعاج والأبنوس وغيرها.

ومن الأمور المسلم بها أن الإسكندر قد فكر في غزو منطقة بلاد العرب، وقام بالفعل بخطوات مبدئية تمهيدا لذلك بأن أرسل تباعا عددا من الواده البحريين، منهم أناكسكراتيس ثم هيرون، ليجمعوا له كلبي المعلومات الممكنة عن سواحل هذه

المنطقة.^(١) ولكن القدر لم يمهل الإسكندر ليكمل ما بدأه، فتوقف المشروع حتى أعاد بطلميوس الثاني فيلادلفوس المحاولة من جديد.

والأمر يبدو إلى هذا الحد طبيعى ومنطقى، لولا أن بعض من مؤرخى الإسكندر وبالتحديد سترابون وأريانس نقلنا عن أرسطوبولوس، مبررات أخرى دفعت بالإسكندر للتخطيط لإعداد حملة على بلاد العرب، وبناء على ذلك جاءت هذه الدراسة كمحاولة لتحليل هذه المبررات لإبراز مدى منطقيتها وهو أمر ما كان له أن يتحقق إلا بقدر من التعمق فى شخصية الإسكندر وكرهه، وبالذات فيما يخص فكرتى العالمية التى تشكل حجر الزاوية فى فكره السياسى والأقوية وموقعها من فكره الدينى، وما يرتبط بهذا الفكر عموما من ردود فعل، إتعمقت فى علاقته مع الشعوب التى تعامل معها، أو كان فى نيته التعامل معها بشكل أو بآخر، ومنها بلاد العرب المحور الرئيسى فى هذا البحث ومبررات غزو الإسكندر لبلاد العرب وفق ما جاء فى النصين، يمكن أن تنقسم إلى شقين: الأول منهما يتعلق بالسلبات من قبل بلاد العرب تجاه الإسكندر وتدور حول محورين، أولهما وفق ما جاء عند أريانس: " إن إستعدادات الإسكندر البحرية كانت موجهة لبلاد العرب، على إعتبار أنهم كانوا وحدهم دون البرابرة فى هذه المنطقة، هم الذين لم يقوموا بإرسال مبعوثين للإسكندر، ولم يتخذوا أى خطوة جلاء لتكريمه".^(٢) ونفس المعنى يرد عند سترابون، ولكن يؤكد عندما يضيف عليه عبارة: "... إن الإسكندر إتخذ هذا ذريعه للحرب".^(٣)

هذا عن المحور الأول المتعلق بالسلبات، أما فيما يخص المحور الثانى، فهو يدور حول مسألة دينية مؤداها كما يقول أريانس وفقا للقصة الشائعة: "أن الإسكندر سمع أن العرب يعبدون إلهين فقط، هما أورانس وديوليسوس، أورانس لأنه ظاهر ويحمل فى طياته الكواكب الأخرى والشمس، التى منها تأتى الفائدة الكبرى والأكثر

وصوحا للبشرية، وديوبيسوس نظرا لما يتردد عن حملته للهند^(٤)، وبناء على ذلك
يعتقد الإسكندر أنه هو نفسه يستحق ان يكون إليها ثالثا للعرب، طالما أن منجزاته لا تقل
أهمية عما حققه نيوبيسوس، على اعتبار أنه سوف يخضع العرب، ثم يسمح لهم،
مثلهم مثل الهنود أن يحكموا أنفسهم بما جرت عليه عاداتهم.^(٥)

هذا عن الصليبات، أما فيما يخص الشق الثاني من المبررات، فهو يدور حول
العوامل الإيجابية التي أغرت الإسكندر بالتفكير في غزو بلاد العرب، فكان إعداد
الحملة آخر ما شغل به حقيقة حتى لفظ أنفاسه الأخيرة^(٦)، فقد نمت لعلم الإسكندر
معلومات عن ثروات بلاد العرب^(٧)، ومساحة المنطقة وسواحلها التي تقترب في
طولها من سواحل الهند، إلى جانب وجود الحديد من الجزر القريبة من السواحل،
بالإضافة إلى الموانئ الموجودة في كل أنحاء البلاد، والتي تكفي لرسو أسطوله،
وتسمح ببناء مدن مزدهرة.^(٨) وهي عوامل تدور كما هو ظاهر في نطاق إقتصادي.

وجدير بالذكر أن محاولة تنفيذ هذه المبررات بشقيها للوصول إلى الدوافع
الحقيقية وراء غزو الإسكندر لبلاد العرب، لم تكن بالمهمة السهلة، وذلك نظرا لأن
القدر لم يعمل الإسكندر لإتمام هذه المهمة، فغاب الدليل العملي لنوايا الحقيقة تجاه
المنطقة، هذا من جانب ومن جانب آخر، فما ورد عند المؤرخين القدامى، وما دار بين
المؤرخين المحدثين من نقاش، كان حول الفكرة المجردة، التي لا يمكن التحقق منها من
وجهة نظري، إلا بالقياس على فكر الإسكندر عموما، ورنود فعله، وهذا لا يتم إلا عن
طريق استحضار أمثلة لمواقف مشابهة، بصرف النظر عن عدم ارتباطها المباشر
بموضوع بلاد العرب.

ومثال على ذلك مفهوم الإسكندر عن القيادة والزعامة، وما كان يسعى لتحقيقه
في هذا الصدد وهي معاني تشكل في مجملها جانبًا كبيرًا من فكر الإسكندر السياسي،

ومن المواقف التي يمكن أن تعكس لك هذا الفكر هو موقفه من قضيه الولود أو البعثات التي جاءت لملاقاة الإسكندر في ساكترا ٣٢٤-٣٢٣ ق.م لتقدم له بشكّل او ساخر فر، من الولاء والطاعة وتهنئته بأنه أصبح سيد اسيا، وتقدم له الهدايا، كما أن بعض من هذه الولود طلب منه التدخل لحل مشكلاتهم.^(٩) وهي بذلك، كما يبدو، بعثات داب طابع دبلوماسي من الدرجة الأولى، بالرغم مما تردد عن أن بعضا منها، كانت له صفة دينية.^(١٠) وكان من ضمن هذه البعثات أيضا البعثة الرومانية المختلفة وبيوء الإسكندر المرتبطة بها عن مستقبل روما. وتكون التولف كثيرا عند تفصيلات هذه البعثة، التي تعتبر من القضايا التي حظيت بالعديد من الدراسات، فالذي يهمنا هنا هو اتفاق وجهات نظر المؤرخين القدامى منهم والمحدثين واجماعهم على رفض احتمال قيام مثل هذه البعثة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أولا بالنسبة للقدامى، نجد أريانس نفسه يورد ذكرها ولكن بتحفظ يميل أكثر للرفض^(١١)، ويذكرها بليسيوس نقلا عن كليتارخوس^(١٢) في الوقت الذي لا يوردها ديونوروس ضمن مآثره من بعثات.^(١٣)

أما بالنسبة للمؤرخين المحدثين فمنهم ليويل برسون الذي إتفق تماما مع رأى أريانس في استبعاده لإحتمال إرسال مثل هذه البعثة، على اعتبار أن الرومان لم يكن لهم في تلك الفترة مصالح خارج إيطاليا.^(١٤) ويؤكد سارن أيضا على أن روما لم ترسل أبدا أي بعثة للإسكندر، وهو أمر لم يجزم به أو لم يصدق عليه أي من الباحثين المحدثين، فكل بعثة، كان يجب أن تكون مسجلة في يوميات الإسكندر كحقيقة واقعة، ولقد نقل لنا بطلميوس من هذه اليوميات قائمة بالبعثات التي جاءت إلى بابل، والتي من ضمنها الشعوب الثلاثة الإيطالية، ولم يذكر أي منهم من روما. ولم يكن في استطاعته أن يحتفظها من قائمته إذا كان قد وجدها بالفعل.^(١٥)

والحديث عن البعثة الرومانية والنبوءة لا يكتمل إلا بالتوقف عند عبلة أخرى لها نفس الملابس السابقة، وإن كانت بعيدة عن موضوع بلاد العرب، إلا أنها تعكس أيضا مفهوم الإسكندر عن الزعامة والقيادة، هذه العبارة أوردها أريانوس في معرض حديثه عن البعثات التي طلبت من الإسكندر أن يتدخل لفض النزاعات القائمة فيما بينهم وأغلب الظن أن المقصود هنا هو البعثات اليونانية. (١٦) حيث يقول: "...حينئذ وأكثر من أي وقت مضى، بدأ الإسكندر في تقيمه لنفسه، وتقييم المحيطين به له على أنه سيد الأرض قاطبة والبحار." (١٧)

"... γῆς Τέ ἀπάσης Καὶ θαλάσσης Κύριον"

ونفس المعنى نجده عند سترابو. (١٨)

"... πάντων εἶναι Κύριον"

كما نجد أن ديودوروس يورد المعنى نفسه حين يذكر أن الإسكندر جاءت له بعثات من كل انحاء المعمورة تقريبا. (١٩)

"... ἐξ ἀπάσης σχεδὸν τῆς οἰκουμένης ἦκον πρέσβεις"

وفي هذا الصدد يوجد عدد من الترجمات مؤداه، إتفاق معظم المؤرخين القدامى منهم والمحدثين على الربط بين موضوعي البعثة والنبوءة وإعتبارهم إن الموضوع كله وبرمته، وحتى عبارة سيد الأرض والبحر، ما هو إلا أحد اختلاقات عديدة تعود إلى القرن الأول ق.م، وأن هذه النبوءة تخص مستقبل روما وسياتها المطلقة على البر والبحر، وهي مستعارة من مؤرخ يدعى ليكوفرون ضمنها عمله المعروف باسم "Alexandra". (٢٠)

"... γῆς Καὶ θαλάσσης σκῆπτρα Καὶ μοναρχίαν"

هذا وقد نسبت هذه العبارة إلى الإسكندر زيفا في فترة زمنية ارتفعت فيها أسهم الإسكندر في المجتمع الروماني، وأصبح صيحة العصر في أواسط القرن الأول ق.م. والسبب في ذلك أن تلك الفترة عاصرت قيصر وبومبيوس وكراسوس، الذي تمنى كل منهم حسبما ذكرت الأعمال الأدبية أن يكون إسكندرا جديدا، في محاولة للتوفيق وإعادة الونام بين الشرق الهلنستي والغرب.^(٢١) وفي هذا الصدد فإن المعروف أن القرن الأول ق.م. هو عصر النبوءات، ومن المرجح أو على الأقل ليس من المعتاد أن هذه النبوءة عن عظمة روما تنتمي إليه، حيث بنت فيه روما تكريم الإسكندر بهذه البعثة المزعومة، فكرمها الإسكندر بدوره بنبوءة سيادة البحر والبحر التي تشير إليها عبارة " Terra marique " هذه العبارة التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ أغسطس بعد اكتييوم.^(٢٢)

وإلى جانب ذلك فإن هذه الفترة تعود إليها أيضا الوثيقة المعروفة باسم مذكرات الإسكندر " ὑπομνήματα " التي وضعت لتظهر أن الإسكندر، لو قدر له أن يمتد به العمر، لأصبحت له السيطرة على البحر المتوسط بأسره، ولحقق ما حققته روما من سيادة على البحر وأراضيه. وبناء على ذلك فإن سيادة البحر وأراضيه التي نسبت للإسكندر، كان المقصود بها روما، وأما تدخله في حل النزاعات القائمة، فهذا هو الدور الذي ينسب إلى بومبيوس.^(٢٣)

وإستادا على ما سبق، فوجهة نظري لاختلاف كثيرا مع هذا التفسير، على الأقل فيما يخص رفض احتمال إرسال بعثة رومانية ونبوءة الإسكندر المرتبطة بها، ولكن هناك تحفظ فيما يخص عبارة "سيد الأرض قاطبة والبحار"، على اعتبار أن إنكارها على الإسكندر هو إغفال لجانب هام من فكره السياسي وما حققه من إنتصارات في فترة وجيزة، وما كان يسعى لتحقيقه ولو بشكله المبالغ فيه، والمقصود

هنا هو تحقيق فكرة إمبراطورية عالمية، ولو صح هذا الاعتقاد يمكن أن تكون بلاد العرب إحدى مناطقها، ويصبح ذلك مبررا كاتيا لغزوها. ولكن المسألة تبدو أعتد من ذلك عندما يختلف المؤرخون فيما بينهم في رفض فكرة الأمبراطورية أو قبولها.

ففيما يخص الجبهة الرافضة نجدهم يستندون على أن هذه الأمبراطورية العالمية غير معروفة الحدود وغير مؤكدة.^(٢٤) وذلك نظرا لأنها إعتدت في الأساس على خطط وهمية ومبالغات نسبت إلى الإسكندر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، التساؤل الذي دار عن نية الإسكندر في غزو العالم المعمور، أو المعصورة كما وردت عند ديودوروس.^(٢٥) أو بمعنى آخر، غزو أوروبا وآسيا وإفريقيا، أو العالم عبر المحيط، هذه القصة التي يشير إليها أريستوس نفسه.^(٢٦) وهي نفس الروايات التي نسبت لكل من بومبيوس وليصر. أو على غرار بعض المشروعات الاستكشافية التي كان الإسكندر يود القيام بها، والتي تحولت في الكتابات الأدبية إلى مبالغات جعلت منها خططا للغزو، ومثالا على ذلك مشروع الطواف حول سواحل إفريقيا، الذي تحول إلى مخطط لغزو شمال إفريقيا من أعمدة هيراكليس وبإتجاه الشرق، أو مخطط إكتشاف ساحل بلاد العرب الذي تحول إلى غزو لهذا الساحل، كما ورد عند أريستوس وسترابو فيما يخص هذه الجزئية بالتحديد.^(٢٧)

هذا ويساند أيضا هذه الجبهة الرافضة حقيقة واقعة وهي أن الإسكندر حتى وفاته لم يكن قد فرغ تماما، من إخضاع كل الأمبراطورية الفارسية، فقطاع كبير من المناطق لم يكن قد أخضع بعد، هذا بالإضافة إلى موقفه المعروف من منطقة البنجاب التي سلمها إلى بروس بالرغم من أن الحصول عليها لم يكن بالأمر الهين، حيث يتحول إهتمامه بعد ذلك إلى المهام الكشافية.

بناء على ذلك، فإن الذي يسعى إلى سيادة العالم، لا يفرط طواعية ومن تلقاء نفسه فيما أتعبه الحصول عليه. (٢٨) هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن الحقائق القليلة المتاحة في هذا الشأن، لا تتضمن تصريحاً مباشراً من الإسكندر بهذه الرغبة. (٢٩)

هذا فيما يخص الجبهة الراقضة، أما عن الجبهة المقابلة، التي تساند فكرة إمبراطورية عالمية، فقد حاول المؤرخون في هذا الصدد الربط بين هذه الفكرة وبين فكرة وحدة الجنس البشري، التي من الثابت أن الإسكندر حاول تحقيقها بين الشعوب الداخلة في إمبراطوريته على أقل تقدير، وقد إتخذوا منطلقاً لهم أنه لا يمكن أن يكون الإسكندر قد سعى لتحقيق مثل هذه الرابطة، دون أن يكون قد أوجد الوعاء الذي سيتم فيه هذا الإمتزاج، الذي لم يكن من الضروري أن يسود فيه الطابع الهلنستي العالم الشرفي، وبالتالي لا يسود فيه الطابع البربري العالم الغربي، وذلك إستناداً على ما قام به الإسكندر من ترك حرية انتماء كل عنصر إلى قوميته أو هويته الحضارية. ولكن على الرغم من ذلك أصبح هناك طابع الحياة الجديدة التي إستندت على تبادل العادات، وإمتزاج النماء، لتصبح القوة المحركة للإمبراطورية. (٣٠) وحتى على إفتراض أن الإسكندر لم يسع إلى مثل هذا الإختلاط، أو المزج الحضاري فقد كان حادثاً بالفعل، على الأقل بين المقدونيين واليونانيين من جانب، والأسبويين من جانب آخر. فسنوات الحرب الطويلة التي قضاها المقدونيون واليونانيون في آسيا، ربطتهم بالضرورة بعلاقات مع أسبويات، كانت أصنق تعبيراً لمثل هذا الإمتزاج الحضاري، الذي لم يضاف له عرس سوما إلا الإطار الرسمي. (٣١)

وبناء على ذلك أستطيع أن أقول أن إحساس الإسكندر بأنه سيد الأرض كان موجوداً بشكل عملي وهو كما رأى أريستوس وسترابو بشكل ضمنى، كان الأساس في

الدواع الحقيقية لغزو الإسكندر لبلاد العرب، ولم يكن ينقصه تحقيق فكرة العالمية، فهو بالفعل أصبح سيدا لقطاع لا يستهان به من العالم المعروف آنذاك، وحمل العبيد من الألقاب التي منها ما إتخذه هو لنفسه مثل سيد آسيا "Κυρίος τῆς Ἀσίας" أو ملك آسيا "βασιλεύς τῆς Ἀσίας" هذا إلى جانب ألقابه الأخرى التي كان يحملها بوصفه ملكا لمقدونيا أو بوصفه زعيما للحلف الكورنثي، أو بوصفه قائدا وحليفا للمدن اليونانية على الساحل الآسيوي، وبصفته أيضا الإبن المتبنى للملكة الأم،^(٣٢) والملك الأعظم لعديد من المناطق، على الأقل فيما يخص جمع الضرائب، كما أصبح أيضا الحاكم المطلق على أمراء الهند، ولا ننسى أيضا الألقاب الفرعونية التي حصل عليها في مصر، بوصفه حاكما وإلها، كل هذه الألقاب كما تبدو إتخذها الإسكندر تارة بصفته ملكا وتارة أخرى بصفته فاتحا.^(٣٣)

تأسيسا على ما تقدم يمكنني أن أستخلص الأتي: إن تخلف بلاد العرب أو عند آخر من الشعوب عن الركب الذي حضر لمملكة الإسكندر (وهم بالضرورة قلة بالمقارنة مع من حضروا بالفعل) لم يكن ليؤثر على شخص له مواصفات شخصية الإسكندر ولم يكن ليؤثر على مركزه وسطوته، وإن يقل بالضرورة من شأن ما حققه من إنتصارات وإن يشبه من جانب آخر عن مخططاته المستقبلية، وإن يكون مدعاة أو ذريعة إتخذها الإسكندر لشن حرب عليهم، وفق ما جاء عند كل من أريافوس وسترابو.

هذا عن المبرر الأول، أما فيما يخص المبرر الثاني، وهو يتصل كما رأينا بفكر الإسكندر الذي يشكل عام، وموقع بلاد العرب من هذا الفكر بشكل خاص، حيث نجد أنه في الوقت الذي إتفق فيه مؤرخو الإسكندر على أنه كان يهدف لأن يكون

الحاكم المطلق لإمبراطوريته بصفته السياسية، نجدهم يختلفون حول قضية تأليهه. وفيما بين المفهومين، الدينى والسياسى، فمن المعروف أن هناك ثلاث مناسبات ذات أهمية خاصة، وتتصل بشكل أو بآخر بقضية تأليه الإسكندر، وهى وفق ترتيبها الزمنى، زيارته لمعبد الإله آمون فى واحة آمون (سيوه) فى شتاء عام ٢٢٢-٢٢١ ق.م، ثم مناسبة طلبه السجود "προσκύνηση" ممن فى حضرته فى باكترا ربيع عام ٢٢٧ ق.م والمناسبة الثالثة هى التعليمات التى أرسلها إلى مدن حلف كورنثا من سوسا عام ٢٢٤ ق.م بشأن إعادة المنفيين، والتى يرجح بعض المؤرخين أنه ضمنها طلب تأليهه.

ودون الدخول فى تفصيلات كل مناسبة من هذه المناسبات الثلاث، فالذى يهمنى هنا بالدرجة الأولى هو استعراض نتائج هذه المحاولات من قبل الإسكندر، ثم ردود الفعل عليها، من قبل المقدونيين واليونانيين بالذات. فقد تفهم الإسكندر فى زيارته لأمون معنى النداء الذى ناداه به كاهن الإله.^(٣٤) ووعى تماما مكون هذه الزيارة، وكان يعلم جيدا أن ما حصل عليه من ألقاب فى مصر كحاكم وإله، إنما يخص نظرية الحكم عند الفراعنة، ولذلك فهو بعد عودته من هذه الزيارة لم يطلق على نفسه أبدا، لا ابن آمون ولا ابن زيوس وإشاعة غير ذلك لم يكن للإسكندر نفسه يد فيه، ولكن الموضوع كان مادة طيبة لأدب المترلفين من المحيطين بالإسكندر، وبعض منهم نسب إليه عددا من المعجزات، التى كان أشهرها مانكره كالميتيس عن الأمواج التى إتحت أمام الإسكندر عند سفح جبل كليمكس.^(٣٥)

أما فيما يخص رد فعل المقدونيين، فهم بخشونة طبيعهم، لم تعجبهم هذه الصيغة فى الحديث، ولم يعجبهم أيضا التلويع بينوة الإسكندر -إن كان من الضروري- إله غير هيراكليس على نحو ما جرت عليه علاقتهم.^(٣٦) كذلك كره

المقدونيين بشدة تعادى الإسكندر في غروره "μεγαλομανία" وفي تبني العادات الفارسية، مثل إرثائه للزى الفارسي، وبالأخص مسألة السجود، التي يختلف المؤرخون في تحديد مفهومها بالنسبة للإسكندر، وفي هذا المجال رأى بعض هؤلاء المؤرخين أن الإسكندر بمحاولته فرض هذه العادة الآسيوية، كان يسعى إلى رفع مستوى الآسيويين ليشاؤوا مع اليونانيين والمقدونيين، وذلك بأن تكون لهم مراسم بلاط واحدة^(٣٧)، ورأى البعض الآخر أنها كانت محاولة ذات أبعاد سياسية تهدف إلى إخضاع جميع الأطراف، من لرس ويونانيين ومقدونيين، ثم المدن اليونانية الحرة التي كان يهيمه أن تكون له فيها قاعدة قانونية، أو أساس قانوني.^(٣٨)

لقد كان رد فعل كل من اليونانيين والمقدونيين هو الرقض العنيف لهذه الفكرة على الأكل في البداية، حيث أن عبادة السجود في حد ذاتها ارتبطت لديهم بمفهوم ديني، فهي لا تودى إلا للآلهة، والإسكندر لم يكن إليها بالنسبة لهم.^(٣٩) وأغلب الظن أن الهدف كان أبسط من أن يكون له بعد سياسي أو ديني، ويقترب أكثر من نفسية الإسكندر ومزاجه الشخصي.

أما فيما يخص المناسبة الثالثة في قضية تأليه الإسكندر، فهي تعليمات الإسكندر لمن الحلف بإعادة المنفيين، وطلب تأليهه. وهذه القضية بما تثيره من نقاط للبحث، ستقربنا بالضرورة أكثر من تفهم فكر الإسكندر الديني، وبالتالي من تفسير موقفه من بلاد العرب، فيما يخص قضية اعتباره إلهًا ثالثًا لهم.

فمن المعروف أن الإسكندر قد تخلص عن ملمح من الملامح التي طبقتها الملكية المقدونية لفترة طويلة، وهو عصبية الأصدقاء التي تضم قواده، وذلك حتى يصبح الحاكم المطلق لإمبراطوريته وليس هناك من دليل، على أنه كان على استعداد للتنازل عن ذلك في سبيل أي اتحاد ديمقراطي مثلاً. وكما يفكر روبنسون:

"ان الإسكندر قد قرر أن يصبح إلها في هذا العصر الذي يتسم بعدم الإهتمام بالأمر الدينية، الذي يرتفع فيه بالفعل رجال أحياء إلى مرتبة مقدسة".^(٤٠) وهو أمر له سابقة في تاريخ اليونان كما نعرف.^(٤١) هذا الموقف إن صححت نسبته إلى الإسكندر فهو يثير عدة تساؤلات، أولها عن مدى إقتناع الإسكندر بالفكرة ذاتها، في أن يصبح الحاكم المطلق الإله لأمبراطوريته، وثانيها عن إمكانية طلب الإسكندر صراحة وبشكل مباشر من شعوب إمبراطوريته، وعلى رأسهم اليونانيون والمقدونيون، أن يؤلوهوه، أو يعترفوا بألوهيته، ومن ثم توقع مثل هذا الإعتراف من الشعوب الأخرى والتي منها بلاد العرب.

ففيما يخص التساؤل الأول، لنحن لا نستطيع أن نقول أن الإسكندر قد شب وعاش في مجتمع ترددت فيه فكرة الحاكم الإله، فأول معرفته بها لابد جاءت على يد معلمه أرسطو الذي أعتبر أن منزلة الحاكم بين البشر مثل الإله.^(٤٢)

"ὡςπερ γάρ θεόν ἐν ἀνθρώποις εἰκὸς εἶναι τὸν τοιοῦτον"

حيث بدأ الإسكندر يتلمذ على يد أرسطو منذ سن الثالثة عشر، ومن الطبيعي أن علم السياسة كان أحد أهم هذه العلوم التي لقتها معلمه له.^(٤٣) بالرغم من أن أحد المؤرخين وهو بالسدون وشكك في ذلك.^(٤٤) ويشكك أيضا في إمكانية معرفة الإسكندر بجملة أيسوكراتيس القهييرة التي وضعها خطابه لقيارب، في انه لن يكون أمامه بعد هزيمة الفرس إلا أن يصبح إلها.^(٤٥)

"...οὐδὲν γὰρ ἔσται λοιπὸν εἰ πλὴν θεὸν γένεσθαι."

وبصرف النظر عن الجدل الذي أثير حول صحة هذا الخطاب أو زيفه، أو عن مدى معرفة الإسكندر أو عدم معرفته لتعوى هذا الخطاب، فنحن أمام حقيقة لا يمكن إغفالها، عاشها الإسكندر وتعلمها، وهي غاية فيليب وإستعداده لغزو

الإمبراطورية الفارسية، وهذا المخطط كان من ضمن ميراث الإسكندر عندما ألت إليه مملكة أبيه، وقد عمل مباشرة على تحقيقه.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن سعى الإسكندر الدائم وتوسعه في إنشاء العديد من المدن في المناطق التي اجتاحتها، وأصبحت جزءا من إمبراطوريته، وكذلك عمله على توطين الجنود اليونانيين فيها، جعلنى أميل نحو الاعتقاد بأنه كان على معرفة بوصية إيسوكراتيس لفيليب. وكما استوعب الإسكندر واقتنع بقدر من هذا وذلك، رفض أيضا بشخصيته المتبلورة تورا آخر وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجده يرفض مبدأ أرسطو في كيفية معاملة الشعوب المتبربرة، وخاصة الآسيويين على أنهم عبيد بطبيعتهم.^(٤٦) هذا المبدأ الذي لم يكن يخدم سياسة المزج "ὁμόνοια" التي حاول تطبيقها في إمبراطوريته والتي لم تكن مجرد شكل أراد تحقيقه، ولكن كما يبدو من سلوك الإسكندر الذي إنغمس تعلمًا بالفكر والحض في الجو الفارسي، انه كان مقتنعا تماما بالمضمون. فقد سمح كما رأينا للملكة الفارسية بتبنيه، ومارس عددا من العادات الفارسية، واتخذ لنفسه خليلا فارسيا، وزوجتين من الفارسيات، وجعل الجنود الفرس بحاربون جنبا إلى جنب في جيشه مع اليونانيين والمقدونيين، بل ذهب أبعد من ذلك عندما قام بتعيين واحدا من الفرس في منصب "Satrap" على بابل.^(٤٧)

وبناء على ذلك فلما أميل نحو الاعتقاد بأن الإسكندر قد وقف في موقع متوسط من مفهوم أرسطو الذي يجمع بين الحاكم والإله، وذلك بعينه لمفهوم آخر يطرحه أرسطو أيضا، وله شواهد في المجتمع اليوناني، هذا المفهوم الذي يطلق لقب إله على إناس أحياء، نظرا لما يتمتعون به من صفات غاية في التميز.^(٤٨)

"Καθάπερ φασίν ἐξ ἀνθρώπων γινόνται θεοὶ δι' ἀρετῆς, ὑπερβολῆν."

وهذا المفهوم لا يتضمن بالضرورة عبادتهم، ومثال لهؤلاء الرجال نجد ثيسيوس الذي اعتبر إينا لبوسايدون، وديعتريوس بوليوركيتوس الذي تم تكريمه في أثينا عام ٢٩٠ ق.م وذلك بوصفه أبنا للإله بوسايدون والألهه أفروديتي. ومن الأبطال الذين حظوا بمثل هذا التكريم كان هيراكليس، ليس لأنه إبن زيوس ولكن نظرا لما يتمتع به من فضائل "δι' ἀρετῆν" وكان أكثر الأمثلة لربا من قلب الإسكندر.^(٤٩)

وبنا على ذلك نستطيع أن نقول، أن هذا هو الإحتمال الأغلب لما أراده الإسكندر من الشعوب التي تعامل معها بشكل أو بآخر، وبالأخص من شعوب إمبراطوريته وعلى رأسهم اليونانيون والمقدونيون، أن يحصل على لقب الإله، وما يعنيه ذلك من تجيل وإحترام وإجلال، وما يتضمنه من فروض الولاء والطاعة. وإستادا الى ذلك فإن أرياقوس وأسترابو لم يتعدا عن الصواب فيما يخص هذه الجزئية بالذات، على إعتبار أن بلاد العرب كانت أحد هذه الشعوب التي كان الإسكندر يتوى التعامل معها.

وتبقى نقطة أخيرة في هذه القضية وهي أن المؤرخين الذين إتفقوا على الرأي القائل بأن العبادة بطلب التأييد، جاءت من الإسكندر مباشرة للمدن اليونانية في حلف كورنثا على الأقل، يستندون في رأيهم هذا إلى وجود ردود فعل عنيفة وسافرة من مفكرين لهم ثقلهم في المجتمع اليوناني، فما هو ديموستثيس الذي قال في سخرية بانسة: " إعترفوا به إينا لزيوس، إعترفوا به إينا لبوسايدون أيضا إذا كان يريد ذلك".^(٥٠)

"ἐν τῷ δήμῳ συγχωρῶν Ἀλεξάνδρῳ καὶ τοῦ Διὸς, καὶ τοῦ Πόσειδῶνος εἶναι εἰ βούλοιτο."

أو كما قال ليكوجوس: "أي نوع من الآلهة يمكن أن يكون هذا، عندما يكون أول شيء عليك أن تقوم به، عندما تترك معبده، هو أن تتطهر".^(٥١)
"Καὶ ποδαπὸς ἂν εἴη, εἶπεν, ὁ θεὸς οὗτο, ἕρπον ἐξίόνται δεῖσαι περιρραίνεσθαι."

وغيرها العديد من الأمثلة التي وإن اختلفت لهجتها، إلا أنها كانت ترفض مثل هذا الإحتمال.^(٥٢) ولكن ربود الفعل وحدها لاتنهض أن تكون دليلا على أن العبادة بطلب التآليه جاءت من الإسكندر، وخصوصا في ظل غياب الدليل المعادي على ذلك، ففي الوقت الذي تتوفر فيه المصادر على إختلاف نوعيتها بين مصادر أدبية ونقوش، نورد جميعها ذكر واقعة إرسال الإسكندر تعليمات من سوسا في عام ٣٢٤ ق.م لعند حلف كورنثا بإعادة المنفيين السياسيين.^(٥٣) فلنأخذ إذا ما إستثنينا المثال السابق نكره من بلوتارخوس في "Moralia" وما جاء في الباتوس^(٥٤) لا تذكر ما يشير إلى وجود طلب من الإسكندر بشأن تأليهه أو الاعتراف بألوهيته فعلى سبيل المثال لا الحصر، لا ينكرها أريستوس، ولا يذكر أيضا واقعة إعادة المنفيين صراحة، ولكن ينكر ملابسات أخرى من الممكن أن توظف للتلليل على واقعة واحدة منها على الأقل، ولو بشكل غير مباشر، وفي هذا المجال فإنه يقول في معرض حديثه عن البعثات الليونقية التي جاءت لملائكة الإسكندر وخصوصا البعثة الثانية التي جاءت عام ٣٢٣ ق.م: "وكلهم جاؤا في بعثة مقنسة لتكريم إله".^(٥٥)

ὡς θεοροὶ δῆθεν εἰς τιμὴν θεοῦ ἀφιγμένοι "

وأثق مع رأى المؤرخ بالمعدون الذي يرى أن هذه العبارة لا تكفي أن تكون دليلا قطعا، على رفع الإسكندر إلى مرتبة الآلهة أو الاعتراف بألوهيته بالرغم من عدم إستخدام أريستوس لكلمة "πρεσβεῖς" بمعنى مبعوثين سياسيين، وإستخدامه

لكلمة "θεωροί" بمعنى مبعوثين دينيين.^(٥٦) ولكن كما يبدو من سياق العبارة أن استخدامه غير مؤكد وغير قاطع "ὡς θεωροὶ δῆθεν" بمعنى: "كما لو أنهم"، أو "كأنهم".^(٥٧) وعلى ذلك فإن ورود العبارة بهذا الشكل ينفي الصفة الدينية عن هؤلاء المبعوثين، الذين جاؤوا في الإحتفال الأغلب لتكريم الإسكندر والإعتراف بفضلته في إعادة المنفيين العيسيين، وهي الواقعة الأكثر ثبوتاً بالدليل المادى عن مسألة التآليه، وهي تتفق أيضاً مع التصنيف السابق نكره "δι' ἀρετῆς ὑπερβολήν" أى: "صفات غاية في التميز".

هذا ولن يتضح مفهوم الاكراهية عند الإسكندر وموقعها من فكره الدينى ثم إرتباط ذلك بموقفه من بلاد العرب إلا بإلتقاء مزيد من الأضواء على آراء بعض المؤرخين المحدثين بهذا الشأن ومنهم على سبيل المثال لا الحصر تارن الذى تبنى تماماً وجهة نظر مؤدائها، أن الإسكندر، فى أغلب الظن ضمن طلبه بإعادة المنفيين، الطلب بتآليهه، ولكن لأهداف سياسية أكثر منها دينية. والسبب فى رأيه هو أن الإسكندر بمحاولته تمرير مثل هذا القرار فيما يخص المنفيين قد تخطى حقوقه الدستورية، التى يكنفها له منصبه كزعيم "ἡγεμῶν" للحلف الكورنثى، وليس من بينها بالضرورة حق التتخل فى الشئون الداخلية لكل من هذه المدن على حده وحتى يتسنى له ذلك، فهو محتاج لموقع أعلى من كونه زعيماً، وموقع الإله يكفل له هذا. وإستادا على ذلك كان من الممكن أيضاً، أن يأتى طلب التآليه أولاً، ثم يتبعه طلب إعادة المنفيين.^(٥٨)

ومما يشكك كذلك فى إرتباط طلب التآليه بطلب إعادة المنفيين هو وجود نقشين أحدهما يشير إلى إعادة المنفيين فى تيجيا ويرجع ذلك إلى الملك الإسكندر "βασιλεὺς Ἀλεξανδρὸς" والنقش الآخر يشير إلى إعادة المنفيين فى ساموس،

ولكنه يذكر الإسكندر بإسمه المجرّد دون اللقب " Ἀλεξάνδρος " وفي كُتبا الحالتين لا توجد أى إشارة للقب الإلهي. (٥٩)

وبناء على ذلك، واستناداً إلى ما إنتهت إليه من قبل، فيما يخص مسألة رغبة الإسكندر فى أن يصبح الحاكم المطلق الإله لإمبراطوريته، فهو كما رأينا كان بالفعل الحاكم المطلق بصفته السياسية، أما الحصول على لقب الإله بكل ما يحمله هذا اللقب من معانى سامية، دون ملائسات العبادة، لم يكن من أجل تدعيم مركزه السياسى حسبما يذكر تارن، سواء أكان ذلك فى بلاد اليونان أو فى إمبراطوريته ككل. (٦٠) ولكن على عكس ذلك، فلم تكن صلاحيات الإسكندر السياسية والإنتصارات والمجد الذى حققه، فى حاجة إلى سلطات إستثنائية يكفلها له منصبه الإلهي، بين أناس لم يعرفوا أسما مثل هذا التمتع من الحكم وهم المقدونيين، أو فى العالم اليونانى الذى كان قد تخطى تماماً هذه المرحلة، وفصلته عنها فترة زمنية طويلة، شهدت تطوراً كبيراً فى نظرية الحكم، عبر مراحل مختلفة، حتى وصلت إلى الحكم الديمقراطى الشعبى. وبذلك أصبح الفكرة غير مواكبة لعصرها، على الأكل فى هذه الفترة الزمنية، وحتى فكرة أن يصبح الإسكندر الإله المشترك لإمبراطوريته، تبدو غير مقنعة تماماً، لأن الإسكندر بالفعل كان قد خطا خطوات ملموسة، وأكثر واقعية فى هذا المضمار (مهما كانت مبدئية ومحدودة) نحو تحقيق فكرة التآرب الذى يصل إلى الأمتراج، بين شعوب إمبراطوريته، هذه الفكرة التى رأى تارن أنها تمثل ثورة فى الفكر الإنسانى، وهى بالفعل كذلك بالقياس لعصرها. (٦١)

وتأسيساً على ما تقدم، أستطيع أن أقول أنني أميل نحو الرأى القائل بأن العبادة بطلب التأليه جاءت من داخل بلاد اليونان، من مناصرى الإسكندر والمتزلقين إليه، وعلى أرض بلاد اليونان نفسها أجهضت هذه المبادرة، أما فيما يخص ردود

الفعل التي تردت، وإعتبرها بعض من المؤرخين كما رأينا، دليلا على مبادرة الإسكندر بطلب التآليه، فقد جاءت ردا على الدعاية التي قام بها مروجو الفكرة داخل المجتمع اليوناني.^(٦٢) فطالما كان الإسكندر في الشرق الأقصى، تملى له اعداؤه في داخل بلاد اليونان أن يقتل، ولكنه بعد عودته إلى الغرب مرة أخرى، وهي اللحظة المناسبة لمناصريه ليقوموا بأى شيء تودودا له ومهادنة لأعدائهم، فجاءت مسألة التآليه كحل مثالي، حيث يؤكد بالسنون أن الفكرة جاءت بإيحاء من الإسكندر نفسه^(٦٣)، ولكنني أرى أن هذا أمر مستبعد، على إعتبار أن هذا التصرف لا يتوافق وملامح شخصية الإسكندر، الذي طلب صراحة تعميم فكرة السجود عننما رغب في ذلك، دون أن يلجأ للمناورة أو الإيحاء وبصرف النظر عن مفهومها الحقيقي بالنسبة له.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فالإسكندر لم يكن ليجازف مرة أخرى بطلب لايضمن له الأستجابة، خصوصا بعد رد الفعل العنيف الرافض لفكرة السجود من قبل اليونانيين والمقدونيين.

هذا وبالعودة للحديث عن الإسكندر وبلاد العرب، فخلاصة القول، أنه إذا لم يكن للإسكندر أى رد فعل على رفض اليونانيين والمقدونيين على الأقل في البداية إضفاء صفة الألهية عليه، سواء كما تفهموها بمعنى عبادته، أو كما أرادها هو على نحو ما رأينا، وهم الشعوب الأكثر أهمية بالنسبة له، فمن الأولى أن لايتوقع ذلك من منطقة مثل بلاد العرب كانت أهدافه الواضحة فيها إشباع هواية حب الإستكشاف، الذي دفعه أيضا إلى مناطق أخرى كثيرة كما ذكرت في مناسبة سابقة، ثم بدافع عسكري خصوصا بعد أن تمت له السيطرة على جزء كبير من الإمبراطورية الفارسية، ومناطق أخرى من الشرق الأدنى والأوسط، وحتى تكتمل له حلقة الإتصال البحري،

الذي كان يرى فيه تدعيماً لدائرة سيطرته في الشرق والغرب.^(٦٤) ثم بهدف الانتفاع بموارد المنطقة الاقتصادية، ومنه ما ورد بشكل مباشر عند كل من سترابو وأرياتوس.^(٦٥) ويندرج، حسب التقسيم السابق، تحت بند العوامل الإيجابية التي أقرت الإسكندر بالتفكير في منطقة بلاد العرب.

هذا ويهمني الإشارة هنا بشكل خاص، إلى أن معرفة الإسكندر بالقيمة الحقيقية لثروات هذه المنطقة، ترجع جنوبها العميقة إلى سنوات طفولته وفي ممارسات الحياة اليومية، كما هو في المجتمعين اليوناني والمقنونى، وفي المجتمعات القديمة بصفة عامة. حيث كان البخور والعنبر من أهم المواد التي تستخدم بشكل كبير. فقد كان مفهوم القداس أن هذه المواد هي الاداة الأولى في عبادة الآلهة، وتقديم الولاء والطاعة والعرقان بالجميل، وذلك اعتقاداً منهم أن أكثر ما يسعد الآلهة، هو تقديم كل ما هو غال وثمين. هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد تعددت استعمالات البخور الأخرى في غير أغراض العبادة، مثل الولائم والاحتفالات، وفي الأغراض الطبية، الأمر الذي جعله بشكل كبير، نوعاً من مظاهر الثراء الضرورية.^(٦٦)

وفي هذا المجال تظل رواية بلوتارخوس تعكس هذه الصورة، حيث تلخص في أن الإسكندر عندما تم له الاستيلاء على عزمه، قام بإرسال سفن هذه المدينة إلى أولمبياس، وكليوباترا، وأصدقائه، وإلى معلمه ليونيداس، الذي خصه بكمية كبيرة تقدر بما يساوي خمسمائة تالنت من البخور، ومائة من المر: "... في ذكرى أمل الطفولة". كما قال له في رسالته التي أرسلها مع الهدية.^(٦٧)

...ἀναμνησθεῖς παιδικῆς ἐλπίδος

هذا ويمضى بلوتارخوس في رواية القصة، ويذكر كيف أن الإسكندر في أحد الأيام وهو صغير، ولثناء قيامه بالتضحية، ملأ كفيه بالبخور وألقى بها في نار المذبح الأمر الذي جعل معلمه ليونيداس يقول له ما يعنى: "... أن عليه الآن ألا يسرف في ماله، وذلك إلى حين استيلائه على المنطقة التي تنتج هذه المواد العطرية ويتصرف فيها بسخاء كما يتمنى".^(٦٨) وبناء على ذلك كتب له الإسكندر ما يعنى: " أنه أرسل البخور والمر، حتى يكف عن البخل في تعامله مع الآلهة".^(٦٩)

"...ὅπως παῦσῃ πρὸς τοῦς θεοῦς μικρόλογούμενος"

هذا وأنه لضى عن التعريف أن منطقة بلاد العرب قد حبتها الطبيعة بتربة ملائمة ومناخ موافق لعمو بعض من هذه المواد العطرية، مثل اللبان والمر والكاسيا (المعروفة بالقرفة الصينية)، والقرفة والمستكة. هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن موقع بلاد العرب هيا لها القيام بدور وساطة في تجارة بعض السلع الأخرى، التي كانت تأتي من أقصى الشرق مثل الأقمشة الحريرية التي كانت تأتي من الصين، أو مثل التوابل التي كانت تأتي من الهند، وبذلك تحكمت بشكل أو بآخر في أسواق مثل هذه السلع.

هذا ولقد لعبت الصنفة أيضا دورها في زيادة موارد البلاد في عهد الإسكندر، وذلك عندما تم اكتشاف المادة الزيتية "ελαιόν" وهي ما نعرفه بالبترول والتي استمدت قيمتها من كونها مادة قابلة للإشتمال، وقد تم ذلك عندما غادر الإسكندر باكثرا وعبر مرة أخرى نهر جيحون "ὄχος" وعلى مقربة من ذلك النهر، وجد أحد رجاله، وهو المسئول عن المخصصات الملكية ويدعى بروكسينوس أثناء حفره لإقامة الخيمة الملكية ينبوعا يتلجر منه هذه المادة الزيتية، فكان أول ذكر لهذه المادة في

المصار اليونانية القديمة واعتبرها الإسكندر كما يذكر بلوتارخوس، فألا حسنا لأنها عطية الآلهة للبشر. (٧٠)

هذا ويبدو اهتمام الإسكندر الاقتصادي بالمنطقة ككل والمناطق المتاخمة لها، في محاولته (على سبيل المثال) تطوير نظام قناة بابل، ومدى صعوبة هذا العمل، الذى سيتيح فرصة السيطرة على مياه الفيضان، وأهمية ذلك بالنسبة للزراعة. (٧١)

مؤشر آخر ينب عن حركة تجارية في المنطقة، تمت في عصر الإسكندر، هو انتشار العملة الأثينية، سواء الأصلية منها أو المقلدة، وفي مناطق مثل الهند وإيران حيث تم العثور على عدد من هذه العملات، التى يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس والرابع ق.م في كنز أوكسس، الذى عثر عليه في كابول عام ١٩٤٧م. إلى جانب عملات أخرى تخص الملوك السلويين، والملوك الأوائل من باكتران. (٧٢)

هذا بالإضافة إلى عملة الإسكندر التى لم تكن استمرارا للعملة الفارسية، ولكنها تبعت النمط الأتركي، مما أسهم في جعل الحياة الاقتصادية في تلك الفترة تصطبغ بصيغة يونانية. عملة الإسكندر هذه التى كان من المقدر لها أن تسود ليس فقط العملات الفارسية، ولكن كان الهدف منها أيضا العمل على الحد من سيطرة العملة اليونانية. (٧٣) وبصرف النظر عن أن الإسكندر إتبع منذ البداية سياسة حكيمة في مجال التعامل النقدي، مزداها عدم الدخول في تناقص مع العملة الأثينية، بل للإبقاء على ملازمتها لعملة في الأسواق، الأمر الذى كان من شأنه إثراء وانعاش الحركة التجارية. هذا من جانب، ومن جانب آخر، لسياسة الإسكندر الحكيمة في هذا الصدد، جعلته أيضا لايقدم على فرض عمله بالقوة، خاصة في المراكز التجارية الكبرى مثل فينيقيا وكيليكيا وبابل، حيث سمح باستمرار سك العملات القديمة. (٧٤)

هذا ولا يكتمل الحديث عن أهداف الإسكندر الاقتصادية من بلاد العرب إلا بإبراز عدد من الحقائق التي تخص سياسة الإسكندر الاقتصادية في إمبراطوريته بوجه عام. فمن الثابت أن الإمبراطورية كانت على درجة كبيرة من الثراء، خصوصا بعد استيلاء الإسكندر على كنوز الملك الفارسي، هذا من جانب، ولكن الثابت من جانب آخر، هو أن متطلبات الإمبراطورية وأوجه الإنفاق التي فتحت مجالها الإسكندر، كانت كثيرة ومتعددة وكثيفة بأن ترهق أي ميزانية، وهي على سبيل بعض الأمثلة السريعة، الهبات التي كان يمنحها الإسكندر بسخاء لمن يشاء، ومنحه لحفائظه، تكاليف الجيش، ثم ثمن نيجان من الذهب لقواده، عرس سوسا وما تكلفه والبدخ الذي وصف به، هذا بالإضافة للمبالغ الضخمة التي تم دفعها كمهر للأميرات الفارسيات، وغيرهن من نساء عامة الشعب، بناء المدن والحاميات العسكرية والمعونات، إصلاح القنوات، مصروفات الحرب، المبلغ الذي خصص لبناء كومة الخشب التي حرق جثمان هيفايستون عليها، ثم المبلغ المخصص لأبحاث معهد اللوقيون. هذا بالإضافة إلى الأموال التي تبعثرت بسبب التجاوزات المالية من المحيطين بالإسكندر والمسؤولين عن ماليته مثل هارپالوس وكليومينيس في مصر. ^(٧٥) ومما يؤكد ارتباك أمور الإسكندر المالية في بعض الأحيان هو إقراضه من أقرانه وأصدقائه الذين كان منهم من أسهم بجزء كبير مثل يومينيس وروضح هذا الارتباك المالي أيضا، ما يبدو من عدم وفاء الإسكندر بوعده بمكافأة جنوده، حتى أن هذا الأمر كان واحدا ضمن مشكلات عديدة خلفها الإسكندر بعد وفاته، عندما ترك هؤلاء الجنود في حيرة من أمرهم، إلى من من فواد الإسكندر يتوجهون للحصول على هذه المكافأة.

وبناء على ذلك فمعظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، انتهت إلى نتيجة موداهما، أن الإسكندر لو قدر له أن يمتد به العمر، لعجز عن موازنة سياسته

الإقتصادية، وكان عليه مواجهة ذلك برفع الضرائب من جانب، وبإعادة النظر في مصادر دخله من جانب آخر.^(٧٧) وتضيف على ذلك انه في مثل هذه الظروف يصبح البحث عن مصادر جديدة للدخل، أمرا واردا يمكن أن تكون منطقة بلاد العرب أحد بنوده الهامة.

الحواشي

Arr., Anab., VII, 20, 8- 10 (١)

Arr., VII. 19.6, Strabo, XVI, 1.11. (٢)

Strabo, XVI, 1 11 (٣)

Dionysos " New Larousse, Encyclopedia of Mythology", Hamlyn , (٤)
(1959),PP. 155-161.

عرف ديونيسوس في الأساطير اليونانية بكثرة الترحال والمغامرة، سواء في داخل بلاد اليونان أو خارجها. ورحلاته خارج بلاد اليونان، كانت إلى فريجيا، أيسبوس، كبادوكيا، سوريا، لبنان، منطقة القوقاز في إيبيريا، ثم استكمل رحلاته باتجاه الشرق، عابرا نهرى دجلة والفرات، حتى وصل إلى الهند، حيث قام بنشر الحضارة، ثم استكمل رحلاته إلى مصر وليبيا.

Arr., VII. 20.1, St., XVI, 1.11. (٥)

Arr., VII- 25. 1. 6. (٦)

(٧) تعرف الإسكندر على بلاد العرب، من خلال المعلومات المبنية التي توصلت إليها الحملة الاستكشافية التي أرسلها للمنطقة، بقيادة عدد من أولاده، مثل أناكسكرايتيس وهيرودوتس. أما عن ثروات المنطقة، فهذا أمر كثر قد لمس من ممارسات الحياة اليومية في بلاد اليونان ومقونيا، حيث كانت تستهلك كثيرا من صادرات بلاد العرب لها من الطيوب وغيرها سيرد الحديث عنها بالتفصيل في الجزء الخاص بإقتصاديات بلاد العرب، في جزء لاحق من هذه الدراسة.

Arr., VII - 20 .2. (٨)

Arr., VII - 15. 4 - 5. (٩)

Diod., XVII., 113, 1; Arr., VII. 23-2. (١٠)

Arr., VII. 15. 5-6. (١١)

بذكر أرياتوس هنا، أنه نقل خبر هذه البعثة، عن إثنين من مؤرخي الإسكندر وهما أريستوس Aristos وأسكليبيانس Asclepiades ولكن من مؤرخي الإسكندر الذي يفضل نفسه الإعتماد عليهم، مثل بطلميوس بن لاجوس، لم يوردا ذكر هذه البعثة .

Plinius, Historia Naturalis, 111, 57 - 58 (١٢)

" Cleitarchus ab eo preximus legationem tantum ad alexandrim missam".

راجع الرأي الذي يرجع عدم صحة نسب ذكر هذه البعثة إلى كليتارخوس المكندي، في الفترة المبكرة من القرن الثالث ق.م.، وبناء على ذلك، فلا علاقة لپلينيوس به، وإن ورود اسم كليتارخوس عنده، يمكن أن يكون أحد الأخطاء الحديدة التي وقع فيها پلينيوس. هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن إعتماد أرياتوس في هذه المعلومة، على مؤرخين غير معروفين، من المحتمل أن مصدرها واحد، ويرجع له إختلاق هذه القصة، ومن الممكن أن يكون هذا المصدر، قد نسب قصته إلى كليتارخوس. فقد كان هذا أمرا شائعا جدا في الفترة المتأخرة من العصر الهلنستي، وفي العصر المبكر للإمبراطورية الرومانية، حيث درج بعض من الكتاب المغمورين أو المجهولين على نسبة فيض من حديثهم إلى أسم معروف جيدا في الماضي، على أن يسبقوه بكلمة Pseudo وعلى نفس النمط ممكن أن نصنف Pseudo Cleitarchus المأخوذه عن پلينيوس.

W. W. Tarn, Alexander the Great, 11, Sources and studies, C.U.P., 1947, P.25 and Note(4), P.P.26- 27.

في هذا المجال يصنف كليتارخوس كخليفة لمؤرخي الإسكندر مثل بطلميوس وأرسطوبولوس، ومنه ما جاء في موسوعة P. W. صفحة ٦٢٢، ولكن تارن يستبعد كليتارخوس ويطلميوس ويضع أرسطوبولوس في مكانة أخرى. هذا ويرى تارن أيضا، أن بداية البعثة الرومانية في پلينيوس غير مقنعة، مثلها مثل رواية إنقاذ بطلميوس لحياة الإسكندر في مدينة مالي Mali

Diod., XVII., 113, 1-4 , Just., XII, 13,1 (١٣)

Lionel Pearson, The Lost histories of Alexander the Great, The American Association, 1960, PP. 232-34, PP. 254-55. (١٤)

W.W. Tarn, Op . Cit., 11, p.23. (١٥)

Arr., VII. 15.4-5, 23-2. (١٦)

أغلب الظن أن المقصود هنا، هي البعثات اليونانية على اعتبار أن البعثة المقتونية غير مؤكدة بالرغم من أن أريستوس يذكرها بشكل قاطع، ويوردها ديودوروس أيضا، ويرفضها تارن، على اعتبار أن المقتونيون لم يكن لديهم مثل هذه الوسيلة للتعبير، إلا من خلال الإسكندر نفسه. ولا حتى من خلال مجلسهم، الذي لم يكن له أي تمثيل دبلوماسي خارجي. وحتى في الداخل، إقتصرت مهمته السياسية على إختيار وتأييد الملك الجديد، عندما كان العرش يخلو، ويرجح تارن كذلك أن ديودوروس في ذكره لها، غالبا ما كان يشير للفترة التي إنتهت فيها حرية وإستقلال مقدونيا في ١٦٨ ق-م

W.W. Tran , op . cit. , II,p. 375 and Note(1)

Arr., VII. 15. 5. (١٧)

st., XVI. 1. 11. (١٨)

Diod.,XVII, 113, 1 (١٩)

وفقا لما جاء في ديودوروس أن الإسكندر كانت لديه قائمة بهذه البعثات، مصنفة حسب المهمة التي جاءت من أجلها، وعندهم خمس: الذين حضروا من أجل أمور دينية، الذين حضروا معهم هدايا له، الذين جاؤوا من أجل مناقشات الحدود الفاصلة، الذين أتوا من أجل أمور خاصة ἰδιωτικὰ ثم إخبارا هؤلاء الذين حضروا للإعتراض على عودة المنفيين، كما هو معروف في مثال أئينه بالنسبة لساموس، وأيتوليا بالنسبة لأوينداي Oeniadae

W.W Tarn, op. Cit., II, p. 24 and Not (1) ; Pseudo Lycophron, (٢٠) Alexandra, 1. 1229.

يرجع هذا العمل غالباً إلى تاريخ متأخر عن ١٩٧ ق.م. وربما يعود إلى ١٩٦ ق.م. طالما ان روما لم يكن في إستطاعتها قبل هذا التاريخ، أن ترسل بعثة إلى الإسكندر، لا عبر البحر ولا عن طريق البر، قبل أن تستقر أموراً في الداخل، وقبل أن تخضع قرطاجة في ٢٠٢ ق.م، أو تصل إلى نتيجة مع مقنونيا قبل معركة كينوس كينغالي Cynoscephalae - ١٩٧ ق.م.

(٢١) إختلاف نظرة الرومان إلى الإسكندر من مرحلة إلى مرحلة أخرى، فقد كانت هناك فترة في تاريخ الرومان، إتسمت بالوجوم التام فيما يخص الإسكندر، وهي في حوالي القرن الثاني ق.م، وقبل عودة الإهتمام بذكره من جديد في أواسط القرن الأول قبل الميلاد.

راجع: عبد العظيم الراعي، "الإسكندر الأكبر في نظر الرومان"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ٢٦، ١٩٧٩، ص: ٥.

وفي هذا الصدد يوضح الباحث، أنه من الصعب الجزم بأن الرومان قد كرهوا الإسكندر أثناء حياته، وإنما من المعقول بعد وفاته، وهذا مرجعه إلى الهالة التي أحاطت بقصة حياته ويطولاته.

(٢٢) نسبت عبارة "Terra marique": "By Land and sea" بمعنى "في البر والبحر"، إلى أوكتافيوس بعد معركة أكتيوم، وإستخدامها أغسطس في: Res Gestae, 13 وعلى المعبد في نيكوبوليس.

(٢٣) ورد ذكر تسمية مذكرات الإسكندر بلفظة: ὑπομνήματα عند ديودوروس: Diod., XVIII, 4,1,2: "for perdiccas had found in the king's ὑπομνήματα his plans ἐπιβολὰς

راجع:

W.W. Tarn. Op. Cit., II, Appendix 24, pp. 378-9

وإريب من هذه التسمية ما إستخدمه فيلكن: "a king's Journal"

U. Wilcken, Philol., LIII, 1894, P. 80.

W.W. Tarn, Op. Cit., II, P. 380.

راجع ذلك في:

"Alexander's Official Journal" كما تعرف بالمذكرات الرسمية للإسكندر:

H.Endree. Rh. Mus. L XXII, 1917- 18, P. 437.

راجع:

ولكن تسمية "المذكرات الرسمية للإسكندر" مستبعدة، لأن مذكرات الملك أطلق عليها عبارة: "λεγόμενα καὶ πράσσομενα" أي بمعنى "Things, said and done" أي أشياء ذكرت ونفذت، وبما إنها في صيغة الماضي، فهي بالتالي لا تنطبق على الخطط المستقبلية، ولهذا أطلق عليها أيضاً: "Alexander's Memoirs" أما تارن نفسه ففي عام ١٩٢١ اعتقد أن الكلمة يمكن أن تحمل المعنى الدارج وهو مجموعة شذرات أو روايات عن موضوعات متنوعة. حتى نيونوروس نفسه (٤،٤١) استخدم الكلمة بمعنى: أي شيء يندرج تحت بند مذكرات تاريخية ثم استخدم مصطلح: "memoranda" المستخدم في البردي.

E. Bickermann, Arch. F. Papyrus forschung, IX, 1930, pp. 165 sqq.
هذا وقد كان يومليس هو المسئول عن هذه المذكرات التي تخص أشياء مستقبلية، لم تجد لها مكان في اليوميات المسماة "Journal" ويرى تارن أن هذه المذكرات لا تنتمي إلى الإسكندر، ولكن تعود لفترة متأخرة، ربما القرن الثاني ق.م. أو بعد ذلك.

Tarn, Op. Cit., Appendix 24, p. 393.

ثم عن إطلاق تارن عليها "خطط الإسكندر الوهمية":

" Alexander's fictitious plans"

Tarn, Op. Cit., II Section C, P. 24.

Art., VII 15-5, plut., Pomp., XXXIX. (٢٤)

Diod., XVII, 113, I. (٢٥)

Art., V, 26, 2, 3-6, 25, 4-5 (٢٦)

(٢٧) بالنسبة لبلاد العرب، التي تهمني هنا في المقام الأول، لم تكن الحملة المزعم

إرسالها ذات طابع عسكري، ولكنها كانت حملة إستطلاعية كشفية، بذليل أنها

وردت في يوميات الإسكندر تحت مسميات منها: "πορεία", "πλοῦς"

أي مسيرة أو رحلة بحرية، ولم ترد كلمة: "στρατεία" بمعنى حملة حربية،

وإن الإسكندر نفسه كان ينتوى الذهب بأسطوله، وليس بصحبة جيشه، وأن

المحاولات المبذولة التي قام بها هيرو Hiero وانكسيكراتيس تؤكد مدى إهتمام

الإسكندر بالطواف حول شبه الجزيرة.

راجع: Arr., VII, 25. 2.
"...ὑπὲρ τῆς πορείας καὶ τοῦ πολυῦ, ..., τοὺς, δὲ ἅμα οἱ
πλέοντα..."

راجع أيضا : پلوتارخوس، الذي لم يورد أي نوايا للغزو من قبل الإسكندر.
Plut., Alex., L XVIII.

راجع أيضا:

Tarn, Op. Cit., II, PP. 394- 395 ; Mostafa El Abbadi, The life and
fate of the ancient Library of Alexandria, Unesco, 1990, PP. 26- 30
هذا ولد وصفت بعض من رحلات الإسكندر، بأنها كانت رحلات ذات طابع
لثري، ومثلا على ذلك زيارته لمقابر الآشوريين.

Arr., VII. 22.1 - 5; L.Pearson, Op. Cit., pp.158 - 59.

Tarn, Op. Cit., Appendix 24, p. 398.

(٢٨)

يجوز لي هنا أن أتوه الرغبات إمكانية إستبعاد العامل النفسي، نظرا لما تعرضه
ظروف التعامل مع تاريخ شخصية، وليس فقط مع حدث تاريخي. وبناء على
نلك فإن تحقيق المكسب صعب العنال، ممكن أن يكون في حد ذاته الهدف،
وليس الوسيلة، ويصرف النظر عن مصير هذا المكسب، سواء الإحتفاظ به أو
تسليمه طواعية.

(٢٩) بالرغم مما تردد عن أن الإسكندر كان قد أبلغ فاراسمانس Pharasmanes عن

خطته لغزو العالم، التي يذكرها أريستوس، دون أن ترد فيها كلمة غزو.

Arr., IV, 15,5 sg.; Tarn, Op. Cit., p 398 and Note (5).

C.A. Robinson, Jr., "The extraordinary ideas of Alexander the (٣٠)

Great", Am. Hist. Rev., LXII (1957), p. 337.

بخالف تارن هذا الرأي، حيث يرى أن القوة الحقيقية الموحدة، كانت عاقبه، فلم
تكن هناك فكرة مشتركة ولا أتوه.

Tarn, op., Cit, I, C.U.P., 1948, p. 141.

C.A. Robinson, Jr., *Op. Cit.*, p. 337. (٢١)

في هذا الصدد يورد روبنسون رأي ويلز Welles الذي يرى أن الإسكندر لم يجد غضاضة في عقد مثل هذا العرس في سوسا، الذي يقارنه Schachermeyer بعملية توليد المواشى. وتعليقا على ذلك، فأغلب الظن أن Welles استند في رأيه هذا على المفهوم الذي ساد بين المقدونيين واليونانيين، حيث كان رأيهم أن الإسكندر قد حط من قدرهم بمحاولاته المنكررة للرفع من شأن الآسيويين للدرجة التي يسعى فيها لعقد مثل هذا العرس. أما فيما يخص الرأي الآخر، فهو بهذا التقييم غالبا ما يستبعد البعد النفسى أو الحضارى، الذي من المفروض أن الإسكندر كان يسعى من أجله.

Art., I. 23. 8; C.A. Robinson, Jr., *Op. Cit.*, p. 329. (٢٢)

من الواضح أن الإجراء الذي إتخذه الإسكندر بأن سمح للملكة الآسيوية بتبنيه، اعطى له بالضرورة صلاحيات أوسع بكثير من كونه فاتحا أو غازيا.

(٢٣) عن تراجع الإسكندر بين مفهوم الملك والفتاح:

M. Renault, *The Nature of Alexander*, Pantheon Books, New York, 1976, p. 161.

(٢٤) عن نداء كاهن آمون للإسكندر وإستخدامه لقظة يا بنى: "Ὁ παιδίον"
راجع:

Plut., *Alex.*, XXVII, 8-10; L. Pearson, *Op. Cit.*, pp. 161-2, p. 184.

Art., IV, 10, 1; *Plut.*, *Alex.*, XVII, 6-8. (٢٥)

وعن إعتقاد الإسكندر نفسه أن يد الإله كانت ترعاه وتمدد خطاه:

Art., I., 26, 2.

راجع أيضا:

J.P.V.D. Balsdon, "The Divinity of Alexander", *Historia*, I, (1950), P. 373.

Plut., 50, 11; J.P.V.D. Balsdon, *Op. Cit.*, P. 374. (٢٦)

عن تبنى الإسكندر للعادات الآسيوية راجع:

Art., IV, 7, 4; 9, 9; VII, 9, 9; *Diod.*, XVII, 77, 4. F., *Plut.*, 45, 1-4.

Tam, Op. Cit., p. 359. (٢٧)

Tam, Op. Cit., I, pp. 79-80; C.A. Robinson, Jr., Op. Cit., p. 340. (٢٨)

Arr., IV, 12, 1-2; 14,1. (٢٩)

C.A. Robinson, Jr., Op. Cit., p. 341, p. 344. (٤٠)

(٤١) على سبيل المثال لا الحصر لمثل هذه العبارة، نجد أن أمبيدوكليس Empedokles في صقلية في القرن الخامس ق.م.، يعبر عن ذلك المعنى بأنه كان يحظى بالإحترام كإله $\theta\epsilon\acute{o}\varsigma \alpha\mu\beta\rho\omicron\upsilon\tau\omicron\varsigma \sigma\upsilon\kappa\epsilon\iota \theta\eta\eta\tau\omicron\varsigma$ "σβίζομαι... ومثال آخر من نهاية القرن الخامس ق.م.، حيث انتشرت الروايات عن عبادة ليسانديروس Lysandros في أيونيا، وبالذات في جزيرة ساموس، ولكن مع التحفظ على المثالين السابقين، حيث أن المثال الأول وضع ضمن العبارات الأدبية المنمقة لشاعر، والمثال الثاني، نسب لمصدر تنقصه الثقة، وهو دوريس Duris من ساموس، الذي من المحتمل أنه أضاف للمعنى بعض من ملامح العصر الهلنستي الذي عاشه في أوائل القرن الثالث ق.م. نضيف إلى ذلك مثال عبادة كليارخوس طاغية هيراكليا في بونتوس في الجيل السابق للإسكندر.

راجع:

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., pp. 364-5, and Note (4); Jacoby, FGH, II A, 76, F. 71 and 26; Plut., Lysandros, 18; Athenaeos, XV, 52, p. 696 E; Plut., Mor., 210 d; Isocrates, ep. 7, 12 f.

ونضيف إلى الأمثلة السابقة نماذج أخرى يرجع تاريخها إلى أبعد من ذلك، فهناك العبارة التي قالها بريام عن هيكتور حينما وصفه بأنه أقرب أن يكون في بنوته لإله وليس لبشر.

Hom. Iliad, XXIV, 258.

وهذه هي المرة الأولى التي تصادف فيها مثل هذا المعنى "إله بين البشر"، حتى ولو في صيغتها المستقلة فيها، وهي المدح المبالغ فيه. ونجدها تظهر أيضا في Theognis Fr. 3.39. تظهر أيضا في كوميديا القرن الرابع:

Antiphones, trilogistes, Fr. 209.

حيث يوصف فيلوكسينوس Philoxenos بأنه إله بين البشر.
هذا ما يشير إليه أيضا إيسوكراتيس في Evagoras, IX, 72. على أنه مبالغة شعراء.

(٤٢) Arist., III, 13, 13-1284 a, 11

(٤٣) هذا على اعتبار أن إهتمام أرسطو نفسه الأول، كان في هذا المجال، وعلى اعتبار آخر، وهو أنه لا يقوم بتعليم شخص عادي، ولكنه يعلم الأمير الصغير، وبعد ملك المستقبل.

(٤٤) يذكر بالسدون في معرض حديثه عن الموضوعات التي عالجها أرسطو في السياسة، أنواع الحكومات المختلفة، وتصنيفه للملكية، والمقارنة بين حكومة الأقلية المتميزة أو الأرستقراطية والملكية، حيث يقول: "أنا لا نستطيع أن نعرف ما إذا كان الإسكندر قد إطلع على هذا العمل لأرسطو، أو على جزء منه على الأقل، ولا نستطيع أن نتعرف أيضا على ما هية العلوم التي كان يعلمها أرسطو للإسكندر، ولا القدر الذي وعاه الإسكندر من هذه العلوم حينذاك، والذي أساء فهمه، وما القدر الذي رسخ في ذهنه منها وتكرره بعد ذلك".

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., p. 370.

(٤٥) Isoc., Ep., III phill., 106.

فيما يخص رأي بالسدون، فهو يستند على ما جاء لدى Wilamowitz ومن أن هذا الخطاب مزيف، ولا ينسب أساسا إلى إيسوكراتيس، ولكنه نحل بعد موته لصالح مقدونيا، كدعاية مضادة لما ترند وإنتشر بواسطة الديمقراطيين، من أن إيسوكراتيس بعد خير ونبا، تحول وسحب ثقته في ليليب.

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., P. 367 and Note (24)

في الحاشية حصر لعدد من الدراسات التي عالجت موضوع مدى صحة نسبة الخطاب لإيسوكراتيس من جانب، ومن جانب آخر، رفض مثل هذا الإحتمال.

(٤٦) Arist., Pol., I 8, 1256 B, 25, I, II, 1252 B, 9, III, 14, 1285 A, 20.

راجع أيضا نفس الموضوع :

Roberto Andreotti, "Per una critica dell'ideologia di Alessandro Magno", Historia V, (1956), pp. 257-264, p. 274 ff.

Tarn, I, pp 52-54 (٤٧)

يرى تارن أن الإسكندر بهذه الأفعال غير العادية كان عاقدا العزم على إرساء سلام بين حضارات مصر وبلاد وفارس.
راجع أيضا:

C. A. Robinson, Jr, Op. Cit., pp. 335-6.

وعن تعليم شباب الفرس اللغة اليونانية، وتدريبهم على استخدام الأسلحة المقدونية.
راجع:

Plut., 47, 3.

Arist., NE, VII, 1,2- 1145 A, 22. f.; Arr., IV, 11, 2. (٤٨)

Isoc., X, 23; Athenaeos, VI, 62 f., 253 c and E. (٤٩)

Hyperides, C. Demosthenes, XXXI, 15 ff. (٥٠)

هذا بالرغم من الرأي القائل بأن ديموستينيس في هذه العبارة، غير من لهجته السابقة، التي كانت ترفض تماما منح الإسكندر شرف التأليه، وأغلب الظن أن هذا التغيير جاء برد فعل الضغط المباشر عليه، والذي لا يحدث إلا بطلب مباشر من الإسكندر نفسه.
راجع:

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., pp. 383,385-386.

تعليقا على هذا الرأي السابق، أستطيع أن أقول، أنه استنادا على تاريخ ديموستينيس الطويل، وموقفه المضاد لتولييب المقدوني، وإخلاقه لقضية الحفاظ على استقلال وحرية دولة المدينة اليونانية، مما يجعلني أميل إلى رفض احتمال أنه قد غير لهجته، أو قبل فكرة تكملة الإسكندر، حيث أن العبارة على غير ما تبدو ظاهريا، توحى بإحساس ديموستينيس العميق بالإحباط، لما آلت إليه الأمور في بلاد اليونان، حتى أن الأثماء تساورت بالنسبة له، التمين منها والغث، وهذا في مجمله لا يعنى إلا الرفض. راجع رأي ديموستينيس في الإسكندر كما أورده بلوتارخوس:

Plut., Alex., XI, 1-4. 6.

Plut., Mor., 842 D (Vita Xoratorum: Lycurgos, VII). (٥١)

أغلب الظن هنا أن المصنف يشير إلى علاقات الإسكندر الشاذة، بالرغم من أن هذه الظاهرة كانت أمر غير مستهجن بالنسبة للمجتمع اليوناني.
راجع:

M. Renault, Op. Cit., p. 124, p. 155.

وجدير بالذكر أن ورود مثل هذه العبارة عند ليكوجورجوس بهذا الأسلوب الساخر، يجعلني أميل إلى الاعتقاد بأن هناك فارق بين ممارسة الرجل اليوناني للعادي لمثل هذه السلوكيات، على أنها أمر مألوف في هذا المجتمع، وبين ممارسة القائد الإله لها.
راجع:

J.R. Hamilton, Alexander the Great, University of Pittsburgh press, 1979, pp. 30-31.

لمزيد من الأمثلة الأخرى، هناك داميس Damis الإمبرطي الذي قال بمسخرية لاذعة ما يعنى: "إذا كان الإسكندر يريد أن يكون إلهًا، دعوه يصبح إنهما". (٥٢)

Plut., Mor., 219 E Apophtegmata Laconica (Damis); Aelian, Varia Historia. 11, 19.

ومثال آخر من أئنه التي كان من المعروف أنها معقل لأرباب مثل هذه الآراء الساخرة، هو ديوجينيس Diogenes الذي قيل على لسانه ما يعنى: "عندما رشح الأثينيون الإسكندر ليصبح ديونيسوس، فمن الأفضل أن تصنعوا منى سرايس".
Diogenes Laertios, VI, 63.

هذه التعليمات أرسلت بواسطة نيكاتور Nicanor وقرئت على اليونانيين المجتمعين في أولمبيا في عام ٣٢٤ ق.م.، وفي مناسبة الأعياد الأولمبية. (٥٣)

Hyper. 1. 18; Dinarchos, 1-81 f., 103; Diod., XVII. 109-1, XVIII. 8. Q. Curtius. x, 2 4 f.

راجع أيضا:

Marcus N. Tod, a selection of Greek historical inscriptions, Vol. II, from 403 to 323 B.C., Oxford, 1948, pp. 263-301, N. 192, 201, 202

(٥٤) النص الذي سبق الإشارة إليه عند بلوتارخوس وإيلينوس:
"Λακεδαιμόνιοι δὲ ἐκεῖνα ἐπειδὴ Ἀλεξάνδρῳ βούλεται
θεὸς εἶναι ἔστω θεός."

كلاهما استقى معلوماته من مصدر واحد، وهو داميس الأسيرطي، بصرف
النظر عن عدم ذكر اسمه.

والنص الآخر من بلوتارخوس، الذي يورد واقعة إرسال الإسكندر طلب التأييد
هو كما يلي:

"πρὸς τὰ ἐπισταλέντα παρὰ τοῦ Ἀλεξάνδρου θεὸν, εἶναι
ψηφίσασθαι."

ونفس المعنى يرد عند إيليانوس:

"Ἀλεξάνδρος ἐπέστειλε τοῖς ἔλλησι, θεόν, αὐτόν
ψηφίσασθαι."

Ap., VII, 14, 6. (cf. 19, 1); VII, 23, 2. (٥٥)

(٥٦) كلمة θεωροί بمعنى مبعوثين رسميين من قبل الدولة في مهمة متقدمة، مثل
الذهاب إلى وحي تلقى أو نيلوس، أو لحضور الأعياد الأربعة الرسمية للدولة.
J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., p. 385.

(٥٧) نفس المرجع السابق.

Tarn, Op. Cit., I, pp. 112-113, II, p. 370 f. (٥٨)

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., p. 386. (٥٩)

راجع أيضا حاشية رقم (٥٢) السابق.

Tarn, Op. Cit., I, pp. 112-113, II, p. 370 f. (٦٠)

Tarn, Op. Cit., II, Appendix 25, pp. 434-449. (٦١)

C. A. Robinson, Jr, Op. Cit., p. 343. (٦٢)

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., pp. 387-8. (٦٣)

(٦٤) لطفي عبد الوهاب بحبي، العرب في العصور القديمة، بيروت ١٩٧٩
ص: ٤٢٢.

Arr., VII, 25. 1-6; St., 16. 1. 15. (٦٥)

Nigel Groom, Frankincense and Myrrh, A study of the Arabian incense Trade, Lib. du Libon, (1981), pp. 5-10. (٦٦)

راجع أيضا:

Walter W. Müller, "Notes on the use of Frankincense in South Arabia," proceedings of the ninth Seminar for Arabian Studies, School of Oriental and African Studies, and the Institute of Archaeology, London, (1975), pp. 124-129.

Plut., Alex., XXV, 6-8. (٦٧)

(٦٨) نفس المصدر السابق .

Plut., Alex., XXV, 8. (٦٩)

Arr., IV, 15-7; St., 16.5-18; Athen., 42 F.; Plut., Alex., LXII; 5-9. (٧٠)

عن تجربة الإسكندر مع مادة Asphalt, naphtha المشتعلة ومصادرهما في يابل راجع:

St., 16.1.15.

Arr., VII 21.1-7; St., XVI. 1.9-10. (٧١)

(٧٢) عن العملة الأثينية وتأثيرها على العملة السبئية.

راجع:

Jacqueline Pirrene, La Grèce et Saba, une nouvelle base pour la chronologie sud-Arabe, Vol. XV, l'Academie des inscriptions et Belles-Lettres, (1954), pp. 175-6, p. 186.

راجع أيضا: عن إنتشار العملة الأثينية : لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص: ١٤٢-١٤٤.

عن عملة الإسكندر راجع:

Tarn and Griffith, Hellenistic civilization, London, 1974, pp. 250-1.

M. Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Hellenistic World*, Oxford, 1972, Vol. I, Chap. III, pp. 134-35. (٧٢)

Tran, *Op. Cit.*, I, pp. 130-1. (٧٤)

(٧٥) يعتبر الإسكندر الأكبر أكبر مؤسس للمدن على مر العصور، حيث يقال أنه أسس أكثر من سبعين مدينة، بالرغم من أن هذا العدد مبالغ فيه.
راجع:

Tarn, *Op. Cit.*, I, pp. 132-3.

ثم عن إرتباك أمور الإسكندر المالية، وإنفاقه ثروات سوسا، وتأثير ذلك على التاريخ.
راجع:

M. Renault, *Op. Cit.*, p. 227, p. 238, p. 143 ff.;

Tarn, *Op. Cit.*, I, p. 129.

(٧٦) من الثابت تاريخياً أنه بعد وفاة الإسكندر بعامين، أي في عام ٣٢١ ق.م. في تريباراديسوس Triparadeisos في سوريا، طالب جنود الإسكندر خليفته في قيادة الجيش الملكي أنتيباتروس Antipatros بالوفاء بالمكافأة المالية، التي كان قد وعدهم بها الإسكندر، في مقابل استمرارهم معه في معاركه، وعدم حنوهم نحو الجنود الذين فضلوا تركه والعودة إلى نهارهم وأهليهم في مقدونيا. هذا يبدو أن الإسكندر كان في نيته الوفاء بهذا الوعد، بعد الإنتهاء من حملاته في آسيا، وذلك بغزو بلاد العرب الذي كان يخطط له قبل وفاته، هذا ولقد جدد هولاء الجنود مطلبهم مرة أخرى، وهم في طريقهم إلى أيبخوس، حيث لم يستطع أنتيباتروس إجابة مطلبهم، إلا بعد فحص الوضع المالي للخزائن الملكية التي من المفروض أنها تصحب الملك أينما ذهب - والخزائن الأخرى التي أماكن تركها - راجع نص لرياتوس بهذا الشأن في :

Photius epitome of Arrian, τὰ μετὰ Ἀλεξανδρον, (FGH 156 F. 9.32, and Teubner ed., II, p. 265.

راجع أيضاً البحث القائم على هذا النص في:

N.G.L. Hammond, "An unfulfilled promise by Alexander the Great", *Zu Alexander d. Gr.*, I, Verlag Adolf M. Hakkert. Amsterdam, (987), pp. 627-634.

تعليقا على ما سبق، فمن الواضح أن تحقيق مثل هذا المطلب، كان من الصعوبة بمكان، نظرا لأن المبلغ المطلوب، كان حوالي خمسة عشر ألف تالنت، لم يكن من الممكن جمعه، إلا بالرجوع إلى واحدة أو أكثر من الخزائن الموجودة في مواقع مختلفة من أوروبا وآسيا.

Taru, Op. Cit., I, p. 131, Note (2), p. 132.

(٧٧)

ينكر تارن أن معظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع قام بحصرها
في بحث بعنوان:

ἱστορία τῆς ἑλληνικῆς δημοσίας οἰκονομίας II, *part* I:
ἡδημοσία οἰκονομία τοῦ μεγάλου, Ἀλεξάνδρου, 1930,
pp. 47-74.

بمعنى: تاريخ الإقتصاد العام اليوناني (٢)، الجزء الأول: الميزانية العامة
للإسكندر الأكبر.

وعن أمثله لدراسات أخرى تناولت نفس الموضوع راجع:

L. Pearson, "The Diary and the Letters of Alexander the Great"
Historia III, (1954), *pp.* 429-55.

Roberto Andreotti, Op. Cit., p. 267.

**الأدوات الطبية في مصر
في العصرين اليوناني والروماني**

د. منىات محمد أحمد

استاذ مساعد بكلية السياحة والفنادق



الادوات الطبية فى مصر

فى العصرين اليونانى والرومانى

د. منال يارمى هلمط الخمط

استاذ مساعد بكلية السياحة والفنادق

ما زالت الادوات الطبية فى مصر القديمة من المشاكل الاثرية التى تحتاج لمزيد من الدراسة الدقيقة ، خاصة وان الحفائر قد امتدنا بالعديد من هذه الادوات البعض منها معروض فى بعض المتاحف كالمتحف المصرى ومتحف كلية الآثار ومتحف اسوان بالاضافة الي ان كماً كبيراً منها يعد بالمئات مكس فى مخازن المتحف المصرى والأقصر . وعلى الرغم من كل هذه المادة الغزيرة المتوفرة لدينا الا انه لم تتركس حتى الان دراسة واحدة حول الادوات الطبية وذلك لتشكك الباحثين فيما اذا كانت هى ادوات طبية ام ادوات تجميل . علماً بأن الغالبية العظمى من هذه الادوات يوجد لها نظير فى الادوات الطبية الحديثة مع بعض التطورات بطبيعة الحال التى ادخلت عليها نتيجة للفارق الزمنى بين ما هو قديم وما هو حديث كما سيتضح من خلال البحث .

وقبل ان نبدأ الحديث عن الادوات الطبية لابد من عرض سريع للتغيرات التى طرأت على الطب فى مصر فى العصرين اليونانى والرومانى والتى أدت بالضرورة الي حدوث ثورة فى مجال تكنولوجيا الادوات الطبية .

وذلك ان مدينة الاسكندرية تبوءت مركز الصدارة بين العالم القديم فى مجال العلوم الطبية وعلى مدى خمسة قرون تقريباً من الزمان بداية بالقرن الثالث ق . م وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى حين رحل عنها علماء الطب

للعمل في روما . ويعتبر القرن الثالث قبل الميلاد الركيزة الأساسية لهذا التفوق الطبي ويرجع الفضل إلي ما بذله الملوك البطالمة الأوائل (١) من جهد لجذب أكبر عدد من الأطباء المثقفين بالعلوم الطبية ليس فقط من بلاد اليونان بل أيضاً من آسيا الصغرى التي كانت ذائعة الصيت في هذا المضمار ، فجاؤا إلي الاسكندرية في اعداد كبيرة كي ينهلوا مما اغدق عليهم البطالمة من امتيازات ومنح إذ كانوا يسافرون مجاناً ويعفون من الضرائب ويقومون في مساكن مريحة ويتخون لقب زميل "Fellow" كما هو متبع في بريطانيا في الوقت الحالي . ولعل أكثر ما شجعهم علي الوفود إلي مصر ان البيئة المصرية كانت مهياة بوجه عام لهذا اللون من النشاط الطبي ، فقد عرفت مصر الفرعونية ببراعتها ومهارتها في مجال العلوم الطبية وبها وجدت أكبر مكتبات العالم القديم الطبية وأكثرها شهرة مكتبة منف (٢) التي شهد لها علماء الطب في العالم القديم بداية من ابوقراط وحتى جالنيوس بانهم إستمدوا العديد من معلوماتهم في مجال العلوم الطبية من مكتبة منف وخير دليل علي ذلك ان الطب اليوناني والروماني يدين في كثير من اساسياته للطب الفرعوني (٣) .

ومن جانب اخر كان لوجود دار الحكمة Museum (٤) تلك الجامعة المنظمة أثر كبير في جذب علماء الطب في العالم القديم إلي الاسكندرية ، إما للإقامة بصفة مستمرة او للبحث حيث عاشوا في كنف ورعاية وبذخ الملوك البطالمة الأوائل الذين وفروا لهم كل وسائل وسبل البحث داخل جامعة الاسكندرية فبرز عدد كبير منهم في مجال البحوث العلمية الطبية كان أبرزها علم التشريح علي الأدميين لأول مرة في تاريخ البشرية إذ كانت معلومات التشريح عند الأطباء الفراعنة بدائية جداً ذلك ان الطبيب في هذه الفترة نظر

التي عملية التشريع (٥) علي أنها امر ثانوي طالما انه علي علم بمكونات الجسم البشري من خلال كتاب الموتى والمحفطين والذباح من الحيوانات الثديية . في حين ادرك علماء الطب الوافدين الي الاسكندرية من شتتي بقاع العالم المعروف آنذاك ان عملية التشريع هي الركيزة الاساسية لعلم الطب وبطبيعة الحال لن يتأتي هذا الا بتشجيع من البيت المالكي حتي تتخذ مثل هذه الخطوة الجريئة في مجتمع حرم فيه التشريع الأدمي لأسباب دينية إذ ان عقيدة البعث والخلود عند الفراعنة كانت تستلزم بالضرورة وجود الجسد وقت الوفاة في حالة سليمة ولعل هذا ماعاق تقدم الطب الفرعوني الذي أحيط بسياج من الدين فقيد إنطلاقتها (٦) . والأمر يختلف تماما بالنسبة لهؤلاء العلماء الوافدين الي الاسكندرية وكذلك حكام العصر البطلمي الذين كانوا أجانب على البلاد عملوا قدر استطاعتهم علي اغرقه مصر وبصفة خاصة الاوائل منهم .

كانت دروس التشريع تتم عملياً في قاعات داخل دار الحكمة اعدھا الملوك البطالمة خصيصاً لهذا الغرض ، فيها مارس الأطباء وعلي رأسهم هيروفيلومس Herophilus (٧) فنون التشريع علي جثث الموتى (٨) والأحياء من المجرمين (٩) المحكوم عليهم بالاعدام ، قدمها لهم الملوك البطالمة تيسيراً لإنجاز مهمتهم فكانت الاسكندرية بشهادة جالينوس Galen (١٠) مصدرنا الأساسي عن مدرسة الاسكندرية الطبية وبصفة خاصة في مجال التشريع الأدمي إذ يقول " إن الاسكندرية هي المكان الوحيد بين المراكز الطبية في العالم اليوناني الروماني التي يدرس فيها اسس التشريع الأدمي وانه هو نفسه لم يرق الي أكثر من مستوي تشريح القرده والخنازير " .

هكذا وصلت الاسكندرية في العصر البطلمي والروماني الي مستوي لم

يبلغه اى مركز طبي عالمي آخر من قبل خاصة في غياب علم التشريح الادمي الذي يحول نون معرفة تشريحية وفيسيولوجية دقيقة ذلك العلم الذي كان له الفضل في قيام اطباء الاسكندرية بعمليات جراحية دقيقة سجلت بكل دقة ووضوح في مجموعة من كتاباتهم (١١) .

ولايمكن ان يقوم علم جديد دون ان يحدث تطور هائل في مجال تكنولوجيا الانوات الطبية ، خاصة وان رائد علم التشريح السكندري هيروفيلوس Herophilus قد شرح كل جزئية في جسم الانسان بكل دقة واثبت نظريات تتعارض وتلك التي توصل لها الاطباء الفراعنة ، لم يترك شيئاً في جسم الانسان الا و قام بتشريحه (١٢) الشرايين والاوردة والرحم والجهاز التناسلي للمرأة والكبد والكلي والمخ والعين والقلب والقفص الصدري والرئتين والجهاز العصبي ... هكذا كانت المعجزة السكندرية اعظم موهبة قدمت للعالم بأسره قديماً وحديثاً في مجال الطب البشري .

وبطبيعة الحال ايضاً فقد ترتب على ممارسة التشريح على الادميين تقدم فنون الجراحة لدرجة ان اطلق علي اثنين من جراحي الاسكندرية انتيلوس Antylus (١٣) وهيليوذوروس Heliodorus (١٤) اعظم جراحي العصر القديم " لما اشتهرا به في مجال جراحة الخراييج الداخلية والجروح وإزالة حصوات المثانة . كذلك جراحة تجميل الوجه التي أخبرنا بها كلسوس Celsus (١٥) في الجزئين السابع والثامن من كتابه في سياق حديثه عن جراحي الاسكندرية الذين لم يباشروا مختلف انواع الجراحات المألوفة فقط بل ايضاً الجراحات الدقيقة .

وبطبيعة الحال فإنه بدون انوات طبية لايمكن أن يكون هناك تقدم

جراحي . والسؤال المطروح الان هل من الممكن ان يتم كل هذا سواء في مجال التشريح أو الجراحة بمجموعة الأدوات البسيطة التي كان يستخدمها الطبيب في العصر الفرعوني والتي تتناسب مع العمليات الجراحية البدائية المشار اليها في برديتي ابوين سميث (١٦) وايبرس (١٧) الخاصة بالجراحة عند القراعة . في البردية الاولي أشير الي مجموعة من المشارط والمثاقب النارية ونادراً مانجد إشارة لخياطة جرح (١٨) . وفي البردية الثانية أشير الي ريشة نسر استخدمت كقطارة للتنقيط في العين وخارج نطاق هاتين البرديتين لم يشر الي أدوات طبية أخرى ترجع للعصر الفرعوني . وهذا يؤكد ان هذه الأدوات البسيطة المشار اليها سابقاً هي كل ما احتاجه الطبيب الفرعوني إذ كان يعتمد دائماً في عملية التطبيب علي العقاقير المصنعة من الأعشاب والدهانات إلي جانب السحر وصيغته ، ولم تجر عمليات دقيقة تستلزم أدوات أكثر دقة ودليلنا علي ذلك ان معظم الحالات التي وردت في بردية سميث الجراحية عبارة عن استئصال للأورام الخارجية وهي لا تحتاج إلا لمشرط لإزالتها ومثقاب ناري لكى الجرح حتى لا ينزف وغالباً كانت تستخدم هذه الأدوات في مجالات أخرى غير الطب (١٩) . فالمشارط كانت تستخدم في التحنيط والمثقاب الناري في الفخار والضمادات والفتائل الكتانية كان المحنطون يزودون بها الأطباء .

وفيما عدا تلك الأدوات المحدودة المشار إليها في البرديات الطبية لا نجد اية اشارة او تصوير لأدوات أخرى فبالرغم من ان المصري القديم في العصر الفرعوني قد سجل كل تفاصيل حياته وكل ما توصل إليه من علوم وفنون وآداب علي جدران معابده ومقابره إلا انه اغفل الجانب الطبي وأدواته حتي علي جدران المعابد التي كانت تدرس فيها العلوم الطبية فيما يسمى

ببيوت الحياة الملحق بها (٢٠) . والنموذج الوحيد الذي صورت علي جدران
أدوات طبية هو معبد كوم امبو ويرجع هذا الجزء من النقش الجداري للعصر
الروماني . ولا يمكن أن نفترض أنه كان هناك في العصر الفرعوني تنوعات
أكثر من تلك المحدودة المشار إليها في البرديات الطبية أحيطت بنوع من
السرية لارتباط الطب وأدواته بالدين والسحر حيث أنها كانت ملك خاص
للمعابد التي تدرس فيها فنون الطب وممارسته ، ولا يحق للأطباء تملكها فهي
مُسَخَّرة لخدمة أولئك الذين يتلقون فنون الطب . فإذا كان الأمر كذلك فلماذا
أشير الي تلك الأدوات المحدودة في البرديات الطبية الفرعونية علي كثرتها
كما أشرنا سابقاً . إذن لابد أن نسلم أن كل ما هو لدينا من أدوات طبية ،
معدا القلة القليلة منها ، يرجع إلي العصريين اليوناني والروماني ، جاءت مع
ظهور علم التشريح الأدمي وتقدم فنون الجراحة .

بعد هذه البداية البسيطة السريعة لظروف نشأة وتطور الأدوات الطبية
يجب أن نتقل إلى صلب موضوعنا عن الأدوات الطبية سواء تلك المشار
إليها في كتابات جراحي وأطباء الاسكندرية في العصريين اليوناني
والروماني ، أو المَعْرُوض في المتاحف سالفة الذكر أو تلك المصورة علي
جدران معبد كوم امبو .

وسأتناول كل علي حده بالوصف والتحليل وإثبات كونها أدوات طبية
أولاً بمقارنتها بالأدوات الطبية الحديثة وثانياً بارتباط أماكن اكتشافها
بمواقع اشتهرت قديماً بوجود مدارس طبية فيها وأخيراً الربط بينها وبين
شخصيات ارتبطت قديماً بالطب كما هو الحال مع لوحة كوم امبو إذ نجد إله
الطب إيمحتب Imhotep (٢١) مصوراً علي يمينها .

فيما يختص بالاشارات التي وردت في كتابات أطباء الاسكندرية عن تطوير واخترع ادوات طبية . فقد ذكر هيروفيلوس أنه اخترع ساعة مائية (٢٢) متنقلة لتسجيل حركة النبض . كما تحدثنا المصادر (٢٣) المختلفة بأن بعض أطباء الاسكندرية ابتدعوا عدداً من الاربطة والاجهزة التي عرفت بأسمائهم وكانت تستخدم في حالة كسر في العظام للتقليل من خلعها (بترها) اوفتق في الأغشية الداخلية وبرز هؤلاء الطبيب السكندري اندرياس Andreas .

وتوضح اللوحة المنقوشة على الجدار الخلفي الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية لمعبد كوم امبو (٢٤) وعلي اليمين منظر يصور الامبراطور تراجان Trajan (٩٨ - ١١٧ م) راكعاً أمام اله الطب إيمحتب Imhotep وعلي اليسار من منظر يمثل الولادة حيث توجد إلهتان إيزيس في ضلع الولادة ومسخت Meschent ربة الولادة ، واللوحة عبارة عن أربعة صفوف أفقية (شكل ١) كل صف يحتوي علي مجموعة من الأدوات الطبية والتعمائم السحرية ، اتفقت اغلب الآراء (٢٥) علي انها ودائع اساس وليست ادوات طبية ، بون تبرير لذلك .

وقد بل ان نتناول بالوصف الادوات التي بداخل اللوحة والتعرف علي وظيفة كل اداة منها سأحاول إثبات انها لا تخرج عن كونها ادوات طبية .

أولاً : تصوير إيمحتب الذي رُفِع إلي مصاف الالهة في العصرين اليوناني والروماني كإله للطب دليل علي أنها ترتبط بالطب .

ثانياً : ان الامبراطور تراجان المصور علي يسار هذه اللوحة كان راعياً للطب في مصر ، كرم الأطباء وبنى المعابد لالهة الشفاء ففي مدينة

بطلمية (٢٦) أمر ببناء معبد لإله الشفاء اليوناني اسكليبيوس Asklepios وزوجته المعبودة هيغيا Hygieia ربة الشفاء أيضاً . اما عن تكريمه للأطباء فيحدثنا بليني الاصغر Pliny (٢٧) بأنه حين كان في زيارة لمصر تعرض لمرض خطير شفي منه علي يد طبيب من منف يدعي أريوكراس Arpocras ، وتقديراً لمهارته الطبية فقد طلب بليني من الامبراطور تراجان تكريم الطبيب بمنحه المواطنة السكندرية والرومانية . واذا كان تراجان قد كرم طبيب منف Arpocras أليس احق بالتكريم راعي الأطباء وإله الطب في العصرين اليوناني والروماني إيمحتب ، الذي أطلق عليه اليونانيون إسم إيموثيس إيمحتب اسكليبيوس المصري (٢٨) والراكم أمامه علي يسار اللوحة الامبراطور تراجان ، ينقش هذه اللوحة المصورة للأنوات الطبية باعتباره ممثلاً لأطباء منف تلك العبقورية البشرية التي أذهلت العالم القديم بمعجزاته في مجال الطب والسحر فرفعه الاغريق الي مصاف الآلهة .

مثالاً : ان هذه اللوحة منقوشة علي جدران الجزء المخصص لعبادة الاله حورس ومن المعروف ان حورس كان إلهاً للطب بصفتة ابن إيزيس صانعة المعجزات السحرية ، وقد اتخذ في النصوص (٢٩) السحرية لقب طبيب Swnw . ومن جانب آخر فقد تطابق بإيمحتب في كثير من النصوص الهيروغليفية والاغريقية . فعلي معبد إيمحتب في فيلة فقرة من نص تقول " إن اوزيريس ليبتهج إذ يدخل ... وأنت تأتي من القصر الكبير حات - عات h3 - ht ... إنه يستقيك وأمامه اوزيريس كل يوم مثل حورس " . وعلي باب المعبد من الداخل يقف حورس علي أحد جانبي الباب يسكب الماء المقدس علي القادمين للمعبد بينما يقف امامه ايمحتب يقرأ من بردية . وعلي السور الخارجي من الداخل لمعبد ادفو المكرس لعبادة حورس ، في الجزء

المصور عليه قصة الصراع بين حورس وست يقف إيمحتب يقرأ من بردية
وبذلك يكون حورس متطابقاً أو مرتبطاً بالمعبود إيمحتب وكلاهما مرتبطان
بالطب والتطبيب .

اللوحه مقسمة (شكل ٢) الي أربعة اقسام افقية يحتوى كل قسم منها
علي مجموعة من الادوات الطبية والسحرية المرتبطة بالشفاء من الامراض
بقراءة تعاويذ سحرية عليها كتوجع من الطب البديل (النفسي) . وستتناول
عرض ادوات كل قسم طبية كانت ام سحرية مقرونة بتحليل لوظيفة كل
ألة علي حدة . وجدير بالذكر ان بعض الادوات القديمة لازالت تستخدم في
الطب الحديث مع مراعاة التعديلات التي طرأت عليها مع طول
الفترة الزمنية .

القسم الأول (١) يحتوي علي :

- ١ - قسطرة .
- ٢ - تميمه .
- ٣ - ابرتان .
- ٤ - ملعقة مكحتيه .
- ٥ - مثقاب نارى .
- ٦ - منشار .
- ٧ - علامة مس الهيروغليفي والشكل المتأخر لها .
- ٨ - قرني حيوان .

١ - فيما يختص بالقسطرة فهي مرتبطة بالمثانة ولأعتقد ان هذه الآلة
وجدت في العصر الفرعوني إذ أن اطباء العصر الفرعوني لم ينكروا شيئاً
عن المثانة إلا مرة واحدة في بردية ايبيرس (٢٠) وكانت الاشارة عن وضع
المثانة اسفل البطن فقط . في حين انه في الاسكندرية كانت تجري عمليات

ازالة حصوات المثانة (٢٦) . كما ان جالينوس Galen (٢٢) الذي تعلم في مدرسة الاسكندرية الطبية قبل ان يرحل الي روما قد ميز بين تقرحات المثانة والكلي . وهذا يدل على ان هذه الاداة ترجع الي العصرين اليوناني والروماني خاصة وانها لم تظهر بين الانوات الطبية الفرعونية .

٢ - تميمة صغيرة عبارة عن العلامة الهيروغليفية W3j (٢٣) ومعناها بالمصرية القديمة الأخضر وهي ترمز لتجديد النضرة حيث تحفظ الجسد دائماً منتعشاً وكذلك ترمز لقوة الشباب . ولا أعتقد ان تكون هذه العلامة هي Wadj W3j (٢٤) الهيروغليفية وتعني عمود البردي المغلق إذ ان نهاية هذه العلامة محدبه وليست مقطوعة كما هو مصور علي اللوحة التي نحن بصدد الحديث عنها ، ولو ان هذه العلامة كانت تستخدم ايضاً كتيممة فهي تهب السعادة القلبية لمن يمسك بها .

٣ - مشرط او شفرة ذات طبيعة حادة يستخدمها الجراح في استئصال الاورام الخارجية علي اختلاف انواعها . وجدير بالذكر ان الطبيب في العصر الفرعوني استخدم اربعة اشكال من المشارط كما يتضح من الحالات التي ذكر فيها استخدام مشرط والمشار اليها في بردية ابون سميث الجراحية (٢٥) . ولا بد انها استمرت ايضاً تستخدم خلال العصرين اليوناني والروماني خاصة وان هذه المشارط أصلاً كانت تستخدم في التحنيط الذي استمر خلال العصرين اليوناني والروماني . ولا زالت تستخدم مثل هذه المشارط في الوقت الحالي لفصل العضلات والاعوية والاعصاب عن العظم (٢٦) . ويبدو ان هذا الاستخدام الحديث هو نفس الاستخدام في العصر الروماني إذ أن هليودوروس Heliodorus (٢٧) الذي تلقى تعليمه في مدرسة الاسكندرية الطبية وأحد مشاهير الطب الكياري يقول " الطريقة

المثلث لبتتر الجزء فوق مفصل المرفق او اعلي الركبة هي ان يبدأ الجراح بقطع العضلات من الجانب البعيد عن مكان الاوعية الدموية ثم يقوم بنشر العظم ثم يقطع الاجزاء المتبقية بعد ذلك .

٤ ، ٥ - إثنان من الأبر الطبية المعروفة حالياً باسم Lignare كانتا تستخدمان لخيطة الجروح . هذا النوع من الأبر الطبية هو أحد ستة عشر نوعاً من الأبر الطبية ذات اشكال ومقاسات مختلفة معروضة في المتحف المصري حجرة ٢٤ وكلها تقريباً مطابقة تماماً لما يستخدم في الطب الحديث (٢٨) وجدير بالذكر ان الخيطة لم تكن محببة لدي الطبيب المصري في العصر الفرعوني ولم تذكر إلا نادراً في البرديات الطبية ولكنه كان يفضل ضم نهايتي الجرح إلي بعضهما كما في الحالة رقم ٧٧ ، ١٠ بيردية (٢٩) اليون سميت الجراحية إذ يقول الطبيب : " أربط اثنين من الاربطة على الجرح حتي تضم شفتي الجرح لبعضهما " ويبدو ان الطبيب المصري في العصر الفرعوني اضطر الي استخدام الخيطة في حالات نادرة يصعب فيها استخدام الطريقة المألوفة لديه لإلتام الجروح إذ غالباً نجد الاشارة الى الخيطة في حالات خاصة بقطع في لحمية الاذن وهذه المنطقة يصعب وضع قطعة من اللحم الطازج عليها وتضميدها فكان الافضل لها الخيطة . وحتى في هذه الحالة فلا يحتاج الطبيب فيها إلي طرز متعددة من الابر الطبية إذ أن الابرة المستقيمة تفي بالغرض ونفس الحال ينطبق علي خيطة الجرح بعد إزالة الأحشاء من بطن المتوفى وتحنيطه . أما في العصرين اليوناني والروماني فالامر يختلف كلياً إذ أن إجراء العمليات الجراحية الدقيقة التي قام بها أطباء الاسكندرية كانت تستلزم بالضرورة وجود هذا التنوع في اشكال واحجام الابر الطبية كما سنرى فيما بعد .

٦ - ربما كانت هذه الأداة ملقحة مكثية تستخدم في إزالة الأجزاء غير الصحية من جدار الرحم والتي تستخدم في الوقت الحالي . وجدير بالذكر أن أطباء العصر الفرعوني لم يستخدموا أية جراحات للرحم وإنما استخدموا البخار كوسيلة علاجية لرد الرحم إلي موضعه كما في بردية إيبيرس (٤٩) الحالة رقم ٩٩ . بينما نجد أن هيروفيلوس في العصر البطلمي قام بتشريح الرحم عند المرأة علي سيدات مسنات (٤١) . ويعرض متحف كلية الآثار جامعة القاهرة مجموعة أخرى من هذه المعالق المكثية وأخرى عثر عليها في حفائر الفيوم وسوف نتحدث عن كل منها فيما بعد .

٧ ، ٩ - إثنان من المثاقب النارية كانتا تستخدمان لكي الجروح حتى يتوقف النزيف . والمثقب عبارة عن جزء مدبب معدني مثبت في جزء خشبي ونتيجة للدوران السريع للجزء المعدني يتولد عنه وهج ناري يوضع علي الجرح فيوقف الإدماء . وقد استخدمه الطبيب المصري في العصر الفرعوني حيث انه ذكر في بردية ابوين سميث (٤٢) الجراحية واستمر استخدامه خلال العصرين اليوناني والروماني .

٨ - منشار لنشر العظام ولم يرد ذكر كلمة منشار في البرديات الطبية الفرعونية مما يدل على انه استخدم فقط في مجال الطب في العصرين اليوناني والروماني . ومثل هذا المنشار يستخدم في الطب الحديث (٤٣) لفصل العظام ويعرض بومان Bowman (٤٤) مجموعة من الأنوات المكتشفة في الفيوم بها منشار شبيه بذلك المصور علي لوحة كرم أمبو .

١٠ ، ١١ - العلامة الهيروغليفية ms بمعنى (تلد) ويتكون رسمها من ثلاث خصلات معقودة والتي جوارها نجد الشكل المتأخر لنفس العلامة (العصر البطلمي) وكانت هذه العلامة توضع امام السيدة المقبلة علي

الولادة كما هو مصور علي جدران بيت الولادة Mammisi (شكل ٢) الملحق
بمعبد أدفو حيث نجد إيزيس تجلس في وضع الولادة وأمامها علامة ms التي
تخيل فيها المصري القديم سيدة تجلس علي حجر والطفل يخرج منها .

١٢ ، ١٢ - في نهاية الصف من الجهة اليمني نجد قرني حيوان .
وقد استخدمت هذه القرون بعد قطع الطرف المديب كحقتة شرجية او
دش مهبلية (٤٥) ويوجد في متحف اللوفر قرن مماثل وصفه ليفيغر
Lefebvre (٤٦) بأنه حقتة شرجية . ومن المعروف ان الحقن الشرجية
استخدمت في العصر الفرعوني إذ كان المصري القديم يعتقد بأن الطعام
يتحول الجزء الأكبر منه عن طريق الهضم إلي مواد ضارة فلذلك كان لايد من
استخدام الحقن الشرجية يوميا او بالتناوب كل أربعة او ثلاث أيام
للتخلص من الطعام الزائد الذي يسبب المرض كما أخبرنا بذلك ديونورس
الصقلي Diodorus (٤٧) .

الصف الثاني (ب) ويحتوي علي :

١ - ٢ - ثلاث صنائير Hooks الصغرى علي شكل تميمة .

٤ - ٦ - ثلاث ملاعق مكحتيه . ١١ - إناء بشكل ابريق .

٧ - حافظة محكمة النقل . ١٢ - مبخرة .

٨ - ٩ - اثنتان من ماسك القوط ١٣ - إناء بيزيان .

الطبية (جفت) . ١٤ - سكين سحرية .

١٠ - شعلة .

١ ، ٢ - فيما يختص بالصنائير Hooks فهي تستخدم في الطب

الحديث ويوجد منها نوعان صنارة ذات سن غير حاد والأخري ذات سن حاد

الأولى تستخدم في سحب الأوعية ، الأعصاب والأوتار التي تصل العضل بالعظم والثانية في ثقب القصبة الهوائية لتثبيت الغضروف الحلقى وتراجع الجلد في الجراحة التقريرية وكلها جراحات لاشك ان قام بها أطباء الاسكندرية فنحن نعرف أن براكساجوراس Praxagoras (٤٨) في مؤلفه عن التشريح ذكر أنه شرح القفص الصدري ، كما قام ايضاً أطباء الاسكندرية بعمل جراحات التجميل النقيقة . وإذا قارنا بين هذه الصنابير المصورة علي لوحة كوم امبو ومثيلتها المستخدمة في الجراحة الحديثة نجدها نسخة طبق الأصل (٤٩) .

ولما كان السحر قد لعب دوراً كبيراً في مجال الطب (٥٠) واعتبر مكملاً له فقد نقشت صنارة علي هيئة تميمة أحد طرفيها يمثل رأس تمساح والطرف الآخر رأس حورس الصقر اللذان كرس معبد كوم امبو لعبادتهما . والتميمة هنا في اعتقادي لدرء شر عضة التمساح في ظل حماية حورس ، الذي صورت رأسه في مستوي أعلى من مستوي تصوير رأس التمساح وكأنه يترقيه عن بعد بعينه التي اعتبرها المصري القديم للرؤية عن بعد وعدم النقصان في الجسد او جرحه والنماء الدائم ومنع المساس بالأفراد من قبل التعاسيح .

٤ ، ٦ - ثلاث ملاعق طبية يوجد نظير لها في الطب الحديث (٥١)
تستخدم لتوسيع النهاية الخلفية للقناة المرارية . والمرارة من بين الأعضاء البشرية التي أشار إليها أطباء الاسكندرية في العصرين اليوناني والروماني في حين أنه لم يشر إليها في البرديات الطبية الفرعونية . وقد أشار المشرح السكندري هيروفيلوس (٥٢) إلي ضرورة التوافق بين الأمزجة الأربعة الدم ، البلغم ، المرارة الصفراء والمرارة السوداء كمسببات للمرض .

٧ - حافظة كتانية محكمة الغلق لابد أنها كانت تحتوى علي الفتائل الكتانية التي كانت تستخدم للحشو بعد ان تشبع بالعقاقير كما يخبرنا بذلك بعض حالات من بردية النورين سميث الجراحية (٥٢) . ولابد من غلقها تماماً حتى لا تتعرض للتلوث .

٨ ، ٩ - إثنان من ماسك الفوط Towel clips لوضع الفوط الكتانية المعقمة علي الجلد حول المنطقة التي سيجري فيها العملية الجراحية ولا زالت تستخدم هذه الاداة في الطب الحديث (٥٤) مع بعض التطورات البسيطة التي ادخلت عليها ويوجد حالياً ثلاث طرز منها .

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ - شعلة ، إناء علي شكل ابريق ، إناء بيزيان مبخرة وتميمة علي شكل سكين ، وكلها أدوات لازمة لكي يكون للرقى أثرها الفعال ، فقد كان لابد من مراعاة أشياء كثيرة عن تلاوتها منها إنه يتحتم علي من يقوم بتلاوة هذه الرقى أن يغتسل بماء النيل (٥٥) ويتبخر ويظهر فمه بالنظرون وهنا نجد الشعلة لإضاءة المكان والمبخرة (٥٦) للتبخير حيث اعتقد المصري القديم ان رائحة البخور يتنفس عليها الآلهة والاناء البزيانى لسكب ماء النيل منه فى حالة الغسل والابريق ربما كان يحتوي علي مادة النظرون لتطهير الفم او ربما احتوي علي مادة مخدرة مثل المورفين الذي كان معروفاً في اقليم الفيوم ، اوتك المادة المخدرة التي اخبرنا بها سترابون Strabo بقوله أن المصريين القدماء كانوا يخلطون حجر منف بالخل ويضعونه علي الجلد ليخدره (٥٧) . أو ربما كان أحد الآتية المملوطة بالافيون كمادة مخدرة والتي كانت تستوردها مصر وهذا الاحتمال أقرب الي الصواب حيث انه يتشابه وتلك التي كانت تستورد بالفعل من قبرص (٥٨) . اما عن السكين فهي من ذلك النوع الذي أطلق عليه السكاكين السحرية Magic wands وهي

تشبه عصا الصيد المعروفة باسم Bowditching ولها وظيفة سحرية لإبعاد الشر حول النائم وحمايته ودرء الثعابين السامة والعقارب والحشرات اللاذغة أو أي أخطار أخرى . وكانت التعويذة التي تنكي عليها تنص على " لقد أتينا لنوفر لحماية لفلان وذلك اثناء الليل وأطراف النهار " . ويوجد بين الأدوات التي عرضها بومان Bowman (٥٩) من اقليم الفيوم سكين شبيهة بتلك المصورة (٦٠) علي لوحة كوم أمبو مع اختلاف طفيف للغاية في شكل المقبض وأخرى بالمتحف المصري .

الصف الثالث (ج) يحتوي علي :

- ١ - ٢ - كلايتان .
 ٢ - ٣ - حافظتان .
 ٥ - ٦ - تميمتان علي شكل عين حورس .
 ٧ - ميزان .
 ٨ - العلامة الهيروغليفية T3 - mhw .

١ - ٢ - كلايتان (جفت) Forceps ولازال هذه الآلة تستخدم في الطب الحديث (٦١) مع بعض تطورات حديثة أدخلت عليها .

٢ - ٤ - حافظتان محكمتا النلق واحدة أكبر من الأخرى وربما كانتا لوضع الضمادات الكتانية المعقمة ذات المقاسات المختلفة في السمك والعرض حسب استخدام الطبيب . ولابد انه كانت الأكبر حجماً منها توضع في الحافظة الكبيرة والأصغر حجماً في الصغيرة .

٥ - ٦ - تميمتان علي شكل Ox^{d} عين حورس ووظيفتها للرؤية علي بعد وعدم النقصان في الجسد او جرحه والنماء الدائم او كانت تسمى عين الحسد لإبعاد السحر وشره .

وقد نتساءل لماذا نقشت تميمتان بنفس الشكل تقريباً ؟ ربما كانت

التعيمة الاولى تلى عليها تعويذات مكتوبة لطرد الماء والدم الفاسد وضعف
الأبصار والعمى وتقرح الأجفان وكل أنواع التهابات داخل العين كما تنص
علي ذلك بردية ايبيرس (٦٢) . فلقد كان لحورس دور هام في شفاء امراض
العيون التي اختص بها تون سائر الالهة الأخرى المرتبطة بالطب والشفاء
ويتضح ذلك في كثير من النصوص البردية (٦٣) التي تنص علي « عينا
حورس لمن لا عيون له » .

اما العين الأخرى فلا بد انها كانت خاصة بتحضير العقاقير ووزنها
ويؤكد ذلك وجود الميزان الي جوارها فلقد كانت توزن بها الأعشاب والمواد
الطبية الأخرى المضافة اليها ويؤكد ذلك رقيتين في بردية هيرست (٦٤)
الطبية تلي علي الكيل الخاص بالنواء نص الأولي " أيها الكيل الذي أكيل به
النواء انت الكيل الذي كال به حورس عينه ، كان مقياساً سليماً ، عاش في
صحة وسعادة ، هذا النواء يكال بهذا الكيل ليطرد جميع الأمراض من
الجسم " . اما الرقية الأخرى فنصها " هذا المقدار يا حورس هو الذي كالت
به ايزيس وحضرته لإبنتها حورس لإخراج المرض منه " .

والعين أيضاً أهمية كبيرة عند وضع الزيت علي العقاقير . والمعروف ان
المصريين القدماء كانوا يضعون الزيت علي كل العقاقير المراد تحضيرها .
وكان لابد من وجود العين لزيادة مفعول النواء مع قراءة التعويذة التالية (٦٥)
" السلام علي عين حورس ، أنا تحوت الطيب لعين حورس المناضل من اجل
أبيه امام المعبودة نيت " .

٧ - ميزان لوزن العقاقير الطبية عند تحضيرها .

٨ - إناء يخرج منه نبات اللوتس والبردي - وهنا قبل أن نقرر تفسيراً

لهذا الشكل لا بد من وضع عدة إفتراضات حتى نصل الي الحقيقة - إن هذا الشكل هو العلامة الهيروغليفية (٦٦) T3 m3w رمز الدلتا في مصر السفلي وربما وضعت هنا كرمز لمكان ولادة حورس حيث انه ولد في احراش الدلتا . وربما كان هذا الشكل يرمز الي حورس كملك للشمال والجنوب كما نرى علي كثير من اللوحات السحرية الخاصة بحورس إذ يظهر علي جانبي حورس نبات اللوتس والبردي (٦٧) . ولا يحتمل ان يكون رمزاً لاستخدام البردي واللوتس في العقاقير الطبية او التعاويذ السحرية ولو انه يوجد أدية (٦٨) ينبت بها زهور اتخذها المصري القديم كنوع من التعاويذ السحرية لتبعد الوياء الا انه لم يرد ذكر اللوتس والبردي ، اما استخدام هذه النباتات كعقاقير طبية اقتصر فقط في البرديات الطبية علي اللوتس نون البردي حيث استخدم اللوتس في تركيب بعض الابوية لعلاج امراض مختلفة (٦٩) . والارجح ان يكون هذا الشكل هو العلامة الهيروغليفية T3 m3w بمعنى الدلتا اذا وضعنا في الاعتبار محل ميلاد حورس (٧٠) الذي كرس لعبادته هذا الجزء من معبد كوم امبو المصور عليه اللوحة الطبية .

الصف الرابع (د) ويحتوي علي :

- | | |
|------------------|-----------------------------------|
| ١ - ٢ - إنائين . | ٥ - إسفنجة . |
| ٢ - لفاة بردية . | ٦ - ٧ - اثنان من الملاعق الطبية . |
| ٤ - جفت كبير . | ٨ ، ٩ - قنطرتان . |
- ١ ، ٢ - إناءان ربما كانا لخلط الدهانات او تحضير العقاقير فيها . وقد تكونا ايضاً لوضع المخلفات الناتجة عن العميات الجراحية بها . إلا أن وضع هذه الانية مقفولة يدل علي انها كانت تستخدم بهذا الوضع الذي

يذكرنا بكاسات الهواء التي تستخدم في حالات الروماتيزم ، بها يوضع قليل من الكحول ويمرر بها لهب بسيط ثم توضع علي الظهر لإخراج الروماتيزم منه . وهي وسيلة علاجية لازالت تستخدم حتي الوقت الحالى .

٣ - لفافة بردية لايد وأنها كانت تحتوي على التعاويذ السحرية المكتوبة المرتبطة بشفاء الامراض وتلك التي كانت تقرأ بالضرورة علي تحضير العقاقير الطبية لتأكيد مفعولها في شفاء المرض (٧١) .

٤ - جفت قطع العظم Bone Cutting Forceps وهو خاص بتكسير العظام عند الكبار ولازال يستخدم في الطب الحديث (٧٢) والنوع الصغير منه يستخدم لتكسير عظام الاطفال .

٥ - شكل أشبه بالوسادة وله عدة تفسيرات ربما كانت تلك الوسادة الطبية التي استخدمها الطبيب المصري في العصر الفرعوني في علاج اصابات الجمجمة كما يتضح من بردية ابوين سميث (٧٣) . أو لوضع الطفل المولود عليها كما جاء في بردية وستكار (٧٤) وفيها نجد أم تتعني لوليدها ان يوضع علي وسادة بعد قطع الحبل السري . علي أن تصوير هذا الشكل في هيئة الاسفنجة يجعلنا نتجه اتجاه آخر فالمعروف انه في العصر الروماني ، وهي الفترة التي تنتمي اليها لوحة كوم امبو ، كان وضع المخدر قبل اجراء العمليات الجراحية لتخفيف الآلام يتم عن طريق غمس اسفنجة في سائل مخدر ثم وضعها في فم المريض حيث يتسرب منها نقاط في البلعوم فتسبب النعاس .

٦ - ٧ - ملعقتان مكحيتان ذات نهايات حادة . وجدير بالذكر ان هذه المعالق المكحيتية ذات النهايتين الحادة تستخدم في مجال امراض النساء .

٨ ، ٩ - قنطرتان تستخدم فوق العانة لتصريف البول المثانة ، وتستخدم أيضاً لإفراغ البلورا Pleura (القشاء المصلي المحيط بالرئة) من الصديد الجوفي . وفي الحالة الأولى يوجد نوعان أحدهما الذكر والآخر للانثى كما هو مصور علي اللوحة ، وكلاهما يستخدم في الطب الحديث (٧٥) . اما في الحالة الثانية وهي إفراغ الصديد الجوفي من البلورا فقد كان معروفاً في العصرين اليوناني والروماني حيث تحدث ابوقراط عن تقيح البلورا واعراضها (٧٦) وكان إراسيستراتوس (٧٧) اول باحث عن سبب تشريحي لالتهاب البلورا .

وعلي الجانب الايسر من اللوحة صورت العيادة الطبية لامراض النساء (شكل ٤) حيث نجد سيدتين إحداهما في وضع الولادة وقد صورت واحدة اعلي والاخرى اسفل - السيدة المضورة اسفل تمثل ايزيس حيث ترتدي علي رأسها رمز الرأس الملكي العلامة الهيروغليفية 3٨١ (٧٨) والتي تعني المقعد او العرش وترمز للقوة او السلطة (٧٩) ودر ايزيس هنا رمزي حيث انها تقوم بعملية الوضع (وضع حورس بالطبع) وتري وهي جالسة علي كرس منخفض بالطريقة المألوفة لدي سيدات مصر الفرعونية عند خروج الطفل (٨٠) .

وعملية الولادة كان يعبر عنها بالكلمة الهيروغليفية *msht* وتعني مكان الراحة (٨١) وهي نفس الكلمة التي امتقت علي إلهة الولادة مسختت *Mescht msht* (٨٢) . وقد اعتادت هذه الالهة ان تظهر بجانب السيدة تحامل وقت الولادة (٨٣) . وعلى لوحة كوم امبو تظهر مسختت *Mescht* اعلي شكل ايزيس كي تعلمها فنون الولادة وكيفية استخدام قلابي الطوب اللذان ارتبطا بهذه الالهة واطلق عليهما " قلابي طوب الولادة " واصبحا من الادوات الرئيسية للولادة (٨٤) . ودائماً ترتدي مسختت *Mescht* علي رأسها

العلامة الهيروغليفية المخصصة لرحم الحيوانات الثديية (٨٥) . وجدير بالذكر ان المصري القديم في العصر الفرعوني قد طبق اجزاء الجسم الداخلية للحيوانات الثديية بأجزاء جسم الانسان حيث ان التشريح الأدمي لم يكن معروفا في مصر القديمة (الفرعونية) . وبذلك يكون هذا الرمز الممثل للعلامة الهيروغليفية kmr هو تعبير عن رحم المرأة وتأكيداً للعلاقة بين الإلهة مسختت Meschert كإلهة للولادة والرحم الذي يخرج منه الطفل المولود . ويؤكد ذلك تطابق شكل هذه العلامة ووصف جالينوس Galen (٨٦) للرحم بقوله " إنه له قرنين الأيمن لتكوين الذكور والأيسر لتكوين الاناث " .

وبالإضافة الي ماصور من أدوات طبية علي جدران معبد كوم امبو ، فقد امدتنا الحفائر التي أجريت في اماكن مختلفة بنتاج وفيير من هذه الانوات الطبية . وغالبا هي اماكن ارتبطت بالطب إما عن طريق الالهة المكرسة لعبادتها أو المدارس الطبية التي وجدت بها هذه الادوات غير المنشورة معروضة في متحف كلية الأثار جامعة القاهرة ، المتحف المصري ومتحف اسوان .

المجموعة الاولى المعروضة في متحف كلية الآثار (٨٧) جامعة القاهرة (شكل ٥) من نتاج حفائر تونه الجبل وتتكون من اثنتي عشرة قطعة تتراوح أطوالها ما بين ٨ سم - ١٢ سم سجلت تحت ارقام ٩٧٦ - ٩٨٧ . والغريب ان هذه الادوات سجلت علي انها انوات للزينة بالرغم من الطبيعة الحادة جداً لهذه الادوات والتي تتعارض مع كونها أدوات للزينة فكيف يتأتى لإمرأة ان تستخدم اداة حادة كمرود لوضع الكحل في العين ؟ هذه الادوات تؤرخ بالعصر الروماني وهي كما نذكرنا عبارة عن مجموعة من الادوات الدقيقة ربما كانت تستخدم في التشريح الأدمي او العمليات الجراحية الدقيقة وهي قريبة

الشبه للغاية بأدوات جراحية تستخدم في الطب الحديث .

ومن المعروف ان منطقة تونة الجبل (الاشمونين) هم هرموبوليس ماجنا Hermopolis Magna كانت مركزاً لعبادة الاله تحوت (٨٨) الذي كتب رسائل طبية ، كان لابد علي كل طبيب ان يستخدمها في علاج مرضاه فلقد كانت بمثابة وصفات معتمدة من الاله تحوت في علاج المرضى ومن يخالف ذلك من الاطباء والممارسين لمهنة الطب كان يقع تحت طائلة العقاب . وفي نقش خاص بالمعبود تحوت سجل علي جدران الهيكل الذي بناه له بظلميرس التاسع ، سوتر الثاني في مدينة هابو ، فيه دعي " بسيد الاشمونين " الاله الطب وسيد الشفاء " كما سمي ايضاً " هو الذي يسمع " (٨٩) . وقد ظهر تحوت في الصيغ السحرية الطبية فعلي قاعدة تمثال (٩٠) يوجد احد عشر صيغة سحرية ضد الثعابين والعقارب ويظهر تحوت فيها ليبراً السم عن المرضى . كما ان كلمة علم تحضير الانوية Pharmacy واصلها المصري Ph - arma - ka بمعنى " الذي يمنح الصفاء " وجدت منقوشة علي تمثال للاله تحوت (٩١) .

أيكون هناك شك اذن ان تكون تلك الانوات المستخرجة من مركز خالق الطب المعبود تحوت ادوات طبية وليست ادوات للزينة خاصة وانها كما سبق ووضحت شبيهة الي حد كبير بانوات تستخدم في الطب الحديث فالقطعة رقم ١ ، ٨ عبارة عن اداة لتوسيع ضيق مجري البول (٩٢) ، ٢ ، ٣ مفك لتثبيت المسامير في العظام (٩٣) ، ٤ - رافعة عظام (٩٤) ، ٢ ، ٥ ، ٦ موسع للقناة المرارية (٩٥) ، ٧ - مجس شرجي لجراحة الناسور (٩٦) . ٩ - ملعقة مكحيتة (٩٧) ، ١١ ، ١٢ فاصل للجفاف وهي اداة مقوسة لتناسب التحديب (٩٨) .

ومن منف تأتي مجموعة اخرى من الأدوات الطبية من العصرين اليوناني والروماني . ولقد اشتهرت منف في هذه الفترة بوجود مدرسة طبية ذاع صيتها ليس فقط في داخل مصر وإنما خارج مصر أيضاً فقد كانت روما تستعين بأطبائها الذين اشتهروا بالمهارة الفائقة والمقدرة علي شفاء اخطر الأمراض كما رأينا في حالة بليزني الأصغر السالفة الذكر . كما ان مدرسة منف الطبية كانت مزودة بمكتبة تحتوي علي العديد من الكتب الطبية النادرة وايضاً السحرية كمصادر يستعين بها الطلاب والأطباء الممارسين لهنة الطب والسحر وقد استمرت تعمل حتي عصر جوليان (٩٩) والرأي السائد هو ان بريدية برلين (١٠٠) الطبية تنتمي الي مكتبة منف الطبية .

وتتضح أهمية منف كمركز طبي كبير من خلال تصريحات كل من ثيوفراستوس Theophrastus وجالينوس Galen وديوسكوريديس Dioscorides طبيب كليوباترا الخاص وهيراس Heras الذين ذكروا في كتاباتهم عن انعقادير الطبية وصفات صرحوا بانهم تعلموها في معبد بتاح وايمحتب في منف ، بالاضافة الي ان ثالث منف (١٠١) في العصرين اليوناني والروماني بتاح وسخمت وايمحتب كانوا جميعا الهة للطب . كما كانت منف مركزا اساسيا لتعلم العلوم الطبية في العصرين اليوناني والروماني وبصفة خاصة في كل من الاسكاليبيون Asklepion والانوبيوم Anoubieion (١٠٢) .

ويحتوي المتحف المصري بالقاهرة علي مجموعة كبيرة من الأدوات الطبية المستخرجة من حفائر الفيوم وبصفة خاصة منطقة سرايوم منف ، البعض منها معروض في القاعة رقم ٢٤ والبعض الاخر مكس في مخازن المتحف المصري . وقد اخترت من بين هذه المجموعة تسعا وسبعين قطعة ضمنيتها في ثلاث عشرة لوحة وكلها غير منشورة .

اللوحات ارقام (١ ، ٧ ، ٨) تحتوي علي مجموعة من الشفرات متعددة الاشكال والاحجام ، البعض منها له اكثر من حافة حادة ذات احجام مختلفة . ولازال يحتفظ البعض بالخيط الذي كان يلف علي المقبض حتى يسهل مسك الارادة (١٠٣) .

اللوحه (رقم ٩) بها ملقطان واضح انهما من الطراز المسنن الحواف والذي لازال مستخدما في الطب الحديث (١٠٤) ، ويستخدم في ملامسة الانسجة اثناء التشريح .

اللوحه (رقم ١٠) عبارة عن مجموعة اخرى من الملاقيط مختلفة الاشكال والاحجام والتي يبدو البعض منها حاد الطرف ، وهذا النوع يوجد ايضا في الطب الحديث (١٠٥) لمسك الانسجة الرفيعة كالاوعية الدموية .

اللوحه (رقم ١١) عبارة عن مجموعة من المقصات الطبية من ذلك النوع المستخدم للإستئصال الجزئي للأمعاء والذي لازال يستخدم في الطب الحديث (١٠٦) .

اللوحه (رقم ١٢) اثنان من المقصات الطبية احدهما صمم المقبض علي شكل العلامة الهيروغليفية T3 - mjw رمز الدلتا او بمعنى مصر السفلي والتي تستخدم كتميمة في نفس الوقت .

اللوحه (رقم ١٣) مجموعة من الأبر المستقيمة كل مجموعة منها محفوظة داخل جراب لحفظها ولازال البعض منها يحتفظ بالخيط ومثل هذه الأبر لازالت تستخدم في الطب الحديث (١٠٧) .

اللوحتان (اشكال ١٤ ، ١٥) مجموعة من الأبر الطبية ذات احجام ومقاسات مختلفة من النوع المقوس وهي مطابقة تماماً لما يستخدم حالياً في

الطب الحديث (١٠٨) ويوجد منها اربعة ابرة مقوسة Curved needle دائرتها
3/8 او 1/4 او 5/8 ، ابرة قطعية Cutting needle مقطعتها مثلث او مستقيم
وتستخدم في خياطة الجلد ، ابرة دائرية Round needle مقطعتها دائرية
تستخدم في خياطة الغشاء البريتوني Peritoneum ، اللغافة Fascia (انسجة
تحت الجلد) او العضلات واخيراً النوع الرفيع منها ويستخدم في خياطة
الامعاء الدقيقة وتسمى الابرة الامعائية Intestinal needle وهذه الانواع كلها
لها فتحة (ثقب) اما النوع الاخير بدون فتحة .

اللوحة (رقم ١٦) تمثل مجموعة من الابر من النوع المسمى حديثاً ابر
البذل او الوخذ Puncture needle .

اللوحة (رقم ١٧) تمثل مجموعة من الابر مختلفة الاشكال ، سكين
سحرية تستخدم كتميمة كما سبق وان ذكرنا ، ملقط صغير حاد الحواف .

اللوحة (رقم ١٨) تمثل مجموعة من المعالق الطبية ، ابر الوخذ ، اداة
تسمى في الطب الحديث (١٠٩) Kelly's retractor او Deaver retractor وهي
اداة تستخدم حالياً لتراجع حافتي القطع في حالة استئصال الطوحال او
المراة او خلال عمليات الحوض .

وقد نضيف الي مجموعة الفيوم هذه مقصان من حفاثرز منف (شكل
١٩) التي قام بها عام ١٩٤١ كل من احمد بدوي Ahmed badawi ومصطفى
الامير Mustafa El Amir (١١٠) . المقصان ذا حواف حادة جداً من الطراز
الذي لازال مستخدماً في الطب الحديث (١١١) لازالة غرز الخياطة .

ومن الفيوم ايضا يعرض لنا بومان Bowman (١١٢) مجموعة من
الابوات الطبية من بينها شفرات مختلفة الاشكال والاحجام ، منشار ، سكين

سحرية ، معالق طبية وملاقيط (شكل ٢٠) .

وبالرغم من ان متحف اسوان يحتوي علي عدد قليل من هذه الادوات الطبية بالقياس الي المئات المكسدة في المتحف المصري الا اننا لا ننسى الامة التي احرزتها هذه المنطقة طبياً في العصرين اليوناني والروماني وبصفة خاصة مع وجود معبد امحتب اله الشفاء اسكليبيوس المصري في جزيرة فيلة . هذه الادوات (١١٢) عبارة عن مقص وثلاث من الشفرات الطبية .

وهكذا فقد كان طبيعياً ان يؤدي تقدم علم التشريح على الأدميين ، تلك المعجزة السكندرية ، الي تقدم الجراحة الامر الذي تطلب اختراع ادوات جديدة استخدمت بمهارة فائقة في مجال التشريح والجراحة وكانت سبباً في مجد طب الاسكندرية في العصرين اليوناني والروماني . وهكذا رأينا ايضاً ان الغالبية العظمي من هذه الادوات الطبية صممت بطريقة دقيقة بشكل يجعلنا نقول انها كانت نواة الادوات الطبية المستخدمة في الطب الحديث .

مراجع البحث

- 1- Aluguste Couat, Alexandrian Poetry under the first three Ptolemies (324 - 222 B. C.), London, p. 17.
- ٢ - هاري . ج . ايمحتب اله الطب والهندسة ترجمة محمد العزب موسى
مراجعة محمود ماهر طه مطبوعات هيئة الآثار ، جامعة القاهرة ،
١٩٨٨ ص ٨٩ .
- ٣ - بول غليونجي ، قطوف من تاريخ الطب ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ص
٩٩ - ١٠٠ ، ١٠٤ . kamal H. A., A Dictionary of Pharaonic
Medecine, Cairo, 1967, p. 201.
- 4- Couat, op. cit., p. 17; Fraser P. M., Ptolemaic Alexandria, (Oxford
1972), I, pp. 338, 357, 369, 371- 3.
- 5- Smith E. and Dawson W., Egyptian mummies, (London 1924), p.
154; Westendorf W., Anatomie, LÄ, I, 1975, p. 258.
- 6- - Peck H. W., Mummies of Ancient Egypt, Mummies disease and
Ancient Cultures, New York, 1980, p.12.
- 7- Von Staden H., Herophilus, The Art of Medicine in early
Alexandria, (Cambridge University Press).
- ٨ - ان التاريخيين Tarichevies (المحتطين) الذين تنقل اليهم الجثث بعد
الوفاة ، كان يطلق عليهم في النصوص المصرية المتأخرة كلمة Swrw
اي طبيب مما يشير الي ان الأطباء كانوا يقومون بعملية التحنيط

والتشريح وهي صفة لم تتوافر مع الطبيب المصري في العصر
الفرعوني إذ أنه كان بعيداً عن عملية التحنيط كما يخبرنا بذلك كل من
هيروdot وديودورس الصقلي وبذلك تكون الجثث متوفرة تحت أيديهم .

Diodor, I, 91, 2; Herodot, II, 86; Lefebvre G., Essai Sur La medecine
Egyptienne de L'Epoque Pharonique, (Paris 1956), p. 27 note 2; Smith
G. E., Egyptian Mummies, JEA, I, 1914, p. 190

9- Fraser op. cit, p. 348.

10- Moraux P., Galien de Pergame, les belles lettres, (Paris 1985);
Walzer R., Galen, On Medical Experience, (Oxford
1944).

11- Celsus, VII, 3.

12- Fraser, op. cit, pp. 339 ff, note 54, 90; El Abbadi M., the life and
fate of the Ancient Library of Alexandria, (Paris 1990),
p. 118.

13- RE, Antyllos, Cols 2644 - 5.

14- RE, Heliodoros, 18, col. 41.

15- Fraser, op. cit, pp. 363 - 4, 806.

16- Breasted J. H., The Edwin Smith Surgical Papyrus, 2 vols,
(Chicago 1930), cases nos. 7, 9, 10, 12, 39.

17- Ebbell B., The Papyrus Ebers, (Copenhagen 1937), p. 69.

١٨ - توجد اشارات فردية لخياطة بعض انواع الجروح اذ نجد الجراح يقول " ضم له الجرح بالخياطة " . علي ان الخياطة والتي تستلزم استخدام الابر الطبية لم تكن وسيلة محببة للجراح في العصر الفرعوني اذ كانت الطريقة المتعارف عليها في علاج الجروح هي ضم حافتي الجرح ووضع قطعة من اللحم الطازج عليها لوقف النزيف وفي اليوم التالي للجرح يوضع خليط من العسل والزيت ويضمد الجرح . ويبدو ان الخياطة استخدمت في الأماكن التي يتعذر فيها اتباع الطريقة السالفة كحمية الأذن .

19- Petrie F., Tools and Weapons, (London 1917), pp. 58.

٢٠ - يوجد نص من العصر الفارسي يؤكد تزويد بيوت الحياة المحقة بالمعابد بأدوات طبية . هذا النص سطر علي تمثال لأحد الشخصيات الهامة التي عاصرت الغزو الفارسي لمصر في عهد دارا الاول عام ٥١٩ ق . م . وقد اقيم هذا التمثال في معبد الالهة نيت بسايس وموجود حاليا بمتحف الفاتيكان تحت رقم ١٥٨ . هذا التمثال يصور وجاحررسنت الذي كان يشغل قيادة الاسطول الملكي المصري في عهد احمس الثاني ثم بسمتيك الثالث . وبعد انتهاء الدولة الصاروية انحاز وجاحررسنت الي جانب الفرس وذهب مع الملك دارا الي عيلام ولكنه امره بالعودة الي مصر لاعادة اقامة دار الحياة في سايس . النص موجود على الدعامة الخلفية في ثلاثة اعمدة ونص الفقرة كالاتي " وقد أمددتهم بكل ما هو مفيد لهم وبكل أدواتهم المنصوص عليها كتابة كما كانت من قبل " ويقفهم من هذا النص ان الطلبة الدارسين للطب في بيوت الحياة كان لابد لهم من معرفة الانوات الطبية والغالب علي الظن

تلك المسجلة في البرديات الطبية الفرعونية والتي لم يزد عليها في
العصر الفارسي كما يفهم أيضا من النص .

21- Hurry J. B., Imhotep the Vizier and Physician of King Zoser and
afterwards The Egyptian God of Medicine, (Oxford.
1926), p. 77.

22- Amm Marcellinus, 260 ff.

٢٢ - محمد حمدي ابراهيم : الأدب السكندري - القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٩٣
. Galen, XVIII, 338 - 9, 747,

24- Seton - Williams M. V., Ptolemaic Temples, (London 1978), p. 47;
Sauneron S., Stierlin H., Edfou et Philae, (1975), pp.
83, 86f.

٢٥ - جيمس بيكي ، الآثار المصرية في وادي النيل ، ترجمة لبيب حبشي ،
شفيق فريد مراجعة محمد جمال الدين مختار ، القاهرة ١٩٨٧ ،
ص ٦٩ هامش ١ ، بول غليونجني ، زينب الدواخلي :
الحضارة الطبية في مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٨ .
Strouhal E., life of The Ancient Egyptians, (Cairo 1992), p. 250.

26- Milne T. G., A History of Egypt under Roman Rule, (London
1924), p. 36.

27- Pliny, Letters, x, 5 - 7 , 10.

28 Sethe K.. Imhotep Der Asklepios Der Aegyptier Ein Vergötterter

Mensch Aus Der Zeit Des Königs Doser, (Leipzig 1902), pp. 96 ff.

- 29- Sigerist H., A History of Medicine, I, (Oxford 1951), p. 288;
Jonckheere F., Les medecine de L'Egypt Pharaonique,
(Bruxelles 1958), p. 141; Strouhal E., op. cit, p. 288.

علي تابوت من سقارة يوجد نص يؤكد العلاقة بين حورس والطب ترجمته :
ابي شو أفسح لي الطريق ، فانا طبيب أوزيريس ، أتيت لمداواته كي لا يتورم
جسده Clark R. T. R., Myth and Symbol in Ancient Egypt., (London 1978), p. 162.

- 30- Lefebvre., Essai Sur la Medecine, p. 36f.

- 31- Allbutt A., Greek Medicine in Rome, (London 1929), p. 285; RE.
s. v Antyllus, Cols 2644 - 5.

- 32- Galen, XVI, 147 - 8.

بول غليونجي ، المرجع سالف الذكر صص ٤٤ ، ٤٦ .

- 33- Gardiner S. A., Egyptian Grammer, (Oxford 1979), p. 270; Lefebvre G., Rouge et Nuances Voisines, JEA, 35, (1949), p. 73; Sethe K., Urgeschichte und älteste Religion der Agypter, (Leipzig 1930), p. 160.

- 34- Sethe K., op. cit, p. 6 F.; Gardiner., op. cit, p. 560.

- 35- Breasted., op. cit, cases nos. 863, 864, 872, 876.

- 36- Abou - Zeid S., *Instrument of Surgery*, (Cairo), p. 1 (1), 55 (2).
- 37- Fraser., *op. cit*, I, p. 363, II, p. 538 note 233.
- ٢٨ - ميلاد بشاي ، معجم المصطلحات الطبية والعلمية الحديث ، القاهرة
 Abou - Zeid S., *op. cit*, p. 12 (14), 15 F . ص ٦٤٢ ، ١٩٧٤
- 39- Breasted., *op. cit*, pp. 54, 148.
- 40- Ebbell., *op. cit*, p. 109.
- 41- Fraser., *op. cit*, p. 250F.
- 42- Breasted., *op. cit*, p. 366.
- 43- Abou - Zeid., *op. cit*, p. 55 (3).
- 44- Bowman A. K., *Egypt after the Pharaohs*, (Oxford 1990), p.
 116, fig. 69. -٢
- 45- Strouhal., *op. cit*, p. 250.
- 46- Lefebvre., *Essai sur la medecine*, p. 44.
- 47- Diodorus, I, 82, 1.
- 48- Fraser., *op. cit*, p. 345, note 41; Michler M., *Die Alexandrinischen
 Chirurgen*, (Wiesbaden 1968), pp. 9f.
- 49- Abou - Zeid, *op. cit*, p. 11 (16).
- 50) Ghaliounghi P., *Magic and Medical Science in Ancient Egypt*,
 (London 1963), pp. 118 ff.

51- Abou - Zeid. op. cit. p. 23 (8e).

52- Fraser. op. cit. I. p. 353 II. p. 520. note 121.

53- Breasted. op. cit. pp. 246-54. cases nos. 9, 12.

54- Abou - Zeid. op. cit. p. 10 (12).

٥٥ - اولف ارمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم ابوبكر ، محمد انور شكرى ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٢٨ .

٥٦ - هذا الشكل هو العلامة الهيروغليفية Sntr وتعنى مبخرة لحرق البخور

Gardiner., op. cit. p. 501

٥٧ - بولي غليونجى ، قطوف ، ص ٥٦ .

58- Lucas A.. "Poisons in Ancient Egypt". JEA. 24. 1938. p. 199.

59- Bowman., op. cit. p. 116, fig. 69.

٦٠ - المتحف المصري حجرة ٣٤ رقم J. 93941 .

61- Abou - Zeid., op. cit. p. 4 (a - b).

62- Ebbell., op. cit. p. 73.

63- Grandsetoft B . Le Dieu DW3W patron des Oculistes. ASAE 41.
(1942). p. 213

64- Reisner G.. The Hearst Medical Papyrus. (Leipzig 1965). p. 6.

65- Ibid.

66- Gardiner., op. cit. p. 569.

67- Danadoni S., Curto S., Roveri A. M., L'Egypte du Mythe
Al'Egyptologie, (Torino 1990), p. 36.

68- Breasted., op. cit. p. 504.

٦٩ - ايزمانكة ، التداوي بالاعشاب في مصر القديمة ، ترجمة
احمد زهير ، مين مراجعة محمود ماهر طه ، القاهرة ١٩٩٣ ص
Chalioungui p., The Fibers Papyrus. (Cairo 1987), p. 132: ٢٧٨

70- Clark. op. cit. p. 186.

71- Strouhal., op. cit. p. 251.

72- Abou - Zeid., op. cit. p. 59 (16).

73- Breasted., op. cit. p. 55.

74- Staehelin E., Binding und Enrbindung erwayungen Zu Papyrus
Westcar 10, 2, ZÄS, 96, (1970). p. 129.

75- Abou - Zeid., op. cit. p. 32.

٧٦ - بول غليونجي ، الطب عند الاغريق ص ٢٢ .

٧٧ - المرجع سالف الذكر .

78 Gardiner., op. cit. p. 500.

7٩ Armour R., Gods and Myth of Ancient Egypt, (Cairo 1987),
p. 48.

80- Ions V., Egyptian Mythology, (London 1975), p. 113.

81- Gardiner., op. cit, p. 570; Westendorf W., Geburt, LA, II, (1977), p.459.

82- Lurker M., Götter und Symbol der alten Ägypten, (Wien, 1967), p. 80.

83- Maspero G., the dawn of Civilization, (London 1901), p. 82.

84- Ions., op. cit, p. 113.

85- Gardiner., op. cit, p. 466; Budge W., from Fetish to God in Ancient Egypt, (New York 1988), p. 60.

٨٦ - بول غليونجي ، الطب عند الاغريق ، ص ٤٨ .

٨٧ - متحف كلية الآثار جامعة القاهرة أرقام ٩٧٦ الي ٩٨٧ .

٨٨ - كان مركز عبادة تحوت مدينة الاشمونين قرب مدينة ملوى حالياً ، عبده المصريون علي هيئة الطائر أبيس واحيانا علي هيئة القرد ورأى فيه الاغريق معبوداً مماثلاً لعبودهم هرميس .

89- Lindsay J., The origins of Alchemy in Graeco - Roman Egypt, (London 1970), p. 163.

90- Klasens A., Magical Statue Base in Mus. of Ant., (Leiden 1952).

91- Lindsay., op. cit, p. 166.

92- Abou - Zeid., op. cit, p. 33 (3).

93- Ibid, p. 62 (24).

94- Ibid, p. 59 (15).

95- Ibid, p. 23 (8c).

96- Ibid, p. 26 (c).

97- Ibid, p. 62 (26).

98- Ibid, p. 51 (5).

٩٩ - ج . هارى ، المرجع سالف الذكر ، صفحات ٨٩ ، ٩٠ .

100- Ebbell., op. cit, p. 24; Wreszinski w., The text and Translation of pap. Berlin, (Leipzig 1909).

101- Bergman J., Ich bin Isis. Studien Zum memphitischen Hintergrund der Griechischen Isisaretalogen. Acta universitatis upsaliensis, Historia religionum 3., (Upsala 1968), p. 43.

102- Armour., op. cit, p. 132f.; Griffith F. L., Stories of the high priests of Memphis, (1900), pp. 24, 143; Thompson D. J., Memphis under the Ptolemies, (Princeton 1988), pp. 208 - 10, 264f., 273 - 6; Kiessling E., Die Götter Von Memphis in Griechisch - römischer zeit, APF 15, (1953), 7 45.

١٠٢ - المتحف المصري حجرة ٢٤ قطعة رقم 28745 .

104- Abou - Zeied.. op. cit, p. 1 (2).

105- Ibid, p. 3 (3).

106- Ibid, p. 22 (c).

١٠٧ - ميلاد بشاي ، المرجع سالف الذكر ، ص ٦٤٢ .

١٠٨ - الابير المستخدمة في الطب الحديث ستة عشر نوعاً الغالبية العظمى منها مأخوذة عن طرز قديمة . Abou - Zeid., op. cit, p. 16; ، ميلاد بشاي ، المرجع سالف الذكر ، ص ٦٤٢ .

109- Abou - Zeid., op. cit, p. 8 (p).

١١٠ - أمدني بهذه الصورة والمعلومة نجل المرحوم الاستاذ الدكتور مصطفى الأمير .

111- Ibid, p. 6 (b).

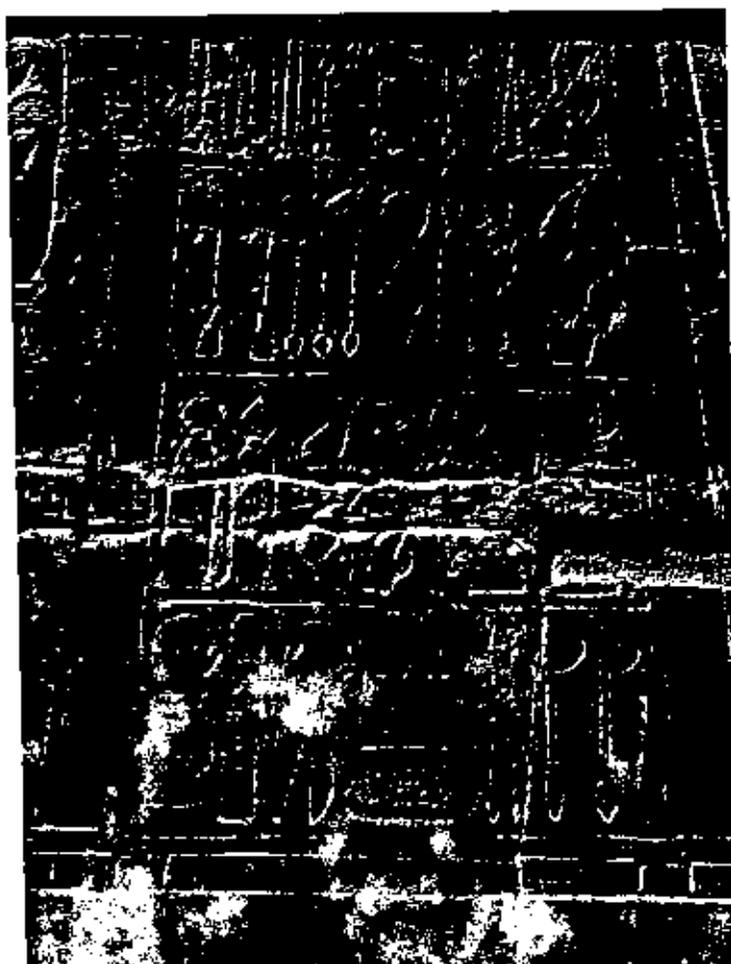
112- Bowman., op. cit, p. 116, fig 69.

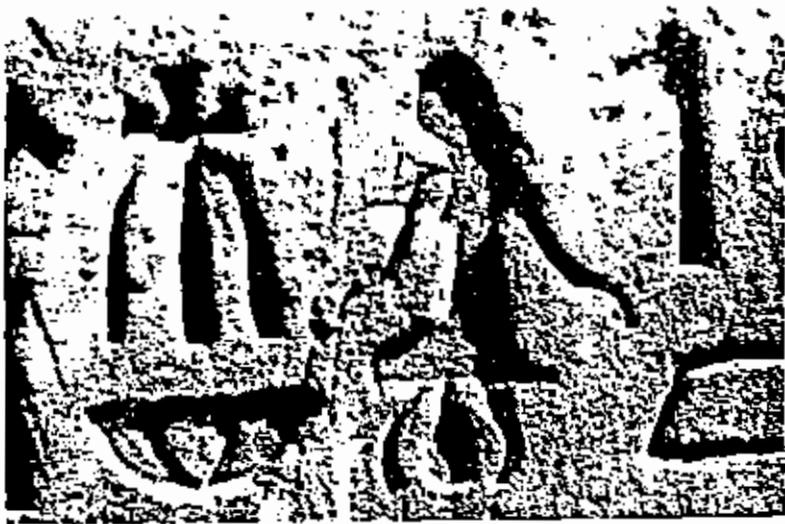
١١٣ - متحف اسوان ارقام ٧٧٨ ، ٧٧٣ ، ٧٧٦ ، ٦٦٤ .



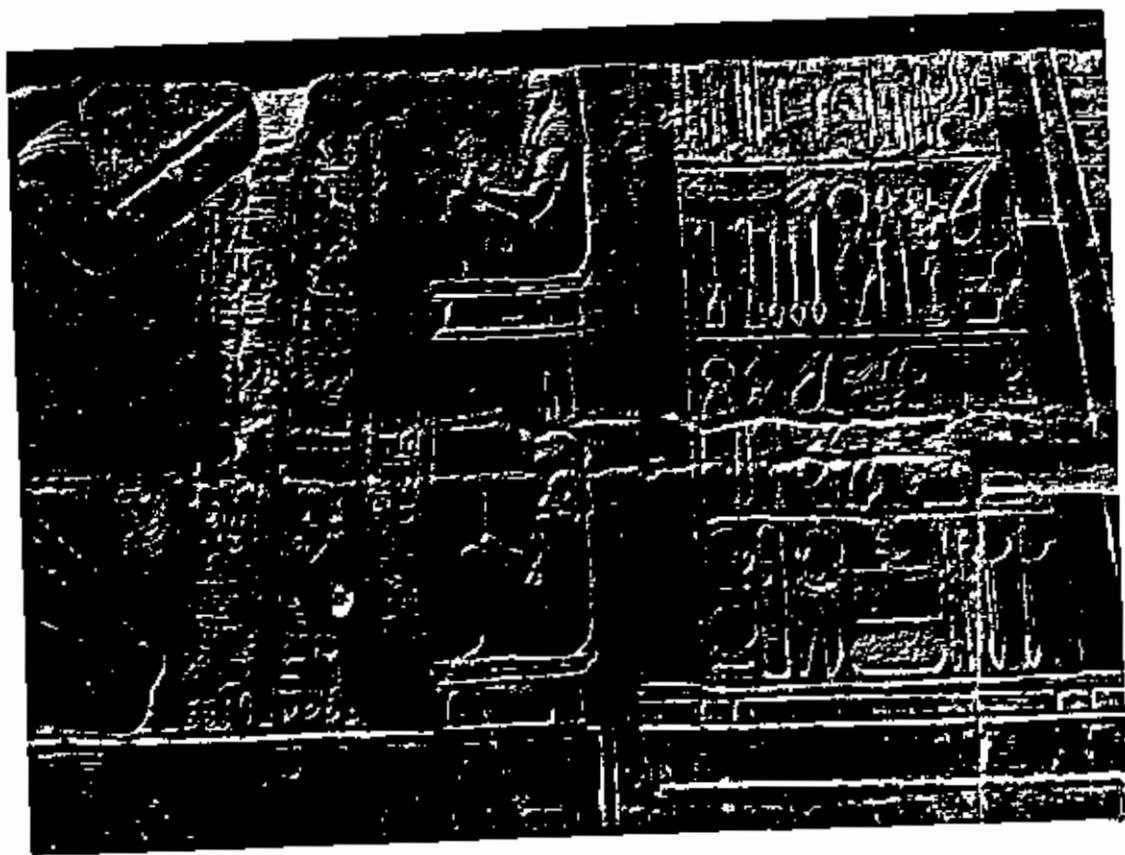


شکل (۱)





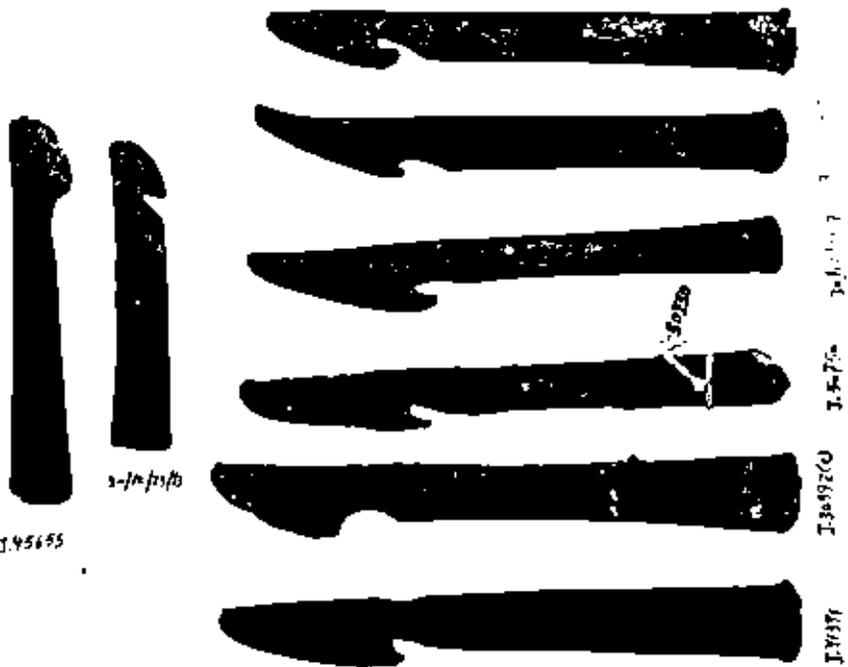
شکل (۲)



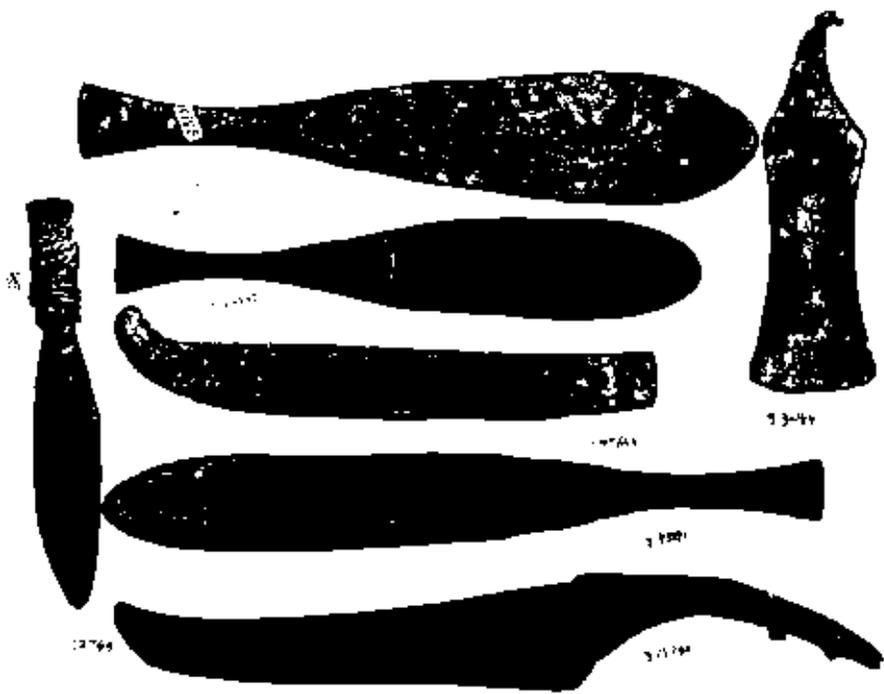
شکل (۱)



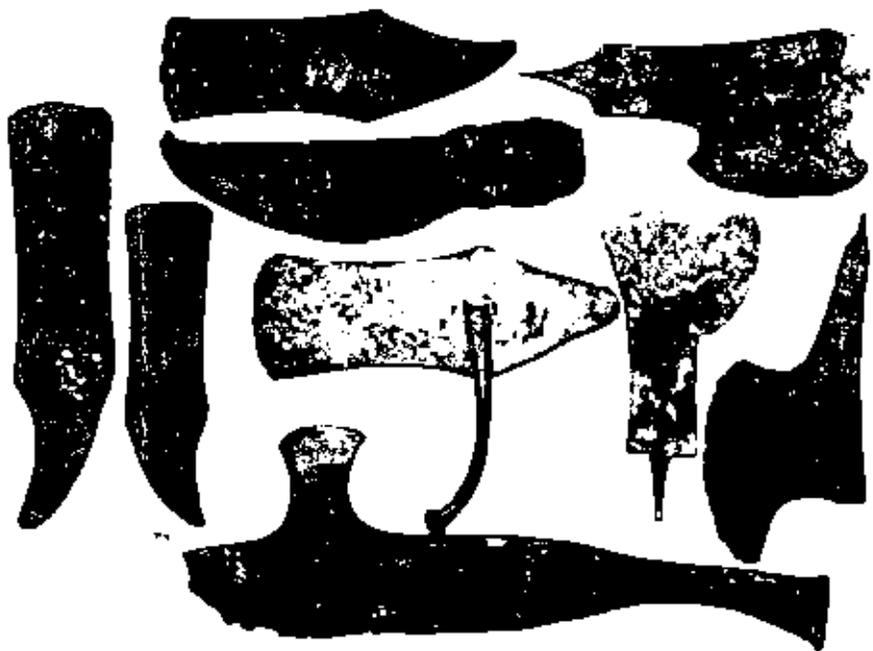
شكل (٥)



شكل (٦)



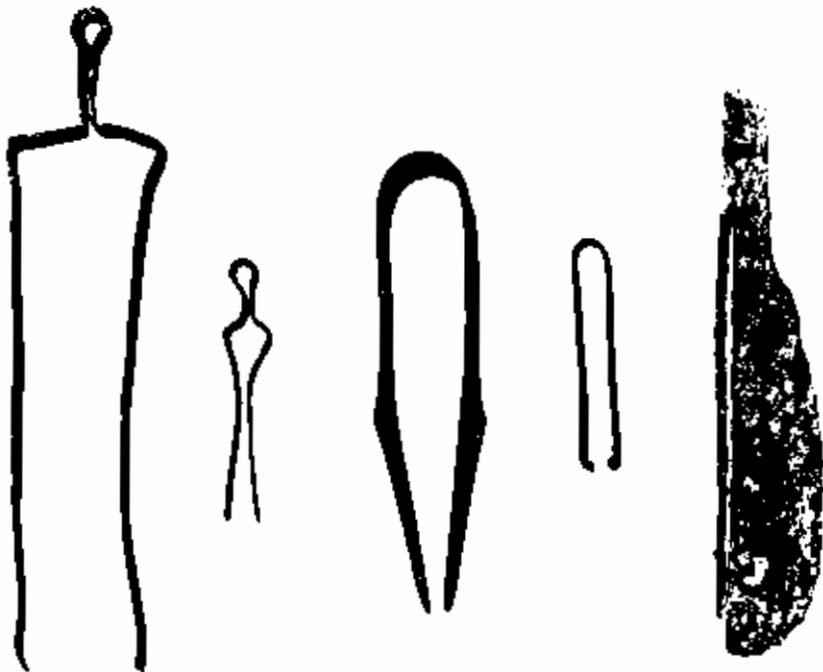
شکل (۷)



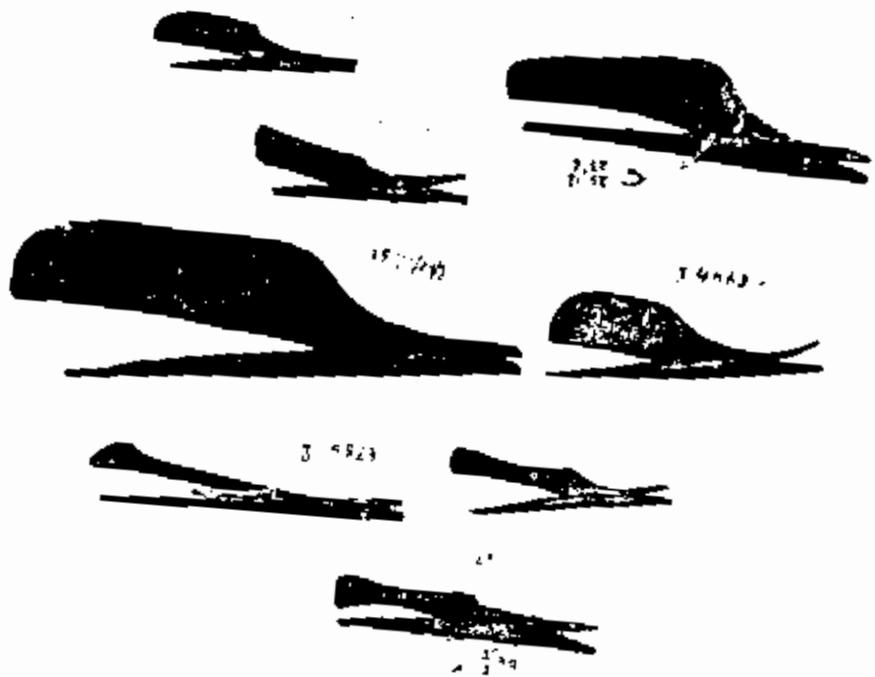
شکل (۸)



شکل (۹)



شکل (۱۰)

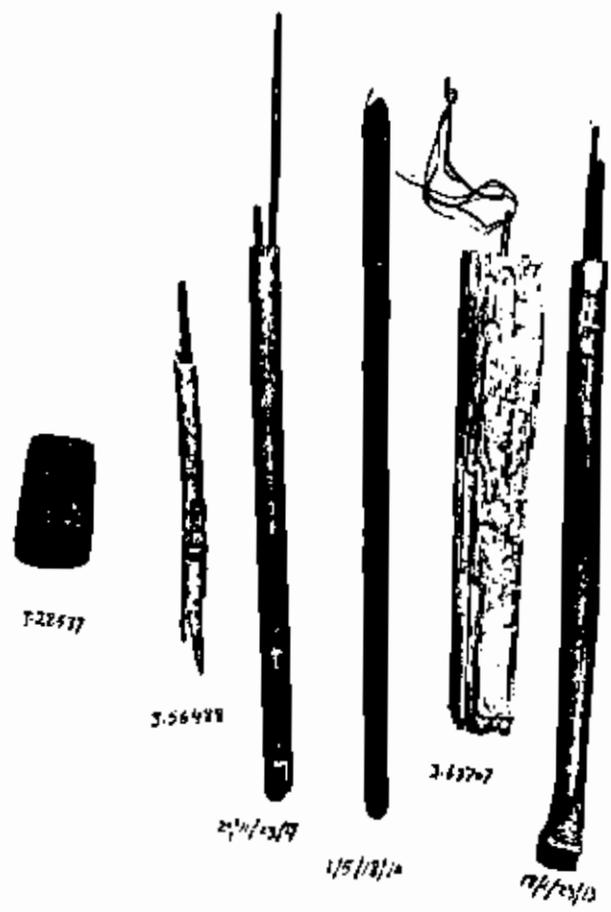


شکل (۱۱)



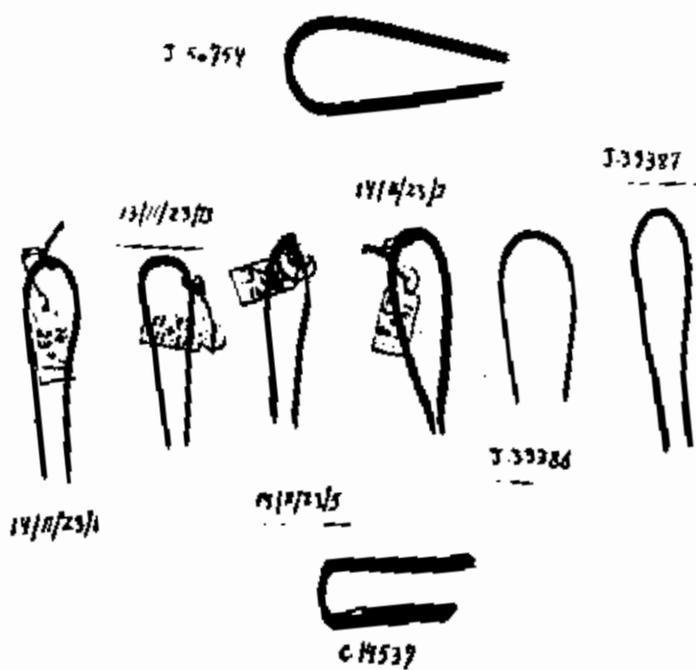
شکل (۱۲)

شکل (۱۳)

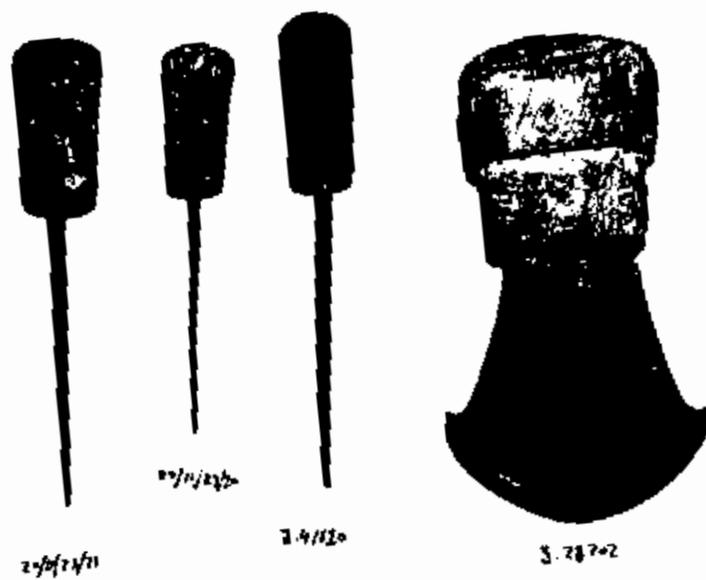


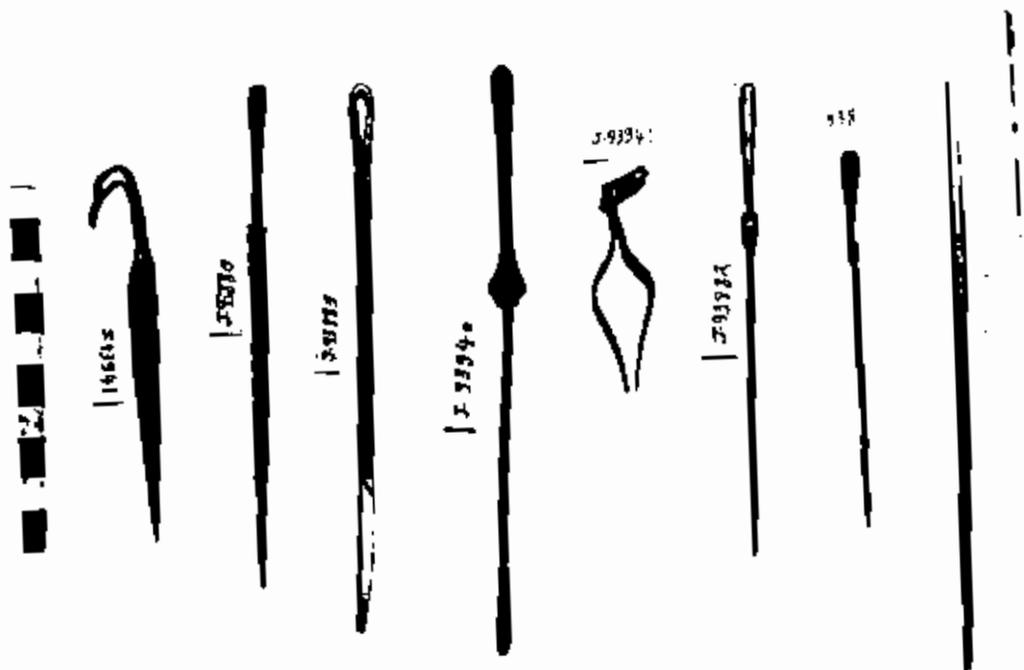
18/1/57



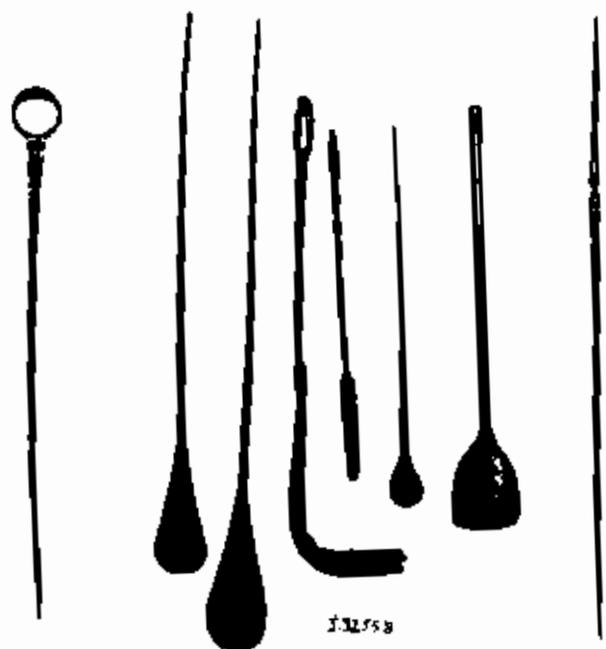


شكل (١٥)

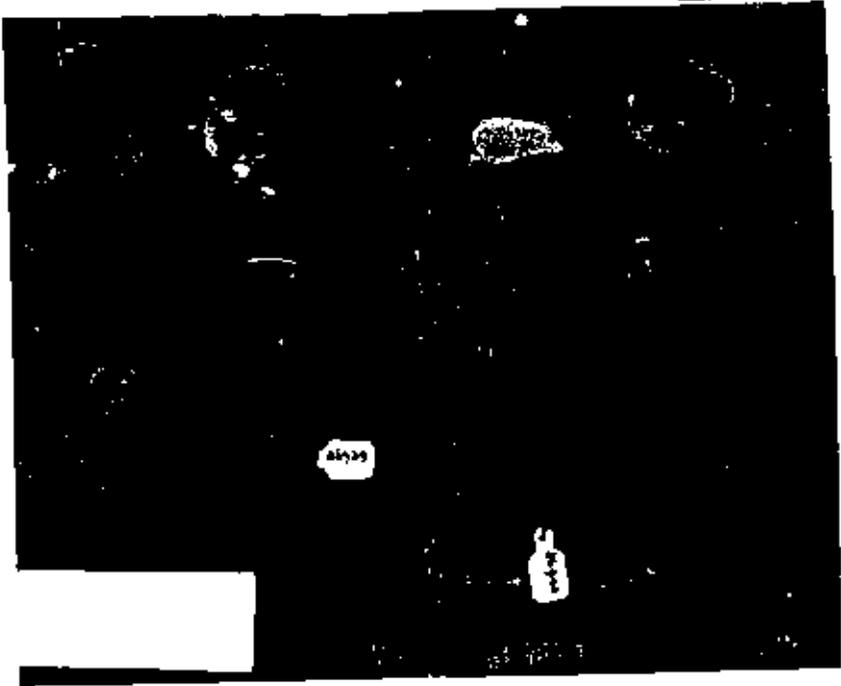




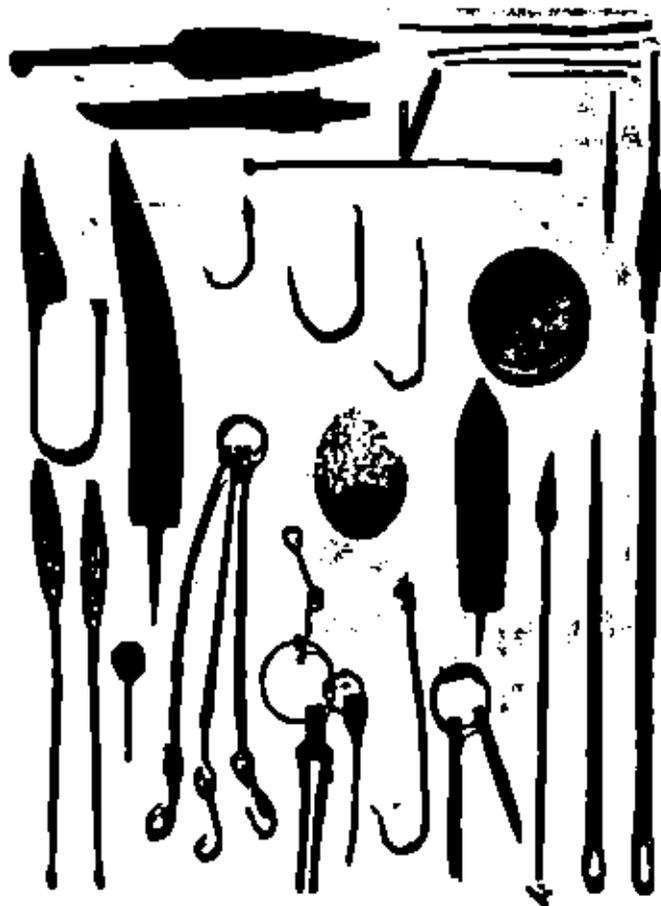
شکل (۱۷)



شکل (۱۸)



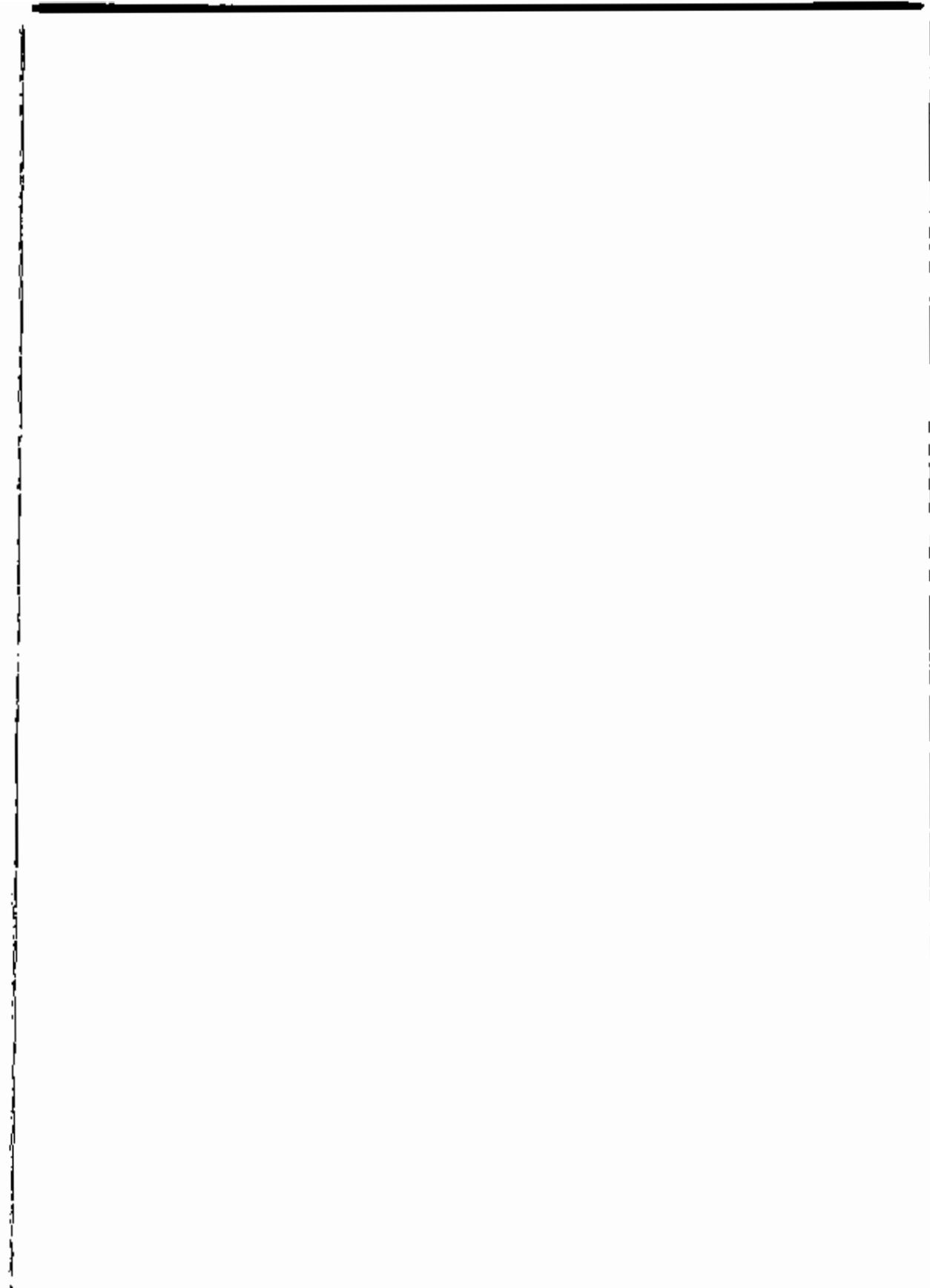
شكل (١٩)



التطهير أم المتعة

اعداد

د. ليلى محمد عبد المنعم



التطهير أم المتعة

ط . ليلان ملامح محمد المنعم

لقد بات مألوفاً أن يذكر الدارسون ، في مستهل حديثهم عن وظيفة
المأساة الاغريقية ، عبارة ارسطو الشهيرة :

" *ἡ δὲ ἐλέου καὶ φόβου περαίνουσα τῶν*

τοιοῦτων παθημάτων κάθαρσις (١)

ولقد نالت تلك العبارة القائلة : " عن طريق الشفقة والخوف تحقق

(المأساة) التطهير من (أحداث) تتصف بمثل هذه الانفعالات " (٢) ،

اهتماماً فائقاً بين الدارسين يعكسه اتفاقهم علي أن وظيفة المأساة هي

التطهير *περαίνουσαν τῆν κάθαρσιν* (٣) ، واختلافهم حول تحديد

ملقى التطهير ، أهو المشاهد أم البطل المأساوي ؟ .

فلم يتوسع ارسطو في الحديث عن هذه النقطة مما أدى إلى انقسام

في رأى الدارسين . أحد الآراء يقول إن التطهير ينصب علي المشاهدين لأنه

يهدف إلى الارتقاء بمشاعر الفرد ، إذ أن الأحداث المأساوية عندما تقع أمام

المشاهد تثير في نفسه شعورى الخوف والشفقة فلا يرى فيها ذاته فحسب ،

بل يرى فيها أيضاً الإنسانية جمعاء ، وهو إذأ يشفق علي مصير صنوله في

الإنسانية ، وإن هذا الإشفاق ليس شعوراً فردياً بل شعوراً إنسانياً

عاماً (٤) . ومن هذه الناحية يقول أحد الدارسين أن جوقة المأساة الاغريقية

يوصفها تمثل القاعدة العريضة من المشاهدين ، أو الرأى العام ويوصفها

قريبة من الأحداث الجارية على منصة التمثيل ، فإن ردود أفعالها المتمثلة في

احساسها بالشفقة والخوف ستكون موازية لردود أفعال المشاهدين

واحساسهم بالتطهير (٥) .

أما الرأي المفاير فيتزعمه "إيلس" إذ يقول إن هذا التطهير لا ينصب على المشاهد (أو القارئ) بل هو ينصب على الشخصية المساوية ، لأن عرض سلسلة من الأحداث المساوية أمام المشاهد تثير في نفسه الخوف والشفقة نحو الشخصية المساوية وما تعرضت له ، عندئذ يشعر أن هذه الشخصية قد غدت طاهرة *καθαροῦ* من أفعالها الأثمة (٦) .

ويحسن قبل الإسهام برأينا - المتواضع - في هذا الخلاف ، حول تحديد متلقي التطهير ، أن نعمن النظر في فقرة أخرى من "فن الشعر" تتحدث عن شعوري الخوف والشفقة أيضاً ، اللذين ينتابان المشاهد ويؤديان ، لا إلي التطهير كما في الفقرة السابقة وإنما ، إلي المتعة ؛ يقول أرسطو :

" Ἐπεὶ δὲ τὴν ἀπὸ ἑλέου καὶ φόβου διὰ μιμήσεως
δοῖ ἡδονὴν παρασκευάζειν τὸν ποιητὴν, φανερόν
ὡς τοῦτο ἐν τοῖς πράγμασι χρησιμότερον ποῖα οὖν
δοῖν ἢ ποῖα οὐκ ἴσθαι φαίνεται τῶν συμπαινετῶν λόγων."^(٧)

ونظراً لأنه من واجب المؤلف أن يحقق المتعة الناجمة من الشفقة والخوف عن طريق المحاكاة ، لذا يتضح أن ذلك متضمن في بنيان الأفعال . وعلي ذلك دعونا نقرر ما الذي يبدو مثيراً للشفقة أو الخوف بالنسبة للمشاهدين .

وليس خافياً أن هذه الفقرة تثير عدة مشاكل ، إذا ما قورنت بسابقتها ، فهي تبين أن واجب الكاتب تحقيق المتعة - لا التطهير - وأن الشفقة والخوف

يثيران المتعة - لا التطهير - وأن المشاهد يشعر بتلك المتعة . ولعل من الأصوب أن نتناول بالمناقشة ما تنفق حوله الفقرتان قبل أن نتناول ما تختلفان فيه . تتفق الفقرتان في ضرورة توفر شعوري الشفقة والخوف سواء أديا إلى تطهير أم متعة .

نلاحظ أن أرسطو قد حدد مبعث هذين الشعورين : الخوف (٨) والشفقة في عبارة صريحة نقول " الشفقة لمن لا يستحق (التعاسة) أما الخوف فمن أجل المماثل (لنا) " :

" ἔλαος μὲν περὶ τὸν ἀναξίον, φόβος δὲ περὶ τὸν ὁμοίον " (٩)

أما الشخصية التي يثير مصيرها الخوف والشفقة فلها طبيعتها المحددة ، فهي في رأي أرسطو يجب ألا تكون خيرة تماماً أو شريرة صرفة بل في منزلة بين هاتين المنزلتين ، وأن تحل بها المصائب وتتردى في هوة الشقاء واللوم فيها أو خسة بل لسوء تقدير أو عثرة رأي كبيرة أو خطأ $\mu\epsilon\tau\epsilon\alpha$ (١٠) ، غير متعمد قد وقعت فيه . ومعني ذلك أن إثارة الشفقة هي نتيجة لما حل بالشخصية الرئيسية من آلام وشقاء لاتستحقها $\alpha\nu\alpha\delta\epsilon\iota\sigma$ ، أما الخوف فلأن هذه الشخصية شبيهة بنا $\mu\epsilon\sigma\epsilon\mu\epsilon\delta\epsilon$ ، أي أنها تماثل الإنسان تماماً في جميع النواحي والوجوه سلوكاً وفعلاً . ولهذا فإننا نشعر بالخوف عندما نتصور أنفسنا في نفس موقفه .

ولدينا من بين شخصيات المأساة الإغريقية -- مثالان يلقيان الضوء علي هذه النقطة بالتحديد ، وهما أويدييوس - في مأساة أويدييوس ملكاً - وكليتمسترا في مأساة أجاممنون . فنحن نشعر بالخوف والشفقة إزاء مصير أويديب الأليم لأنه ناجم عن خطأ غير مقصود ، ولأننا نشعر بأننا

قريبين منه ، وأنا عرضة لتجربته ، بينما لا تثار فينا تلك المشاعر تجاه مصير كليتمنسترا القاسى لأن خطأها متعمد ، أى أن جزأها من أصل عملها ، فضلاً عن إننا نشعر بأننا لا نشترك معها في صفاتها ، بل نشعر بأننا بعيدون عنها .

ويعد أن بيّنا مبعث شعوري الضوف والشفقة - في رأى أرسطو -
ننتقل إلى تناول إحدى المشكلات التي تثيرها فقرة ارسطو السابقة وهي أن
الخوف والشفقة يؤديان إلي الشعور بالمتعة (١١) . ولتوضيح هذه الإشكالية
نقول أن البكاء رغم كونه شيئاً مؤلماً ، فإنه - في بعض الأحيان - مدعاة
للإحساس بالمتعة ، أو الإرتياح ، إذا كان استجابة لآلام جسمانية أو نفسية ،
فاخيلْيوس ، علي سبيل المثال ، قد شعر بالمتعة ، أو بالإرتياح ، عندما
انخرط في البكاء بعد مصرع صديقه الحميم باتروكلوس (١٢) . ويقول
اقلاطون أن مشاهد المأساة الإغريقية يشعر بالمتعة عندما يدفعه الخوف إلي
البكاء (١٢) .

إنطلاقاً من ذلك المفهوم ، هل يتعارض معنى التطهير مع المتعة ؟ . إن
التطهير يتفق - في تقديرنا - مع المتعة في أنه نوع من الإحساس بالراحة
أو الخلاص مما يعتري النفس من نوازع أئمة ، وليس التطهير من الجريمة .
فالشخصية المأساوية مصيرها محتوم بمعنى أنها فيما تقوم به أو تعانيه من
أحداث في المأساة ليست إلا جزءاً من التراث الذي حدد مصيرها قبل أن
تتناولها المأساة . ومن هنا فإن الشخصية المأساوية لا تطهر ولكنها فيما تقوم
به أو تعانيه تُشعر الغير بالراحة أو الخلاص - بالتطهير أو المتعة - وهذا
الغير ليس إلا جمهور المشاهدين .

ولما كان التطهير أو المتعة يتحققان عن طريق الخوف والشفقة وهما شعوران يُثاران في نفس المشاهد أو القارئ، كما قدمنا ، فإن المشاهد أو القارئ - وليس البطل المأساوي - هو الذي يحظى بالتطهير أو المتعة ، فذلك أقرب إلي طبيعة المأساة باعتبارها فناً إنسانياً مرتبطاً بقضايا الإنسان (١٤) ، والمجتمع (١٥) . كما أن المأساة لا تهتم بالشخصيات كأفراد فحسب ، وإنما الشخصيات في الشعر - ومنه المأساة - رموزاً لنماذج إنسانية كلية (١٦) ، أي نماذج إجتماعية .

فإذا كان التطهير لا يختلف عن المتعة بالمفهوم الذي قَدَّمْتُهُ ، فهل يمكن القول أن وظيفة المأساة هي التطهير أم المتعة ، أم الاثنين معاً ؟ . لعلنا نذكر أن أرسطو يقول في الفقرة الأولى (١٧) أن وظيفة المأساة هي تحقيق التطهير ، ثم يقول في الفقرة الثانية (١٨) ، أن واجب المؤلف تحقيق المتعة ، فهل يوجد اختلاف بين العبارتين سواء في استخدام كلمة المأساة مرة والمؤلف مرة أخرى في حين إنهما يدلان على شيء واحد ، أو هما وجهان لعملة واحدة .

ونضيف إلى ما تقدم - عن التطابق بين التطهير والمتعة - دليلين أرسطيين آخرين أحدهما من كتابه الأخلاق النيقوماخية (١٩) ، حيث يقول أن الفعل الجاد *σπουδαίος* يحقق المتعة ، ثم يقول في فن الشعر أن المأساة - التي يصفها بأنها محاكاة لفعل جاد - تحقق التطهير (٢٠) .

أما الدليل الآخر فنجده في السطور الأخيرة من كتابه فن الشعر حيث يقول ، في حديثه - مرة أخرى - عن وظيفة المأساة ، " يجب أن تحقق (المأساة) المتعة " *δὲ τῆς ἡδονῆς ποιεῖν* (٢١)

وأخيراً أرجو أن أكون قد أسهمت في إجلاء وظيفة المأساة بوصفها فناً إنسانياً إجتماعياً يصور أحداثاً منسأوية من شأنها أن تثير إنفعالات المشاهد أو جمهور المشاهدين وهم المواطنون الأغررق الذين كانوا يفشون المسرح الأغررقى مدفوعون بعقيدتهم الدينية وتعلقهم بالتراث البطولي لمشاهدة ماقام به أبطالهم وماقاسوه من أحداث منسأوية حيث تحقق لهم المشاهدة تطهيراً أو متعة من نوع خاص ، وهذه هي وظيفة المأساة الحققة التي تهز النفوس بمحاكاتها للفعل وتعمل عملها فيها بغير طريق الوعظ والإرشاد .

حواشي البحث

Arist., Poet., 1449 B. 27 - 28. (١)

(٢) - تمت بإضافة بعض الكلمات بين الأقواس محاولة إجلاء الغموض عن هذه العبارة التي اختلف الدارسون في ترجمتها . ففي ترجمة " بوتشر " :

Butcher, S. H., Aristotle's theory of Poetry and Fine Art, with a Critical Text and Translation of The Poetics, Fourth Edition (London, 1907), p. 240.

نقرأ قوله :

"Through pity and fear effecting the proper "Katharsis", or purgation of these emotions".

ويتضح من ترجمته أن التطهير عنده " من هذه المشاعر " أي من الخوف والشفقة ، في حين أن هذين الشعورين هما أدوات تحقيق التطهير ، كما سنوضح فيما بعد .

أما في ترجمة " إيلس " :

Else, G. F., Aristotle's Poetics : The Argument (Cambridge Univ. Pr., 1957), p. 221.

فنقرأ قوله :

"Through a course of events involving pity and fear, the purification of these painful or fatal acts which have that quality".

ونحن نميل إلى ترجمة " إيلس " في ربطه بين شعوري الخوف والشفقة وبين الأفعال ، ومما يدعم موقفنا أن أرسطو - نفسه - يعبر

عن هذه النظرة في أكثر من فقرة من فن الشعر ، ففي فقرة ١٤٥٢
١ - ٤ يقول : " إن المأساة محاكاة لأفعال تتضمن الخوف والشفقة "
، وفي فقرة ١٤٥٢ ب ٣١ - ٣٢ يقول : " يجب أن تكون (المأساة)
محاكاة تتضمن خوفاً وشفقة ، لأن هذا هو الغرض من المحاكاة التي
من هذا النوع " ، وفي فقرة ١٤٥٢ ب ١ - ٧ يقول : " إن هذين
الإنفعالين يوجدان في بنيان الأفعال وحده " .

وجدير بالذكر أن أرسطو قد تناول موضوع التطهير في كتابه
السياسة (Polit., 8. 1449B 32ff) غير أنه ربط بينه وبين الموسيقى
بوصفها تثير مشاعراً تؤدي إلى تحقيقه .

Golden, L., "Catharsis" TAPHA, 93, 1962, pp. 51 - 60. (٢)

....., " The Clarification Theory of Katharsis",
Hermes, 104, 1976, pp. 437 - 452.

Somville, P., Essai Sur La Poétique D'aristote (Paris, 1975) 78
- 95.

Bennet, K., "The Purging of Catharsis, British Journal of
Aesthetics, 21, 1981, pp. 204 - 213.

(٤) - إبراهيم (د. محمد حمدي) ، دراسة في نظرية الدراما الإغريقية
(دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٧) ص ٢١ ، ٩٨ .

Butcher, S. H., op. cit, pp. 262 - 263 & 266 - 267.

Hirsh, Eric. D., "Privileged Criteria In Literary Evaluation"
Problems of Literary Evaluation, Ed. Joseph Strelka
(Univ. Park, Pa : Pennsylvania St. Univ. Pr., 1909)
p. 32.

Robertson, Durant. W., A preliminary survey of The Controversy Over Aristotle's Doctrine of Tragic Catharsis (Chapel Hill : Univ. of North Carolina, 1937) pp. 182 - 183. (٥)

Else. G. F., op. cit., pp. 437 - 438. (٦)

Arist., Poet., 1453B 11 - 15. (٧)

(٨) - الخوف هنا لا يمثل الرعب والفرع ! إنه مجرد الشعور بالخشية . وهذا واضح من نقد أرسطو (Poet. 1453B 8 - 10) الذي يوجهه إلى الشعراء الذين يهدفون إلى إثارة الخوف عن طريق المشاهد المرعبة. *Εὐκρίτης* حيث يقول أن مثل هؤلاء الشعراء ليسوا شعراء مأساة علي الإطلاق .

Arist., Poet., 1453A 5 - 6 . (٩)

Ibid., 1452B 34 - 38, 1453A 17 - 18. (١٠)

وقد عرف أرسطو هذا اللفظ في مؤلفين آخرين :

(Rhet., 1374B 16, E. N., 1135B 12, 18.)

بأنه "خطأ لا يصدر عن شر متعمد" بمعنى أن صاحبه ليس شريراً بطبعه .

ويري بعض الدارسين المحدثين أن ذلك اللفظ يعني الجهالة أو الاخفاق في الإدراك السليم . انظر :

Wimsatt (William. K.) & Brooks (Cleanth). Literary Criticism, A short History (New York, 1957) p. 39.

Else. G. F., op. cit, pp. 383 - 384.

- (١١) - راجع حاشية ٧ .
- (١٢) Hom., IL. 24. 513.
- (١٣) PL., Philebus, 47E - 48A.
- (١٤) - يذكر باورا (Bowra, C. M., Landmarks in Greek Literature, Pelican, 1966) p. 201
- أن المأساة تبحث في قضايا السلوك الإنساني .
- (١٥) - حول صلة فن المأساة بالمجتمع انظر :
- Snell, Bruno, Poetry and Society, The Role of Poetry in Ancient Greece (Indian Univ. Pr., 1961) pp. 72 - 90.
- (١٦) Arist., Poet., 1951B 8 - 10.
- ويعتبر استخدام القناع في المأساة الإغريقية القديمة دليلاً واضحاً على عموميته ، ويعدّها عن تصوير الشخصيات كأفراد جزئيين ، انظر :
- Bowra, C. M., Op. cit., p. 157.
- (١٧) - انظر حاشية ١ .
- (١٨) - انظر حاشية ٧ .
- (١٩) Arist. E. N., 1174B 20 - 23.
- (٢٠) Arist. Poet., 1449B 24 - 28.
- (٢١) Ibid., 1462B 13.

أحوال برقة وطرابلس في أوائل العصور الوسطي
(٢٨٤ - ٤٥٥ م)

دكتور

ابراهيم خميس ابراهيم سلامة
استاذ تاريخ العصور الوسطي المساعد
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



قبل أن نشرع في الحديث عن احوال كل من برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الخامس الميلادي ، يجب التنويه إلى ما ذكرته المصادر عنها خلال هذه الفترة وإلى ما اشار إليه المؤرخون عن هذه المنطقة. إذ تشير المصادر إلى أن المنطقة الشمالية من القارة الافريقية المعتدة من غربي مصر حتى ساحل المحيط الاطلنطي كانت تعرف باسم ليبيا^(١) أو افريقيه الشمالية^(٢) ، وتذكر بعض المصادر أن ليبيا كانت تنقسم إلى منطقتين هما : ليبيا الشرقية وتضم منطقة برقة، وليبيا الغربية وتمتد من طرابلس حتى ساحل المحيط^(٣).

-
- Theophanes, *Chronographia*, cf. P.G.M. (١)
 Tom. CV111, Paris, 1863, P.30 b;
 Cantacuzenus, *Chronicom*, cf. C.S.H.B., Bonn,
 1882, P.18;
 Excerpta Edixippo, *Historiorum Reliquiae*, cf.
 C.S.H.B., Bonn, 829, p.15
 Procopius of Caesarea, *The Anecdota or* (٢)
Secret History. Tr. H.B.Deving, London, 1969, P.11;
 Zosimus, *Commentarus Historicus* cf.C.H.S.B.,
 Bonn 1837, P.17.
 Merobaudes et Corippus, *Panegurici Reliquiae*, cf C.S.H.B.,
 Bonn, 1845, P.8;
 Michael Clycos, *Annalium*, cf.C.S.H.B, Bonn, 1836, P.126;
 Georgius Cederenus, *Historiarum Compendium*, cf.P.G.H.
 Tomcxi1,Paris, 1864, P.66
 Theophanes, *op.cit*, P.430; (٣)
 Excerpta Edixippo. *Ibid*;
 Georgius Monchus Hamartolus, *Chroicon*, cf.p.G.M.
 Tom. CX,Paris, 1863, P.803.

ولا نجد تفسيراً لهذا التقسيم سوى أنه تقسيماً إدارياً فحسب لم
يجر إلا في منتصف القرن الخامس الميلادي تقريباً . إذ ظلت كل من
برقة وطرابلس مرتبطتان إدارياً منذ عام ٢٨٤ م حتى عام ٤٤٢^(١) .

ولم تكن النظم الإدارية وحدها هي التي تربط كل من برقة
وطرابلس، وإنما جمعتهما وحدة الطبيعة^(٢)، ووحدة العادات والتقاليد
للعنصر البشري الذي عاش فيهما^(٣) . إذ كانت القبائل الموربة تقطن
المنطقة الصحراوية الشاسعة التي تقع بها كل من برقة
وطرابلس^(٤) . هذا بالإضافة إلى أن الأحوال الدينية والاقتصادية
والعسكرية في كل منهما تكاد تكون متشابهة^(٥) . لكل هذه الأسباب
رأينا دراسة أحوال كل من برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتى
منتصف القرن الخامس الميلادي، على أساس أنهما يمثلان وحدة واحدة
لم تكن بينهما أية حواجز، وأنهما يعتبران امتداداً طبيعياً لحدود مصر
من جهة الغرب^(٦) .

(١) انظر ما يلي عن النظام الإداري في كل من برقة وطرابلس.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية (د.ت)، ص ٩٤-٩٨.

(٣) شارل اندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، تحرير محمد مزلي، ٥٠ البشير بن سلامة، تونس
١٩٦٩م، ص ١٢.

(٤) Zosimos, Op.cit., P. 66. (٤)

(٥) انظر ما يلي عن هذه النظم في كل من برقة وطرابلس.

(٦) حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ البيزنطية، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٧٨.

وعند الإشارة إلى النظام الإداري في برقة وطرابلس في عهد الإمبراطور دقلديانوس (Diocletian 284 - 305 م) نجد أنهما كانتا يشكلان معاً مقاطعة واحدة من ثمانى مقاطعات^(١) تتكون منهم ولاية أفريقيا^(٢)، وكانت تعرف باسم مقاطعة طرابلس، وتضم عدة مناطق Tractus هي لوبيه، ومراقبه، وأريا، ولبيده، وصبره، كما انقسمت هذه المناطق بدورها إلى عدة وحدات Regiones هي سرت، والبطنان، والجبل الأخضر، وبرقة الحمراء، وكانت كل حدة تنقسم إلى عدد من القري^(٣).

وكان على رأس هذه المقاطعة موظف إداري يعرف باسم رئيس الأبروشية^(٤) وله نائب وديوان للإدارات المختلفة^(٥) المالية والقضائية والمحفوظات والإنشاء.

(١) Theophanes, Op. cit., P. 306.

(٢) المقاطعات من تريبوليتانا Tripolitana (طرابلس)، وموريتانيا-تيفنيس Mouretania Sitifinsis، وموريتانيا-سيزار نيس Mouretania Caesariensis، ونوميديا Numidia، وموريتانيا-تنجيتانا Mouretania Tingitana، وبيزا Byzacena، وزيوجيتانا Zeugitana (زهران) نظر:

Bury, J., History of the latter Roman Empire, 2 Vol., New York, 1985, Vol. 1, P.255.

(٣) سعد زغلول: المرجع السابق، ص ٩-٩، شارل لندري، المرجع السابق، ص .

(٤) Zsimus, Op. cit., P. 17.

(٥) Theophanes, Ibid.

كما كان يتراًس عدداً كبيراً من الموظفين المدنيين، وكنت مهمة هذا الجهاز الادارى تقدير الضرائب وجمعها، وممارسة أعمال القضاء، وإرسال الضرائب إلى حاكم ولاية افريقية فى قرطاج تمهيداً لإرسالها للإمبراطور^(١).

وكانت مدينة طرابلس هي عاصمة هذه المقاطعة ومقر الحاكم الادارى وجهازه من الموظفين، وكان لهذه العاصمة مجلس بلدى Ordo-Decurionum تمثل الطبقة الارستقراطية فى طرابلس معظم أعضائه، وكان يرأسه اثنان من الموظفين الاداريين يتم انتخابهما كل عام بواسطة أعضاء المجلس^(٢).

أما عن المناطق، فكان على رأس كل منطقة موظف ادارى يساعده مجلس للشورى يتكون أيضاً من الطبقة الارستقراطية التى تعيش داخل هذه المنطقة وكان مسئولاً عن المحافظة على النظام فى منطقتة، وتقديراً للضرائب وجمعها وأعمال القضاء^(٣).

Zosimos, Op. cit., PP. 71, 95, 98 (١)

Theophanes, Op. cit., p. 308 (٢)

Zosimos, Op. cit., P. 95. (٣)

وكان على رأس كل وحدة من الوحدات الادارية موظف أقل مرتبة من حاكم المنطقة، ويساعده مجلس يتكون من شيخ هذه الوحدة^(١).

وطبقا لسياسة الإصلاح التي وضعها الإمبراطور دقلديانوس، والتي كان من أهم معالمها فصل السلطة المدنية عن السلطة العسكرية^(٢) لم يقم هؤلاء الموظفون بنشاط حربي طوال عهد الإمبراطور دقلديانوس رغم التهديدات التي تعرضت لها المقاطعة نتيجة لغارات القبائل البدوية. إذ تشير بعض المصادر البيزنطية إلى أن هذه القبائل شنت الغارات على المناطق الزراعية في العام الخامس عشر من عهد الإمبراطور دقلديانوس، وحدثوا كثيراً من الاضطرابات مما أزعج نظيره مكسيميان Maximian ، فقاد الجيش النظامي للإمبراطورية، ورافقه القائد رومينوس Ruminus ، ولجح في القضاء على تمرد هذه القبائل. ورغبة من مكسيميان في إجبار هذه القبائل على الاخلاص للسكينة، أتفق مع شيوخهم على الصلح^(٣) . ولكن بمجرد رحيل الإمبراطور والجيش عادت هذه القبائل إلى شن الغارات واحداث الشغب، ولذلك أطلقت عليهم بعض المصادر اسم

Zosimos, Op. Cit., P. 79;

(١)

Theophanes, op. Cit., p. 306.

Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, Oxford, 1956, P.31.(٢)

(٣) لم نشر المصادر إلى شروط هذا الصلح.

Pacati اى ناقضى السلام^(١).

علي أية حال استمر هذا النظام الأدارى فى مقاطعة طرابلس منذ عهد الإمبراطور دقلديانوس حتى عهد الإمبراطور ثيودسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨ - ٤٥٠)^(٢)، وفى الوقت نفسه استمرت غارات البدو علي المناطق الزراعية خلال هذه الفترة^(٣) مما جعل حاكم مقاطعة طرابلس يجمع بين السلطين المدينة والعسكرية^(٤).

ولم يكن جمع السلطين فى يد الحاكم هو التغير الوحيد الذى طرأ على هذه المقاطعة ، وانما أدت المعاهدة التى عقدها. فالنشان الثالث Valentinian III امبراطور القسم الغربى من الأمبراطورية الرومانية (٤٢٥ - ٤٥٥ م) مع الوندال عام ٤٤٢ م^(٥) إلى نتائج مؤثرة على التقسيم الاداري فى كل من برقة وطرابلس. إذ انسلخت

Meroboudes, Op. cit., P. 225; (١)

Theophanes, Op. cit., P. 306.

Zosimos, Op. cit., P. 98; (٢)

Theophanes, Op. cit., P. 308.

Meobaues, Ibid. (٣)

Babour, N., A Survey of North Africa, New York, 1959, PP. 10-11. (٤)

(٥) المزمع من التفاصيل عن هذه المعاهدة:

محمد حيد عمران: مملكة الوندال فى شمال افريقيا، الاسكندرية ١٩٨٥، ص ٣٣-٣٦، وأيضاً:

Gibbon, E., The history of the Decline and Fall of the Roman empire, 7Vols, London, 1925, Vol. III, PP. 481-484;

Lot, F., The end of the Ancient world and the Beginning of the Middle age, London, 1931, PP.207-210.

برقة عن مقاطعة طرابلس واصبحت تمثل مقاطعة قائمة بذاتها ضمن ولاية مصر^(١)، بينما تطلع الوندال إلى السيطرة على طرابلس حتى نجحوا في عام ٤٥٥ م من الاستيلاء عليها^(٢).

أما عن النظام الحربي، فقد كانت كل من برقة وطرابلس مركزا للفرق العسكرية المعروفة بجيش الأطراف أو الحدود *Limitanei* الذي يقوم أفراده بزراعة الأرض التي يحوزنها كترع من الأقطاع العسكري، وترتبط أحقيتهم في ملكية هذه الأرض بأداء الخدمة العسكرية، ويسمح لأبنائهم أن يرثوا هذا الأقطاع بشرط أدائهم للخدمة الحربية. وقد تمتع أفراد هذا الجيش بالإعفاء من دفع الضرائب والالتزامات البلدية عندما يبلغ أحدهم سن الأربعين ويتم إعفاؤه من الخدمة^(٣).

وكانت مهمة جيش الأطراف حراسة الحدود، والمناطق الحصينة التي شيدت بالقرب من المناطق الزراعية لحماية لها من غارات البدو^(٤)، وكان يتولى قيادة هذا الجيش في مقاطعة طرابلس أحد

(١) محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ مصر البيزنطية، الإسكندرية ١٩٩٤، ص ٤٩.

(٢) محمود حميد عمران، المرجع السابق، ص ٢٩.

Zosimos, Op.cit., P. 98; (٣)

Theophanes, Op. cit., P. 225.

Merobaudes, Op. cit., P. 225. (٤)

القادة العسكريين الذي يعينه دوق ولاية افريقيا: (١)

والى جانب جيش الاطراف في مقاطعة طرابلس كانت هناك فرق عسكرية أخرى منها الفرق المحالفة من قبائل الموريين (٢). اذ لجأت الأمبراطورية البيزنطية إلى ما يعرف بنظام المحالفة أو المعاهدة، ويعني التحالف مع الشعوب التي تعيش على أطراف حدود الأمبراطورية، حيث ارتبط هؤلاء المحالفين بمعاهدة تحالف مع الأمبراطورية تعهدوا فيها بحماية انفسهم وحماية حدود الأمبراطورية في مقابل إعفائهم من الضرائب أو الاتاوات، وتطور الأمر إلى أن أصبح هؤلاء المحالفين يحصلون على أموال من الأمبراطورية مقابل أداء هذه الخدمات. (٣)

ومن الفرق العسكرية التي وجدت أيضا في مقاطعة طرابلس فئة من الجنود المأجورين الذين كانوا بمثابة حرس خاص لكبار الموظفين أو بعض ملاك الاراضي الزراعية، ولم تكن هناك صلات تربطهم بالجيش أصلا حتى قام الاقطاعيون وسادة هؤلاء الجنود بعرض خدماتهم

Zosimos, Op. Cit, P. 98. (١)

Joannes Zonaras, Annalium, cf. P.G.M., Tom. Cxxxiv, Paris, 1864, (٢)
P. 62.

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص ٧١.

Zosimos, Ibid. (٤)

على الدولة مقابل حصولهم على بعض الأموال^(١).

وعن الأحوال الدينية في كل من برقة وطرابلس، نجد أن انتشار المسيحية في هذه المنطقة كان بطيئا ومحدودا^(٢)، ولعل هذا الأمر يرجع إلى ابتعاد برقة وطرابلس عن مراكز نشر المسيحية في مصر وقرطاج، وقلة عدد رجال الدين الذين توجهوا إلى المراكز العمرانية في المنطقة للتبشير بالمسيحية، وصعوبة ملاحقة القبائل البدوية في هذه الصحراء الشاسعة، هذا بالإضافة إلى اضطهاد الرومان لاتباع المسيحية في المرحلة الأولى قبل عهد الأباطور قنسطنين.

ومهما يكن من أمر فقد بدأت المسيحية تشق طريقها إلى هذه المنطقة في أواسط القرن الثالث الميلادي نتيجة لجهود احد القديسين ويدعى سيبريان St Cyprien. إذ نجح في آتئاع بعض الأفراد باعتناق المسيحية خاصة عددا من الجنود في جيش الاطراف. بيد أن هؤلاء المسيحيين بدأوا يتعرضون للاضطهاد من السلطات الرومانية الحاكمة وبلغ هذا الاضطهاد ذورته في عهد الإمبراطور دقلديانوس مما دفع الكثيرين منهم إلى الأرتداد عن دينهم^(٣).

(١) محمد محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص ٢١.

(٢) Merobaudes, Op. cit., P. 42.

(٣) Theophanes, Op. cit., P. 313.

وبعد أن اعترف الإمبراطور قنسطنطين Constantine (305 - 337م) بالمسيحية كاحدى الديانات الرسمية في الإمبراطورية^(١)، عادت المسيحية إلى الانتشار في برقة وطرابلس إذ شيدت بعض الكنائس في المدن الرئيسية التابعة لهذه المقاطعة، وظهرت في هذا المجتمع طبقة جديدة من رجال الدين سواء كانوا من الاساقفة أو القساوسة أو الشمامسة، وبدأت المدارس الدينية الملحقة بهذه الكنائس في تعليم الصغار كي يصبحوا مؤهلين لتقلد الوظائف الدينية^(٢).

وعلى الرغم من انتشار المسيحية انتشاراً حثيثاً خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين إلا أن رجال الدين في برقة وطرابلس واجهوا كثيراً من الصعوبات بسبب الاختلافات التي بدأت تلوح في الأفق، ومنها كيفية معاملة الأفراد المرتدين عن الدين زمن الاضطهاد، بالإضافة إلى الاختلافات المذهبية^(٣).

(١) Vasiliev, A. A., History of the Byzantine Empire, 2 Vols, Univer. of Wisconsin Press, 1961 - 1962, Vol. I, P. 52.

Theophanes, Op. cit., P. 310.

(٢)

(٣) عن هذه الاختلافات انظر: شارل اندري، المرجع السابق، ص 288 - 290. سعد زغلول عبد

المعبد: المرجع السابق، ص 66.

أما عن الأحوال الاقتصادية، فقد كانت حرفتى الزراعة والرعى
تمثلان عماد النشاط الأقتصادي في كل من برقة وطرابلس. إذا
انتشرت الزراعة في السهول الساحلية المطلّة على البحر المتوسط،
وفي الواحات ولا سيما واحة برقة.

واعتمدت الزراعة في هذه المناطق على مياه الآبار والأمطار
التي يتم تخزينها في خزانات تبنى تحت مستوى سطح الأرض لتتجمع
بها هذه المياه، ثم يتم رفعها بواسطة أنابيب لرى الأراضى
الزراعية^(١).

وكانت لأراضى الزراعة في بداية الامر ملكا للدولة أو
الأمبراطورية ثم حدثت تطورات هامة على ملكية هذه الأراضى في
أواخر القرن الثالث الميلادى. إذ شاع حق ملكية الأراضى للأفراد منذ
عهد الإمبراطور دقلديانوس، وتقرر تأجير أو بيع هذه الأراضى بشرط
أن يقبل المشتري أن يتحمل مسئولية تسديد ما عليها من التزامات
وضرائب^(٢).

Michael Clycas, Op. cit., P. 126. (١)

Zosimos, Op. cit., P. 21. (٢)

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص ٥٥.

وكانت أهم المحاصيل التي تزرع في هذه المناطق هي الحبوب من القمح والشعير، وأشجار الزيتون، وبساتين الكرم والتين إلى جانب النخيل (١).

وكانت هذه المحاصيل تمثل أساس النشاط الإقتصادي في هذه المناطق (٢). اذ كان انتاج الزيتون والكروم والتين والنخيل يفيض عن حاجة السكان، ومن ثم قامت عليها صناعات مختلفة منها تجفيف التين والكروم والتمر، وصناعة النبيذ، وزيت الزيتون.

وإلى جانب هذه الصناعات، عرف سكان برقة وطرابلس بعض الصناعات البدائية الأخرى. لا سيما صناعة الأواني الفخارية، وصناعة المنسوجات (٣).

أما عن الرعي، فقد عاش البدو الرعاء حياة التنقل بين أراضي العشب والمراعى المعتدة في هذه الصحراء لرعي الأغنام والماعز، والابل

(١) Michael Clycas, Op. cit., P 126

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) Michael Clycas, Op. cit., P. 42;

Zosimos, Op. cit., PP. 77, 91

والخيرول للاستفادة من لحومها والبانها ووبرها، والمتاجرة فيها. وقامت على هذه الحرفة أيضا بعض الصناعات منها صناعة منتجات الالبان، وغزل الصوف لصنع الملابس، وايضا صناعة الخيام من جلود الماعز^(١).

وبالنسبة للتجارة، فقد كان التين، والزيتون وزيتهم أهم السلع التجارية لهذه المناطق^(٢)، ولم تزدهر التجارة في برقة بسبب قلة المنتجات التجارية من جهة، ومن جهة أخرى أدت غارات البدو المتكررة على المدن الرئيسية التي تعثر التجارة بها.

أما عن الضرائب فلقد تدخل أعضاء المجالس البلدية في توزيع قيمة الضرائب على الوحدات، وجباتها تنفيذا لاوامر الإمبراطور كل عام. إذ لم يكن مقدار الضريبة المطلوبة ثابتا، وإنما يجرى تقديره كل عام بمقتضى أمر إمبراطوري بناء على التقارير التي يرفعها مندوبون عينوا لهذه المهمة^(٣).

Joannes Zonaras, Op. cit., P. 246.

(١)

Zosimos, Op. cit., P. 91.

(٢)

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ : المرجع السابق، ص ٩١.

وكان تقدير الضرائب على الاراضى الزراعية يختلف من منطقة إلى أخرى حسب خصوبة تربتها وكيفية رباها ، ومساحتها، وجري جباية ضريبة الارض عينا، اما الضريبة التي فرضت على الإبل، والحمير، والماعز، والخيول، فكان يتم تقديرها حسب اعدادها، وتدفع تقديده (١).

أما عن الأحوال الاجتماعية، فقد انقسم سكان المناطق فى بركة وطرابلس إلى فئتين رئيسيتين هما البدو والحضر، ولم تكن الفوارق الطبقة واضحة بين سكان البادية، بينما ظهرت بوضوح فى مجتمع الحضر الذى استقر بالقرب من المناطق الزراعية، لا سيما بين الطبقة الارستقراطية التي امتلكت الأراضى الزراعية، وطبقة الزراع الذين كانوا يعملون فى هذه الاراضى. إذ عاشت الطبقة الاولى حياه ناعمة داخل المنازل الفخمة والقصور، بينما عانت طبقة الزراع من قسوة المعيشة، وعاشوا داخل بيوت متواضعة (٢) ، وأن كانت حياتهم افضل بكثير من البدو الرحل الذين نظروا بعين الحسد إلى مجتمع الحضر ، وظلوا يشنون الغارات المتتالية على المناطق الزراعية.

(١) Zosimos, Op. cit., PP. 71. 294 .

(٢)

Theophanes, Op. cit., P. 308.

وبختم حديثنا عن هذه المنطقة بالإشارة إلى النشاط العمراني في برقة وطرابلس. إذ شيدت المنشآت المعمارية كالحمامات والمسارح والملاعب في كثير من المدن الرئيسية التابعة لمقاطعة طرابلس، وبنيت المنشآت الدينية كالمعابد والكنائس والمدارس في هذه المناطق، هذا بالإضافة إلى المنشآت العسكرية كالقلاع والحصون عند أطراف الحدود، وبالقرب من المناطق الزراعية لحمايتها من غارات البدو، كما تم تعبيد الطرق لسهولة انتقال الفرق العسكرية إلى مناطق الخطر الذي يهدد المنطقة^(١).

هذا عرض لاهم ملامح المجتمع الليبي في كل برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الخامس الميلادي.

Georgius Cedrenus, P. 954.

(١)

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

أولاً: بيان المختصرات التي وردت في الحواشي:

C. S. H. B : Corpus, Scriptorum Historiae
Byzantinae.

P. G. M. : Patrologia Graeca Ed Migne.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

Cantacuzenus, Chronicom, cf. C. S. H. B.,
Bonn, 1882.

Excerpta Edixippo, Historiarum Reliquiae cf.
C.S.H.B., Bonn, 1829.

Georgius Cederenus, Historiarum Cmpendi-
um, cf.P.G.M.Tom. CXX1, Paris,
1846.

Georgius Monchus Hamartolus, Chroicon, cf. P.
G. M., Tom. Cx, Paris 1863.

Joanes Zonaras, Annalium, cf. P.G.M., Tom
Cxxxiv, Paris, 1864.

Merobaudes et Carippus, Pangurici Reliquiae
cf. C. S. H. B., Bonn, 1845.

Michael Clycos, Annalium, cf. C. S. H. B., Bonn,
1836.

Procopius of Caesarea, The Anecdota or Secret.
History, Tr. H.B. Dewing, London,
1969.

Theophanes, Chronographia, cf. P. G. M., Tom.
CV11, Paris, 1863.

Zosimos, Commentorus Historicus, cf. C.S.H.B.,
Bonn, 1837.

ثالثاً: المراجع الاخرى

- Babour, N., A Survey of North Africa, New York, 1959.
- Bury, J., History of the Latter Roman Empire, 2 Vols, New York, 1985
- Gibbon, E., The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, 7 Vols, London, 1925.
- Lot, F., The end of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages, London, 1931.
- Ostrogorsky, G., History of the Byzantine state, Oxford, 1956.
- Vasilive, A. A., History of the Byzantine Empire, 2 Vols, Univer. of Wisconsin Press, 1961-1962.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة

حسين محمد ربيع (دكتور):

«دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية»، القاهرة ١٩٨٣م.

سعد زغلول عبد الحميد (دكتور):

«تاريخ المغرب العربي»، الاسكندرية (د . ت .).

شارل اندرى جوليان:

«تاريخ إفريقيا الشمالية»، تعريب محمد مزالي & البشير

أبن سلامة، تونس ١٩٦٩م.

محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور):

«تاريخ مصر البيزنطية»، الاسكندرية ١٩٩٤م.

محمود سعيد عمران (دكتور):

«مملكة الوندال في شمال إفريقيا»، الاسكندرية ١٩٨٥م.



أثر الظواهر الإيكولوجية والثقافية في اللهجة المغربية بفاس.

"دراسة في الأثروبولوجيا اللغوية"

مقدم من

د. منال عبد المنعم جاد الله

مدرس بمعهد دراسات البحر المتوسط

كلية الآداب جامعة الإسكندرية



أثر الظواهر الإيكولوجية والتأقية في اللهجة المغربية بفاس.

"دراسة في الأثر وبلوجيا اللغوية"

مُقَدِّمَةٌ

فضل الله الإنسان على سائر المخلوقات فميزه بالعقل والفكر وجهاز للنطق وحياء بأداة بيولوجية لتعلم أى لغة فى الوجود. (1)

فالطفل يولد بمجموعة كاملة من الأبنية المعرفية التى تسبق فى تطورها الأبنية اللغوية وبذلك يمتلك عمليات معرفية غير لغوية قبل أن يتعلم اللغة (2) للإنسان قدرة فطرية لتعلم أى لغة فى الوجود والمعانى توجد فى العقل ثم يأتى اللفظ المعبر عنها. وكل شيء لا نعرفه لا توجد فى لغتنا ألقاظ تعبر عنه ، فالشئ يوجد أولا ثم بعد ذلك يوضع اللفظ الذى يطلق عليه. (3)

ويؤكد ذلك الأبحاث التى أجراها تايلور عن الإشارات التى يصطنعها الصم والبكم فى معهد برلين ثم قارنها بتلك التى يستخدمها الصم والبكم فى إنجلترا ، ووجد تشابها كبيرا بينهما ، ثم قارن هذه الإشارات بتلك التى يستخدمها الهنود الأمريكيون فوجد تشابها كبيرا أيضا ، وبذلك قرر أن هناك قدرة خاصة لدى الإنسان على خلق العلامة وأن هذه القدرة أدت إلى اللغة المنطوقة. (4)

والعلامة الدالة Significant أو ذات المعنى على حد تعريف دوسوسير

تحلل إلى عنصرين الأول هو العنصر الصوتى أو الظاهر والثانى العنصر العقلى أو التصورى. والمعنى المتضمن فى العلامة هو " فكرة عن شئ " أو ما يتوارد فى

* أشكر الأستاذ الدكتور محمد عبد محجوب والأستاذ الدكتور طمس خليل لتفضلهما

بشمول هذا البحث برعايتهما وتوجيهتهما القيمة

دهس المتكلم أو السامع حين تظهر العلامة أو الإشارة وعلى ذلك تمثل العلامة الدالة الجانب المادى للغة ، أما العلامة المتضمنة فهي الجانب العقلى للغة والفصل بينهما فصل نظرى يهتم به المشتغلون بالنظرية اللغوية

أما فى الواقع وفى الحياة العملية فهذان المظهران لا ينفصلان وبطبيعة الحال الصوت الذى لا معنى له لا يعتبر إشارة أو علامة دالة لأنه لا يدل على شيء ولا يعنى شيئاً ، وبذلك لا يكون رمزا ولا يكون هناك تصور ما عنه والعلامات والإشارات لا تنكسر على اللغة بل يقصد بها كل المواقف والرموز غير اللفظية كالتصوير والرسوم وما إلى ذلك.

وهذا معناه أنه يمكن إعتبار كل شيء تقريبا فى حياتنا اليومية بمثابة العلامة أو إشارة مادام يمكن استخدامه لتوصيل رسالة ما أو للدلالة على شيء ما. فالزهور التى تنمو لا تعتبر علامة إلا إذا استخدمتها ثقافة ما فى شكل باقات ترسل للتهانى أو للعزاء وبذلك فهي تحمل رسالة ولها دلالة ومعنى.^(٥)

وعناصر الكلام - مثلها مثل العلامات والرموز هي مجرد أمور تحكيمية وليست فى ذاتها جزءا من الواقع أو التجربة التى يرمز إليها الصوت وهذه الرمزية التحكيمية التى تتميز بها الألفاظ تشير إلى الخاصية الإجتماعية للغة^(٦) والتى هي مجال اهتمام الأنثروبولوجيين من خلال تحليل المظاهر اللغوية وغير اللغوية السائدة فى مجتمع ما تحليلا دقيقا بالرجوع إلى السياق الإجتماعى لذلك فإن أى نص كلامى - ملفوظا كان أو مكتوبا - لا يوصل إلى معناه الحقيقى بدراسته وحده مستقلا عن الناحية الصوتية أو النحوية والمعجمية^(٧) فاللفظة قد لا تكون الوحدة الأولى للمعنى ولكنها الجملة ، فالجمل هي التى تنطق وتفهم والألفاظ ليست إلا مستخرجات من المعانى لذلك لا ينبغى أن ننظر للمعنى على أنه علاقة ثنائية بين اللفظ وما يشير

إليه.^(٨) بل على أنه مجموعة من العلاقات الوظيفية متعددة الأبعاد بين النغمة في الجملة وسيئات حدوثها^(٩)

واللغة بإختصار هي طرائق الكلام الشائعة في مجتمع ما ، والتي تخضع لنظام للمعاني خاص بها نظم تبعاً لمقدمات أو فروض أساسية معينة مما جعل من الصعوبة وجود مجتمعين يحوزان بدقة نفس طرق الكلام. لذلك فالعادات الكلامية تعلم وكذلك النشاط اللغوي طبقاً للنظام التقليدي السائد في أي مجتمع من المجتمعات.^(١٠)

فالكلام نشاط إنساني يختلف أيما اختلاف إذا إنتقلنا من مجتمع إلى مجتمع لأنه ميراث تاريخي محض للجماعة ونتاج الإستعمال الإجتماعي الذي إستمر زمناً طويلاً.^(١١) وجماعة المتكلمين جماعة من الناس يشتركون في ثقافة ذات مفاهيم ومقولات وأنماط خاصة بالسلوك حيث نجد أن الأنشطة العليا للإنسان مثل للتفكير والتخيل والتفكير والتأمل.... إلخ إنما تتبع من تكيف وإتفاق أعضاء المجتمع المشتركين في ثقافة واحدة ولغة واحدة.^(١٢)

ولقد وجد علماء الأنثروبولوجيا المعرفية * إن أكثر عادات المجتمع وثقافته يمكن التعرف عليها ولهما من خلال التحقق من معاني التركيبات اللغوية السائدة في المجتمع أريد الدراسة.^(١٣) لهذا كان التركيز على دراسة اللغة بما لها من صلة بالثقافة من حيث كونها تتيح فرصة أفضل للتعرف على السمات السائدة وأنماط السلوك وطرق التفكير ، مما دعا إلى التأكيد على ضرورة تعلم الباحث لغة المجتمع والثقافة المدروسة.^(١٤)

واللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون ، وإنما تخلقها طبيعة الإجتماع ، وتتبعث عن الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من

تعبير عن الخواطر ، وتبادل للأفكار . وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه . فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعلم والتثنية ، كما يتلقى عنه سائر انظم الإجتماعية الأخرى.^(١٥)

واللغة كأي مظهر آخر من مظاهر الثقافة خاضعة للتغير وبذلك فإن إستعمال اللغة في كل جماعة لغوية هو إستعمال متطور بطبعه.^(١٦) مما جعل البحث في الوظيفة الإجتماعية للغة بحثا متجددا على مر العصور .

فالأبنية اللغوية في أي نقطة معينة من تاريخها تد تبدو أنها صلبة وغير متغيرة إلا أن هذا المظهر لا ينم عن الحقيقة . ففي الواقع أن جميع اللغات الحية (أي التي لا تزال منطوقة) تخضع لتغير مستمر يظهر في كل من أبنيتها الصرفية والنحوية . وقد يكون هذا التغير بطيئا بحيث لا تتسنى ملاحظته في الممارسة الفعلية ولا يصير ياديا للعيان إلا عندما نلاحظ أن لسائين أو أكثر لا يفهما إلا المتحدثون بكل منها ، مع أنها صادرة عن مصدر مشترك.^(١٧) كما هو في مصر ومختلف الدول العربية . واضخم تطور في إستعمال معظم اللغات هو ذلك الذي يمر به العالم الآن وعبر عنه م.م. لويس بأنه " ثورة لغوية " وفتجت هذه الثورة عن ما تعرض له العالم خلال الخمسين سنة الماضية من تقدم في طرق الإتصال المادي كالتليفون واللاسلكي والطيران والتلفزيون والسينما والصحافة والقرن الصناعي.... إلخ.^(١٨)

لغة الفرد في تغير دائم وديناميكية وما يبين ذلك أن الفرد لا يحيط بجميع مفردات اللغة العامة في سن معين بل لا يزال يسمع ألفاظا جديدة يضيفها إلى ما يعرفه ، فهو في كل دور جديد من أدوار حياته وفي كل تجربة من التجارب الهامة التي يخضع لها يسمع ما لم يكن قد سمع ، وهو في كل حال من هذه الأحوال لا يسمع

مفردات جديدة لحسب ، ولكنه يسمع كذلك تعبيرات جديدة وطرائق من الكلام حديثة.^(١٩)

وهذا ليس على النطاق الفردي بل أشمل وأعم مما جعل المجامع اللغوية في العالم تجتمع بين لئرة وأخرى لتضع أسماء لأشياء جديدة اخترعت وعرفت مهمتها أو كلمات إتفق على وضعها ضمن لغة معينة.

ويتطور مدلول الكلمة في لغة ما تبعا لتطور الشئون الإجتماعية المحيطة بهذا المدلول. فعلى سبيل المثال في اللغة العربية كلمة " القطار " كانت تطلق في الأصل على عدد من الأبل يسير على نسق واحد تستخدم في السفر وفي النقل ولكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعا لتطور وسائل المواصلات، فأصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية أو كهربائية.

وكذلك كثرة إستخدام الخاص في معان عامة عن طريق التوسع في إستخدامها لسبب إجتماعي ومن ذلك مثلا في اللغة العربية كلمة البأس وهي في الأصل العرب ثم كثر إستخدامها في كل شدة فأكتسبت من هذا الإستخدام معنى عاما.^(٢٠) وكان لها إستخدام خاص لدى الشعب المغربي ، فهذه الكلمة تمثل النمط الشائع للتحية بين مختلف الأفراد عند اللقاء بقولهم " لا بأس " بخير وعلى خير؟ ، وربما يرجع ذلك لتمرص المجتمع المغربي للإحتلال الفرنسي سلوات كثيرة وإعكاس ذلك على للحياة التي عاشها الشعب والتي إتسمت بالحروب والشدة معا أضفى على هذه الكلمة هذا المعنى العام.

وتوصف لغات بأنها حية وأخرى بأنها ميتة والحق أن هذه للحياة وذلك الموت نسيان يقاسان بإستمرار إستعمال هذه اللغات أو بإتقطاع دورتها على الألسن.^(٢١)

ومن اللغات التي ماتت اللغة القبطية في مصر والبربرية في أقطار كثيرة من شمال أفريقيا. (٢٦) والواقع أن اللغة البربرية لازالت حية على ألسن كثير من المغاربة البربر وهي لغة حديث وكتابة ولازال بالمغرب - مجلات تصدر باللغة البربرية * * وأغان كثيرة يتغنى بها البربر في حفلاتهم المختلفة ، ولديهم عادات وتقاليد تختلف عن عادات المجتمع المغربي ولهم زي خاص بهم تحرص المراه المغربية على إرتدائه في العرس من بين الملابس التي ترتديها ولازال البربر حريصين كل الحرص على اللغة البربرية بتعليمها لأبنائهم وإستخدامها في حديثهم داخل منازلهم أو بين أفراد مجتمعهم . ويتعرف البربر على بعضهم خارج القطر المغربي وفي مختلف بلدان العالم من خلال لغتهم وأسمائهم إذ لهم أسماء خاصة بهم كما لهم بعض ملامح نيزيقية تختلف عن ملامح باقي أقطار الشعب المغربي ولا مجال هنا للخوض في وصف هذه الملامح لبعدها عن إهتمامنا في هذا البحث.

-١-

الأنثروبولوجيا واللغة

ظل علماء الأنثروبولوجيا واللغة يعملون معا جنبا إلى جنب سنوات متحدة، إلا أن علماء اللغة كما ذكر ليفي ستروس إنتقلوا إلى الجانب الآخر من ذلك الحاجز الذي يفصل العلوم الطبيعية عن العلوم الإنسانية والاجتماعية. (٢٧) وعلى الرغم أن ستروس أكد هنا على سبق علماء اللغة في الدراسة العلمية للغة إلا أنه من ناحية أخرى أكد الصلة الوثيقة بين الأنثروبولوجيين واللغويين .

وقد إهتم علماء الأنثروبولوجيا باللغة ليس من حيث كونها أداة فعالة في الدراسة الميدانية فحسب بل كعنصر أساسي في البنية الثقافية مجال إهتمامهم ودراستهم ، لذلك تمثل اللغة فرعا من الأنثروبولوجيا وتعرف بالأنثروبولوجيا

اللغوية مثلها مثل الأنثروبولوجيا الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والفيزيائية والدينية إلخ . (٢٤)

وفي الوقت الذى أكد فيه بلومفيلد Bloomfield أن العلاقة بين الثقافة واللغة لاترث غير واضحة ولكي تتضح لا بد من البداية الفصل بين Etic & Etic ويقصد بذلك الفصل بين البناء Structure والعناصر الملاحظة Observational. (٢٥) كما أكد بعض الأنثروبولوجيين من ناحية أخرى أن اللغة هي الثقافة وأن الثقافة هي اللغة وبذلك فهما لفظان مترادفان والصلة بينهما عضوية أو حيوية والذي يميزهما أن الثقافة بنيه Structure وأن اللغة لو الإتصال هو العمليات Processes التى تتكون فيها هذه البنية. (٢٦) كما ينظر للغة بكونها مفتاحا للثقافة ككل. فالثقافة فى كل مظاهرها عبارة عن لغة. واللغة ليست ظاهرة بسيطة. بل ظاهرة إجتماعية مكتسبة لها دور جوهري فى حفظ التراث الإنسانى وإنماء الثقافة ونقلها إلى الأجيال (٢٧)

ولقد احتلت اللغة مكانا هاما فى تفكير البنانيين نتيجة لتأثرهم بكتابات دوسوسير مثل أدوارد ساير وبلومفيلد والواقع إنهم اختلفوا فى تحديد مجال الدراسة من ناحية وتحديد هدف علم اللغة من ناحية أخرى . وعلى الرغم من ذلك فإن البنانيين اهتموا ببحث البرهان الإمبريقي Empirical evidence فى دراسة اللغة. (٢٨)

ولقد اعترض على إتجاه البنانية عالم اللغة الأمريكى تشومسكى Noam Chomsky الذى اهتم بالنظرية الفكرية العقلية للغة - التى راضها البنانيين والتي تهتم بالكفاءة اللغوية أو المعرفة النظرية للغة

غير الواعية Unconscious Knowledge لدى الأهالي الناطقين بهذه اللغة والتي يطلق عليها Competence دون الإهتمام بالأداء اللغوي Performance^(٢١) الذي هو مجال إهتمام البنائين ، فاللغة لديهم نسق إجتماعي وثقافي ، وينظر البنائيون عموماً للغة على أنها نظام لا يرتبط وجوده بوجود الفرد بل يدخل الفرد في هذا النسق بولادته . وبذلك تعتبر اللغة أهم عنصر في عملية التنشئة الإجتماعية كما أنها توصف بأنها (لا شخصية) لأنها تلو وترتفع وتسمو علينا وتتجاوزنا كأفراد . (٢٠) وقد ذهب إدوارد ساير إلى أن اللغة:

" وسيلة إنسانية خالصة غير غريزية إبلاقاً لتوصيل الأفكار والإنفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصور بطريقة إرادية " . وقد أشار هذا التعريف حولَه جدلاً جعل علماء اللغة ينقسمون ما بين مؤيدين ومعارضين وأصحاب هذه النظرية في اللغة يرون أن الوظيفة الأساسية للغة هي أنها وسيلة من الإتصال أو التوصيل عن طريق الأصوات الكلامية. وإن ما توصله اللغة يتمثل في الأفكار والمعاني والإنفعالات والرغبات إلخ أو الفكر بوجه عام ، وذهب هذا المذهب كثير من علماء اللغة لا سيما الذين تقوم دراساتهم للغة على أساس منطقي أو فلسفي أو نفسي ويرى هؤلاء أن اللغة لا تعدو أن تكون مرآة ينعكس عليها الفكر أو مستودعاً للفكر المنعكس أو وسيلة لتجسيم الفكر أو التعبير عنه.(٢١)

ولقد كان لمايونيوسكي فضل كبير في تغيير النظر إلى اللغة ووظيفتها فهي ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو للتوصيل بل هي حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم وهي جزء من السلوك الإنساني وليست أداة عاكسة للفكر وبذلك يتضح أن إهتمام الأنثروبولوجيا اللغوية لا ينصب على الكلمة أو الجملة وإنما على الحدث الكلامي Speech act ونتيجة لدراسة الحدث الكلامي وما يتصل به من ملامبات

تغير مفهوم اللغويين وأصبحت وظيفة اللغة هي " الدلالة " وتفضى في علم اللغة الاجتماعي إلى نظرية الرمز التي تقرر أن وظيفة اللغة هي الإتصال. لذلك إذا كان اللغويون يعزلون بعض الظواهر اللغوية لدراستها في حد ذاتها فإن علم اللغة الاجتماعي يصر على دراسة الظواهر في إطار كل ما في المجتمع لمعرفة العوامل التي تؤثر في الحدث الكلامي بالنظر للغة على أنها وظيفة إجتماعية.^(٢٢) وهذا هو مجال إهتمام الأنثروبولوجيا اللغوية.^(٢٣)

وفي ضوء ما تقدم ذكره تظهر أهمية اللغة كمجال للبحث ليس فقط من الناحية اللغوية بل كذلك من الناحية الاجتماعية الثقافية بالخروج من نطاق الكلمات إلى الجمل ومدلولاتها وإختلافها بإختلاف الثقافة مما جعلها تستحق الدراسة. فكان هذا البحث الذي نحن بصدده لدراسة التأثيرات الأيكولوجية والثقافية في لهجة المغاربة بغام وسيتم التركيز في هذا المجال على مجموعة من المحاور التي تتمثل في أهمية اللغة ووظائفها المختلفة للفرد والمجتمع ، وأثر اللغة البربرية على اللهجة المغربية وأثر البيئة على اللغة والإستعمار للهجة المغربية.

وقد أشرنا في هذا البحث إختيار مجتمعين مختلفين ثقافيا وكذلك لغويا وإن كانا ينتميان إلى لغة أم واحدة وهي اللغة العربية فالمجتمع المغربي كما نعلم يتحدث لغة دارجة تختلف عن اللغة العربية الدارجة في كثير من الشعوب العربية ، الأمر الذي يجعل من الصعوبة فهم لغة المجتمع إلا للمتحدثين بها . ولما كان من الضرورات الأساسية للباحث الأنثروبولوجي عند دراسته الميدانية تعلم لغة المجتمع. كان لزاما علينا تعلم اللهجة المغربية كأداة فعالة عند دراستنا الميدانية لبحوث سابقة . والجدير بالذكر أننا منذ بداية دراستنا للمجتمع المغربي ورجع ذلك إلى سبع سنوات ماضية قد فرض علينا الإهتمام بالمنطوق اللغوي لصعوبته من ناحية ولمحاولة تعلمه ليس فهما بل نطقا مع محاولة التعرف على الأصول التاريخية

لبعض الكلمات وخاصة أن المجتمع المغربي كما نعلم مجتمع إختلطت فيه عناصر بشرية مختلفة وإن كان العرب والبربر هما العنصرين الأساسيين في التركيب البشري المغربي ، إلا أن المغاربة هم نتيجة إنصهار أربعة عناصر هي البربري والعربي واليهودي *** والزنجي الآتي من جنوب الصحراء ، فضلا عن وفود بشرية فينيقية ورومانية ودم أوروبي كالذي حمله عدد من مسلمي أسبانيا بعد خروجهم من الأندلس . (٣٤) يضاف إلى ذلك ما ترتب على المواقع الجغرافي المعجاز للمجتمع المغربي مما جعله موطعا للإستعمار الفرنسي لفترة تقرب من أربعة وأربعين عاما مما كان له أكبر الأثر على اللغة العربية والشعب المغربي . والحقيقة إن هذا كان وراء إهتمامنا باللهجة المغربية والعادات الكلامية الشائعة ذات العلاقة الوثيقة بالتقييم والأفكار والأنظمة السائدة في المجتمع ومقارنة هذه العادات بما هو في المجتمع المصري مع إظهار أوجه التشابه والإختلاف بينهما والأسباب التي وراء ذلك.

وعن المرحلة الزمنية لهذا البحث لا تستطيع الباحثة في الواقع تحديد فترة زمنية محددة إستقرتها هذا البحث، بل كما ذكرت من قبل كان موضوع اللغة مجال إهتمام منذ بداية تعلمها كأداة للدراسة الميدانية في بحوث سابقة وعن فترة الإهتمام بعقد المقارنة بين العادات الكلامية في المغرب ومصر يمكن لنا أن نصرح بأنها إستقرت ما يقرب من تسعة أشهر.

نظرية سياق الحال *Context of situation*

إعتمدت للباحثة على نظرية أنثروبولوجية لغوية هامة وهي نظرية سياق الحال وهي نظرية تحليلية لي المقام الأول إذ تعتمد على تحليل ملابسات الموقف

الذى تستخدم فيه اللغة وصولاً إلى تحديد سماتها وسمات المشتركين فيها ورموزها ودلالاتها.

فى القرن التاسع عشر كان ميدان علم اللغة فى أوروبا مهتما بالدراسات الصوتية والنحوية والقاموسية دراسة تاريخية لإجراء المقارنات بين اللغات المختلفة. وبين هذه الدراسات ظهرت فى أوروبا صعوبة ترجمة كلمات اللغة البدائية، ولمواجهة هذه الصعوبة نشأت نظرية سياق الحال وأهميتها بإعطاء وصف كامل للتانة المحيطة باللغة فى المجتمعات البدائية . وواجه مالمينوفسكى هذه المشكلة فى معظم أعماله حيث وجد أن تحديد المعانى يفرض ضرورة الوصف الأثنوجرافى الكامل لما يحيط بها description Ethnographic واتضح هذا الإجهاد فى كتابات مالمينوفسكى عند أهالى Mailu 1915 ودراسته لحدائق المرجان

Coral gardens 1925 . إذ بذل مالمينوفسكى أقصى جهده لإعطاء للكلمات المحلية native words معانيها من خلال السياق الثقافى ، لذا كان إهتمامه بتعريف الكلمات المفردة فى إطار ما أطلق عليه " مشكلة المعنى " فى لغات المجتمعات البدائية وإهتمامه باللغة من منظور أثنوجرافى . بل لقد أعتبر دراسة اللغة دون لثنوجرافيا دراسة غير مكتملة وكذلك الوصف الأثنوجرافى لا يتم دون الإهتمام باللغة ، لذلك كانت الأثنوجرافيه السيليه Ethnographic Context حلاً لمشكلة المعنى التى تواجه الأثنروبولوجى عند دراسته للمجتمع . (36)

والبحت فى معانى اللغة من خلال ارتباطها بالسياق الثقافى والإجتماعى يرجع الفضل ليه إلى مالمينوفسكى إذ نظر للنصوص اللغوية من حيث كونها وثائق للمعالية المحلية native mentality وتمثل المعلومات الأثنوجرافيه لئيه ثلاثة مظاهر أساسية هى :

١- وصف للعادات والتقاليد.

٢- معرفة الطريقة التي يتعرف بها الأهالي بالفعل.

٣- تفسير ما يحويه عقل الأهالي.

وكل ذلك لا يتم إلا من خلال ملاحظة وتسجيل كل ما يقوله الأهالي بحلة^(٣٦) وقد إتفق مائينوفسكى وفيرث في تحديد العناصر التي يتكون منها تصورهما عن سياق الحال ونذكر من هذه العناصر:

١- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي ودورهما في الموقف الكلامي (مشاركون أم مشاهدون إلخ).

٢- الظواهر الإجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كمكان الكلام والحاضرين أثناء الحديث وكل ما يطرأ وله أثر على الموقف الكلامي.

٣- أثر النص الكلامي في المشتركين كالإبتساع أو الألم أو الأجراء أو الضحك ... إلخ ومن ثم يتضح أن من أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الإجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الموقف الكلامي^(٣٧).

لذلك فإن أى نص كلامي لا يوصل إلى معناه الحق الكامل بدراسته وحده مستقلاً من الناحية الصوتية بل يجب أن يدخل في تقدير معناه عناصر أخرى تفوق العنصر الكلامي بل تكون معه كلاً متكاملاً.

فالساق هو إطار مرجعي للكلمات المنطوقة وتحليل معانيها للوصول إلى الأفكار التي وراء الكلمات^(٣٨). بينما يهتم علماء اللغة بالوصف يهتم علماء الأنثروبولوجية اللغوية بالتأثير المتبادل بين الثقافة واللغة وبذلك فدراسة اللغة لدى

الأثنروبولوجى دراسة عليّة وصفيّة دقيقة تحمل فيها اللغة طابع الحياة كما تحمل طابع الثقافة. (٢٩)

إعتمدت الباحثة على المنهج الأثنروبولوجى التقليدى (الملاحظة بالمعايشة) ومنهج تحليل المضمون Content analysis وهما يعدان من أنسب المناهج لفهم البناء الإجتماعى للوحدات اللغوية وتحليل المعلومات الأساسية فى الحياة الاجتماعية التى تمثل وسائل الإتصال الجمعى. ومن ثم التعرف على الإطار اللغوى العام بأبعاده اللغوية والاجتماعية والثقافية.

كما إستعانت الباحثة بالمنهج الوصفى التحليلى والمنهج المقارن للتوصل إلى أوجه التشابه والإختلاف بين العادات الكلامية فى مصر والمغرب.

وقد إعتمدت الباحثة على أنماط طبيعية من الأحاديث اليومية التى تدور بين إثنين أو أكثر فى مختلف المناسبات. بالإضافة إلى الإعتماد على نعتين من أنماط الحوار ، تمثل النمط الأول فى الشجار بين زوج وزوجته وحضر الموقف الكلامى الزوجة الأولى للزوج التى حاولت بدورها التدخل للتخفيف من وطأ الشجار . وتمثل النمط الثانى فى الشجار بين صديقين أثناء جلوسهما على المقهى .

ويتسم حوار الشجار بالتلقائية والطبيعية على الرغم من حدوثه فى وجود آخرين إلا أن الموقف الكلامى لا يؤثر على الحوار الإنفعالى للمتشاجرين. ويبين للباحثة بالإعتماد على سياق الحال وتحليل المضمون نعتى الحوار، الدور الإجتماعى الذى يقوم به المتكلم وسائر المشتركين فى الموقف الكلامى. وتحليل الكلمات المنطوقة والوقوف على معانيها فى السياق يمكن للوصول إلى الأتكار التى وراء الكلام ومن ثم تتبىء عن ثقافة المجتمع من معارف وعادات وتقاليد ... إلخ وعن أدوات البحث إستعانت الباحثة بالتسجيل الصوتى والمرئى لبعض من أفراد مجتمع فاس كهيئة ممثلة لهذا دون اللجوء للباحثة " كراوية " للكلام المغربى من

أجل الحفاظ على المنطوق الصوتي للهِجة المغربية . كما إستعانت في كتابة هذه اللهجة بالـدكتورة روية أحمد محمد من قسم الصوتيات بكلية الآداب جامعة الإسكندرية للحفاظ على الخصائص الصوتية اللغوية بإستخدام - الأبجدية الصوتية العالمية - التي كان يصعب الحفاظ عليها بإستخدام علامات التشكيل حيث أن النطق باللهجة المغربية يتمثل في عديد من الظواهر الصوتية واللغوية .

-٢-

اللغة والإتصال

خصائص اللغة ووظائفها

وقبل التحدث عن وظائف اللغة يجدر بنا الإشارة لبعض خصائص اللغة الإنسانية ذات العلاقة الوثيقة بهذه الوظائف لإلقاء الضوء على الأدوار التي تقوم بها اللغة في حياة الفرد والجماعة.

١- الخاصية الأولى هي الثنائية: فاللغة نظام يحتوى على نظامين فرعيين واحد للأصوات والآخر للمعاني . وهذا ما ذكره جاستوف باشلار ***** حين قال أن كل منهج في التفسير ينطلق من مبدأ أساسى هو أن للكلام معنيين ظاهر وباطن وأن اللغة بالتالى ذات ذر وظيفتين وظيفة تعبيرية وأخرى رمزية.^(١)

وهذا ما عرف لدى اللغويين بالـ Emic & Etic ولدى الأنثروبولوجيين كما عبر عنه ميرتون Merton بالوظيفة الظاهرة Manifest Function والوظيفة الباطنة Latent function. والتي تظهر بوضوح من خلال نظرية سياق الحال.

وقد ذكر ميرتون أن مثل هذا التميز يمكن أن يحقق عدة أهداف هامة في مجال البحث الإجتماعى. فهو يساعد أولا على تحليل الأنماط الإجتماعية التي قد

بدو بعيدة عن العقل والمنطق وتوضيحها وتقريبها إلى الأذهان كما يساعد على تفسير كثير من العادات والتصرفات الإجتماعية التي تصدر عن الناس دون أن يكون هناك غرض واضح منها.

٢- الخاصية الثانية وهي التحكمية: وهي ذات علاقة وثيقة بالخاصية سائلة الذكر وهي ترجع إلى العلاقة بين الرمز اللغوي والشيء الذي يدل عليه لأنها علاقة تحكمية وإن كانت إتفاقية بين أفراد المجتمع ومن ثم تتغير بتغير المكان وكذلك الزمان.

٣- الخاصية الثالثة تتمثل في النقل الثقافي: فاللغة الإنسانية لا تؤخذ إلا بالإكتساب فهي تعيش ولا تنتقل إلا من خلال الثقافة والمجتمع.

٤- الخاصية الرابعة هي الشمول: فاللغة تستخدم للدلالة على أشياء حقيقية متخيلة ومادية ومعنوية وتشير إلى الماضي والحاضر والمستقبل. (٤١)
فالإنسان باللغة يستطيع أن يتجاوز حدود الزمان والمكان لأنها الوسيلة النقطية التي تمكنه من أن يعيش في تزامن مع الماضي (كما هو في الأسطورة والتخصص الشعبي) وكذا مع الحاضر والمستقبل عن طريق التوقعات والمثل والخطط والبرامج ، فاللغة تسمح للأفراد بفهم العوالم التي لا ترى وكذلك إدراك الحقيقة فيما وراء الملموس فالحقيقة التي فيما وراء الطبيعة تتحدد فقط من خلال الكلمات وإستغلالها في أفكار. (٤٢)

ومما تقدم ذكره يتضح دور اللغة في الإتصال بمختلف الأزمنة (ماضى،حاضر ، مستقبل) والفكر والمشاركة والتفاعل الإجتماعي وغير الإجتماعي والنقل الثقافي وتحديد المفاهيم المجردة مثل الشرف ، الحق ، الخير ، الشر التي لا وجود لها دون اللغة فاللغة تطلق على هذه المفاهيم معنويات تحدد بها ملامحها وخصائصها. (٤٣)

وقد ذكر السعران بعض أنواع من الكلام ليس بها دور أو وظيفة وخاصة من ناحية نقل الأفكار مثل:

١- الكلام الإفرادى " المونولوجى " بصوره المختلفه ويقصد به تحديث الإنسان لنفسه ويتم فيه إستعمال اللغة بقصد التنفيس والترييح عن الألام أو الأحزان . وقد نرى أن هذا النمط من الكلام له دور هام ووظيفة أساسية للمتكلم ذاته الذى يمثل هذا الحوار (دور المتكلم والسامع معا) متحققان فى شخص واحد كما أن لهذا النمط وظيفة واضحة وهامة تعرف بالوظيفة الإنفعالية أو التعبيرية Emotional expression وهى تساعد على التخلص من الطاقات الإنفعالية فى حالة الوقوع تحت ضغط ما. وقد يكون لهذا النمط الذى أطلق عليه عالم النفس الروسى

Lev Semenovich Vygotsky الكلام الداخلى Inner speech وظيفة هامة فى الإستخدام العتلى لكلمات الإثارة أو لإستحضار تسلسل الأنكار.^(٤٤)

وقد يأخذ هذا النمط شكل مفردات لفظية وتذكر للتكليل من الإنفعالات كما هو فى كلمات السب أو الشتائم فى حالة الغضب أو الفشل والإحباط وكذلك بعض الكلمات الإنفعالية الإيجابية كما هو فى حالات تدفق الحب والفرح والتعجب مثل *tut - tut* أو *wow wow - ouch - ouch* إلخ باللغة الإنجليزية^(٤٥)

ووجد هذا النمط من الكلام الإفرادى ينوعه فى المجتمع المغربى - ومن الكلمات الإنفعالية الإيجابية نذكر : *hææy hææy hææy* 'هأى هأى هأى' للتعبير عن الجمال والإعجاب ومن الإنفعالات السلبية نذكر : *weeli weeli* 'ول ول ول' ولتعبيرا عن الخجل والضيق الناتج عن ذكر كلمات مخجلة يتسبب عنها حدوث مشاكل بين الحاضرين وكإشارة لعدم التعمادى فى هذا النمط من الحديث ونذكر ' *wiili wiili wiili* 'ويلى ويلى ويلى' للتعبير عن التعجب

من رد الفعل. ونذكر *yææwitti yææweddi* ياودى ياودى ياودى وهى
إختصار *yææ weel* "واويل".

٢- ومن أنواع الوظائف الكلامية التي لم يجد السمران فيها نقلا للأنكار
كثير من إستعمال اللغة فيما يعرف بالسلوك الجماعى كما هو فى الإجتماعات الدينية
كالصلاة والدعاء ومخاطبة الله أو المعبود أو أى كائنات أخرى مقدسة أبعد من أن
يعد نقلا للتكرار.^(٤٦)

وإن كان على سبيل المثال الطقوس الجماعية سواء كانت دينية أو سحرية
تمثل نقلا صريحا للفكر فالجماعات الصوفية كما نعلم ذات فكر دينى خاص بها
يظهر هذا الفكر واضح بين ممارستها وخاصة للجماعية منها مثل " الذكر " فمن
يشارك فى هذا النمط يمكن التعرف على أفكاره ومبادئه وإتجاهاته الدينية.

٣- إستخدام اللغة فى المخاطبات الإجتماعية التي لا تستهدف غاية مثل لغة
التحيات ولغة التأدب والكلام عن حالات الجو لهذا النمط يؤيد وجهة النظر التي
ترى فى تبادل مثل هذه الكلمات عدم وجود غاية سوى غاية الكلام ذاته. والأقرب
للواقع أن إستعمال اللغة فى هذا النمط هو فى أساسه صورة من صور العمل
الإجتماعى ووسيلة من وسائله وذلك لأن كل إنسان يجد فى نفسه الميل الطبيعى إلى
الإجتماع بسواه والإستمتاع لصحبة غيره والنفور من الجليس الصامت. والكلام
أقرب مستلزمات تحقيق هذا الميل وهو ما أطلق عليه مالفينوكسى التشارك
الإجتماعى *Communion* وتحدث عنه *David* بأنه وسيلة من وسائل تحقيق
التفاعل الإجتماعى وهو يستخدم بغرض الحفاظ على الصلة والوثام والألفة بين
الناس^(٤٧) فالكلام هو الوسيلة الضرورية للإتصال والتشارك وهو الآلة الفريدة التي
لا غنى عنها بخلق روابط اللحظة التي يستحيل بدونها قيام عمل إجتماعى موحد.

ولغة التحيات والكلام عن الجو كلها عبارات ذات مغزى وتعكس فكر المتكلم ، والإختلاف بين المجتمعات في عبارات التحية والمشاركة الإجتماعية بصفة عامة يرجع للإختلاف الثقالي فيما بينهم ونذكر على سبيل المثال الكلمات المتبادلة بين إثنيين من الفرنسين للتحية تعرف بـ *Comment allez vous ?* ومعناها كيف أنت سائر ؟ الشيء الذى يدل على فكرة الحركة الكامنة في باطن الوعي ويوحى بالإلتفات إلى سير الحياة. أما الإنجليزى حين يلتقى بصديق له يقول *How do you do ?* ومعناها اللفظى " كيف أنت فاعل ؟ " الشيء الذى يعبر عن فكرة العمل ويدل عما يصنع في الحيات. أما المغربى فيسأل ملائيه " إش أخبارك " الأمر الذى يتم عن الميل الطبيعي الذى يجذبه إلى البحث عن الأخبار وعن ما لعله ويظهر التعلق بالشكل دون الجوهر والنتيجة التى وراءه. (٤٨)

مما تقدم ذكره لا نستطيع أن نقصر وظيفة اللغة - تبعا للنظرية الكلاسيكية - على الإتصال والتعبير عن الفكر وتوصيله للآخرين (٤٩) بل من الأرجح أن ننظر للغة والدور الذى تؤديه للفرد والمجتمع.

فألغة هي قوام الحياة الروحية والفكرية والمادية والتصورية الخيالية ، بها يعمق الإنسان صلته وأصالته بالمجتمع الذى يتحدد أفراده بوحدة اللغة والثقافة. (٥٠)

وللغة دور هام في تعزيز معنى الهوية أو الذاتية الشخصية وتظهر في الإشتراك في نفس الآراء السياسية أو الإلتعاء لجماعة ما سواء كانت رياضية أو دينية أو مهنية... إلخ. (٥١) والوظيفة الأساسية والتى على جانب كبير من الأهمية وذات صلة وثيقة بمجتمعي الدراسة هي القومية من خلال إعتزاز كل أمه بلغتها والحفاظ عليها وخاصة في حالة الصراع الذى ينشب بين الأمم التى تتعرض للإحتلال ، ومن ثم تفرض عليها لغة المستعمر لتصبح لغة التعليم في المدارس والجامعات وكذلك اللغة الرسمية في المخاطبات الحكومية وفي المحاكم وسائر

الأمر الرسمي ، ومن أبرز الأمثلة على هذا فرض الإيطالية على ليبيا والفرنسية على الجزائر والمغرب وقت الاحتلال . إلا أن هذه الأمم احتفظت بلغتها القومية في المنازل ، ومن أفرادها من كان يحرص على تعليم صغاره اللغة القومية (العربية) سرا في المنزل كما هو في ليبيا أثناء الاحتلال الإيطالي^(٥٢) والحقيقة أن العلاقة بين اللغة وإعتزاز الجماعة بقوميتها وتثبيت هذه القومية وإحيائها علاقة خطيرة الشأن مما يجعل المستعمر يعتمد على اللغة إعتقادا أساسيا لتثبيت أواصر أفراد المجتمع أولا: بفرض لغة المستعمر وهذا ما حدث في المجتمع قيد الدراسة إذ فرضت فرنسا اللغة الفرنسية على المدارس والجامعات وكافة المعاملات الرسمية مع المخازن***** المختلفة والمحاكم.

والأمر لا يقتصر على ذلك بل إتخذ الفرنسيون اللغة كأداة للتفرقة بين أفراد المجتمع المغربي نفسه. وكما هو معروف أن العرب والبربر هما العنصران الأساسيان في التركيب البشري المغربي ولتحقيق التفرقة بينهما لجأت فرنسا إلى إبعاد البربر عن الإسلام ومحاولة دمجهم مع الفرنسيين وتم هذا بإحياء الأعراف البربرية وإحلال اللغة البربرية بإنشاء معهد لتدريسها في مراكش وكذلك مدارس لغة البربرية.

-٣-

اللغة والحركة الجسمية

ومما هو شائع معروف أن لطرائق الكلام والإتصال وسائل لغوية وغير لغوية. فكثيرا ما نقول إن الطريقة التي كان يتحدث بها أحد الأفراد جعلتني أشعر بأحاسيس مختلفة وكلمة الطريقة هذه تدعني درجة الصوت أو شكل الكتف أو تعبيرات الوجه..... إلخ من الأمور المصاحبة للنطق الكلامي أو اللغوي والتي تخاطب العين وتعرف بالإتصال الإنساني غير اللغوي كالإيماءات Gestures وقد

تمثل أداء معتازة لتوصيل الرسائل المعبرة عن الحالة الإفعالية الداخلية للإنسان كالتعبير عن الغضب والتعب والخوف.^(٥٣)

واللغة بوصفها نظاما لا تحدث بمفردها وإنما تصحبها عادة نظم أخرى ، وأحد هذه النظم هو الحركة الجسمية. وأول من إهتم بالحركة الجسمية فى أمريكا هم فرانس بواس Franz Boas وإدولرد سايبير وستون لبار La Barre Weston. بيد أن البحث الجدى فى علم الحركة الجسمية لم يبدأ إلا على يد عالم الأنتروبولوجيا الأمريكية بيردوسل Ray L. Birdwhistell وأطلق عليه Kinesics وهو العلم الذى يختص بوصف أوضاع الجسم وحركاته.^(٥٤) وعلم الحركة الجسمية يعتبر جزءا من علم أعم وهو علم العلامات أو السيمولوجيا. والعلامات سمعية وبصرية كالإيماءات أو الإشارات الجسدية . وسوف نتناولها بالدراسة فى مجتمعى الدراسة وكذلك الأشكال أو العلامات البصرية والسمعية خارج الجسم الإنسانى مثل الريات والضوء والإعلام .. إلخ ولغات الطبول والأجراس كما هو فى الكنائس والمعابد والمدارس.^(٥٥)

والحركات الجسمية أو لغة الجسم كما يطلق عليها أحيانا قد تكون هى غاية فى حد ذاتها كما فى الحديث التليفونى الذى لا يرى ليه الإنسان من يحدثه. وقد يكون للعرض منها رسالة ذات معنى . وفى الواقع سواء هذا النمط أوذاك فهى متنفس للإنفعالات التى تجيش بها نفس المتحدث ولا يستطيع أن يكتفمها . وهناك من المواقف ما تكون الحركة الجسمية فيه أصدى وأحسن تعبيراً من الكلام . وهناك من الأشياء ما لا نستطيع وصفه دون إستخدام حركة جسمية مصاحبة للوصف وتعرف هذه بالحركة التوضيحية كما هو فى حالة وصف " البريمة " إذ لا بد من رفع السبابة وجعل اليد تدور فى الهواء عدة مرات.^(٥٦) ولكل شعب حركاته الجسمية التى تميزه عن سائر الشعوب يتعلمها الأطفال خلال تنشئتهم الإجتماعية كما يتعلمون

لغة بلادهم سواء بسواء . وتختلف حركات الجسم باختلاف المستوى الطبقي فالمستوى الأعلى والأدنى يتحدد بسهولة بمجرد التعرف على طريقة النطق اللغوي. وقد ذكر بعض الباحثين أن سكان البحر المتوسط يستخدمون الحركة الجسمية بكثرة أثناء كلامهم لكي يوفروا على أنفسهم مجهود الكلام في الجو الحار الذي يسود بلادهم ، إلا أن هذا لا يعتبر قاعدة تطبق على كافة المجتمعات ذات الجو الحار ، بينما على العكس من ذلك وجدت الحركة الجسمية بكثرة في بعض المجتمعات ذات الجو البارد^(٥٧) ، ونذكر على سبيل المثال مجتمع الدراسة " فاس " يسوده البرد القارس شتاء وعلى الرغم من ذلك يتميز أفرادها بكثرة الحديث بالحركة الجسمية التي لا تقتصر على الأصابع واليدين بل وكذلك الرأس والجذع بأكمله. لذلك نرى أن الحركة الجسمية أقرب إلى كونها عاده مصاحبه للكلام تستخدم كوسيلة للتعبير عن اللغة في الحديث ومحاولة تجسيد الكلام بالحركة لسرعة إستيعابها. وسوف نذكر هنا بعضا من الحركات والإشارات التي تتم دون كلام - وتدل على معنى كامن في ذاتها - وبعض من الحركات التي تصاحب الكلام وتعبّر عن الحالة النفسية والاجتماعية للمتحدث.

أولا الحركات والإشارات التي تتم دون الكلام.



١- وضع طرف الإبهام فوق الطرف الداخلي للرسابة مما ينتج عنه شكل دائرة مع بسط بقية الأصابع وهذه الحركة ترمز في مصر إلى التهديد والوعيد وفي المجتمع المغربي ترمز نفس الحركة مع هز اليد ورفع الحاجبين لأعلى وضم الشفتين مع رفع الذقن قليلا لأعلى تعبيراً عن الإعجاب وتذوق الجمال والشياكة أو "الظاظ" كما هو معروف لديهم.

٢- ضم أصابع اليد اليمنى عدا السبابة الذي يثنى قليلا ويمرر
جنبه الأيسر لعمل خط مستقيم منتحت العين على الخد الأيمن
لأسفل حتى الذكن مع الضغط بالأمنان على الشفة السفلية للقم.



تعبيرا عن اللوم والعتاب المصحوب بالشكر والإمتنان. وأستخدمت هذه الإشارة
كثيرا لعتاب الباحثة عند تقديمها هدية أو إعطاءها مبلغا من المال لأحد أطفال
الأسرة. وهذه الإشارة خاصة بالمجتمع المغربي.

٣- تحريك الرأس دائريا في نطاق ضيق وسريع تعبيرا عن الحزن والأسى الذي
يشعر به من يقوم بهذه الحركة.



٤- ضم أطراف اليد اليمنى عدا السبابة وتحريكها حركة دائرية
بإرتكاز طرف السبابة في مكان النبض الأيمن للرأس ، وهذه

إشارة إلى حاجة أحد الأفراد للضبط العقلي. وترجع هذه الرمزية إلى المشابهة بين
ذلك وما يحتاجه الفرش في المجتمع المغربي من "بولونات" أي أزرار تثبت
لضبط الصوف الذي يوضع داخل الفرش ومن ثم ترجع المشابهة هنا إلى البيئة.

وفي المجتمع المصري إشارة مشابهة شكلا ومضمونا وإن كان المجتمع
هنا يستبدل تحريك إصبع واحد بتحريك أصابع اليد اليمنى في شكل نصف دائري
عدة مرات في نفس المكان ويقصد بهذه الإشارة التعبير عن الخلل العقلي.

٥- اللطم على الخد الأيمن مرة أو إثنين بأصابع اليد عدا الخنصر والإبهام مع رفع
الحاجين لأعلى وضم الشفتين للتعبير عن وقوع الخطأ من المتكلم تحاشيا لما يترتب
على هذا الخطأ من نتائج جسيمة كالطلاق مثلا أو الحرمان من التعليم والخروج من
المنزل. وهذه الإشارة خاصة بالنساء. وهذا النمط يوجد ما هو مشابه له في مصر
وإن كان أكثر إرتباطا بسماع نيا سىء كالموت أو الخسارة بكافة أنواعها (المالية ،
الاجتماعية ، البشرية)



٦- ضم الأصابع ما عدا الإبهام ووضعها أسفل الذقن

وكان يتم البصم به في هذا المكان للإشارة إلى الزحام.

٧- ضم الأصابع ما عدا الإبهام والإشارة به كأننا نعبر عن شيء يسكب بحركته من اليمين إلى اليسار . والمقصود بها الإشارة لأحد الأفراد يتناول الخمر بكثرة



وهي إشارة تعبيرية ظاهرة تمثل كثرة سكب الخمر في الكأس وتناوله.

٨- تحريك كف اليد مرات عديدة وراء بعض في مواجهة المتحدث نفسه كإشارة

للمناداء سرا حتى لا يسمعه الحاضرون ووجدت هذه الإشارة في مجتمعي الحراسة.

وأحيانا يتم الاستهتام بالإشارة بالسبابة على أحد ثم تحريك الكف الأيمن بعمل نصف دائرة ليصبح الكف من الداخل في مواجهة المتحدث للإستهتام مثلا عن غضب أحد من الموجودين.

ثانيا : الحركات والإشارات التي تتم بمصاحبة الكلام

الإشارة للنفي:

• الإشارة ببسط الكفين ورفعها في حالة النفي بجوار الأذنين

بحيث يواجهان المخاطب (أشبه بوضع التسليم عند التهديد)

"والله ما قلت ولو " (ولو لاشيء على الإطلاق) .



• رفع الكفين في حالة النفي أمام الوجه ببسطها للأمام في

مواجهة الجالس ثم تقاطعها مع بعضهم البعض ثم بسطهما

مرة أخرى.

الإشارة للإستفهام

وتتم الإشارة بيد واحدة وأحيانا باليدين الإثنتين معا ويتوقف ذلك على السياق. وتمثل الإشارة لى حركة الكف من رسع اليد بعمل نصف دائرة ليصبح كف اليد من الداخل مواجهة للمتحدث .

الإشارة للتوكيد

وهى تشمل إشارتين الأولى ضم الأصابع عدا السبابة والإشارة به مع هز اليد وهذا النمط وجد فى مجتمعى الدراسة بالمعنى نفسه وقد يصاحب هذا النمط إشارة أخرى وجدت لى المغرب وهى رفع الكف للوراء مع بسطه لى مواجهة المتحدث إليه. وهى تدل على التأكيد المصاحب للتوكيد.



ثالثا الحركات والإشارات التى تدل على الأفعال

الحركة التى تشير للمضارع (اليوم أو النهاردة) وتمثل لى الإشارة بالسبابة أمام الجسم فى إتجاه الأرض مع ضم باقى الأصابع وهذه وجدت فى مجتمعى الدراسة بالمعنى نفسه وإن كانت فى المجتمع المغربى تتم بالإشارة باليد بأكملها وليس بالسبابة فقط.

الحركة التى تستخدم للتعبير عن الماضى (إمبارح ، الأمس) تتمثل فى ثنى أصابع اليد عدا السبابة والإشارة به للخلف هذا فى المجتمع الفصرى أما فى المجتمع المغربى قد تستخدم اليد بأكملها للإشارة للخلف بحيث تواجه راحة الكف للمشير بهذه الإشارة تعبيراً عن الماضى القريب ولى حالة الماضى البعيد تستخدم الحركة نفسها مع إتساع المدى الحركى لليد إرتفاعا وتكرارا للحركة.

الإشارة التى تستخدم للتعبير عن المستقبل ككلمة " غدا " فى مصر يستخدم فيها السبابة بضم باقى أطراف الأصابع مع رسم نصف دائرة فى الهواء باليد من

أعلى لأسفل ثم الإشارة بالسبابة للأرض . ويعبر المغربي عن المستقبل بإشارات أشبه بما يعبر به عن المضارع.

ومن العادات الشائعة لدى المقاربة ملامسة المتحدثين لبعضهم بعضا ، وقد يلجأ أحد المتحدثين إلى وضع يديه على ساعد المتحدث إليه بهدف التثبيته بالتركيز معه في الحديث وجذب إهتمامه وتأييده.

وقد ذكر دافيد أن المجتمع العربي وأمريكا اللاتينية من المجتمعات التي يسودها التلامس أثناء الحديث بكثرة عن بعض المجتمعات التي تتجنب هذا التلامس أثناء الحديث مثل أوروبا الشمالية والهند (٥٤) .

وبالملاحظة تبين أنه عند الإفعال تزداد الحركة الجسمية للنساء بالتمايل أماما وخلفا عن الإشارة باليد . أما الرجال فهم أكثر إستخداما لليدين والحركة الجسمية للتعبير عن الإفعال.

ومن ثم يتضح أن النظام الحركي لشعب ما يسهل عملية التفاهم والتقارب بين الناس والإتصال بنوعيه في الموقف الإفعالى أو العاطفى الذى يسوده الحب والموودة. لذلك ففى كثير من الأحيان تكون الحركة أو الإشارة أبلغ من الكلام.

-٤-

أثر اللغة البربرية على اللهجة المغربية

وقد أجمعت المصادر العربية والأوربية على وجود الجنس البربرى فى الشمال الأترىقى ولم يجزم أحد من أصحاب هذه المصادر بتحديد الموطن الأصلى لهذا الجنس الذى نزع منه إلى المغرب . ومصدر إسمهم مشتق من كلمة أصلية معناها " الأجنبى " وهى مصدر لكلمات مثل بربرى أو بلاد البربر وهم يطلقون على أنفسهم مسمى " الرجال الأحرار " وعلى الرغم من كثرة المحاولات للوصول

إلى منشأ الجنس البربري إلا أن أصوب ما قيل في هذا الصدد هو قول جون جنتر (John Gunter) " إن منشأ الجنس البربري مر غامض ". كذلك لهم لغة خاصة من أصل مجهول حافظت على كيانها أمام اللينيقية واللاتينية والعربية وظلت باقية حتى الآن.^(٥١)

والبربر هم خلاصة الحاميين الذين تمسكوا بوطنهم الأصلي - شمال أفريقيا - فنشأوا في هذا المكان وإستقروا فيه على مر العصور والأزمان . واللغات السامية - ومنها العربية - تشبه اللغات الحامية - ومنها البربرية - شيها لا يدع مجالاً للشك في أن ثمة صلة وثيقة بين هاتين المجموعتين من اللغات بحيث يمكن لرجاعها قطعاً إلى أصل مشترك . وأكد سلجمان أن الحاميين والساميين معا من أصل سلالتي واحد أصابه التحوير والتعديل ، والدليل على ذلك يكمن في وجود سمات ثقافية مشتركة وتشابه لغوي بينهما.^(٥٢)

ومهما كان تنوع الأصناف الجنسية التي يشتغل عليها الشعب البربري فإنه على ما يظهر يتصف بإستقرار عجيب في الأخلاق والعادات . فالبرابرة اجتازوا بخصائصهم القوية الصلبة التي حافظت على نفسها أمام تأثير العبادات الفينيقية و الوثنية و الرومانية وإنتشار اليهودية والمسيحية وحتى أمام إنتصار الإسلام.^(٥٣)

وعند الفتح الإسلامي وما لمسه البربر من تسامح المسلمين وعدم إكراههم على إعتناق الدين الإسلامي سعوا لتعلم اللغة العربية وذهب كثير منهم للمشرق للإستزادة من العلم حتى إمتزج البربر والعرب وإعتقنا ديناً واحداً - الإسلام - وأصبح البربري يفخر بإنتسابه إلى الشعب المغربي والدين الإسلامي وصاروا أتم عروبة بإحتضانهم اللغة العربية وأنكار العرب ودين الإسلام وبذلك أصبح لدى البربر ما يعرف بالإزدواج اللغوي.

وتشتمل اللغة البربرية على لهجات متعددة ومتباينة لدرجة يصعب معها تصور وجود لغة مشتركة بين هذه اللهجات لذلك نجد في القسم الغربي من الأطلس الكبير موطن " الشلوح " وهم يتكلمون *tæʃʃifi* " تاشلحت" وفي الأطلس الأوسط يوجد " الأمازيغ " وهم يتكلمون *tæmæzey* " تاميزغت " وفي قلب جبال الريف الريفيين ويتكلمون *tææzæyyæzæmæ* " الزياتية " ومن الغريب أن أفراد هذه الجماعات يصعب عليهم التفاهم فيما بينهم لإختلاف اللهجات ومن ثم فهذا التقسيم للجماعات لا يعتمد فقط على الجانب الجغرافي وإنما أيضا على الإعتبارات اللغوية. (١٦)

كما تختلف اللهجات في المجتمع الواحد بإختلاف طبقات الناس وفتاتهم . فالطبقة الأرستقراطية لهجة وللعمال لهجة وللتجار لهجة وللرياضيين لهجة.... الخ ويطلق المحثثون من علماء اللغة على هذا النوع من اللهجات إسم اللهجات الإجتماعية تميزا عن اللهجات المحلية أو الإقليمية. ومن أسباب إختلاف اللهجات الإجتماعية في المجتمع الواحد الفروق بين الناس في الثقافة والطريقة التي يتكلم بها والتربية ومناحي التفكير والوجدان ومستوى المعيشة والبيئة الإجتماعية ، وما تزاوله كل طبقة من أعمال ومهن. وأشهر أنواع اللهجات الإجتماعية ما يسمونه اللهجات الحرفية وهي التي يتكلمها أهل الحرف المختلفة مثل الصيادين ، التجارين ، والتجار..... الخ (١٧)

وقد لاحظ دوركايم إختلاف لهجة الرجال عن النساء في المفردات والجمل المستخدمة وخاصة بين الشعوب البدائية. ووجد أن هذا الإختلاف اللغوي يقل كلما قلت قيود الإختلاط بين الجنسين. (١٨) وكذلك لاحظنا أثناء الدراسة الميدانية وجود الإدواج اللغوي لدى الرجل البربري متمثلا في اللغة البربرية والحربية بينما المرأة البربرية لا تستطيع أن تتكلم عدا اللهجة البربرية ويرجع ذلك إلى قلة تعاملها في

المجتمع الكبير خارج نطاق الأسرة ومجتمعها البربري. بينما الرجل يتعامل بالتجارة أو الحرف المختلفة مع البربر والعرب معا ، مما جعله أكثر معرفة باللغة العربية من المرء البربرية . ونذكر على سبيل المثال أنماط من الألفاظ والمصطلحات التي تبين أثر اللغة البربرية على اللغة العربية.

فالألفاظ والمصطلحات العربية الأصل والنطق إن كانت على وزن مختلف عن الأوزان العربية وبعضها ذات تركيب بربري ، فبعض الألفاظ تذكر على وزن نعيلة مثل: bweeda بويضة أى البيضة
siweera صورة أى الصورة
xubeeza خبيزة أى الخبز.

وكثيرا ما نجد مصطلحات من أصل عربي ذات تركيب بربري كاسماء الوظائف والحرف والمؤسسات مثل tanyææt تجاريت أى التجارة tæfellæhet تفلحيت أى الفلاحة tæmexzænt تمخزينيت أى الطقوس والعادات الحكومية tækæædæet تقياديت أى وظيفة القائد وهى ذاتمة الإستعمال عند المتكلمين بالعربية أو الناطقين بالبربرية^(٦٥) ومن ثم يظهر التأثير باللغة البربرية فى المفردات من حيث إضافة بعض حروف على بعض المجردات وتتمثل الحروف فى البدء بالطاء والإنتهاء بالياء والطاء.

وكذلك يرجع للبربرية التعبير عن الألوان بصيغة التصغير كما هو منتشر

فى المجتمع المغربى مثل: xdeeder خضيضراى الأخضر
?ehmeemer وحميمر أى الأحمر
sfæfer وصفيفراى الأصفر.

اللغة والبيئة

الواضح في المجتمع المغربي أن اللغة تختلف من إقليم إلى إقليم ومن مدينة إلى أخرى كما تختلف في المدينة الواحدة . ويرجع ظهور إختلاف اللهجات إلى قلة تحدث الناس أو شعب ما مع أعضاء مجتمعات أخرى عن تحدثهم مع أعضاء مجتمعهم ويرجع هذا إلى الرغبة والحاجة إلى الإتصال بين حدود المجتمع فاللهجة تتباعد وتختلف بتباعد الناس وعدم رغبتهم في الإتصال والتشارك . وبذلك فالبعد الإجتماعي يمثل بعدا جوهريا مثله مثل البعد الجغرافي في إعاقته للإتصال^(١٥) وعن العوامل المباشرة في تفرغ اللغة إلى لهجات^(١٦):

١- عوامل شعبية: تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الأجناس والفصائل الإنسانية التي يتمتعون إليها والأصول التي إنحدروا منها فهذه الفروق إشارة بليغة في تفرغ اللغة الواحدة إلى لهجات ولهجات وهذا أكثر وضوحا بين سكان المغرب الذين إمتزجت عناصرهم البشرية ما بين بربر تعربوا وعرب تبربروا....إلخ.

٢- عوامل إجتماعية نفسية: تتعلق بإستقلال المناطق التي إنتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض وغنى عن القول أن إنفصام الوحدة السياسية تؤدي إلى إنفصام الوحدة الفكرية واللغوية . (وسوف نوضح ذلك عند تعرضنا لأثر الإستعمار على اللغة في المجتمع المغربي)

٣- عوامل إجتماعية لغوية: وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من إختلافات في النظم الإجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومناحي التفكير والوجدان فمن الواضح أن الإختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير .

وقد عرف المجتمع المغربي بوجود تميزات مجتمعية في داخله تجعله متشبيها بنوع من الإقليمية وبناتية محلية وهذا يتضح للعيان يتحدث أهل مراكش عن بلدهم من حيث كونها أجمل بلاد المغرب وكانت من قبل إسما للمملكة المغربية ككل وكانت عاصمة المغرب. أما أهل الرباط فيتحدثون عن أنفسهم من منطلق كون الرباط هي العاصمة السياسية والإدارية للمملكة المغربية. أما أهل الدار البيضاء فإنهم يشعرون بتميزهم من منطلق كونها عاصمة المغرب الصناعية والتجارية... إلخ.

٤- عوامل جغرافية (طبيعية): تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلد وبيئتها وموقعها. فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدي عاجلا أو آجلا إلى فروق وفواصل في اللغات ويتضح ذلك بين مختلف الأنظار المغربية التي تختلف إيكولوجيا وفيزيقيا وإجتماعيا وكذلك لغويا فالشمال المغربي يتحدث العربية مع كثير من الأسبابية بينما في بعض مناطق كما سبق وذكرنا نتحدث البربرية وكذلك البعض الآخر الفرنسية وهكذا.

٥- عوامل لسيولوجية: وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق.

وتتمثل عوامل الخلاف بين اللهجات بوضوح في:

١- الإختلاف في الأصوات التي تتألف منها الكلمة الواحدة.

٢- طريقة النطق تبعا لإختلاف اللهجات (٦٨)

ونذكر على سبيل المثال الفرق بين البيئة البدوية والحضرية من حيث النطق بأصوات اللغة فالبدوي يميل إلى الجهر بالصوت في الصحراء الشاسعة بينما الحضري يميل إلى الهمس ، لأنه تعود الحديث بين أربعة جدران في غالب الأحيان بينما البدوي يميل إلى الصوت الانفجاري الشديد مستعينا بالحركة للفت الأنظار

إليه. فحياة البداوة كما ظهر ذلك في المجتمع المغربي حياة تتقل وترحال لهم بدو رحل ألفوا حياة الخيام مما إنعكس ذلك على مآكلهم وملبسهم وسلوكهم وكان لكل هذا صداه في طريقة نطقهم فقد تعودوا الضجيج وعادة الصباح في المخاطبة وهذا ما أظهرته الدراسة الميدانية وقد تشابهت بعض الخصائص التي ذكرها عبد العزيز مطر. (٦٩) لوصف أصوات البدو في مربوط مع خصائص أصوات لهجة المغاربة وتذكر منها بإختصار شديد حيث أن هذا ليس مجال تخصصنا - كما سوف نوضح عند تحليل نعطي الحوار في المجتمع المغربي :

١- الأصوات الصامتة Consonants.

٢- الإمالة والتطويل وما يعرف بتوالي الصوت Diphthong.

٣- الأصوات الصائتة Vowels وتذكر منها الكسرة الخالصة كما هو في كلمة

biniila بنيتة أي بنت .

٤- التصغير ويستخدم لدى البدوي للتحقير بينما لدى المغربي كد يستخدمه بهدف التعظيم.

مما تقدم ذكره يظهر التشابه بين لهجات البدو في مختلف المجتمعات العربية كما هو في بدو مصر وبدو المغرب ومن ثم تتضح أهمية دراسة أثر البيئة على اللغة .

يعيش الإنسان في بيئات مختلفة ، أنساق ونظم ووسائل تقنية إنتاجية " تكنولوجيا "وكذلك رموز مختلفة والجزء الأكبر من الرموز لدى الأفراد محصور في اللغة (٧٠) والرمز بمعناه البسيط هو " فكره عن شيء " أو ما يتوارد في ذهن المتكلم أو السامع حين يذكر الرمز وبذلك يتضح توازي اللغة مع الفكر بمعنى أن ما يكتسبه الفرد من معارف داخل ثقافته لا بد أن يوازيه وجود لغة تعبر عنها وهي علاقة معرفية مرنة ، أي تقبل التطور باستمرار ، وبذلك تعبر اللغة معاريا عن

الثقافة وتسهل للأفراد التعبير عن ثقافتهم من خلالها وهذه النظرة تقود إلى ما يعبر عنه وورف Whorf بالنسبية المعرفية أو النسبية اللغوية التي ترى أن مجموعة المعارف داخل كل ثقافة إنما يعبر عنها في لغة ، فالإنسان في علاقته مع البيئة إنما ينتج تلك العلاقة المتوازية بين اللغة والفكر ، فالإسكيمو يميزون في لغتهم بين عدة حالات من الجليد في تحولاته المختلفة وهذا لا يوجد في اللغة الإنجليزية مثلا ، لأن الإسكيمو يعيشوا بيئة جليدية ويتعرضوا لمشكلات تتصل بتلك البيئة ، وكان من الطبيعة أن يعبر رجل الإسكيمو - الذي يقطن في بلاد باردة - عن حدث سار قائلا " أنه يذوى ، فواذى " كما أنه من الطبيعي أن يعبر العربي أو من يقطن الأقطار الحارة عن نفس الحدث بأنه " يتلج صدرى " فالشعور بالفرح عند هذا وذلك هو نفسه إنما يتغير القول تبعاً لمعلومات البيئة وضغوطها .^(٣١)

وكذلك على سبيل المثال تحتوى اللغة الإنجليزية على عديد من الكلمات المستخدمة للحرب والخطط الهجومية والمقاتل إلخ من الألفاظ التي تعبر عن هذه المعاني مما يعكس بوضوح حقيقة الثقافة الإنجليزية ويبدو الأمر مختلفا تماما وربما منعما في الثقافة التي لا تعرف الحرب ولا تدرك النظم الخاصة به .^(٣٢)

كما يوجد لدى الأمريكان كلمات كثيرة تعبر عن السيارات ومنها Automobiles^(٣٣) بينما تعبر الكلمة عن مختلف أنواع السيارات في المجتمع المنزى عدا التاكسى .

كما أظهرت الدراسة الميدانية بالمجتمع المنزى وجود عدد من الكلمات للتعبير عن الجلاب الذي يعبر عنه في مصر بكلمة واحدة ويعرف في المجتمع المنزى بالقططان والجلابه والقميص والجنذورة ، وتعبّر هذه المسميات عن الجلاب مع إختلاف أشكاله ، فالجلابه هي جلاب وبه القب والقميص جلاب بكم ودون قب

والجندورة جلاباب بدون كب وكم تصير والتقطان جلاباب ويرتدى فوقه دقينة أى سيدارى.

والزى المختلف عن الزى المغربى التقليدى يطلق عليه على إختلاف أشكاله كلمة واحدة وهى كسوة رومية ، وبذلك يتضح تأثير البيئة على ثقافة المجتمع ومن ثم على اللغة وإختلاف الثقافات بإختلاف الظروف الأيكولوجية التى يتعرض لها المجتمع وعلى سبيل المثال مجتمع النوير بأثريشيا يختلف عن المجتمعات الأمريكية الأوروبية فى قده لكلمة أو تعبير يشير لزمان أو الوقت ومن المحتمل أنهم لا يشعرون نهائيا بالصراع ضد الوقت أو الحاجة للتسيق والتنظيم تبعاً للوقت أو فصول السنة . لحياتهم منظمة بالرجوع إلى النشاط الإقتصادى المتمثل فى الرعى والزراعة . وعندما يحاول النوير - كغيرهم مثل الأوروبيين - وضع محدد زمنى يذكروا فى ذلك " نحن سوف نعود فى الطيب أو سوف أخرج عند عودة العجل لثبيت " (٢٤)

ومجتمع فاس بالمغرب يغلب عليه النشاط التجارى فهم تجار من الدرجة الأولى ومن أكثر أقطار المغرب تدنيا وتعلقا بالله عز وجل ورسوله (ص) فهم بروح الإسلام متشبعون ولإسم الله ذاكرون ولمواقيت الصلاة حائظون وكثيرا ما يلجأ المغربى للتجديد الزمنى يربطه بمواقيت الصلاة فيقول مثلاً " نتلاكى مع المغرب " أو " مع الظهر " أو " مع العصر " وهكذا. وبذلك يعطى متسعاً زمنياً غير محدد بتوقيت دقيق ، فالظهر ممتد حتى العصر والمغرب ممتد حتى العشاء والعشاء ممتد حتى الفجر وهكذا . وهذا يوضح نظرة المجتمع المغربى للزمن والوقت وأهميته ونذكر هنا مقولة شهيرة لأحد الشبان الجالسين وهم فى إنتظار شيء ما عند سؤالهم عن قصد إتجاههم يجيب أحدهم :

* شى باس ماكين كتمسلاو *

[ʃiɪbææs mekææyn kææn sinaw]*

* أى ليس هناك ما يشوش البال إنما نحن فى الإنتظار *

ولأهل مراکش فى ذلك لصة شهيرة تحكى للسخرية من عبثهم بالوقت سال شخص

صديقه المقعد كرسيا فى مقهى عن سبب إنتظاره المترقب فكان جوابه:

* نرت موعد مع فلان ساعة التمنية وجيت فى التسعون *

[dirit mwææhiid maʔæflææn seeʔæ temenyæ wiʃiit fetsefu]

أخذت ميعاد من فلان فى الساعة الثامنة وجتته فى التاسعة.

* وكسيت حتى العشرة ولو جيت إحداش وما جاش *

[witseniit tæʔaʃsaraeɛlæʔætehdaas we mæʃææs]

وإنتظرته حتى العاشرة وإذا نقت الحادية عشر ولم يظهر له أثر.

* غاد نمشى من هناى مع التناش *

[yɔime ʃi men henæy mæʔtenaaʃ.]

مشيت من هنا الثانية عشرة. (٢٥)

وبالإضافة إلى ذلك لا يخضع الزمان لدى المغربى للتجريد وإنما يشخص

بتعاقب النصول كما تشخص التواريخ فى سياقه ونذكر على سبيل المثال قولهم فى

ذلك :

* شى واحد ولد فى صيف عام للروز *

[ʃiɪwææhed weled feseef fe ʔomroos.]

* شى واحد ولد فى صيف عام الجوع *

[ʃiɪwææhed weled fe seef ʔemel ʒ unʔ]

* تعنى هذه العلامة [] الكتابة الصوتية التى تم إستخدامها فى هذا البحث

والمقصود إن فلان ولد في صيف عام الأُر^ر أو في صيف عام الجوع بمعنى أن فلان رأى النور في ذلك الفصل من تلك السنة التي كانت فيها المجاعة على الأبواب وبذلك وزعت الحكومة الأرز وهو نادر التداول في بوادي المغرب عوضا من القمح الذي لم يثبت بسبب الجفاف وكذلك نسمع في حديث المغربي أن زفافا ثلاثة إلى فلان قد تم في سنة المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء وهي كانت ١٩٧٥ إلخ. (٢٦)

فاللغة مرآة يتمكن فيها ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم الاجتماعية العامة . وعلى سبيل المثال درجة القرابة التي تربط الفرد بكل من أسرة الأب وأسرة الأم . فالأمم التي تسيطر عليها الاجتماعية على إنزال هاتين الأسرتين منزلة واحدة تقريبا في درجة قرابتهما للفرد تطلق لغتها كلمة واحدة على كل من العم والخال Uncle،Oncle والعم والخالة Aunt ، Tante وابن العم وابن الخال أو الخالة Cousin أو Cousine على حين أن الأمم التي تنفرد بنظامها الاجتماعية بين هاتين الأسرتين في درجة قرابتهما للفرد تختلف في لغتها الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأب عند أفراد أسرة الأم كالعَم والخال أو العمة والخالة وابن العم وابن الخال (٢٧)

وعرف الخال في المجتمع المغربي بالحبيب وابن الخال أو بنت الخال ابن حبيبي أو بنت حبيبي وهذا يدل على قرابة أهل الأم عن أهل الأب في هذا المجتمع ، وإن كانت الخالة تنادي بما هو متعارف عليه (خالتي) إلا أن المجتمع المغربي كما نعرف ساد فيه تعدد الزوجات للرجل الواحد والمتعارف عليه أن ينادى أبناءه الزوجة الأولى زوجة الأب بإسم "عمتي" أو "للا" كنوع من الإحترام.

فاللغة تتأثر أيضا تأثر بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها وإتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها ونظرتها إلى الحياه وشئونها الاجتماعية العامة وما إلى

ذلك وكل تطور يحدث فى ناحية من هذه النواحي يتردد صداه فى أداء التعبير لذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب.

وتختلف مظاهر اللغة فى الأمم والمناطق تبعاً لإختلافها فى نوع الإنتاج ونظم الإقتصاد وشتون الحياه المادية والمهنة الأساسية السائدة [زراعة ، صناعة ، تجارة ، رعى ، صيد] وقد تؤثر هذه المظاهر فى أصوات اللغة نفسها.

فقد يودى نوع العمل الذى يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم فى صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتى^(٣٨) وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ويكسبها مرونة فى التعبير والدلالة. ومجمل ذلك أن خصائص الأمة العقلية وميزاتها فى الإدراك والوجدان والنزوع ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجها ، وتفسيرها لظواهر الكون وفهمها لما وراء الطبيعة ، كل ذلك وما إليه ينبعث كذلك صداه فى لغتها . ففى الأمم البدائية التفكير الضيقة المدارك تغزو الكلمات الدالة على المحسوسات والأمور الجزئية وتندم أو تنقل الألفاظ الدالة على المعانى الكلية وتخلو دلالات المفردات من النقة والضبط ويكثر فيها الخلط واللبس والإبهام ، وعلى سبيل المثال لغة السكان الأصلية لجزيرة [تسمانيا - Tasmanie قرب أستراليا] لا يوجد من مفرداتها لفظ يدل على الصفة ، فإذا أرادوا وصف شيء لجأوا إلى تشبيهه بأخر مشتمل على الصفة المتصودة فيقولون مثلاً فلان كشجرة كذا إذا أرادوا وصفه بالطول.^(٣٩)

فاللغة تحمل طابع الحياه التى يحيها المتكلمون بها ويظهر ذلك فى إختلاف المفردات بين مستوى لغوى ومستوى آخر . وبين لهجة إجتماعية ولهجة إجتماعية

أخرى تختلف ليس من حيث الألفاظ المنطوقة فحسب بل وكذلك حالة الصوت ارتفاعا وإخفاضا وكذلك عامل السن والموطن الأصلي^(٨٠)

-٦-

الإستعمار والنهجة المغربية

منذ إحتلال الفرنسيين للجزائر ١٨٣٠ ولتونس ١٨٨١ وللمغرب ١٩١٢

وبدأت فرنسا تثبت أقدامها وتضع أساس الإقامة أو التوطن في كل شمال أفريقيا. لذلك أرادت إدماج هذه المنطقة في الوطن الفرنسى. ولم تجد أمامها عقبة تحول دون ذلك سوى الإسلام واللغة العربية . لذلك لرضت فرنسا لغتها على مصالح الحكومة ودواوينها وكانت أساسا لتعليم كثير من موارد الدراسة فى المدارس الرسمية مما جعل المغاربة أجادوا الفرنسية وبذلك تسربت كثير من ألفاظها إلى اللغة المغربية وهذه الألفاظ كثيرة التداول بين مختلف أقطار المغرب وإن كانت نكل تدريجيا فى الشمال وتزداد فى جنوب المغرب . والملاحظ أثناء الحديث مع المغربى وخاصة من هم يعملون فى المخازن إمتزاج العربية بالفرنسية ويتم ذلك حين يعجز عن التعبير بالعربية فيلجأ إلى الإستعانة ببعض التعبيرات الفرنسية الحاضرة لتحزيز العربية لتوصيل المعنى الذى يريده .. أما الذى أظهرته الدراسة الميدانية فهو إنتشار بعض المفردات الفرنسية أثناء الحديث وهذا بين أفراد المجتمع ممن لم ينالوا قسطا من التعليم ومن ثم لم يجيدوا القراءة والكتابة وهذه المفردات فى غالب الأمر تمثل مسميات لأنواع من الأظعمة أو بعض الأشياء المنزلية.... إلخ.

ومن ناحية أخرى إتخذ الفرنسيون طريقة التفرقة بين العرب والبربر كوسيلة لتثبيت أقدامهم ولجذب البربر ودمجهم فى المجتمع الفرنسى للولوف أمام الإسلام والتقليل من نفوذه وقوته لجأت فرنسا كما سبق وذكرنا إلى أحياء الأعراف

والتقاليد واللغة البربرية مما كان له أثر كبير على اللهجة المغربية^(٨١) كما سوف نوضح .

والمعروف عن المجتمع المغربي أنه إختلط بكثير من العناصر البشرية المختلفة مثل الفرس والترک والفرنسيين والأسبان وكان لهؤلاء جميعا أثر في تغذية المفردات اللغوية المغربية بالألفاظ الجديدة كانت تطلق بطبيعة الحال على الأشياء التي لا يعرفها المغاربة أو لم يستعملونها في حياتهم العامة قبل إتصالهم بتلك الشعوب.

وبمرور الزمن صهرت هذه الألفاظ والكلمات الدخيلة في بوتقة المجتمع إتصهارا أدى إلى زوال جنسها وبقاء أصواتها مع الإحتفاظ بالمعاني التي كانت تزديها في وطنها الأول وظلت تعيش بجانب زميلاتها من الألفاظ العربية إلى أن مر زمن طويل نسي الناس فيه أصل الألفاظ وتكلموا بها كجزء من العامية الدارجة للفتهم^(٨٢).

ونذكر على سبيل المثال بعضا من الألفاظ التي يذكرها أفراد المجتمع دون معرفة أصلها وهي ليست من اللغات ذات التأثير المباشر على المغرب مثل الفرنسية والبربرية والأسبانية والعربية الأم . ونذكر:

?essarrut " الساروت " ويطلق على المفتاح.

ʃærjæm " الشرجم " وتطلق على الشباك.

mzewaara " مزوارة " العرأة التي تزوجت من رجل واحد.

keefer " التيفر " أوعية مطرزة مملوءة بالهدايا كالثمر والحليب والحنة

والحلويات وكافة مستلزمات العروس ويتم إرسالها من دار

العريس إلى العروس عن طريق " الزرزاي "

?ezzerzææy " الزرزاي " هم رجال يحملون هذه الهدايا من دار لأخرى في

أزقة مجتمع قاس.

werraabooz " الرابوز " آلة مثل المفتاح تستخدم بهدف إشعال الفحم

وإستخدامه فى الطهى وإته قل إستخدامها الآن فى المعدن.

وأكثر العناصر البشرية اثرا على المجتمع المغربى من ناحية اللغة والثقافة هى فرنسا واللغة الفرنسية مما كان له أكبر الأثر ليس وقت الإحتلال فحسب بل إمتد أثره لما بعد عام ١٩٥٦. فرجال الإدارة المغربية الذين أخذوا صلاحيات الموظفين الفرنسيين المنسحبين ، وإحتلوا مكاتبهم وتزيوا بزيهم وتبنوا عقليتهم ، إلا أنهم ظهروا فى ذلك الحين غير متحلين بمعارف تعادل ثقافتهم أو بتأهيل يضارع خيرتهم.

وعلى الرغم من إقرارهم لإستعمال لغتهم العربية إلا أن الإدارة المغربية أدت إلى إستعمال كلام الإدارة الفرنسية بمفرداتها وأسلوبها ومعانيها . وغنى عن البيان أن الإلتصافى حالة الغزو اللغوى لا يتم إلا بعد أمد طويل لا يخرج المنتصر من معاركه على الحالة التى كان عايشا من قبل . واللغة التى يتم لها الغلبة لا تخرج سليمة من هذا الصراع . بل أن طول إحتكاكها باللغة الأخرى . يجعلها تتأثر بها فى بعض مظاهرها وبخاصة فى مفرداتها. ومن ثم فالألفاظ الأصلية للغة الغالبة ينالها بعض التحريف فى أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى . وكذلك الكلمات الدخيلة التى تتبسطها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها كذلك بعض التحريف فى حروفها ومعانيها وأساليب نطقها. (٨٢)

وبذلك يرى المغاربة أنهم ملزمون بالقيام " برواضة ذهنية " يمارسونها كلما تكلموا بالعربية وهم يفكرون بالفرنسية أو عندما ينطقون الفرنسية بيد أن تصوراتهم وتخميناتهم بالعربية، أو عندما يهاجم الإشهار التجارى المرئى (أى الإعلانات) من خلال " التلفزة " أو التلفزيون سمعهم وبصرهم باللغة الفرنسية وعلى أشكال بعيدة عن مفاهيمهم وبروح غريبة عن والعمم المجتمعى . والأمر الذى لا شك فيه دور

وسائل الإعلام الحديثة (التليفزيون والقمر الصناعي إلخ) فى نشر العامية المصرية وقد أثرت العامية المصرية فى السنوات الأخيرة.

ولا تزال تؤثر فى سائر العاميات العربية على تفاوت فى الدرجة ، لمكانة مصر حديثاً من العالم العربى فالأفلام السينمائية المصرية وأكثرها بالعامية تكاد تكون الأفلام الوحيدة التى تفرض فى كثير من البلدان العربية وكذلك القصص والتمثيلات والأشياء ذات الإنتشار فى مختلف الدول العربية أكثر من أغانيهم الوطنية^(٨٤) وقد نتج عن ذلك معرفة العامية المصرية فى سائر الأقطار العربية وفى المغرب بصفة خاصة مما له أكبر الأثر فى تحسين اللغة العربية لدى المغاربة. وعلى الرغم من ذلك يرى المغربى أن عقله يخضع عند القول أو أثناء التفكير أو العد إلى توتر معوج لهو فى حالة من النزاع القائم بإستمرار فى الأفكار والتصورات من ناحية وطريقة التعبير عنها من ناحية أخرى.

-٧-

اللغة وبعض العادات الإجتماعية والمعتقدات المغربية

وإذا كان الأمر بهذه الصورة فى حالة الكلام باللغة العربية والتفكير بالفرنسية وضرورة القيام بالرياضة الذهنية لتتوافق بينهما ، فالأمر أكثر صعوبة وتعقيداً عند التعامل مع النصوص العربية المدونة التى أشبه بتعبيرهم " بلوحة عربية " فى حاجة لحل رموزها فى إستقراء لإعطائها معنى ومدلولاً عن كونها قراءة بالتطرق الصحيح لنص يبين القصد منه على الفور وبوضوح بمجرد النظر فيه مما جعل بعض أعلام الأدب العربى يضعون هذه المقارنة الشهيرة القائلة إن المرء يقرأ فى كل اللغات ليفهم نصاً ويتعلم شيئاً. أما بالكتابة العربية فعليه إن يتعلم ليفهم ، فيستطيع أنذاك أن يقرأ نصاً. وبذلك القراءة فى هذه الحال واقفاً على بعض

werraabooz "الرابوز" آلة مثل المفتاح تستخدم بهدف إشعال الفحم

وإستخدامه فى الطهى وإنه قل إستخدامها الآن فى الصن.

وأكثر العناصر البشرية أثرا على المجتمع المغربى من ناحية اللغة والثقافة هى فرنسا واللغة الفرنسية مما كان له أكبر الأثر ليس وقت الإحتلال لحسب بل إمتد اثره لما بعد عام ١٩٥٦. فرجال الإدارة المغربية الذين أخذوا صلاحيات الموظفين الفرنسيين المنسحبين ، وإحتلوا مكاتبهم وترىوا بزيمهم وتبنوا عقليتهم ، إلا أنهم ظهوروا فى ذلك الحين غير متطينين بمعارف تعادل ثقافتهم أو بتأهيل يضارع خبرتهم.

وعلى الرغم من إقرارهم لإستعمال لغتهم العربية إلا أن الإدارة المغربية أدت إلى إستعمال كلام الإدارة الفرنسية بمفرداتها وأسلوبها ومعانيها . وغنى عن البيان أن الإلتصار فى حالة الغزو اللغوى لا يتم إلا بعد أمد طويل لا يخرج المنتصر من معاركه على الحالة التى كان عليها من قبل . فاللغة التى يتم لها الغلبة لا تخرج سليمة من هذا الصراع . بل أن طول إحتكاكها باللغة الأخرى . يجعلها تتأثر بها فى بعض مظاهرها وبخاصة فى مفرداتها. ومن ثم فالألفاظ الأصلية للغة الغالبة ينالها بعض التحريف فى أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى . وكذلك الكلمات الدخيلة التى تنتسبها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها كذلك بعض التحريف فى حروفها ومعانيها وأساليب نطقها. (٨٦)

وبذلك يرى المغاربة أنهم ملزمون بالقيام "برياضة ذهنية" يمارسونها كلما تكلموا بالعربية وهم يفكرون بالفرنسية أو عندما ينطقون الفرنسية بيد أن تصورتهم وتخميناتهم بالعربية، أو عندما يهاجم الإشهار التجارى العرئى (أى الإعلانات) من خلال " التلفزة " أو التلفزيون سمعهم وبصرهم باللغة الفرنسية وعلى أشكال بعيدة عن مفاهيمهم وبروح غريبة عن وألمهم المجتمعى . والأمر الذى لا شك فيه دور

وسائل الإعلام الحديثة (التليفزيون والقمر الصناعي إلخ) فى نشر العامية المصرية وقد أثرت العامية المصرية فى السنوات الأخيرة.

ولا تزال تؤثر فى سائر العاميات العربية على تفاوت فى الدرجة ، لمكانة مصر حديثاً من العالم العربى فالأفلام السينمائية المصرية وأكثرها بالعامية تكاد تكون الأفلام الوحيدة التى تفرض فى كثير من البلدان العربية وكذلك القصص والتمثيلات والأغاني ذات الانتشار فى مختلف الدول العربية أكثر من أغانيهم الوطنية^(٨٤) وقد نتج عن ذلك معرفة العامية المصرية فى سائر الأقطار العربية ولى المغرب بصفة خاصة مما له أكبر الأثر فى تحسين اللغة العربية لدى المغاربة. وعلى الرغم من ذلك يرى المغربى أن عقله يخضع عند القول أو أثناء التفكير أو العد إلى توتر معوج فهو فى حالة من النزاع القائم باستمرار فى الأفكار والتصورات من ناحية وطريقة التعبير عنها من ناحية أخرى.

-٧-

اللغة وبعض العادات الإجتماعية والمعتقدات المغربية

وإذا كان الأمر بهذه الصورة فى حالة الكلام باللغة العربية والتفكير بالفرنسية وضرورة القيام بالرياضة الذهنية للتوافق بينهما ، فالأمر أكثر صعوبة وتعقيداً عند التعامل مع النصوص العربية العذوبة التى أشبه بتعبيرهم " بلوحة عربية " فى حاجة لحل رموزها فى إستقراء لإعطائها معنى وملولاً عن كونها تراءة بالنطق الصحيح لنص يبين القصد منه على الفور وبوضوح بمجرد النظر فيه مما جعل بعض أعلام الأدب العربى يضعون هذه المقارنة الشهيرة القائلة إن المرء يقرأ لى كل اللغات ليفهم نصاً ويتعلم شيئاً. أما بالكتابة العربية فعليه إن يتعلم ليفهم ، فيستطيع أتذاك أن يقرأ نصاً. وبذلك القراءة فى هذه الحال ولقا على بعض

المولعين المتحمسين أو الشجعان الصابرين لأنها تتطلب جهدا معنويا وخاصة لمن يعتاد المطالعة.

والمعروف عن المغاربة أنهم ليسوا كلهم عارفين بالكتابة متمكنين من القراءة ، بيد أن كلا منهم يسمع ويتكلم ويحكي الواقع الذي يعيشه أو الحدث الذي يشاهده ومن ثم يكون ذلك وراء سعيهم الحثيث إلى الأخبار الرائجة والإشاعات الدارجة.

وفي هذا الصدد جاء على السنة كبار السن مقولة مشهورة تعرف بأن أحد الجنين عفريت أسمه " قالوا " والثاني وهو تزامه " سمعنا " وهما يقطنان في المجتمع المغربي مما له الأثر على القول وأهميته ودوره في المجتمع. (٨٥)

ويستعمل لفظ الكلمة في اللهجة المغربية الدارجة مرادفا للحكم والسلطة والنفوذ فيقال الكلمة "روح" وتتحول السلطة التشريعية في أذهان المغاربة وأقوالهم إلى "كلام الشرع" وكل إبراك معنوي من هذا القبيل يسمى "كلاما" ومن ذلك أيضا للحكمة الرائجة على لسان المغاربة الناطقين بالبربرية وتعرف بـ "ويل لمن هو مضطر إلى ترتب الكلمة" (٨٦)

وأظهرت الدراسة الميدانية أن أفراد المجتمع يعبرون عن الحديث الذي يدور بينهم lahadra بـ "الهدرة" وحين يطلب من أحد الكلام يقولوا في ذلك wehdæ "أهدر" أو iwedwii? "أدرى" أما كلمة أتكلم أو قول تستخدم عندما يأخذ الحديث شكله الرسمي ويتحول إلى ما هو أقرب إلى التحقيق أو محاولة الوصول للحقيقة لسرا وبذلك تنعكس قوة الكلمة كمدلول في أحاديثهم اليومية.

وللكلمة قوة ذات معنى خاص في الدين الإسلامي فالقرآن كما نظم هو كلام الله والأحاديث النبوية هي كلام الرسول (ص) وبنى الإسلام على الشهادتين تولا والصلاة ، وهي ذكر وهما على كافة المسلمين أغنياء.. فقراء ، ضعفاء .. أتوباء ،

اصحاء .. مرضى أما باقى ما فرض على المسلم كالصوم والزكاة والحج وهى كلها أفعال فى مضمونها إترنت بما يدل على أنها للقادر من ناحية الصحة وبعضها من ناحية الغنى والبعض من ناحية الإثنين معا.

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تذكر فيها الكلمة أو القول للتعبير عن الإرادة الألهية كما هو فى قول الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم * إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * (٨٧) * وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون * (٨٨)

وكثيرا ما نلاحظ فى عادات المغاربة الكلامية إسناد الفعل لغير فاعله وبذلك يتحول من فاعل إلى مفعول بوقوع الفعل عليه أو له . ويتم هذا التعبير اللفظى عما يكن فى غامض الورى من رفض لتحمل المسئولية أو قد يكون هناك تفسير آخر أقرب للواقع ويتمشى مع فكر المغربى وتصوره وهو النظر للفعل بكونه خارج عن نطاق الإرادة البشرية وربما يرجع ذلك لتصورات المغربى للكائنات الروحية (الجن والشياطين) وأثرها فى حياته.

وكثيرا من المغاربة يعتقدون فى وجود هذه الكائنات وشغلها نفس الحيز المكانى الذى تشغله الكائنات الإنسانية وحين يتكلمون عن هذه الكائنات لا بد أن يقرنوا كلامهم لهذه العقولة الشهيرة " التسليم لرجال البلاد " التى تدل على مدى إعتقادهم فى هذه الكائنات. ولذلك لرى أن هناك مضمونا آخر كامن وراء هذه التعبيرات (إسناد الفعل لغير فاعله) وتذكر منها على سبيل المثال:

"الساروت ما بفاش كيبور فى بلاصكه"

[surruut mæbeyææ] ?edyufebeyasso]

أى المفتاح لا يريد أن يدور فى مكانه

"الكاس كان فى يدى را طاح واتهرس"

[?ilkææskææn fe ?idææyæ raatah wetherris]

أى الكوب سقط من يدى وإنكسر

المولعين المتحمسين أو الشجعان الصابرين لأنها تتطلب جهدا معنويا وخاصة لمن يعتاد المطالعة.

والمعروف عن المغاربة أنهم ليسوا كلهم عارفين بالكتابة متمكنين من القراءة ، بيد أن كلا منهم يسمع ويتكلم ويحكي الواقع الذي يعيشه أو الحدث الذي يشاهده ومن ثم يكون ذلك وراء مسعيهم الحثيث إلى الأخبار الرائجة وإشاعات الدارجة.

ولم ي هذا الصدد جاء على السنة كبار السن مقولة مشهورة تعرف بأن أحد الجنيين عقرت أسمه " قالوا " والثاني وهو توأمه " سمعنا " وهما يقطنان في المجتمع المغربي مما له الأثر على القول وأهميته ودوره في المجتمع .^(٨٥)

ويستعمل لفظ الكلمة في اللهجة المغربية الدارجة مرانفا للحكم والسلطة والنفوذ فيقال الكلمة "روح" وتتحول السلطة التشريعية في أذهان المغاربة وأقوالهم إلى "كلام الشرع" وكل إنراك معنوى من هذا القبيل يسمى "كلاما" ومن ذلك أيضا الحكمة الزانجة على لسان المغاربة الناطقين بالبربرية وتعرف بـ "ويل لمن هو مضطر إلى ترقب الكلمة" ^(٨٦)

وأظهرت الدراسة الميدانية أن أفراد المجتمع يصبرون عن الحديث الذى يدور بينهم lahadra بـ " الهدرة " وحين يطلب من أحد الكلام يقولوا فى ذلك wehdæ " أهدر " أو iwedwii? " أدوى " أما كلمة أتكلم أو أتول تستخدم عندما يأخذ الحديث شكله الرسمي ويتحول إلى ما هو أقرب إلى التحقيق أو محاولة الوصول للحقيقة قسرا وبذلك تنعكس قوة الكلمة كمنلول فى أحاديثهم اليومية.

وللكلمة قوة ذات معنى خاص فى الدين الإسلامى فالقرآن كما نعلم هو كلام الله والأحاديث النبوية هى كلام الرسول (ص) وبني الإسلام على الشهادتين قولا والصلاة ، وهى ذكر وهما على كافة المسلمين أغنياء.. فقراء ، ضعفاء .. أقوياء ،

أصحاء .. مرضى أما باقى ما فرض على المسلم كالصوم والزكاة والحج وهى كلها أفعال فى مضمونها إقتربت بما يدل على أنها للقادر من ناحية الصحة وبعضها من ناحية الغنى والبعض من ناحية الإكتين معا.

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تذكر فيها الكلمة أو القول للتعبير عن الإرادة الألبية كما هو فى قول الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " (٨٧) " وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون " (٨٨)

وكثيرا ما نلاحظ فى عادات المغاربة الكلامية إسناد الفعل لغير فاعله وبذلك يتحول من فاعل إلى مفعول بوقوع الفعل عليه أو له . ويتم هذا التعبير اللفظى عما يكن فى غامض الوعي من رفض لتحمل المسئولية أو قد يكون هناك تفسير آخر أقرب للواقع ويتمشى مع فكر المغربى وتصوره وهو النظر للفعل بكونه خارج عن نطاق الإرادة البشرية وربما يرجع ذلك لتصورات المغربى للكائنات الروحية (الجن والشياطين) وأثرها فى حياته.

وكثيرا من المغاربة يعتقدون فى وجود هذه الكائنات وشغلها نفس الحيز المكانى الذى تشغله الكائنات الإنسانية وحين يتكلمون عن هذه الكائنات لا بد أن يقرنوا كلامهم لهذه المقولة الشهيرة " التسليم لرجال البلاد " التى تدل على مدى إعتقادهم فى هذه الكائنات. ولذلك نرى أن هناك مضمونا آخر كامن وراء هذه التعبيرات (إسناد الفعل لغير فاعله) ونذكر منها على سبيل المثال:

"الساوت ما بغاش كيدور فى بلاصته"

[surrut mæbeyææ] ?edyufebeyasso]

أى المفتاح لا يريد أن يدور فى مكانه

"الكاس كان فى يدى را طاح واتهرس"

[?ilkææskææn fe ?idææyæ raatah wetherris]

أى الكوب سقط من يدى وإنكسر

* الماشينة هربت على *

[?elmaʃiina haarbaat ?aaleya.]

أى القطار مشى .

وكلها تعبيرات تدل على وجود طاقة خفية وإرادة كامنة تمكن من فعل

الشيء وتغلب على إرادة الإنسان فى ذلك الوقت .

فالأمر الذى لا شك فيه أن للإنسان رغبة وإرادة لفتح الباب أو غلقه وكذلك

اللاحاق بالقطار والحفاظ على الكأس دون كسره. إلا أنه على الرغم من ذلك سلم

المغربى بوجود إرادة تفوقت على إرادته وجعلته فى هذه اللحظة مسلوب الأيدى.

وتتردد مقولة المقصود منها التسليم لإرادة الله بين المغاربة فى أحاديثهم

وخاصة عند تعرض أحدهم إلى اللوم أو العتاب لقول أو لفعل وتتمثل فى " أيوه اللى

أعطاه الله هو هادى " *?iywa ?ɛntallaa hewwææd* أى هذه إرادة الله ،

والمقصود منها أن لا يتحدث أحد عن لوم أو عتاب فهذه هى عطية الله فى ذلك

الوقت لهذا الشخص وهذا ما حدث ولا راد لعطاء الله ، وقد يتفق هذا مع شخصية

المغربى المعتقد للتعاليم الإسلامية ، والملاحظ للعيان أن مجتمع فاس وهو الأكثر

تدينا بين المغرب يحرض معظم أفراده على التشبع بروح الإسلام وتكر إسم الله

على الدوام ، وقد يأخذ ذلك فى بعض صورهِ العادة الكلامية إذ على سبيل المثال لا

يقم المغربى شيئا يركل أو يشرب وخاصة فى مجتمع فاس إلا ويسبقه بكلمة بسم

الله وهى بمثابة نذير للبدء وكذلك يقولها البعض عند تناول كنوس الخمر ، أو فى

بعض ممارستهم التى هى فى ظاهرها وجوهرها بعيدة كل البعد عن الجانب الدينى

. وعن الألفاظ الدينية المتداولة بين أفراد المجتمع نذكر: *Yaalateef yaalateef*

أى يا لطيف يا لطيف وهى كلفظ يرجع لأيام الحروب عندما إستخدمها الصوفية

(أبناء الطريقة الشاذلية) أساسا فى أورادهم للتخلص من الإستعمار والتغلب عليه

وإستمرت من وقت الحرب وحتى الآن متداولة بكثرة للتعبير بها عن وقوع حدث ما

أولى من تحمل الإنسان وتغلبه عليه ويتداول هذا اللفظ بين النساء والرجال والكبار والصغار .

ومن العادات السائدة في المجتمع القري أن تقتن أحاديثهم الاجتماعية المختلفة بأنماط من الأدعية التي تأخذ الطابع الديني ويظهر ذلك واضحا خلال معاملتهم اليومية بين كافة المستويات الاجتماعية ، ونذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر .

الله يعطيك الخير
?ælla^h ye tiiq ?xxcer

الله يعطيك السر
?ewælla^h ?yc tiiq ?esser
الله يعطيك السر

الله يرحم الولدين
?iwællah yerhem ?elwæledeen

الله يفتح عليك
?alla^h yeftyh qeleck

الله يعطيك الصحة
?ælla^h yeftiiq ?esseha

الله يرضى عليك
wælla^h yerdaæleek

الله يهديك وابنيتي

[?alla^h yehtiik yææ biniiti]

وللتعبير عن الغضب توجد بعض الأدعية الصريحة المتداولة على ألسنة بعض أفراد مجتمع ناس وتذكر منها

الله يعطيك الولد
?allah yeftteeq ?el weel

الله يعطيك المرض القبيح
?allah yeftteeq ?elmered leqbeeñ
الله يعطيك المرض الخبيث

الله يعطيك السم
?allah yeftteeq ?essem

الله يعطيك الموت
?alla^h yeftteeq ?elmoot

الله يشوينى نيك

?allah yfwiinifik

الله يحزنى عليك

الله يعطيك الجهل

?allah yetteeq ?eyæhel

وكما ينعكس الطابع النبلى الغالب على أفراد مجتمع فاس عند التعبير عن الشكر فى كافة المناسبات الإجتماعية كتقديم الطعام ونذكر من بين تعبيراتهم المتداولة :

الله يخلف الله يجعل البركة

?allah yexelef ?allah yeɣ æl ?elbaraka]

الله يجعل كل حبة بمائة حسنة.

[?allah yeɣæɣæl kol heɣææ bmeɣyææɣæt hææænæɣæt]

وللرد على هذه التعبيرات يقول المضيف :

بالصحة وهاذا مش كد دخلتك على

[hesseha we di mæ]eet xeeltikileyyæ]

بالصحة وهذا مجرد شيء لئيل وأنت تستحق أكثر من هذا.

وكما هو معروف فى المجتمع المصرى عند التعبير عن الشكر لتقديم الطعام

، يغلّب على هذه العبارات الشكر على الطعام وإعطاء المضيف العمر والصحة

لتكرر هذه الدعوة وللحضور فى دعوات سعيدة (كأفراح وحفلات ... إلخ)

وهذه التعبيرات كثيرة وتختلف باختلاف كدرة الأفراد على التعبير وإنقاء

الكلمات المناسبة التى تتواءم مع ذوقه وثقافته وتذكر منها على سبيل المثال سفره

دايمه ، إن شاء الله لآكل يوم فرح فلان إلخ. ويرد المضيف بالهنا والشفاء.

والمجتمع المغربى أكثر إستيعابا لكل ما هو والمعنى ملموس ولديه صعوبة

التصور المجرد ويتضح ذلك من مسمياته المختلفة التى تأخذ المطابقة فى الشكل

عن المضمون أو الوظيفة وتذكر على سبيل المثال بعض من هذه المسميات:

الطوال : للدلالة على الحبال	twaal
الساليجة للدلالة على أيس كريم	sææliiʒæ
البيضة الخضراء للدلالة على البيضة النثية.	beedaaxadar
" لهلا يخطيك " أى ربنا يخليك لنا.	læhlæ yeexettiig
والمقصود أن لا يخطو فوقك أحد وهذه المقولة تشير إلى الحياة والموت من حيث المكان ، فحياة المرء فوق الأرض والموت تحتها وهى دعاء بطول العمر	
" يشوينى نيك " أى يحزنى عليك .	yejwiinifuk
وهو عادة دعاء على المقربين من الأبناء والأكارب بالموت مما يودى إلى الحزن الشديد.	
وللتعبير عن الزمن يسأل أحد الأفراد?e]hææel fel mæ. gæænxæ? إشحال فى المجاعة ؟ أى كم فى الساعة؟ واداء الإستفهام إشحال هذه تستخدم كذلك للسؤال عن السعر فإذا كانت الساعة جديدة أجاب بالسعر وإذا كانت قديمة أجاب بالوقت ويتم ذلك من فهم للسياق ويجيب قائلا على سبيل المثال eeʒoqsom أى جورج وقسم أو feeʒoqsomæy جورج وقسمين ويقصد بذلك الثانية وخمس دقائق أو الثانية وعشرة دقائق ، فالمغربي يعلم جيدا أن قسم هذا يرمز إلى ٥ دقائق ومن ثم تسمين ترمز إلى عشرة إلا أنه لا يتعامل مع المضمون الرمزي بقدر تعامله مع الصورة الظاهرة فهو ينقل إتجاه المؤشر كما يراه تماما دون ترجمة حسابية لهذه الأقسام .	

وعند التعبير عن الألم لجأ المجتمع المغربي لإعطاء وصف عام للألم.
وعلى إطلاقه بمختلف الأنواع ونذكر على سبيل المثال استخدامه لكلمة *hereq*
كلمة الحرق أى الوجع

حرق فى الرأس (الصداع)	<i>feriq fe ?erraas</i>
حرق فى الكرش (المغص)	<i>feriq fe ?ekker[</i>
حرق فى اليد	<i>?efieraaq fe ?elyed</i>
حرق فى الرجل	<i>?elhieraaq fe ?irre el</i>
حرق فى الضرس (الأسنان).	<i>?elhieraaq fi derrsa</i>

ونذكر بعض التعبيرات الإصطلاحية *Idiom* التى تعكس إهتمام المجتمع
ونظراته لبعض الظواهر الإجتماعية.

١- [*?eh we hæ daa mosmaar wæ taraqnææh*] أيوه هادا مسمار
طرقناه.

وتشير هذه العبارة إلى موضوع تم الإهتمام منه تماما وعبر عن هذا المعنى
فى اللهجة المصرية بـ ' حط النقط على الحروف ' وكما هو واضح فى التشبيه
المغربى فهو أقوى من ناحية المضمون فطرق المسمار أمرا ليس هينا كما أنه من
الصعوبة العدول عن طريقه. أما النقط على الحروف فهى بمثابة إيضاح للمعنى
ويغلب عليها الشكل عن المضمون مما يعكس صعوبة الفعل فى المجتمع المغربى
عنه فى المجتمع المصرى وهذا يتوافق مع العقولة الشهيرة والتى سبق لنا ذكرها
وتعرف: ' ويل لمن مضطر لتراب الكلمة'

٢- [We byeet nefergeq hædellæhææ] " بغيت نفرجع هاد الدلاحة "

الدلاحة باللغة المغربية أى ناكهة البطيخ فى مصر علما بأن فى المغرب ناكهة البطيخ وهى تطلق على الشمام فى مصر.

والمقصود من العبارة أن المتحدث يرغب فى إقضاء السر والمعنى المتضمن أن قول السر سوف يحدث ضجة فى المحيط المتصل به ، وقد يرجع تشبيه السر بالدلاحة إلى أن مصيرهما واحد وهو الفرقة طالت المدة أو قصرت. ومن عادات المغاربة الكلامية أن يلجأوا إلى تلطيف العبارة بالتورية ، وقد يكون تفاديا من قول ترفضه الأسماع أو يجرح الإحساس أو من ناحية أخرى قد يكون تعبيراً عن حقيقة كاملة يراها أفراد المجتمع المغربى ويعتقدون فى وجودها وهى على سبيل المثال. مثل التعبير عن الأعمى بأنه " بصيرا " ويرجع ذلك التعبير فى حقيقته إلى النظر لأبعد من الظاهر فلإنسان يصر وبصيرة والبصيرة تتم بالقلب والبصر بالعين ولذلك فقد يكون الأعمى بصيرا بالقلب وهذا الغالب فى نظر المغاربة لفاقد البصر. وكذلك اللون الأبيض حين يطلق على الكحل أو أسود اللون إذ يرى المغاربة إن الإنسان الأسمر الكحل طيب القلب ومن ثم بوصف بالبياض وصفا لقلبه وليس لمظهره الخارجى.

وللتحدث عن بعض العادات الكلامية المتبعة فى المجتمع المغربى وقع إختيارنا لبعض عبارات التهاني التى تذكر فى حالتى الزواج والإتجاب والتى تعكس لنا النمط التفكيرى السائد لدى أفراد المجتمع وإختلافه عن ما هو سائد فى المجتمع المصرى لإختلافهما فى المعتقدات والعادات الشعبية وكذلك النظرة المستقبلية ونذكر على سبيل المثال بعض عبارات التهاني بالزواج فى قانس :

مبروك الجواج مبارك مسعود

[mebruuk ?ezzewææ} mbaarkæ mastuud]

أيوه الله يهنهم

[?ey wæ ? ællæ yehennehom]

أيوه الله يعاونهم أيوه الله يكمل لهم على خير

[?eywæ ?ællæh ye? ææwenhuum we ye kemmæl ?eeleehom
? ælæ xeer]

(الرد)

العجوبه لوليدتاك

[le?egbææl wleedætkom]

عقبال أولادك

ويبين من هذه العبارات أن ما يهم الأهل والزوجين هو إتمام هذا العرس على خير وتحقيق السعادة والهناء بالزواج وإستمراره فالمجتمع المغربي ينتشر فيه تعدد الزوجات مما يجعل الكل مشغول بنجاح الزواج وإستمراره دون النظر للمرحلة المستقبلية كما هو شائع في مصر إذ لا بد أن نقرن التهاى بالزواج بعبارة " عقبال البكارى " والمقصود بذلك تعزيز الزواج بالإتجاب. وعن عبارات التهاى بالإتجاب في المجتمع المغربي نذكر:

الله يحببه لك الله يحفضه لك

[?ællæh yehjobileek ? ællæh yehfoda leek]

أيوه خمسة وخمسة عليك

?eywææ xæmsææ we xmeesæ ? æleek

خمسة وخميس والحرم في التلايس

xæmsæ we ?elxæmææmes we ?elheram ftelææles.]

(الرد)

رب بخليك ويطول عمرك

[bor beex ?elyeek we yetawl ?omrok]

والمعروف عن المجتمع المغربي أنه من أكثر المجتمعات إعتقاداً في الجن والكائنات الروحية وأثرها بصفة خاصة على الأطفال حديثي الولادة . لذلك ففى التهانى بالإتجاب تحرص النساء بصفة خاصة على ذكر بعض الكلمات التى ترى أنها بمثابة حصن وحفظ للمولود والمعروف والشائع لدى المجتمع الفاسى أن تحرص الأم على وضع ما يعرف بكف فاطمة والمقصود بها كف صغير لونه أسود يعلق مع بعض الحبوب حول يد الطفل أو قدمه كحجاب واق وحافظ ومن هنا يذكر: " الله يحبك ويحبه وخمسة وخمسين والحرملى فى التلايمس " والمعروف أن الحرمل هذا من العناصر التى يتأثر التبخير بها فى المجتمع المغربى والحرص على وضعها فى الأحبية لما لها من أثر فى الحفظ والتحصين^(٨٩) وهذا فى مختلف المستويات إلا أن نوع ومدن هذا الكف هو الذى يختلف من مستوى لآخر إذ ليس هناك علاقة قوية بين المستوى الإجماعى والإعتقاد فى هذه المعتقدات وخاصة فى مجتمع فاس.

والحقيقة أننا إكتفينا بهذه الأمثلة لإلقاء الضوء على إرتباط الإختيار الأسلوبى للتهانى بما يتناسب مع النظم والظروف الإجتماعية السائدة . وبالإضافة إلى ذلك لوحظ تأثر الكلام ببعض العادات والتقاليد السائدة فى المجتمع ونذكر منها على سبيل المثال: ما عرف عن المجتمع من حسن الضيافة والمناسفة فى التبخير وخاصة فى المناسبات التى يدعو لها الأهل والأصدقاء وهى ظاهرة التضخم والأطناب وتعمل هذه الظاهرة مفعولها فى الكلام . فنجد على سبيل المثال العبارات المستخدمة فى التحية فى أى لغة ما لاتعدى جملتين أو ثلاثة ، أما فى اللغة المغربية فهى تشمل على جعل متتالية لا توقف فيها لإنتظار الرد ونذكر منها على سبيل المثال بعض عبارات التحية المعتادة بين أفراد مجتمع فاس:

اهلا كى دايره ؟ كيف دايره مع الصحة اش اخبارك؟
[?æhlæn kidæyra... ? kideyra mææsha??ee] ?axbaariq?]

لا ياس الله بيارك فيك وانت لا ياس ؟ (الرد)
[leeh bæslæ yabæænikfikie we ?inti leeh bas.]

الحمد له
[?el ʔamdu lillææh]

وكى داير مول دار وكى درارى
[wimikin dir moldaaree kokii lendeeri]
مول دار إي رب الأسرة ودرارى إي الأطفال

لا ياس الله بيارك فيك وانت (الرد)
[leeh bas ?alla yebaarik fiiki we ?inti]

الحمد له
?elʔamdu lillææh

ايوه الحمد له يا للا نهار كبير هادا تفضلى تفضلى. (لا اي ستى)
[?eyywa ?elhamdu lillææh nehaar kbiir haada ?etfadl
?et fadlee]

ياك كل شيء لا ياس
[yekul ʔee lee ba?s]

ونهار كبير هادا.
[we nehaar kibiir hææda]

التحية عند الإنصراف

هانا مشيت الله يهنيكو
[hænxæ mʃiit ?allah yeheneekom]

أيوه الله يعاونكم تهلا في راسك. (خلى بالك من نفسك)
[?ee wallah yeʔ æænkom taahela fraasak]

(عبارة التحية بعد طول الغياب)

أهلا نب - كبير هادا يا للا
[?ææhlææn nehaar kibur hæædæ yææ lællæ]

ايه هادي الغيبة تسمى أخبارك؟
[?eykedæ heed le hee be ?ee] ?axbaareq...?]

أيوه لا باس الله يبارك فيك
[?ew læ bæʔs ?elle yebæærnik feeki]

(الرد)

وسولتوا علينا وسولتوا وجلتوا
[we sweltu ʔæleenæ we sultu beltu]

فينا فين عيينا واحنا
[fiina feen yebnæ we ?ehna]

جينا حتى عندكم برجينا
[ʔinaæ ?ehtæær ʔendokom breʔiinaæ]

أيوه الله اجنا سولنا وحتى اتقوما ما سولتوا.
[?ee weella ?illæhene yosæ wellnæ ?ewetin to mætsouula]

أيوه نهار كبير هادا يا للا
[?ewnehaar kbiir hedæ yæ lælla]

والله لتوحشناك وخصنا نغم الحليب والتمر (لتوحشناك إي وحشنا)
[wellah lætwehi] naak ?eeh lexasnaqdmol fieleb we tmaar]

يا زهرة لرا الحبيب والتمر. ***** (أرا اى هاتى)

[yælxæ yazahra ʔalellæheeb we tmaar]

أيوه إتفضلى واللا إتفضلى.

[ʔey ʔotfoodlii yaa lællæ ʔetfadli]

أيوه نهار كبير هادا.

[eywæ nehaar kebiir hæædæ]

التحية عند الإصراف:

أيوه بالسلامة وسلموا لنا على مول الدار.

[ʔew beslææmæ we dlimiilinæ ʔælxæ moldaa]

والله بخلف والله فرحتوا بينا بالزاف

[walla yexelf wella ya farehtu beena bezzææf]

والله فرحتوا بنا خالص خالص

أيوه والله كتستهلوا أكثر من هادا الشىء.

(الرد)

[ʔey wællæ ket testææhel ktaar min hæfji]

أيوه والله أنتم تستهلوا أكثر من هذا الشىء.

أيوه غير تلبوا علينا ايو وما تقطعوش الرجل أيو لتتينا مرة مرة سولوا علينا

[we ʔer qübelo teleenæ ʔeywa we maqtetatofer ʔel ʔewæ

hæænti morra morra suula ʔaleenæ]

إتفضلوا وما تقطعوش الرجل أى كرروا الزيارة مره مره وأسالوا علينا

الله يرضى عليك سلمى على مول الدار والدرارى

[ʔella yerda ʔæleeki ʔew wslemiilena ʔelæ mwææl ʔedaar

we ʔælxædeeri]

الله يرضى عليك سلمى على رب البيت والأطفال

ويوملنا الدرارى

[wi busiilna ʔedææri]

يوسى لى الأطفال

حوار بين زوجين

شى جوج مچوجين كيديبزو

[ʃi:ʒooʒ metʒæwʒi:in kiidæbzu]

خناق بين زوجين

وحضر الموقف الكلامى الزوجة الأولى للزوج والخانمات وهم إثنين
والحمال.

ويتمثل الموقف الكلامى فى شراء الزوج للكباش التى تنبج فى العيد
وإرسالهم للدار عن طريق الحمال كما هو شائع فى مجتمع فاس.

المرأ لولا

?elmarraehuula الزوجة الأولى

المرأ تانية

?elmarrae?etenyæ الزوجة الثانية

والجلهم

weraazelhom الزوج

الحمال

?elhæmmææl الحمال

الزوجة الأولى:

أنتوما ما كتسمعوش باب الدار كندق طامو رحمة

[into hene kætəsmæ tuu|bææb ?eddaa : kaddoq taamo.
rafimæ]

أنتم لا تسمعوا باب البيت يدق طامو رحمة

- إضافة حرف الكاف للقل المضارع كما هو فى تشمعوش وتنق

الزوجة الثانية:

را هم خيذين نـ تصيين لى سطح
[raaym xæydeey fitsebee fe staaħ]

* را * أداة إشارة هم ملخومين لى القسيل فى السطح

هانا غاد يمشى نحل باب

[hænaæ γædyemi]e ?elħielbee]

أنا سوف أمشى أفتح الباب.

- ها تستخدم للتعبير عن سرعة الفعل. غاد بمعنى سوف

الزوجة الثانية: اصبر .. اصبر .. أشكون هادا اللى غاد يفرع علينا الباب ها كده

[?axbaa ?e] yede ?elyefreh † æ leenæ ?elbææb hæ kdææ

اصبر .. اصبر .. من هذا اللى سوف يكسر علينا الباب كده.

ياغى تفرع علينا الباب

bææhet free †eleenæ ?elbææb]

عايز تكسر علينا الباب

العمال: او مالكم كنتم ميتين م صباح وأنا كنخبط

[?e mælkom kunto meytiin ?e mesbaaħ we noxbot.]

ليه مالكم كنتم ميتين من الصباح وأنا نخبط. ميتين تحمل نفس معنى كلمة

نايمين على ودانكم باللهجة المصرية.

الزوجة الثانية: بلا ما تتجنن علينا غاد نمشى لعيط لى يعاونك.

[blæ mitjennæn †eleenæ †æd yeme ĩin †æleek ?elæ
?oona.]

بدون ما تتجنن علينا سوف أمشى أنادى لى من يساعذك.

- نعيط أى ننادى وكذلك تستخدم للتعبير عن المكالمة التليفونية نعيطك أى نكلمك

بالتليفون.

طاموا ... رحمة إنزلوا دغيه بجوج.

[taamo rafimæ nejɫuntjebjɔʒ]

طاموا .. رحمة .إنزلوا بسرعة أتلما الإثنين.

العمال:

أنا مشيت ما كو أكباشكم أنا مشيت.

[? ænæ mʃiit hæætu ? ækbææʃkom ? ænæ mʃiit]

أنا خرجت خذوا كباشكم أنا خرجت.

كثير ما يعبر في اللهجة المغربية عن المستقبل بالماضي مثل أنا مشيت أو أنا كلييت

(دخل الزوج على الزوجة الأولى وهي مع العمال بملايين البيت وقال وهو يدلع

الزوجة بقوة).

سيرى ... سيرى يا قليلة العرض .. الله يشوئلى فيك.

الزوج:

[siiri siiraa qlleta ?aat mæ ye ʃwiini fiik]

إمشى إمشى يا قليلة الأدب أو الشرف ... الله يحزلى عليكى.

وقفه لى فى باب الدار ما كده

Waqfaaleek bææb ?æddæær hækdæ]

وقفه لى فى باب البيت كده.

ويلى اطلق لى يدى

الزوجة الثانية:

[wiliqliiq leededii

يا ويلي أترك لى يدى

ويلى ويلي أحمتيتى

weeli wee lih maaqeti]

يا ويلي يا ويلي إتجننتى

- ويظهر هنا مخاطبة المذكر بالمؤنث.

أ ويلي أستغفر الله

الزوج:

[?aa we ll?essætɾyfee llaah

أ أداة نداء يا ويلي أستغفر الله.

وقفه لى لدام للعمال عريانة

waqfaa liqeddææm ?elʃæmmææm ? æryæænææ.

وقفه لى أمام العمال عريانة

وتقولى أحقيت أشكون للى عماد يحمتنى من غيرك أنت.

wofqan leeh himaaqet ?e[?kol yæædihæmaqni men yeerk
?enzaak.]

وتقولى إتجننت من اللى سوف يجتنى من غيرك أنت

- ويظهر مخاطبة المؤنث بالمذكر.

شولوا باللا كيش كانت لابسة كدام الحمال . شولوا باعباد الله .

الزوج:

[Juuf wælæ ?ellææ kifæ?kænt læbsææqeddææm
?elhaemmææ. Juufuyæ ?ebaad?allah.]

بصوا يا ستى كيف كانت لبسة أمام الحمال . بصوا يا عباد الله.

أ يا سيدى للمتعلقات كانوا لم سطح.

الزوجة الأولى:

[?ææ sidi ?elmetsæ ?lemææt kææ no fstaafi

أ أداة نداء يا سيدى الخادعات كانوا فى السطح

والحمال إتقلق وكان عماد يهرس باب الدار.

we ?elhaemmææ. ?etqallaqu we kææn yædii

والحمال تضايق وكان سوف يكسر باب البيت

ما صابت لايين . والله يهديك الحاج

ma saabet lææyen wæ?allaah deek ?elhaæ]

ما وجدت شيء أخر والله يهديك الحاج.

ما صابت لايين عبارة إصطلاحية تستخدم بمعنى ما وجدت أفضل من هذا

أ لا يهرس الحيوط ماتحلوش

الزوج:

[? ælællæ yehærris læhfyoom mæthielluu]

أ أداة نداء /ستى/يكسر/العوانط/ماتفتحوش

ما تحلوش للباب وهى عريانه

mæthielluu?elbææb we heyyæ ? æryæænæ.]

ما تفتحوش/الباب/وهى عريانه

الله يسامح الحاج هادى وتوية.

الزوجة الأولى:

[? ællach ye sææmehi yæ ?ælfææz hæædyee ?etooba.]

الله/يسامح/الحاج / هذه / والتوية.

الزوجة الثانية:

وعلاش الله يسامح.. أشنو عملت.

[We ʔelc ʔalla yssææmeh ʔeef heʔmelt]

ولماذا/الله يسامح/ ماذا / فعلت.

الزوج: (ثم حاول ضرب الزوجة كنوع من التهديد)

ما زالت زايده فى التخزير

[mæzz læzzæyy dæh tææn zeer.]

ما زالت / مستمرة / فى التخزير. (وهو رمز لقلة الأدب)

الزوجة الثانية:

إذا كنت راجل كُرب لى.

[Wee læ kunti rææjel karreb leeyæ]

إذا / كنت / رجل / قرب / لى.

وهو تهديد ردا على محاولة الزوج لضرب الزوجة.

الزوج:

إنت كلبه وقليلة الحيا.

[ʔenti kelbuuq lee leʔyaaq]

إنت / كلبه / وقليلة / الحيا (أى الأدب)

الزوجة الثانية:

أنا كلبه يا الشريف يا لعقروش

[ʔænxæ kelbææ] [arafalæʔaqroo]

يا الشريف (وهى تطلق على الأشراف من نسل الرسول (ص))

يا لعقروش (وهى تطلق على الرجل الكبير فى السن والمتظاهر بالشباب)

الزوجة الأولى:

ويلى يا هدى ما بقتيش كتعرلى إشنو كتخرجى على فمك.

[Weeli yææ huudæ mabqitii] tetʔafi [noo xargee ʔala fommak.]

يا ويلي/ يا هدى / أصبحتى / لا تعرلى / ماذا / يخرج / من فمك.
- أحيانا كما هو واضح فى هذه العبارة تستخدم على بدلا من من فمك.

الزوج:

على بذلك الحلوف الكبير أى القسم بالله العظيم

[ʔ æleeyæ bdææk ʔelfæluuf lekbee]

الزوجة الأولى: / الحاج / الحاج .. هنن راسك شوية .. إنعل الشيطان.
 [ʔælhææ ʔælhææz hædden raasa ʃweyye ʔencer]ʃeetaa.
 أ أداة نداء / الحاج / أ أداة نداء / الحاج / هذا / راسك / شوية..
 أستعيذ بالله من الشيطان (ولى ذلك يقول الله يلعنه ويخزيه)

بدل ساعة بأخرى يصبح ويفتح
 bedel seʔææt xoo yesbafi we yeftaafi]
 إمتبدل / ساعة / بأخرى / يصبح / ويفتح (أى الله يفتح علينا بالخير .
 صافى صافى خرج منى للطرف. الزوج:
 [saafi saafi xæræz menni ʔelohloof.]
 خلاص / خلاص / خرج / منى / القسم.

حوار بين صديقين

شى چوچ كيداكروا لى القهوة
 [ʃi:ʒooʒ keddakro fe ʔelgahwa]
 خناق بين صديقين

(م) mostaafaa
 مصطفى

(ع) ʔabdolla
 عبد الله

(ع)
 كيدر سى مصطفى كيدر مع صفا
 [kdeer see mostaafaa kdeer mʔa ʃiaa]
 عامل إيه سيدى مصطفى عامل إيه مع الصحة

كيدر مع شى خنمة لا بامس بخير وعلى خير
 [kdeer mʔaʃxedma lææbæs bxeer weʔa xeer]
 عامل إيه لى الشغل كل شىء بخير.

(د)

لا باس لا باس
 [læ bææs læbææs]
 كويس كويس

(ه)

أ عبد الله ما عندي ما لجوك أنت بعدة كترش بعدة الصبحه.
 [ʔaʔabdolla mæ ʔ ændi mægkollik min sææbeɾdaa Kææteɾraa
 f] baadessoɦba.]

أ عبد الله ما عندي ما نقوله لك أنت بعد كده ما تعرفش الصداقة.

رجل مزيان ما بدرش ذاك الشيء.

[rææ el mezyææl mæydeer] dæækli]

رجل كويس ما يعملش كده.

(ع)

أشنو درت . أيو كولى أشنو درت.
 [ɲoo dert ʔeywæ kolli ɲoo dert ʔ]

ماذا فعلت نعم قول لي ماذا فعلت .

(ف)

والله كتسكوت . والله كتسكوت.
 [wællæ tææteskot wællæ tææteskot.]

والله أسكوت والله أسكوت

ما يمكش نقولك لهدره ما كترحش.

[mæyemkn ʃee kollik læhædrae mæket fraɦ].]

لا أستطيع أن أقول لك الكلام ما يفرحش.

وش حشمت ولا محشمتش.

[wææ] fii]mti welemæɦ]emti]

إتكسفت ولا ما تكسفتش

وحشومة تعنى العيب. حشومة عليك أى عيب عليك

ياك كولتى كتنخنوا رشوة
[yaak kolti kaan xodora]waa]
نعم كولت على ناخذ الرشوة

(ع)

إشلوا أشنوا جولت أنا ما جلت والو
[ʃnoo ʃnoo kolt ?ænzæ mæ kolt wæyloo
ماذا ماذا كولت أنا لم أقول شيء على الإطلاق.
أيوه اللي جلك هاد الهبرة را مش بالصبح.
?elli ?elliqalliɣ hææde ?elhadra ra mafi bsafiɣ
من قال هذا الكلام ليس بالصدق
جولى بعده شكون اللي جلك هاد الهبرة
qolli bæʔqæ [kolli gæælik hæædæ ?elhædræ]
قول لى أولا من قال لك هذا الكلام.

(م)

أيوه سمعتها
[?owæ smetʰæ]
أيوه سمعتها.

(ع)

أنت كمتعرفش للناس مينليكشوتوا شى جوج
[?entaka mateʔraf] ?ennzææs millikey [ufun [iiʒoʒona]
أنت لا تعرف الناس لما يروا إثنين
متلايين كيبفوا يفركوهم
[mitleeqiin kiyibyu yefrokoohm]
متصاحبين يريدون يفرقوا بينهما

(م)

صافى صافى ما كاين والو
[saafi saafi mæken weel]
خلاص خلاص لا يوجد شيء على الإطلاق.

على الرغم من أهمية الكلام التي تم عرضها وتحليلها في هذا البحث إلا أنها بلا شك لا تعبر عن خصائص اللهجة المغربية بوجه عام فقد إعتدنا في إختيارها على كثير من العشوائية ، وإن كانت تعكس فيما ومعتقدات وروى ، وكذلك خصائص لغوية وصوتية ، كما سوف نوضح على النحو التالي:

ومن تحليل نمطي الحوار إتضح تشابه مجتمعي الدراسة - إلى حد كبير - في المشكلات الإجتماعية التي تواجه كل منهما:

ففي الحوار الأول ظهرت مشاكل القيل والقال وإذاعة الشائعات ومحاوله التفرقة بين الأصناف وكذلك مشكلة الرشوة التي تمل على مبدأ المنفعة والمصالح المتبادلة ، ويتفق ذلك مع المقولة المغربية الشهيرة - والتي سبق شرحها - وهي ويل لكل من هو مترقب للكلمة.

وعن المشاكل التي ظهرت في الحوار الثاني نذكر ظاهرة تعدد الزوجات وما يتبعها من مشاكل وخاصة في حلة الزواج غير المتكافئ في السن مثل مشكلة الغيرة والتفاوت في التفكير.

وقد إنفرد المجتمع المغربي بظاهرة تعدد الزوجات والجمع بينهن في دار واحدة وإن كانت هذه الظاهرة بدأت تنحصر بين أفراد الجيل الجديد ، إلا أنه لا زال لها بقايا رأتها الباحثة وعاشت بين أفراد أسرة من هذا النوع مما أتاح لها أن ترى عن قرب بعض خصائص هذا النمط الزواجي ونذكر على سبيل المثال: تحول دور الزوجة الأولى إلى دور الأم للزوج وتحملها مسئولية عبء الإشراف على المنزل من حيث النظافة وإعداد الطعام وكل ما يخص الأسرة (مع ملاحظة وجود خادمت أو " متعلمات" للمساعدة والعون). وهذا الأمر يتم تلقائيا بزواج الزوج من زوجة أخرى وفي ذلك ذكر المثل القائل " إيلا شفت زوج متعاشرين عرلت الحرك على

واحد* والمقصود من هذا إنك لو رأيت إثنتين من الزوجات فى بيت واحد أى متعاشرين أعلم أن الدرك أى النقل والعبء على واحدة منهما وهى فى الأغلب الزوجة الأولى التى تكون أكثر صبرا وتسامحا.

- ويلجأ الزوج للزوجة الأولى فى إستشارتها فى كافة شئونه ويحفظ معها أوراقه ومستنداته الخاصة بل والأكثر من ذلك يستشيرها عند رغبته فى الزواج من زوجة أخرى وقد يطلب منها أن ترشح له إحدى الفتيات ويتم ذلك بالفعل.

- والمرأة المغربية تؤمن بأن الهدف من الزواج هو الإستقرار والسعادة فى الحياة الزوجية سواء بزوجة واحدة أو أخرى ويحث أفراد المجتمع المغربى الزوجة على الصبر حتى تستمر حياتها الزوجية وعرف بذلك المثل المغربى للقاتل "الحررة إيلا صبرت دارها عمرت".

- والمعنى واضح من المثل الذى يشير إلى إستمرار الحياة الزوجية من أجل الزوجة والأبناء معا حيث أن عدم صبر الزوجة وتحملها تد يودى إلى الطلاق معا يعرضها لحديد من المشاكل ونذكر فى ذلك المثل المغربى القائل: "تخاصم بباى مع مى ما عرفت عند م نمشى لدار حيببى ولا لدار عمى" ويقصد بهذا المثل ما يترتب على طلاق الأب والأم من حيرة الأبناء بين اللجوء إلى دار الخال أو دار العم لذلك على الزوجة الأولى الصبر ومحاولة إضفاء جو من الهدوء والطمأنينة على الحياة الزوجية لها وللزوجة الثانية والشانع بين أفراد المجتمع تمسك الزوج بزوجه الأولى إلا فى حالات نادرة تد يحدث فيها طلاق وفى ذلك عرف المثل القائل "الجديد ليلوه جده والبالى لا تترط ليه" والمقصود الإحتفاظ بالزوجة الأولى مهما كان الزوج أكثر ميلا للزوجة الثانية.

إذا حدث نزاع بين الزوج وزوجته الثانية تتدخل الزوجة الأولى بمحاولة التهدئة والتخفيف من وطأة ما حدث للحفاظ على الجو العام للأسرة من تألف ومودة ومحبة والتخلص مما قد يعكر هذا الجو ، الأمر الذي قد ينعكس بدوره على الأبناء .
وسما تقدم ذكره يبين على الرغم من التتابه - إلى حد ما - بين المجتمعين في المشكلات الإجتماعية وكذلك في كونهما فرعين من فروع اللغة العربية الأم ، إلا أن هناك عديدا من الاختلافات بينهما في اللهجة وكذلك الخصائص اللغوية والصوتية والتي سوف نذكر بعضا منها، مع إقرار مسبق بعدم تخصصنا في هذا المجال وإن كان لهذه الخصائص أهمية في بحثنا هذا لمعرفة ما تعرضت له اللهجة المغربية من نضال هو في حقيقته أشبه بما تعرض له شعبها الذي ناضل منذ التاريخ (٩٠)

الشعب المغربي - كما ذكرنا من قبل - لا يسوده إلازدواج اللغوي فحسب بل هو مزيج من عديد من اللغات (فرنسية - بربرية - عربية - إسبانية ... وغيرها) مما زاد الأمر تعقيدا عند محاولة الوصول إلى التأثيرات اللغوية المختلفة على اللهجة المغربية مما جعلنا نجتهد في هذا الأمر دون إثبات قاطع لما نذكره في هذا الصدد. فبعض الخصائص كما هو ظاهر ترجع للتأثر باللغة الفرنسية ونذكر على سبيل المثال:

- تأنيث المذكر وتذكير المؤنث - وظهر ذلك واضحا في تعطى الحوار وذكر سلجمان (٩١) أن لغة البوشمن - وهي من أكثر شعوب أفريقيا بدائية - ينعدم فيها التمييز اللغوي بين المذكر والمؤنث.

وأضاف السمران أن الفرنسية لا تميز إلا بين المفرد والجمع دون التفرقة

بين المتكلمين على أساس التذكير والتأنيث (٩٢)

- تكبير الاسم المفرد بذكر كلمة شى قبله مما يدل على عدم تعيينه مثل شى راجل، شى مرا، شى خدمة ، بدلا من رجل أو إمرأه أو خدمة ... إلخ (١٢)
- وقد يرجع التأثير باللغة البربرية إلى إضافة بعض الحروف الزائدة للكلمة مثل الكاف قبل المضارع : كتكتب ، كنخرج ، كتمشى ، كنعول ، كنعاكل ... إلخ.
- التطويل فى اللهجة المغربية يأخذ شكل الإمالة والتطويل فى الحركات أو الصورة التى تعرف بتوالى الصوائت كما هو فى الحوار الأول والثانى
- التكرار فى اللهجة المغربية مثل " كيف كيف " وتعنى " مثل بعض " و " بحال بحال " وتعنى " لا فرق بين الأمرين . "
- ووجد الحذف فى اللهجة المغربية وهو ظاهرة واضحة وخاصة فى المقاطع الأخيرة من الكلمة فمثلا كلمة كى دايد كيف دليرو. وهذه الكلمات غالبا ما تحتوى على الأصوات الآتية اللام / النون / والراء / والفاء.
- وكذلك النحت وهو دمج أو إسقاط بعض أصوات من كلمات متتابعة مثل لاين ، تهلا - يستخدم المجتمع المغربى للنفسى كلمة " جع " وكذلك " ولو " ويستخدم للإثبات "وخ" وللتحذير يستخدم عندك تقول كذا ... أو بالك تعشى لـ ...
- وللتعبير عن المكان يستخدم هناى أى هنا ، ومثن لقم أى ذهب هناك.
- وعند النطق يتم إستبدال الدال عن الذال ، التاء عن الثاء ، العين عن الغين، الجيم عن القاف
- ولى الإستفهام يوجد كثير من الكلمات المستخدمة بل وتستخدم الكلمة الواحدة لأكثر من تساؤل تبعا للسياق الذى تستخدم فيه ونذكر على سبيل المثال:
- شحال ؟ للسؤال عن السعر وكذلك عن الوقت شحال فى المجاتة؟
- شنو؟ للإستفهام عن (من) أو (ماذا)
- فوتش ؟ للإستفهام عن (متى)

شكون ؟ للإستفهام عن (من)

علائش ؟ للإستفهام عن (لماذا)

وقد يرجع أفراد المجتمع المغربي كثرة وجود الشين في مفرداته إلى تأثره باللغة اليمينية.

- ولد وردت بعض العبارات الإصطلاحية والتي ورد بعضها في الحوارين السابقين ونذكر: " ما صابت لآين " تهلا في راسك. " لهلا يخطبك "
- " ما تقطوش الرجل ."
- " بدل ساعة بأخرى يصبح ويفتح."
- " هادا مسمار وطرفناه."
- " بغيت نفرج هادي الدلاحة"

والملاحظ كثرة إستخدام الكلمات العربية التصحى بين مفردات اللهجة المغربية في الأسماء والأفعال وكذلك الصفات وتذكر على سبيل المثال من بين الأسماء زربية أى سجادة ومن بين الأفعال إنهض ، إجلس ، سير ومن بين الصفات " الزين " " الإتساع " " الضيق " .

خاتمة ونتائج

أكدت الدراسة دور اللغة كأداة للإتصال والتعبير عن التصورات والأفكار والقيم والمعتقدات . ومن ثم إتضح أن اللغة تمتلك قوة التأثير المعرفى على من يتحدثونها بمعنى أنهم يعبرون من خلالها عن الأفكار التى تتطلبها الثقافة وهذا لا يعنى القول بالتحتمية اللغوية بقدر ما يعنى أن إستمرار اللغة بنفس المفردات والتركييب والدلالات إنما يرتبط بمدى إستمرار السياقات الثقافية والاجتماعية نفسها وإختلاف اللغة يرتبط بدوره بإختلاف السياقات الثقافية والاجتماعية.

وإذا كان دور اللغة في البداية تابعاً للإنسان ، أى أن السياق يتحدد أولاً نتيجة علاقات الإنسان بالبيئة ثم تبدأ اللغة برموزها اللغوية وغير اللغوية في تحديد كل ما يقع في مجال اهتمامات الإنسان سواء في العالم الطبيعي أو ما فوق الطبيعي

إلا أن اللغة تصبح بمثابة أداة يستطيع الإنسان أن يعبر بها عن أفكاره ويتواصل من خلالها مع غيره^(١٤)

وبذلك فاللغة ليست أداة لتوليد الأفكار الملفوظة فحسب ، وإنما بها تترجم الأفكار والأحاسيس ، وهي برنامج مرشد للنشاط العقلي وتحليل تصوراته وأفكاره ومعتقداته.

وقد أظهرت الدراسة أن اللغة هي الوسيلة الأساسية لنقل التراث الثقافي والتكشنة الاجتماعية . كما أنها تؤثر في كيفية رؤية الأفراد للعالم ، وذهب أرموند ليث B.Leach لأبعد من ذلك قائلًا أن إدراكنا للعالم المحيط بنا يتأثر بالمقولات النغمية التي نستخدمها لوصفه^(١٥) فاللغة هي المرأة التي تحمل شخصية الأمة وهويتها على مر التاريخ ، إذ تستوعب جميع جوانب حياتها العملية والدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

كما أظهرت الدراسة أثر البيئة على اللغة وتشابه المجتمعات البدائية في خصائصها النغمية كما هو الحال مع بدو المغرب وبدو مصر . على الرغم من إختلاف المجتمعين في اللغة في عمومها.

تبين بالدراسة الإختلاف في الحركات الجسمية غير انصاحية للكلام والمصاحبة للكلام في مجتمعي الدراسة . ويرجع ذلك إلى ارتباط الرموز والإشارات والعلامات بالثقافة السائدة فيها. ومن ثم إختلافهم من قبلة لأخرى . ومن مظاهر إنعكاس الثقافة على اللغة في المجتمع المغربي نذكر على سبيل المثال:

- أثر الإزدواج النغوي على ما يحتاجه المغاربة من إتيام " برهاضة ذهنية" عند الحديث بنغمة العربية وللتفكير باللغة الفرنسية.

- الغزو النغوي والذي تمثل في وجود كثير من المفردات غير العربية بين اللهجة المغربية وهو إنعكاس طبيعي للغزو الثقافي الوافد من الثقافات المتقدمة.

- بعد اللهجة المغربية عن اللغة العربية لى الأصوات والدلالات وأساليب النطق وإن كانت اللغة العربية ذات طابع خاص أو بعبارة أدق لها مكانة خاصة فى قلوب المتكلمين بها وعقول الدرسين لها منذ أن نزل القرآن الكريم ناطقا بها فتحولت من لغة حياة إلى لغة عبادة وحياة معا^(١٦)

وكان ذلك بلا شك وراء إحتفاظ المجتمع المغربى بلغته ومحاولته الدائمة لتعريب ما خلفه المستعمر على الرغم من صعوبة هذا الأمر ، إلا أن المجتمع المغربى قد شعر حقا بالأخطار التى تهدد ثقافته لإحتكاكه بالثقافات الأخرى الأكثر تقدما وتطورا ، والتي قد تصل إلى حد طمس معالمها وهدم مقوماتها الأساسية مما أثار إحساسا عميقا بالقلق ، تمثل فى المناداء بضرورة العودة إلى التراث بدءا باللغة التى هى أساس تكويننا الفكرى والتمالى^(١٧).

هوامش ومراجع البحث

- (1) Robert , B. Taylor : 1980 Cultural ways, Third Edition, Allyn and Bacon INC. London, Toronto. P78.
- (2) Darwin L. Thomas & Others : 1980 Social psychology, prentice - Hall, INC. Englewood Cliffs, N.J.P.76
- (3) محمد متولى الشعراوى : تفسير الشعراوى ، دار لخبار اليوم : إدارة الكتب والمكتبات ، العدد الأول ١٩٩١ ص ٨٤.
- (٤) عبده الراجحي: اللغة وعلوم المجتمع ، مجلة كلية الآداب : ١٩٧٧ ص ١٩ .
- (٥) أحمد أبو زيد " النصوص والإشارات " عالم الفكر . المجلد الحادى عشر ، العدد الثانى سبتمبر ١٩٨٠ ص ٢٤٧ .
- (٦) أحمد أبو زيد " حضارة اللغة " عالم الفكر العدد الثانى . المجلد الثانى ١٩٧١ ص ١٩ .
- (٧) محمود السمران : اللغة والمجتمع رأى ومنهج ، المطبعة الأهلية - بنغازى ليبيا ١٩٥٨ ص ١٤ .
- (٨) عبده الراجحي ، للمرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
- (9) F.R. Palmer, 1968 Selected Papers of J.R. Firth, Green and Co., Ltd, London, p.24
- (١٠) رالف ل . بيلز، هارى هويجز : مقدمة لى الأنثروبولوجيا العامة الجزء الثانى. ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، دار لهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٧ ص ٦٧٣ ، ص ٦٧٥
- (١١) محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ ص ٦٠

(12) John Lewis, 1969 Anthropology Made Simple, W.H. Allen & Co., Ltd, London P.198

* الأنثروبولوجيا المعرفية هي نفسها أعظم مثال لبحث العلاقة بين اللغة وعناصر الثقافة

(13) Robert B.Taylor, op.it., p 87.

(14) Raymond Firth , 1963: Man and Culture, Rontledge &Kegan, panl., London. p.95

(١٥) على عبد الواحد واني: اللغة والمجتمع ، الطبعة الثانية ١٩٥١ ، دار إحياء الكتب العربية ص ٤

(١٦) عبده الزاجحي ، المرجع السابق ص ١٣

(١٧) رالف ل، بيلز ، المرجع السابق ، ص ٦٤٩

(١٨) محمود السمران ، ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، المقدمة

(١٩) نفس المرجع السابق ، ص ٢٣

(٢٠) على عبد الواحد واني ، المرجع السابق ، ص ١٩

(٢١) محمد متولى للشراوى ، المرجع السابق ، ص ٨٤

(٢٢) محمود السمران ، ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، ص ١٠١

** انظر " تاوسنا " مجلة شهرية للبحث والتوثيق تصدر مؤقتا كل ثلاثة أشهر وتاوسنا تعنى ثقافة باللغة البربرية

(٢٣) لؤاد زكريا " جذور البنانية " الكويت حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، العدد الأول ص ٨.

(24) William Bright " Language And Culture " In International Encycloepadia Of The Sciences by David L. Sills 1972 vol 9 the Macmillan company & the Free press, New York, p.18

(25) Ibid., p.20

(٢٦) عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ٣٥

(٢٧) علي عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ٢

(28) Robert p. Gwinn, Chairman , Board of Directors, 1990 The New Encyclopaedia Britannica vol 7. peter B. Norton, president, chicago, p. 378

(29) Ibid., p 378

(٣٠) أحمد أبو زيد " التصوص والإشارات المرجع السابق ص ٢٥٣

(٣١) محمود السمران ، ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، ص ٤ ، ٥

(٣٢) عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ١١

(٣٣) محمود السمران ، ١٩٥٨ ، المرجع السابق ص ١٠

*** يعتقد أن اليهود المغاربة منحدرين من ثلاثة أصول : اليهود الذين جاؤوا من اشرق ثم الذين طوردوا من أسبانيا وأخيرا الذين هم من سلالة بربرية تهودت.

(٣٤) يحيى بن سليمان " نحن المغاربة " مشاكل للنوع بين التقليد والتجديد ، شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٨٥ ص ٤٠

(35) Joshua A. Fishman , 1968 Readings In The Sociology Of Language, Mouton, co,the Hague Paris , p137 , p 38

(36) Hillary Henson , 1974 British Social Anthropologist And Language, Claren Don press, Oxford, p 46 , p. 47

(٣٧) محمود السمران ١٩٦٢ ، المرجع السابق ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩

(38) A New Survey Of Universal Knowledge, The Encyclopaedia Britanica, 1929 vol 13. Encyclopaedia Britanica, INC., New York p25

(٣٩) عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ٧٨

**** جاستوف باشلار فيلسوف روسي.

(٤٠) محمد علي الكردي " نظرية الخيال عند جاستوف باشلار ، عالم الفكر ،

المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني سبتمبر ١٩٨٠ ص ٢٠٤

(٤١) عبده الراجحي ، المرجع السابق ص ٦٦:٦٩

(42) Joel M. Charon, 1979, Symbolic Interaction Prentice - Hall, Inc, Engle wood, Cliffs, N.J, P59.

(43) Robbins Burling , 1992, Patterns Of Language, Academic press INC. , New York , London, Toronto , p383

(44) David Crystal, 1989: the Cambridge Encyclopadia of language, Cambridgeuniversity press, Cambridge New york , p. 13

(45) Ibid., p 10

(٤٦) محمود السمران ، ١٩٦٢ ، المرجع السابق ، ص ٨

(47) David Crystal, op.cit, p 10

(٤٨) يحيى زين سليمان ، المرجع السابق ص ١٢

(٤٩) محمود السمران ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، ص ١٠:٥

(٥٠) حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥ ، ص ٥

(51) David Crystal, 1989, op.cit, p 13

(٥٢) محمود السمران ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، ص ٤٤

***** المخازن (أي الإدارة والحكومة والدولة .. أي كل ما من شأنه أن يحكم أو تكون له سلطة)

(53) Robbins Burling , 1992 , opcit. , p 2,3

(٥٤) فاطمة محمد محبوب : دراسات فى علم اللغة دار النهضة العربية ، القاهرة

١٩٧٦ ص ١٦٧

(٥٥) محمود السمران ، ١٩٦٢ ، المرجع السابق ، ص ٦٨

(٥٦) فاطمة محمد محبوب ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، ١٦١

(٥٧) نفس المرجع السابق ، ص ١٨٥

(51) David Crystal, 1989, op.cit, p 400

(٥٩) عبد المنعم سيد عبد العال : لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها دار

الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، ص ٢٤

أنظر : شارل أنترى جولييان : أفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة

الفرنسية ، المنجى سليم وآخرون ، الشركة الوطنية للنشر الجزائر ١٩٧١ ، ص ٢١

(٦٠) س.ج. . سلجمان: السلالات البشرية فى أفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ،

مكتبة العالم العربى ، ١٩٥٩ ، ص ٨٨

(٦١) شارل أنترى جولييان ، المرجع السابق ، ص ٢٢

***** أشهر من عنى بدراسة اللهجات الإجتماعية العلامة الإجتماعى نان جينب

Arnold Van -Gennep

(٦٢) عبد المنعم سيد عبد العال ، المرجع السابق ، ص ٣٧

(٦٣) على عبد الواحد وللى ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، ١٥٠

(٦٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٥٤

(٦٥) يحيى بن سليمان ، المرجع السابق ، ص ٣٠١

(66) Robbins Burling, 1992, op.cit. , p 171

(٦٧) عبده الراجحى ، المرجع السابق ، ص ٧٠

(٦٨) على عبد الواحد وافى ، المرجع السابق ، ص ١٣٢

- (٦٩) عبد العزيز مطر: لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٦ - ١٩٦٧ ، المقدمة
- أنظر يحيى بن سليمان : المرجع السابق ، ص ٦٠
- (70) Chapple and Coon , 1942 Principles Of Anthropology New York Henry Holt and company . p. 374.
- (71) Darwin L. Thomas & Others, 1980 op.cit, p. 75.
- (72) William A. Haviland, 1978: Cultural Anthropology Holt Rinehart and winston, U.S.A. p. 105.
- (73) Robbins Burling , 1992, op.cit , p.35.
- *****
 القب غطاء للرأس مثبت فى الجلابيه ، وهى الزي الرسمى للمقاربة فى مختلف الأقطار .
- (74) Robert Taylor, 1980 , op.cit, p 86.
- (٧٥) يحيى بن سليمان المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .
- (٧٦) نفس المرجع السابق ، ص ٢٩ .
- (77) Robbins Burling, 1992 , op. cit, p 35.
- (٧٨) على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ص ٩ ، ١١ .
- (٧٩) نفس المرجع السابق ، ص ١٨
- (٨٠) حلمى خليل : إرهاصات فى علم اللغة الإجتماعى عند الجاحظ ، ١٩٩٤ ، ص ١٩ أنظر عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .
- (٨١) عبد المنعم سيد عبد العال المرجع السابق ، ص ٥٣
- (٨٢) نفس المرجع السابق ، ص ٥٣
- (٨٣) على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ١١٣ ، ١١٤

(٨٤) محمود السحران ، المرجع السابق ، ١٩٥٨ ص ١٠٧

(٨٥) يحيى بن سليمان ، المرجع السابق ، ص ١٢ ، ١٤

(٨٦) نفس المرجع السابق ، ص ١٥

(٨٧) سورة يس ، آية ٨٢

(٨٨) سورة البقرة آية ١١٧

(89) Manal Abd El Moneim Gad Allah: 1994 'Folk Believes Spiritual Beings And Social Control' Anthropological study in Mediterranean peoples. In proceedings of the colloquium on popular customs and the Monotheistic Religions in the Middle East and North Africa by A.Fodor A. Shvitiel, the Arabist Budapest studies in Arabic 9-10.

pp.119 : 140

***** والمعروف عن المجتمع المغربي أنه يقدم الحليب والتمر في الزيارات الرسمية على كافة المستويات ، وكذلك في الإحتفالات (زواج ، ختان ، إنجاب ، سابع) وكما هو شائع لا يحضر أي زائر رسمي للمملكة المغربية إلا ويستقبل في المطار بالحليب والتمر ويرى أفراد المجتمع في ذلك رمزا للكرم والخير أسوة بالرسول (ص) وبذلك فهي عادة نبوية إسلامية يحرص عليها أفراد المجتمع في حفلاتهم وكذلك لزوارهم الذين يدخلوا دارهم لأول مرة أو بعد غياب طويل.

(٩٠) عبد المنعم سيد العال ، المرجع السابق ، ص ٦٣

(٩١) من.ج. سلجمان : المرجع السابق ، ص ١٧ ، ١٨

(٩٢) محمود السحران ، المرجع السابق ، ص ٩٧

(٩٣) عبد المنعم سيد العال ، المرجع السابق ، ص

(٩٤) عبد الله عبد السلام خميس : اللغة ونسق الضبط الاجتماعي " بحث في

الأنثروبولوجيا اللغوية ، رسالة ماجستير إشراف أ.د. فاروق إسماعيل جامعة

الأسكندرية كلية الآداب ، ١٩٨٥ ، ص ١٩١

(95) Edmund Leach .1976 : Culture and Communication , Cambridge University press. P.33

(٩٦) حلمى خليل ، ١٩٩٥ المرجع السابق ، ص٦

(٩٧) احمد أبو زيد " موقفنا من التراث " عالم الفكر ، المجلد الرابع عشر ، العدد

الثانى ١٩٨٣ ، ص٤

الأبجدية العالمية الصوتية

الأبجدية العربية	الأبجدية العالمية الصوتية	الأبجدية العربية	الأبجدية العالمية الصوتية
ب	b	ج	ʒ
م	m	ك	k
ف	f	ع	g
و	w	خ	x
ت	t	غ	ɣ
د	d	ح	ħ
س	s	ع	ɟ
ز	z	هـ	h
ن	n	همزة	ʔ
ل	l	ط	t̪
ر	r	ض	d̪
ي	y	ص	s̪
ش	ʃ	ظ	z̪

{ ii , ee , ææ , aa , oo , uu } Long vowels : الحركات الطويلة:

{ e , æ , a , o } Short vowels : الحركات القصيرة:

قائمة المصادر والمراجع

- (١) أحمد أبو زيد : " لغة اللغة " ، عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الرابع ، ١٩٨٦.
- (٢) أحمد أبو زيد " النصوص والإشارات " عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني سبتمبر ١٩٨٠.
- (٣) أحمد أبو زيد " حضارة اللغة " ، عالم الفكر ، العدد الثاني ، المجلد الثاني ١٩٧١.
- (٤) أحمد أبو زيد " مولفنا من التراث " ، عالم الفكر ، المجلد الرابع عشر ، العدد الثاني ، ١٩٨٣.
- (٥) حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة ، دار للمعرفة للجامعة ١٩٩٥.
- (٦) حلمي خليل " عربية الأندلس " دراسة في البنية اللغوية والإجتماعية لأهل الأندلس ، ندوة الأندلس ، الفرس والتاريخ ١٩٩٤.
- (٧) حلمي خليل : إرهابسات في علم اللغة الإجتماعي عند الجاحظ ندوة لسانيات اللغة العربية جامعة بوخارست ١٩٩٤.
- (٨) والف ل . بيلز ، هاري هويجز : مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٧.
- (٩) فؤاد زكريا " جذور البنائية " الكويت ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، العدد الأول
- (١٠) س.ج. . سلجمان: اللمللات البشرية في أفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ، مكتبة العالم العربي ، ١٩٥٩.
- (١١) شارل أندري جوليان : أفريقيا الشمالية تسير التوميات الإسلامية والسيادة للفرنسية ، ترجمة للمعنى سليم وآخرون ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، ١٩٧١.
- (١٢) عبد العزيز مطر: لهجة البدو في إقليم ساحل مروط ، دار انكاتب العربي للطباعة والنشر . للقاهرة ١٣٨٦ - ١٩٦٧.
- (١٣) عبده الرابحي : اللغة وعلوم المجتمع ، مجلة كلية الآداب ١٩٧٧.

- (١٤) عبد العنعم سيد عبد العال : نهجة شمال المغرب تطوران وما حولها دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- (١٥) عبد الله عبد السلام خميس : اللغة ونسق الضبط الاجتماعي " بحث في الأنتروبولوجيا اللغوية ، رسالة ماجستير إشراف أ. د. فاروق مصطفى إسماعيل إسماعيل جامعة الإسكندرية كلية الآداب ، ١٩٨٥ ، ص ١٩١
- (١٦) علي عبد الواحد والي: اللغة والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥١ .
- (١٧) لاطمة محمد محبوب : دراسات في علم اللغة دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .
- (١٨) محمد زين أحمد شعاعو : مائة وألف مثل من الأمثال الشعبية المغربية ، المجموعة الأولى ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف ١٩٨٥ .
- (١٩) محمد علي للكردي " نظرية الخيال عند جامستوف باشلار" ، عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني سبتمبر ١٩٨٠ .
- (٢٠) محمد متولى للشعراوي : تفسير الشعراوي ، دار أخبار اليوم : إدارة للكتب والمكتبات ، العدد الأول ١٩٩١ .
- (٢١) محمود السمران : اللغة والمجتمع رأى ومنهج ، للطبعة الأهلية - بنغازي ليبيا ، ١٩٥٨ .
- (٢٢) محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .
- (٢٣) يحيى بن سليمان " نحن المغاربة " مشاكل النمو بين التقليد والتجديد شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء - دار المغرب الإسلامي . الطبعة الأولى . ١٩٨٥
- (24) A new survey of universal Knowledge, The Encyclopaedia Britanica, 1929 vol 13. Encyclopaedia Britanica, INC., New York.

- (25) Bright, William ' Language and Culture ' In International Encyclopaedia of the social sciences by David L. Sills 1972 vol 9 the Macmillan company & the Free press, New York.
- (26) Burling, Robbins : 1992, Patterns Of language Academic press INC. , New York , London, Toronto.
- (27) Chapple and Coon : 1942 Principles Of Anthropology, New York , Henry Holt and company .
- (28) Charon, Joel M : 1979, Symbolic Interaction Prentice - Hall, Inc, Engle wood, cliffs, N.J.
- (29) Crystal, David : 1989: The Cambridge Encyclopaedia Of language, Cambridge university press, Cambridge New York.
- (30) Firth, Raymond: 1963: Man and Culture, Routledge & Kegan, paul., London .
- (31) Fishman, Joshua A: 1968 Readings In The Sociology Of Language, Mouton, co, the Hague Paris .
- (32) Fromkin , Victoria & Robert Rodman : 1978 : An Introduction To language, second edition Holt , Rinehart and winston , New York Chicago .
- (33) Gad Allah , Manal Abd El Moneim: 1994 ' Folk Believes Spiritual Beings And Social Control' Anthropological study in Mediterranean peoples. In proceedings of the colloquium on popular customs and the Monotheistic Religions in the Middle East and North Africa by A.Fodor A. Shvitzel, the Arabist Budapest studies in Arabic 9-10.

- (34) Gwinn, Robert p., Chairman , Board of Directors, 1990 The New Encycloepadia Britannica vol 7. peter B. Norton, president, chicago .
- (35) Haviland , William A: 1978: Cultural Anthropology Holt Rinehart and winston, U.S.A.
- (36) Hillary, Henson: 1974 British Social Anthropologist And Language, Claren Don press , Oxford .
- (37) Jerez , De la Frontera To liberty party Encycloepadia Britannica, Vol 13 (ed) by William Benton , Publisher, London, Geneva, Tokyo.
- (38) Keesing , Roger M: 1981 Cultural Anthropology A Contemporary Perspective, Second Edition , Hotel Rinehart and winston , New York , London.
- (39) Leach , Edmund: 1976 Culture And Communcation , Cambridge University press.
- (40) Lewis, John: 1969 Anthropology Made simple, W.H Allen & Co., Ltd, London .
- (41) Palmer, F.R.: 1968 Selected Papers Of J.R. Firth, Green and Co., Ltd, London.
- (42) Robins, R.H.: 1976 General Linguistics : An Introductory Survey, longman , Group Limited, London .
- (43) Taylor , Robert B. : 1980 Cultural Ways, Third Edition, Allyn and Bacon INC. London, Toronto.
- (44) Thomas , Darwin L. & Others : 1980 Social Psychology, prentice - Hall, INC. Englewood Cliffs, N.J.



ضروس الشاطئ (*)

توزيعها، تصنيفها، نشأتها

(مثال من ساحل مدينة الإسكندرية)

دكتور فحي عبد العزيز أبو راضى

قسم الجغرافيا - كلية الآداب

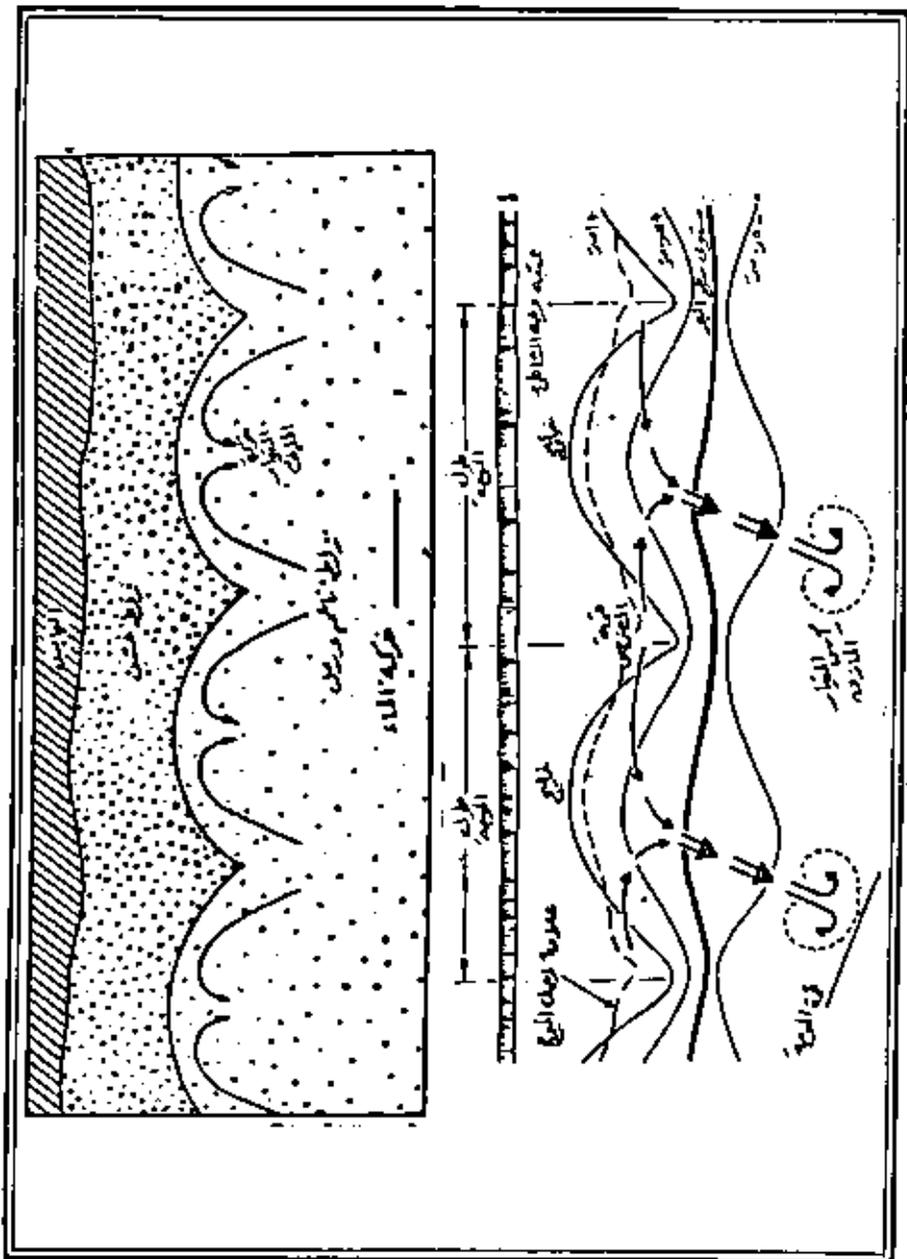
جامعة الإسكندرية

مقدمة

على الرغم من أن أكثر ما يلاحظ من ظاهرات الإرساب الشاطئية - على وجه العموم - هي تكوينات الرمل المتفاوتة الحجم بين الناعمة والخشنة والزلط، فإن هناك ظاهرات صغيرة لافتة للنظر جعلتها وتشرعى الانتباه فوق كثير من الشواطئ، من بينها ظاهرة ضروس الشاطئ Beach cusps التى تسفارت فى أبعادها أو أشكالها وظروف نشأتها وخصائصها الجيومورفولوجية. وضروس الشاطئ عبارة تكوين منتظم يتم بفعل الأمواج على الشاطئ الأمامى Foreshore، قوامها الجيومورفولوجى مجموعة من القمم المستدقة أو الرؤوس المدبية Horns المؤلفة من المواد الخشنة والتى تفصلها خلجان جرف Sweeping bays وتأخذ سلسلة الضروس شكل حرف لـا بهيئة موجة على طول امتداد الشاطئ وتتوسطها هذه القمم المستدقة وتأخذ اتجاهها عاما نحو البحر (شكل رقم : ١).

وقد استرعت ظاهرة ضروس الشاطئ انتباه كثير من الباحثين أمثال جونسون (Johnson, 1919)، وتيمرمانز (Timmermans, 1935)، وياجولد (Bagnold, 1940)، وجلشبير (Guilcher, 1954)، وميبي (Mii, 1958)، ولونجويت هيجنز وباركن (Longuet - Higgins & Parkin, 1962)، وأرتفوس (Orvos, 1964b)، وفليمنج (Flemming, 1964)، وكنج (King, 1965)، وكلاود (Cloud, 1966)، وورول (Worrall, 1969)، وكومار (Komar, 1973)، ووليامز (Williams, 1973)، وسالنجر (Sallenger, 1979)، وانيمان وجوزا (Inman & Guza, 1982)، وأنتيا (Antia, 1987). كما طرحت حولها كثير من النظريات

* استعمل عليها المصطلح الذى سس تعريب المصطلحات الجيومورفولوجية (مجمع اللغة العربية



(شكل رقم : ١) : شكل الضروم وعناصرها

والآراء لباحثين مثل ايفانس (Evans, 1938) وكوين (Kuenen, 1948) وروسيل ومارك انتير (Russell and McIntire, 1965).

وعلى الرغم من شيوعها ضمن الظواهر الشاطئية، إلا أنه ليس من المعروف على وجه اليقين كيفية تكونها وأسباب انتظامها واكتسابها لأبعادها المميزة. وعلى الساحل الشمالي لمصر، وساحل مدينة الإسكندرية جزء منه، لم تلق هذه الظاهرة اهتمام الباحثين، بينما اهتمت بها بعض الأبحاث التي تناولت جيومورفولوجية ساحل خليج العقبة في مصر (التركمانى، ١٩٨٧) و جيومورفولوجية الساحل الشرقى لخليج السويس (العروضى، ١٩٩٣).

ويهدف هذا البحث الميدانى الذى يتناول جوانب معينة تتعلق بتوزيع ونشأة وتصنيف ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية - كجزء من دراسة موسعة عن التغيرات الجيومورفولوجية والخصائص الإرسائية المعاصرة لهذا الساحل - إلى تحقيق الآتى :

١- دراسة التوزيع المكاني لضروس الشاطئ وخصائصها المورفومترية على ساحل مدينة الإسكندرية، كمثال من الساحل الشمالى لمصر.

٢- دراسة الخصائص الطبيعية لحييات رواسب الضروس (القوام) عن طريق تحليل عينات من مواد الضروس وخلجاتها ميكانيكيا واحصائيا.

٣- تصنيف ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية.

٤- محاولة تفسير نشأة وتطور ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الإسكندرية.

ولتحقيق الأهداف السابقة فقد مرت هذه الدراسة بمرحتين: فى المرحلة الأولى تم الرجوع إلى الدراسات المختلفة التى تناولت ظاهرة ضروس الشاطئ على السواحل الطبيعية أو التى درستها داخل العامل. أما المرحلة الثانية فقد تم خلالها إجراء الدراسة الميدانية على شواطئ ساحل مدينة الإسكندرية الخمسة عشر ابتداء من أبى قبير حتى العجمى لمدة عام كامل (من ابريل ١٩٩٢ حتى مارس ١٩٩٣). وقد روهى تقسيم هذه المدة الزمنية إلى فترتين لانتماء العمل الميدانى: الفترة الأولى خلال موسم الصيف والخريف حتى يمكن التعرف على ضروس الشاطئ ومراقبة العمليات المتعلقة بتكوينها وجمع عينات من موادها، والفترة الثانية فى موسم الشتاء والربيع لملاحظة العمليات التى تقوم بها الأمواج سواء فى النحت أو الإرساب.

١- مواضع وإجراءات الدراسة :

١-١ التركيب البيئي لمنطقة الدراسة

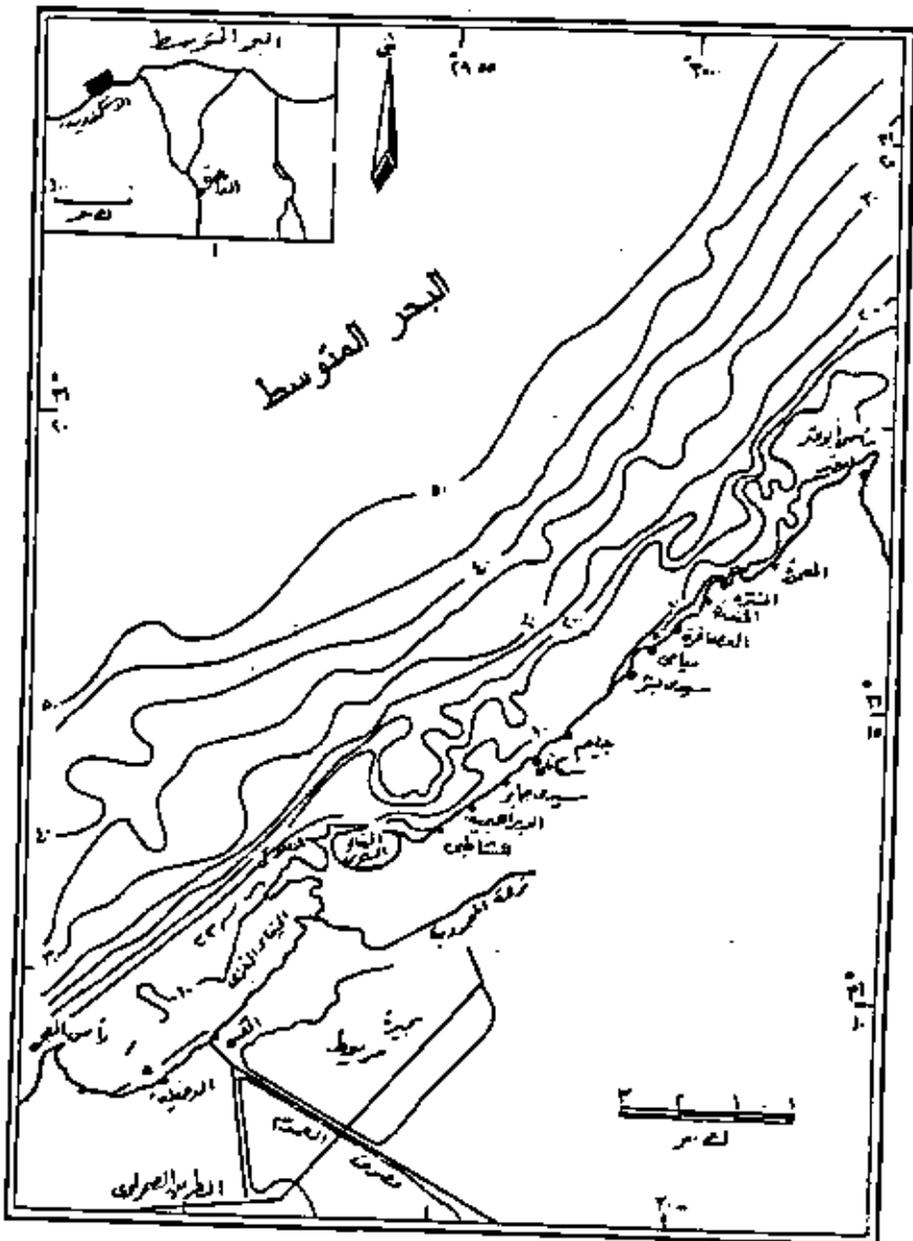
يقع الساحل الذى يحتضن مدينة الإسكندرية من الجهة الشمالية في أقصى الطرف الشمالي الغربى لساحل دلتا النيل ، ويحصر بين دائرتي عرض ٣١° ٠٨' - ٣١° ٢١' شمالا وخطى طول ٢٩° ٤٧' - ٣٠° ٤٠' شرقا باتجاه عام من شمال الشمال الشرقى إلى جنوب الجنوب الغربى (شكل رقم : ٢) . وتمتد الجبهة البحرية لساحل الإسكندرية لمسافة ٣٨ كيلومترا من أبي قير شرقا حتى العجمى غربا، كما يتسم خط الشاطئ باستقامته مع بعض التمرجات التى ينشأ عنها خلجان صغيرة في بعض المواضع (مثل خليج المنتزة وستانلى) تبدو بروزاتها في البحر في شكل رؤوس صخرية، وتضم معظم الشواطئ الرملية الضيقة نوعا، إلا أن هناك مواضع عديدة تختفى منها الشواطئ الرملية ويظهر فيها الساحل صخرها. وعلى التقيض تنح الشواطئ على الأطراف الشرقية والغربية لخط الشاطئ مثل شواطئ المعمورة والعجمى. وتقسم شبه جزيرة الأنفوشى منطقة ساحل الإسكندرية إلى قسمين: قسم غربى وقسم شرقى بضمان كلا من ميناء الإسكندرية الغربى الحديث والميناء الشرقى القديم المهجور. ويشمل القسم الغربى شواطئ الأنفوشى والمكس والدخيلة والعجمى، بينما يضم القسم الشرقى شواطئ الشاطبي والابراهيمية وسيدى جابر وستانلى وجليم وسبعشهر وميامى والعصافرة والمنتزة والمنتزة والمعمورة وأبوثير. ويبلغ امتداد هذه الشواطئ الخمسة عشر ما يرو على الثمانية عشر كيلومترا (١٨٣٥٠ كيلومترا).

وتتصف منطقة الاسكندرية بضيقها وقلة ارتفاعها، كما تتصف بوجود سلاسل صخرية متوازية ومتتابعة، تمتد بموازاة الساحل، وتختصر فيما بينها أودية طولية تسير في نفس الاتجاه. والموضع الذى قامت فوقه المدينة ذاتها يمثل واحدة من هذه السلاسل الساحلية المونستيرية (البليستوسين الأعلى) والتي تقع بين البحر المتوسط في الشمال وبحيرة مريوط في الجنوب (شكل رقم : ٣) . ويقع الجمر الأكبر من المدينة على الأجزاء المرتفعة لأكثر من ٥٠ متر فوق سطح البحر من السلسلة التى قامت فوقها المدينة والتي يصل أقصى ارتفاع لها في غرب المدينة (كوم الشقافة) إلى ٣٠ مترا، بينما تشتمل الأطراف الغربية والشرقية على

أكثر الأراضي انخفاضاً. ويظهر قبالة الساحل الحالي وبوابة تقريبا في بعض المواضع عدة جزر متفرقة، كما يمتد أمامه مباشرة في مواضع أخرى أمشاج من أراضي صلبة غاطسة. وربما تمثل هذه وتلك سلسلة غارقة وخط شاطئ قديم انغمز بفعل الهبوط والارتفاع النسبي لمنسوب مطح البحر الذي تعرضت له المنطقة (Ross and Unchupi, 1977) مما أدى إلى انخفاض منسوب السلسلة الساحلية عن مستوى سطح البحر وبهذا غمرت المياه هذه السلسلة فلم يبق منها سوى الجزر (شكل رقم : ٤).

ويتميز ساحل الإسكندرية بأنه ساحل رملي منخفض يتكون من رواسب هشة تنتمي لعصرى الجليستوسين والحديث (Hilmy, 1951)، ويتميز بصحولة البحر أمامه إذ يبعد عنه خط عتق ١٠٠ متر بحوالى ٢٠ كيلومترا تقريبا، وتتغطى شواطئ الخمسة عشر بالرمال السائبة الجيدة التعنيف والتي تختلف محليا في القوام والأصل (Abou-Raddy, 1989). ويمكن تقسيم شواطئ الإسكندرية حسب مكوناتها الرسوبية إلى ثلاث وحدات : تمتد الأولى من العجمى إلى المكس وتتغطى برمال كلسية بيضاء اللون وناعمة، وتمتد الوحدة الثانية من المكس إلى سيدى بشر وتتغطى برمال كوارتزيت متوسطة الحجم وخشنة نسبيا مختلطة بقايا القواقع والأصداف، بينما تمتد الوحدة الثالثة من سيدى بشر إلى أبى قير وتتغطى برمال كوارتزيت ناعمة نسبيا مختلطة بقايا القواقع والأصداف البحرية وبعض الرواسب الطينية النيلية. وتتراوح درجات انحدار وجه الشواطئ بين ٢-١٦ درجة مع أكثرية تتراوح بين ٢-٦ درجة. وتتم الشواطئ المتسعة، مثل المعمورة والعجمى، بانحدار ضعيف أو هين تتراوح درجاته بين ٢,٥-٤ درجة، بينما تتصف الشواطئ الضيقة، مثل جليم وسيدى جابر، بانحدار متوسط أو شديد نسبيا تتفاوت درجاته ما بين ٨-١٦ درجة.

ويعرض ساحل الإسكندرية سمات الساحل الذى يمر بمرحلة الشباب (Shukri and Philip, 1955)، كما أنه يمثل وحدة جيومورفولوجية واحدة هيمنت عليها التدخلات الإرامية والتأثيرات التكتونية التى تحكممت فى تطورها ونظور ساحل دلتا النيل بوجه عام (El-Halaby, 1975; Ross and Unchupi, 1977). وتتم عمليات تشكيل ساحل الاسكندرية ومنطقته الشاطئية الأمامية



(شكل رقم : ١) : خطوط للشاطئ الحديثة والقديمة لساحل الإسكندرية .

والخلفية بواسطة الطاقة التي تجلبها العوامل الجوية والعوامل البحرية عبر الوسيط المائي للبحر المتوسط والتي تتمثل في الرياح والأمواج والتيارات التي تتولد عنها والتيارات الساحلية التي ينتج عنها تحت ونقل وإرساب الرواسب الشاطئية.

ومن الثابت أن اتجاهات الرياح تتباين فصليا على ساحل الإسكندرية (شكل رقم ٥) حيث تسود الرياح الشمالية الغربية أثناء شهور فصل الصيف، وتتولد عنها أمواج عادية Swells ينتج عن أنكلرها يلر دفع طولي Longshore drift، كما تسود الرياح الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية خلال شهور فصل الشتاء (نوفمبر / مارس)، بينما يغلب هبوب الرياح الشمالية نحو الساحل طوال العام. ومن الثابت كذلك أن الرياح التي تمر على سطح البحر باتجاه نحو الساحل تتولد عنها أمواج لها القدرة والفاعلية على نقل الطاقة الحركية للمياه Kinetic energy نحو الساحل. وعلى النقيض، تعد الرياح التي تهب بعيدا عن الشاطئ Offshore winds أقل أهمية وأضعف قدرة على نقل الرمال الخشنة (Blatt et al., 1972) نظرا لصغر نسبة هبوبها بصفة عامة حيث لا تزيد هذه النسبة على ٢٥٪ من الرياح الغالبة في منطقة ساحل الإسكندرية. وعلاوة على ذلك تتباين سرعة الرياح فصليا، حيث تبلغ أقصاها (٣٥ كم/ساعة) في موسم التواتر خلال فصل الشتاء.

ومن المعروف أن الرياح الغالبة على ساحل الإسكندرية تولد الأمواج وتلغف التيارات المقترنة بالحركة الدائرية للمياه صوب الشمال الشرقي في البحر المتوسط. ويبدو أن جزءاً من الطاقة قد يصبح محاصرا قبالة الساحل مما يؤدي إلى زيادة الطاقة على الساحل التي تتخذ شكل الأمواج الحادة (١) المتحركة على طول الشاطئ. ومن المعروف أن التأثير المتبادل بين الأمواج المسطحة المتحركة باتجاه الشاطئ والأمواج الحادة المتحركة على طول الشاطئ ينتج عنه نطاقات متعاقبة من الأمواج العالية والمنخفضة التي تحدد مواقع التيارات المازقة (الشقية) Rip currents التي تتدفق نحو البحر (Sparks, 1970). وتتخذ النمط الناتج عن هذا التدفق شكل خلية أو دوامة أفقية تسمى خلية دوران الساحل الداخلي (Inman & Bagnold, 1962).

(١) الأمواج الحادة Edge waves هي عبارة عن أشكال خاصة من الأمواج تتمثل في تجمعات ذات قسم حادة (محدبة) لتصلها بعضها من بعض قيعان طويلة مسطحة نسبياً كما تردد بفترات زمنية طويلة أثناء انتقالها على طول الشاطئ (Inman & Bagnold, 1962; King, 1972).

وقد آيات الدراسات الحقلية لهذا البحث أن الأمواج هي القوة الأساسية ذات التأثير الأعظم على شواطئ ساحل الإسكندرية، ويمكن أن يوصف تأثير الأمواج على الشاطئ هنا بأنه تأثير فصلى بطبيعته وتحتل في أمواج العواصف Storm waves في فصل الشتاء (من أكتوبر إلى نهاية مارس) وفي الأمواج العادية Swells في فصل الصيف (يوليو، أغسطس وبداية سبتمبر)، وتتميز فترة أبريل ومايو وبداية يونيو بأنها فترة انتقالية وهده نسبة لحركة الأمواج في البحر. وتقوم الأمواج بنحت رواسب الشاطئ في المناطق التي تتميز بأن المعدل العام لانحدار شاطئها أكبر من معدل الإنحدار المتوازن الذي ننتظره. ومن تحليل القياسات والملاحظات الحقلية الخاصة بالأمواج تبين أنه في ٧٥٪ تقريباً من القياسات كانت ارتفاعات الأمواج أكثر من ٠.٧٦ متر، بينما وصلت الارتفاعات في ٢٨٪ من القياسات إلى أكثر من ٠.٥٥ متر، هذا ولم يتجاوز أقصى ارتفاع للأمواج ٣.٠٠ متر خلال فترات القياس. كما اتضح من تحليل القياسات أن أكثر الأمواج تواتراً وتكراراً من حيث الارتفاع (ع) وزمن الموجة (ز) وإنحدار (ص) الموجة Waves steepness $\frac{H}{L}$ حيث $L = \text{طول الموجة}$ هي التي يتضمنها الجدول التالي (جدول رقم ١):

(جدول رقم ١) ارتفاع وزمن وإنحدار (ص) الأمواج

الفصل	ارتفاع الموجة بالتيمر (ع)	زمن الموجة بالثانية (ز)	إنحدار الموجة $\left(\frac{H}{L}\right)$	
			المتوسط	القصي لجهة
أمواج العواصف	١٥٧	٨ - ٧	٠.١٩	٠.٤١
الأمواج العادية	٧٠ - ٣٥	١٠ - ٩	٠.٠٠٨	٠.٠٠٩

ومن الجدول يتضح أن الأمواج القصيرة ذات القيمة المرتفعة نسبياً في إنحدار (ص) الموجة والتي تبلغ حوالي ١ : ٣٥ تحتاج إلى معدل إنحدار للجزء الأدنى للشاطئ الأمامي يكون شديداً إلى حد ما والذي يتجاوز في درجته المعدل المنخفض العام لإنحدار شواطئ ساحل الإسكندرية، ومن ثم فإن عملية النحت التي تقوم بها الأمواج على ساحل الإسكندرية ما هي إلا محاولة من الأمواج لبناء

معدل إنحدارها المتوازن بالنسبة لمعدل الإنحدار الطفيف إلى المعتدل برعا الذى تتميز به الشواطئ الأمامية للساحل بصفة عامة وتم هذه العملية عن طريق تأثير اصطدامات الماء بالساحل من ناحية وفعل الفتحات التى تنقلها الأمواج من ناحية أخرى. وفى فصل الشتاء تتميز الأمواج المتكسرة بالقرب من ساحل الإسكندرية بكثرة تكرارها مما يجعل تأثيرها الهدمى على الساحل واضحاً وعندما تكسر هذه الأمواج التى تكون فيها حركة الماء دائرية تقريباً، فإن كتلة الماء تتجه إلى أسفل، وتدفع الماء فوق الشاطئ بقوة ضعيفة. بالإضافة إلى ذلك فإن الحركة الرجعية للماء (الخضرية) أى المياه العائدة (المرتدة) Backwash تكون لانزال تتحرك أسفل الشاطئ عند وصول الموجه التالية مما يؤدي إلى زيادة ضعف اندفاع الماء أو زحف الموج فوق الشاطئ (العجيج) Swash. ونتيجة لذلك فإن هذا النمط من الأمواج يحشط المواد من أعلى الشاطئ إلى أسفل مؤدياً إلى تأثير نحى بحث.

ومن تحليل قياسات الأمواج تبين أن الاتجاهات الغالبة التى لآى منها معظم الأمواج إلى ساحل أبى قير خلال فصل العواصف (أكتوبر - مارس) تكون من شمالي الشمال الغربى والشمال غربى (شكل رقم ٦). أما الأمواج العادية فتأتى عموماً إلى هذا الجزء من الساحل من شمالي الشمال الغربى وشمالي الشمال الشرقى بفترة تردد تتراوح من ٧-٩ ثانية، بينما تقل كثيراً نسبة الأمواج العادية الآتية من الشمال ولاسيما فى شهرى ابريل ومايو.

وتعد التيارات الساحلية العامل الأساسى المسئول عن حركة دفع الرواسب على طول الشاطئ ونقلها صوب البحر بالإضافة إلى عملية النحت والإرساب التى تقوم بها فى نطاق تكسر الأمواج "Breaker zone" (Manohar et al., 1977; El-Gindy et al., 1984; Inman & Bagnold, 1962; King, 1972). ويظهر أثر التيار البحرى Littoral current الذى يتجه من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى بمحاذاة ساحل الإسكندرية (شكل رقم ٤) فى دفع الرواسب الكثيرة نحو الشمال الشرقى مما أدى إلى قلة عمق البحر هناك. وينجم عن التيارات الموجبة المصاحبة للأمواج المائلة الآتية إلى الشاطئ تراكم الماء على طول الساحل الأمر الذى يساعد على توليد تيارات مازقة (شقية) Rip currents وتيارات طولية Longshore currents. وينشأ النوع الأول من تجمع الماء المتدفق

قبالة الشواطئ بحيث يكون في بعض المواضع كافيا ليبدأ تدفقات عائدة نحو البحر. بينما ينشأ النوع الثاني من التيارات عندما يقل تدفق الماء وينشأ إنحدار هيدولي بطول الشاطئ (Bowen, 1969). كما تحدث الأمواج المائلة طوليا يكون في إمكانه أن يساعد في عملية تحريك المواد على طول الساحل. ويتوقف الاتجاه السائد للحركة على اتجاه الرياح. فالرياح الغالبة الشمالية الغربية على ساحل الإسكندرية تدفع التيارات المقترنة بالحركة الدائرية صوب الشرق في البحر المتوسط. ومن المعروف أن التيارات السطحية تساب بصفة عامة من الغربي إلى الشمال الشرقي أمام ساحل الإسكندرية بسرعة يصل متوسطها ٠,٥ عقدة (٢٨ سم/ثانية) (Eid, 1979).

كما أوضحت القياسات الحقلية لهذا البحث أن أقصى سرعة للتيارات الطولية المتجهة صوب الشمال الشرقي لا تزيد عن ١,٧ عقدة (٨٥ سم/ثانية). وحيث أن امتداد السطح Lengib fetch الذي تهب فوقه الرياح التي تتولد عنها الأمواج يتحكم في حجم واتجاه التيارات الطولية الناشئة عنها فإن التيارات المتجهة صوب الشرق لسود خلال شهور فصل الصيف. كما تمتد سيادتها حتى أكتوبر في بعض الأحيان، وبذلك تكون حركة الرواسب على ساحل الإسكندرية صوب الشمال الشرقي. ويمكن ملاحظة اتجاه التيار الطولي السائد عن طريق الاستعانة ببعض الظواهر. فقد لوحظ أثناء الزيارات الحقلية أثر تراكم الرواسب فوق حواجز الأمواج يكون دائما على الجانب الغربي للحواجز أى على الجانب المواجه للاتجاه الذي يأتي منه التيار السائد (صورة رقم : ١). وينعكس الاتجاه الجنوبي الغربي / الشمالي الشرقي السائد للتيار خلال شهور الشتاء (ديسمبر / فبراير) ليتحول إلى الاتجاه الشمالي الشرقي / الجنوبي الغربي نتيجة ظروف شاذة للرياح (Abdallah, 1979; Eid, 1979; fons, 1986). ويتحرك هذا التيار المضاد بسرعة يصل متوسطها نحو ٠,٨ عقدة (٣٥ سم/ثانية)، كما وصلت أقصى سرعة له إلى ٠,٨ عقدة (٤٠ سم/ثانية) كما يصل إلى مسافة ٣٠ كيلومترا تقريبا في منطقة الساحل الخارجي (Gerges, 1978).

وتعد معرفة اختلافات مستوى سطح البحر ذات أهمية أساسية عند تحليل ونقص العمليات البحرية نظرا لأن مستوى الماء يعتبر من العوامل الهامة في تحديد

خصائص التيارات البحرية في منطقة الشاطئ الداخلي Inshore، كما أن له تأثيرا واضحا على وضع خط الساحل وتعيين خصائص الأمواج، بالإضافة إلى ما يحتاجه المهندسون البحريون من معلومات عن مستويات الماء عند تصميم المنشآت الساحلية لتحديد مستويات قممها بالنسبة لمستوى الماء السائد. وتتميز مستويات سطح البحر بأن أهميتها محدودة على منطقة ساحل الإسكندرية كغيرها من المناطق الساحلية للبحر المتوسط (Manohar, 1981). فيتراوح متوسط الفرق بين المد والجزر عند الإسكندرية بين ٣٥ ستيجترا، ٦٠ ستيجترا. وقد يبلغ أقصى ارتفاع لمستوى الماء ١,٠٨ متر فوق سطح المقارنة (متوسط أقل انخفاض لمستوى الماء) كما يظهر من الجدول التالي (جدول رقم : ٢):

(جدول رقم : ٢) أماد مستوى سطح البحر بالنسبة لسطح المقارنة في ميناء الإسكندرية

القيمة (بالمتر)	المستوى
٠,٤٢	متوسط مستوى سطح البحر
٠,٥٥	متوسط مستوى لواء العالى
١,٠٨	أقصى ارتفاع لمستوى الماء
٠,٢٩	متوسط مستوى لواء المنخفض
٠,٠٩-	أدنى انخفاض لمستوى الماء

ويعد صغر النطاق المدى على ساحل الاسكندرية سببا من أسباب تركيز هجوم الأمواج على نفس مستوى الساحل لمدة ٢٤ ساعة يوميا. وذلك على العكس من السواحل التي يكون عليها نطاق المد كبيرا والذي قد ينتشر فوق نطاق شاطئ أمامي متسع، الأمر الذي يؤدي إلى أن قلرا كبيرا من هجوم المرج وطاقته سوف يستنفذ عليه (King, 1972).

٢-١ أجزاء الدراسة

يقوم هذا البحث أساساً وبالدرجة الأولى على الدراسة الميدانية التي امتدت لفترة عام كامل من ابريل ١٩٩٢ حتى مارس ١٩٩٣ ، والتي كانت تتم مرتين كل شهر. وكان العمل الميداني على الشواطئ الخمسة عشر لساحل الإسكندرية يستغرق في كل مرة مدة يومين إلى أربعة أيام تجرى فيها جميع القياسات والملاحظات اللازمة. وقد تم عمل مخطط لهذه الدراسة شمل الجوانب الخاصة بالمعاملات البحرية والخصائص المورفومترية لكل من الشواطئ والضرروس وخلجانها.

فعلى حسب طرق القياس المعتادة (King, 1972) تم جمع بيانات - أثناء الزيارات الميدانية - عن خصائص الأمواج (زمن الموجة، ارتفاع الموجة، اتجاه الموجة) في المياه الضحلة بالقرب من الشاطئ ، وخصائص التيارات الساحلية (من حيث السرعة والاتجاه) في المنطقة المحددة لقياس العوامل البحرية عند شاطئ سيدى جابر (شكل رقم : ٢) ، بالإضافة إلى قياس مسافة زحف المروج Swash على الشاطئ الأمامى والتي تمثل في المسافة التي عندها تبدأ الموجة في التكرس أو في الإندفاع وأقصى نقطة يصل إليها زحف الموجة داخل الخليج بين ضرسين. كما تم الحصول على بيانات، عن طريق القياس، لكل من أطوال الضرروس وعرضها وارتفاعاتها وتباعدها والمسافة التي تغطيها من الشاطئ، بالإضافة إلى قياس انحدار أسطحها وجوانبها وانحدار خلجانها، وانحدار وجه الشاطئ الأمامى الذى تقع فوقه الضرروس. وقد اشتملت الأجهزة التي استخدمت في عمليات القياس على شريط صلب وجهاز كليومتر لقياس الانحدار، وهوصلة منشورية (برنتون) لقياس الاتجاهات. وعلاوة على القياسات السابقة كانت تجرى متابعة ومراقبة التغييرات التي تطرأ على الضرروس خلال كل زيارة وذلك عن طريق تسجيل الملاحظات الميدانية إما بالوصف أو بالصورة. وقد شملت هذه الملاحظات عمل الأمواج وزحف الأمواج والرياح السائدة في النحت والنقل والإرساب.

كما اشتملت الدراسة الميدانية على جمع عينات من مواد ضرروس الشاطئ وخلجانها بلغ عددها ٣٦٠ عينة (١٨٠ عينة من الضرروس، ١٨٠ عينة من الخلجان) بواقع عينة واحدة من الضرروس وأخرى من الخلجان من كل شاطئ تختار عشوائياً مرة واحدة كل شهر. هنا إلى جانب ملاحظة التركيب الداخلى

الطباقية الرواسب عن طريق الحفر في رواسب الشاطئ الأمامي. وفي نفس الموضع المختار عشوائيا للعينة كان يجري اختبار النفاذية لرواسب الضروس وخلجانها بالأسلوب الذي وضعه رول (Worral، 1969) في هذا الخصوص. وبعد كل زيادة كان يتم إعداد العينات لتحليلها معمليا للتعرف على خصائصها الطبيعية عن طريق تعريضها للهواء لتجفيفها ثم نخلها بالنخل الجاف الكهربائي - بمعرفة الباحث - على جهاز Ro-Tap لمدة خمس عشرة دقيقة لكل عينة في مناخل ذات فتحات مقاديرها $\phi 0,5$ (من $\phi 1,5$: $\phi 4,0$)، ثم وزن ما تبقى في كل منخل بعد انتهاء النخل والحصول على نسبة كل مقدار من الحجم الكلي للعينة.

وقد تضمنت إجراءات الدراسة كذلك استخدام الحاسب الآلي في معالجة البيانات التي جمعت أثناء العمل الميداني وبيانات التحليل المعطى لرواسب الضروس وخلجانها للحصول على المقاييس الاحصائية اللازمة لهذه الدراسة مثل المتوسط والانحراف المعياري، ومعامل الاختلاف، ومربع كاي، ومعامل الارتباط (الجزئي والمتعدد)، وتحليل الإنحدار، والمعاملات الاحصائية للخصائص الحجمية للرواسب. واستلزم ذلك الاستعانة ببعض البرامج الخاصة في هذا الشأن مثل برنامج CORR لحساب معامل الارتباط لصيغة بيرسون، وبرنامج MSX-BASIC لحساب الخصائص الحجمية للرواسب حسب معادلات جرينيورد (Greenwood, 1969). وقد نفذت معالجة البيانات على جهاز الحاسب الآلي الشخصي PC Mandax M-209.

٢- التوزيع المكاني والخصائص المورفومترية للضروس على شواطئ الاسكندرية

١-٢ التوزيع المكاني

يتشر على سطح الشواطئ الأمامية لمدينة الاسكندرية عدد كبير من ضروس الشاطئ التي تتباين فيما بينها من حيث الأبعاد والتباعد ومساحتها الشكلية. وفي محاولة لبيان توزيعها تم تحديدها من واقع الدراسة الميدانية التي أجريت في الفترة من أبريل ١٩٩٢ حتى مارس ١٩٩٣. يوضح (الجدول رقم : ٣) توزيع الضروس على شواطئ مدينة الإسكندرية.

(جدول رقم ٣) التوزيع المكاني للضروس على شواطئ الإسكندرية
في الفترة من أبريل ٩٢ وحتى مارس ١٩٩٣

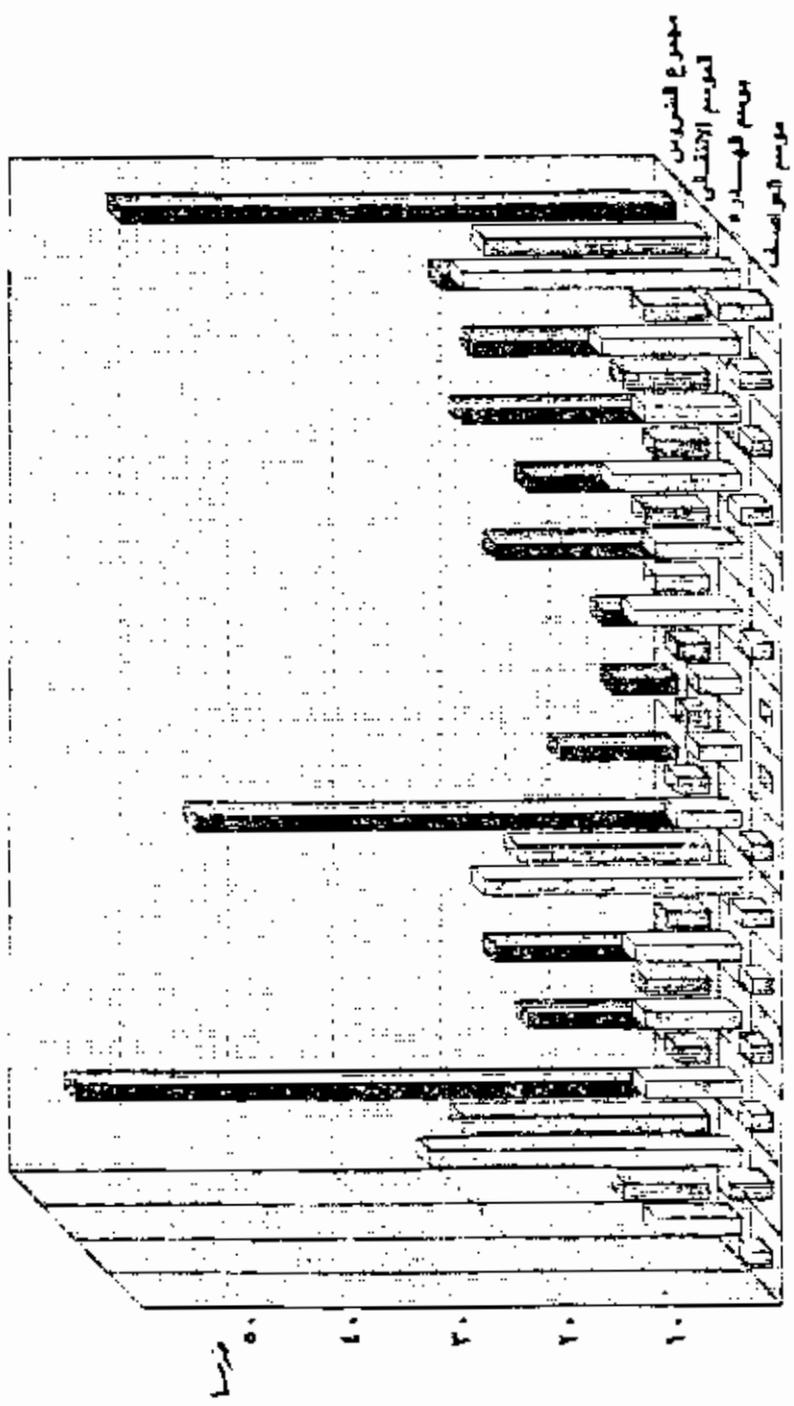
الشاطئ	طول الشاطئ (كم)	عدد الضروس أبريل ٩٢ يونيو ٩٢ توسم انتقالي	عدد الضروس يوليو ٩٢ سبتمبر ٩٢ (توسم الهدرية)	عدد الضروس أكتوبر ٩٢ مارس ٩٢ (توسم فريسانك)	مجموع الضروس	المسافة التي تغطيها بين الشاطئ (كم)
١- أبو قيسر	١,٢٠٠	٨ (٤٤,٤)	٨ (٤٤,٤)	٢ (١١,٢)	١٨	٠,٥٥٠
٢- المنصورة	٢,٢٠٠	٢٣ (٤١,١)	٢٩ (٥١,٨)	٤ (٧,١)	٥٦	١,٠٥٥
٣- المنصورة	١,٣٠٠	٣ (٢١,٤)	٩ (٦٤,٢)	٢ (١٤,٣)	١٤	٠,٢٩٠
٤- المنصورة	٠,٨٠٠	٦ (٣٥,٣)	٩ (٥٢,٨)	٢ (١١,٧)	١٧	٠,٤٨٠
٥- العصفرة	١,٠٦٠	٤ (٢٥)	١٠ (٦٧,٥)	٢ ١٢,٥	١٦	٠,٤٢٠
٦- ميتاوي وسيدى بشر	٢,٤٠٠	١٨ (٤٠)	٢٤ (٥٢,٢)	٣ (٦,٧)	٤٥	٠,٨٩٠
٧- جليم	٠,٦٠٠	٣ (٣٧,٢)	٦ (٥٤,٥)	٢ (١٨,٢)	١١	٠,٢٢٥
٨- منقالي	٠,٢٥٠	٢ (٢٣,٢)	٤ (٦٧,٧)	—	٦	٠,١٢٥
٩- سيدى جابر	٠,٢٩٠	٣ (٤٢,٩)	٤ (٥٧,١)	—	٧	٠,١٥٠
١٠- الابراهيمية	١,١٠٠	٥ (٢٩,٤)	١٠ (٥٨,٨)	٢ (١١,٨)	١٧	٠,٣٦٥
١١- الشاطئ	٠,٩٠٠	٦ (٤٢,٩)	٨ (٥٧,١)	—	١٤	٠,٢٩٥
١٢- الأنفوشي	٠,٨٠٠	٥ (٢٥)	١٢ (٦٠)	٣ (١٥)	٢٠	٠,٤٣٥
١٣- الكس	٠,٩٥٠	٨ (٤٢,١)	٩ (٤٧,٤)	٢ (١٠,٥)	١٩	٠,٤٢٠
١٤- الدخيلة	١,٢٠٠	٦ (٢٧,٢)	١٣ (٥٩,١)	٣ (١٢,٦)	٢٢	٠,٥٧٥
١٥- العجس	٢,٣٠٠	٢١ (٤٠,٤)	٢٦ (٥٠)	٥ (٩,٦)	٥٢	٠,٨٨٠
المجموع	١٨,٢٥٠	١٢١ (٣٦,٢)	١٨١ (٥٤,٢)	٢٢ (٩,٦)	٢٢٤ ٢١٠٠	٧,١٨٥

الأرقام بين الأقواس تمثل النسبة المئوية.

ويلاحظ من بيانات الجدول أن الضروس وخلجانها توزع بصورة كثيفة أمام الشواطئ التسعة (العريضة) في شرق المدينة (المحصورة، ميامي وسيدي بشر) أو غربها (المجمي). ومن ثم يرتبط توزيع ضروس الشاطئ مكانيا على شواطئ مدينة الاسكندرية بوجود مواد شاطئية بصرف النظر عن أصلها، وقوامها، ودرجة لصيقها. كما يبلغ عدد الضروس على شواطئ الجناح الشرقي من ساحل مدينة الاسكندرية ٢٢١ ضرسا وهو مايشكل نسبة ١٧، ٦٦٦ من جملة الضروس التي أجريت عليها الدراسة، بينما بلغ عدد الضروس على شواطئ الجناح الغربي للمدينة ١١٢ ضرسا، وهو مايشكل نسبة ٨٣، ٢٢٢ من المجموع الكلي للضروس على جميع شواطئ منطقة الدراسة. وبهذا التوزيع فإن الكثافة العامة للضروس على شواطئ مدينة الإسكندرية بلغت ١٨، ٢ ضرسا للكيلومتر الطولي الواحد. وفي ضوء الطبيعة الدينامية للضروس فإن توزيعها المكاني والزمني على طول شواطئ الاسكندرية يدل على زيادة نسبتها أثناء الفترة من يوليو حتى أكتوبر وهي فترة الهدوء في الأحوال الساحلية حيث تصل هذه النسبة إلى أكثر من ٢٤٠ على سبعة من الشواطئ الخمسة عشر، وتتسق هذه النتيجة مع النتائج التي توصل إليها رسيل وماك أنتير (Russell and McIntire, 1965) فقد لاحظ أن الضروس تنزع إلى النشوء المتزايد خلال ظروف الشاطئ الانتقالية من الشتاء إلى موسم الصيف والتي تتصف بضعف الطاقة الواردة إلى الشاطئ. وخلاصة القول أن أكبر نسبة لضروس الشاطئ ٢، ٧٥٤ تحدث خلال فترة الهدوء الصيفية (يوليو - سبتمبر)، بينما تتميز فترة العواصف والأعاصير الشتوية (أكتوبر - مارس) بتقلص عدد الضروس على الشواطئ واختفائها من بعض الشواطئ وانخفاض نسبتها إلى ٦، ٢٩. أما الفترة الانتقالية في الظروف الساحلية (أبريل - يونيو) فيتكون بها عدد لا بأس به من الضروس بنسبة تصل إلى ٢٠، ٣٦٦. (شكل رقم ٧).

٢-٢ السمات المورفومترية للضروس

يتناول هذا الجزء ضروس الشاطئ من زاوية الشكل للوقوف على طبيعة العلاقة بين عناصرها المختلفة. وتعتمد دراسة شكل الضروس على مجموعة من الخصائص الشكلية أو القياسات المورفومترية ومعالجتها احصائيا. ويمكن حصر هذه الخصائص في تكرار الضروس وأبعادها وإنحطارها واتساع خلجانها.



الجدول رقم ٧ : توزيع المباني على شوارع مدينة الإسكندرية.

(شكل رقم : ٧) : توزيع الضروس على شوارع مدينة الإسكندرية.

٢-١-٢ تكرار الضروس (الكثافة) Cusp Frequency

يقصد بتكرار الضروس قمة مجموع الضروس على مجموع المسافات التي نغطيها، أما معدل كثافة الضروس في الكيلومتر فهو عبارة عن مجموع التكرارات منسوبا إلى عدد الحالات (الشواطئ) التي شوهدت عليها ضروس الشاطئ وخلجانها. يوضح الجدول رقم (٤) تكرار الضروس وكثافتها على شاطئ مدينة الإسكندرية.

(جدول رقم (٤): تكرار الضروس وكثافتها على شواطئ الإسكندرية
(ضرس لكل كيلومتر)

الشاطئ	تكرار الضروس	الشاطئ	تكرار الضروس	الشاطئ	تكرار الضروس
١- أبو قهر	٣٦,٧٢	٧- جليم	٤٨,٨٩	١٢- الألفوشي	٤٥,٩٧
٢- المعمورة	٥٣,٠٨	٨- ستلى	٤١,٣٨	١٣- المكس	٤٤,١٨
٣- المتزة	٤٨,٢٧	٩- سيدى جابر	٤٦,٦٧	١٤- الدخيلة	٣٨,٢٦
٤- المتزة	٣٥,٤٢	١٠- الأبرعية	٤٦,٥٧	١٥- الحمسى	٥٩,٠٩
٥- الحصاره	٣٨,٠٩	١١- الشاطئ	٤٧,٤٦	متوسط التكرار	٤٦,٤٨
٦- بهاسى وميدى بشر	٥٠,٥٦			معدل الكثافة	٤٥,٧١

ظاهر من الجدول أن تكرار وكثافة ضروس شواطئ الإسكندرية يتراوح بين ٣٦,٧٢، ٥٩,٠٩، ٤٧,٤٦، ٤٤,١٨، ٤٥,٩٧، ٤٦,٤٨، ٤٦,٥٧، ٤٦,٦٧، ٤٨,٢٧، ٤٨,٨٩، ٥٣,٠٨، ٥٩,٠٩ ضرسا لكل كيلومتر، وذلك بمتوسط يصل إلى ٤٦,٤٨ ضرسا لكل كيلومتر ومعدل عام للضروس يبلغ ٤٥,٧١ ضرسا لكل كيلومتر. ومعدل كثافة الضروس في منطقة الدراسة يقل عن القيمة التي توصلت إليها كنج (King, 1965) والتي بلغت ٦٧,٥ ضرسا لكل كيلومتر. وربما يرجع السبب في ذلك إلى ضعف الطاقة الديناميكية الواصلة إلى للشواطئ في شكل أمواج قليلة الارتفاع أثناء، فرة تكرنها وبالإضافة إلى خشونة رواسب بعض الشواطئ وضعف تصنيفها. كما يبدو من الجدول أن شواطئ المعمورة وميامى وميدى بشر والجمسى هي أكثر الشواطئ استجابة لبناء هذه الظاهرة بمعدل يفوق استجابة بقية

الشواطئ لها، وربما يرجع ذلك لطبيعة احجام التكوينات حيث أظهرت نتائج التحليل الميكانيكى لتكوينات هذه الشواطئ أنها أقل خشونة وأكثر تصنيفا من تكوينات الشواطئ، الأخرى لمنطقة الدراسة. وتبلغ نسبة هذه الشواطئ الثلاثة ٢٠.٠٪ من جملة الشواطئ وتعارض ذلك مع النتائج التى توصل إليها كل من ألتوموس (Orvos 1964) وشبرد (Shepard, 1973) من حيث زيادة تكرار الضروس على الشواطئ الخشنة الرواسب عن الشواطئ الناعمة الرواسب. فى حين تبلغ نسبة الشواطئ التى تشكل الضروس بها تكرارا متوسطا (٤٠-٥٠ ضرسا/ كيلومتر) - وهى شواطئ المتزة وجليم ومتانلى وسيدى جابر والابراهيمية والشاطبي والأنفوشى والمكس - ٥٣.٣٪ من جملة شواطئ المنطقة، بينما تبلغ نسبة الشواطئ التى تشكل الضروس بها تكرارا منخفضا (أقل من ٣٥ ضرسا/ كيلومتر) - وتقتصر على أبى قير والمنذرة والعصافرة والدخيلة - ٢٦.٧٪ من جملة شواطئ منطقة الدراسة.

٢-٢-٢ خصائص الأبعاد Dimensional Characteristics

تتفاوت الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية من حيث الطول (الامتداد)، والعرض (الاتساع)، والارتفاع، والتباعد، واتساع، خلجانها تبعاً للثقافات فى أشكالها ومماقاتها وتباعدتها. وسوف نعرض على الصفحات التالية أهم الخصائص المورفومترية التى تم قياسها فى الدراسة الميدانية وهى الطول والارتفاع والتباعد واتساع خلجانها وأتى يوضحها الجدول رقم (٥).

أ - الطول Cups Length

وقد تم قياسه على أطول خط مستقيم يمتد به قرن الضروس تجاه البحر. وتراوح متوسطات أطول الضروس على شواطئ مدينة الإسكندرية. كما يظهر فى الجدول رقم (٣) - بين ١,٥٥ ، ٢,٢٥ مترا، فى حين بلغ معدل طول الضروس ١,٨٨ مترا بانحراف ميارى $\pm ٠,٥٦$ مترا، ومعامل اختلاف ٢٩,٨٪. وبدل ذلك على تميز الضروس الشاطئية فى منطقة الدراسة بتجانسها النسبى فى أطوالها، ويتفق متوسط أطوال ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية مع ما توصل إليه تويدال (Twidale, 1976) من أن متوسطات أطوال الضروس تتراوح من متر واحد إلى بضعة أمتار. وقد لوحظ أثناء الدراسة الميدانية أن معظم قرون الضروس

جدول رقم (5) أبعاد ضروس الشاطئ وعلجانها على شواطئ الاسكندرية

الشاطئ	متوسط أطوال الضروس بالمتر (الامتداد)		متوسط عرض الضروس (الامتداد)		متوسط ارتفاع الضروس (المتلوس) حتر		متوسط اتساع العليجان بالمتر		متوسط التباعد بين الضروس بالمتر	
	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري	المتوسط	الانحراف المعياري
1- أبو نمر	1,37	0,22	1,27	0,22	0,16	0,07	1,40	0,42	20,06	12,4
2- الصبورة	2,20	0,41	1,01	0,32	0,23	0,08	2,2	0,36	18,81	11,3
3- الشبرا	1,72	0,08	1,17	0,13	0,22	0,06	1,3	0,28	20,71	10,1
4- للنبوة	1,90	0,18	1,10	0,28	0,17	0,11	1,1	0,30	28,24	11,0
5- الصانرة	2,00	0,01	1,23	0,29	0,24	0,09	1,7	0,20	26,20	12,8
6- بهي وسليما بشر	2,17	0,12	1,07	0,11	0,21	0,14	2,0	0,22	19,78	8,8
7- جليم	1,20	0,08	1,10	0,20	0,21	0,08	1,20	0,22	20,10	13
8- سطل	1,18	0,00	1,20	0,36	0,11	0,06	1,3	0,29	24,17	10,1
9- سدي جابر	1,30	0,29	1,12	0,10	0,03	0,09	1,0	0,28	21,13	7,2
10- الأبراهيمية	1,81	0,21	1,29	0,22	0,21	0,10	1,7	0,27	21,47	10,7
11- الشاطئ	1,77	0,07	1,30	0,27	0,27	0,12	1,7	0,27	21,07	11,6
12- الأفرسي	1,91	0,20	1,17	0,28	0,12	0,08	1,1	0,27	21,20	9,8
13- لكسي	1,70	0,18	1,10	0,29	0,22	0,07	1,0	0,20	22,23	11,0
14- القمعة	2,01	0,06	1,30	0,11	0,19	0,12	1,9	0,20	26,11	12,3
15- الحمسي	2,19	0,23	1,00	0,23	0,11	0,07	2,2	0,20	16,92	10,9
المتل	1,82	0,02	1,31	0,26	0,29	0,09	1,23	0,01	22,21	10,9
متل الاختلاف	228,4		226,8		231,0		231,3		248,0	

تتخذ قمته apex الشكل المستدير أو القبابي، والقليل منها يتخذ الشكل الحاد أو المذهب. كما لوحظ من خصائص طول الضروس أنه يرتبط ارتباطا وثيقا وواضحا بطول زحف الأمواج Swash أكثر من ارتباطه بالتباعد، حيث تتقارب أطوال الضروس وتتوافق مع أطوال زحف الأمواج على وجه الشاطئ.

ب- العرض Cusp width

وتم قياسه بناء على أطول خط مستقيم يتعامد على طول قرن الضرس. ويتراوح عرض الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية بين ١,١٠ مترا لضروس شاطئ جليم و ١,٥٧ مترا لضروس شاطئ ميامي وسيدى بشر. كما يبلغ معدل عرض ضروس الشاطئ ١,٣٤ مترا بانحراف معياري $\pm ٠,٣٦$ مترا، ومعامل اختلاف ٢٢٦,٨ مما يؤكد أن الضروس تعرض نوعا من التجانس بين عرضها (أو اتساعها) على طول شواطئ مدينة الاسكندرية.

ج- الارتفاع (التضاريس) Cusp height (Relief)

ويقصد به الارتفاع بين أعلى نقطة على قمة قرن الضرس وأدنى نقطة على خليج الضرس. ويظهر من الجدول السابق (جدول رقم ٥) تقارب قيم ارتفاع الضروس على طول شواطئ الاسكندرية حيث سجلت معدلا قدره ٠,٢٩ مترا بانحراف معياري $\pm ٠,٠٩$ مترا، ومعامل اختلاف قدره ٢٣١,٠. وهي بذلك تعرض تبانيا يفوق ما تعرضه أطوالها أو عرضها، كما أنه يتباين بشدة بين كل من الشواطئ المتسعة العريضة (المعمورة، سيدى بشر، العجمي) والشواطئ الضيقة (جليم، ستانلي، سيدى جابر). فعلى الأولى يتراوح بين ٠,١٤-٠,٢٢ مترا، بينما على الثانية يتراوح بين ٠,٤١ - ٠,٦١ مترا. وبصفة عامة تتركز الضروس المرتفعة على الشواطئ الخشنة في رؤسها الرملية (شاطئ جليم)، ويؤيد ذلك ما توصل إليه مبي عند دراسته لهذه الظاهرة على سواحل اليابان (Mii, 1956).

د - اتساع الخلدجان (الجوانات) Cusp bay breadth

وتم قياسه بناء على أطول خط مستقيم يتعامد على المسافة بين الضرسين على أطراف الخليج (الوتر) وحتى نقطة التقائه بمنحنى الخليج (شكل رقم ١). ويتراوح متوسطات اتساع خلدجان الضروس على شواطئ الاسكندرية بين ١,٢٠،

٢,٣٠ مترا بمعدل قدره ١,٦٣ متر وانحراف معياري $\pm 0,٣١$ مترا ومعامل اختلاف وصل إلى 2٣١,٣، وبمثل ذلك على وجود اختلاف نسبي بين اتساع خلجان الضروس على طول شواطئ منطقة الدراسة حيث سجلت الخلجان بين ضروس كل من شاطئ المعمورة وشاطئ المعجمي أكبر متوسطات اتساع بلغت ٢,٣ مترا، ٢,٢ مترا على الترتيب، في حين سجلت خلجان ضروس الشواطئ الضيقة عند جليم والمنزة وستانلي أقل متوسطات اتساع بلغت ١,٢، ١,٣، ١,٣ مترا على التوالي. ويتفق هذا إلى حد كبير مع دراسات جلشير عن خلجان الضروس (Guilcher, 1948; 1958).

هـ- التباعد Cusp Spacing

يقصد به طول المسافة بين مقعدة كل ضرسين، وهي التي يعبر عنها بطول الموجة (Russell and McIntire, 1965). ويكشف تباعد الضروس نمط انتشارها على صحيفة الشاطئ. ومن بيانات الجدول (رقم ٥) نرى أن متوسطات التباعد بين ضروس الشاطئ تتراوح بين ١٦,٩، ٥٦,٥ مترا بمعدل قدره ٢٢,٦٩ مترا وهو يقع ضمن الحدود التي ذكرها جلشير ورسيل ومكميلان والتي تتفاوت ما بين خمسة أمتار إلى ما يربو على ٦٠ مترا وقد تصل إلى ٧٧ مترا (Russell and Macmillan, 1952; Guilcher, 1953) كما يتفق المعدل العام (٢٢,٦٩ مترا) مع النتائج التي توصل إليها باحثين آخرون مثل رسيل وماك أستير (Russell & McIntire, 1965) وويليامز (Williams, 1973). ومن فحص المتوسطات الشهرية للتباعد من الضروس على شواطئ الإسكندرية تبين أنها لا تكشف اتجاهها عاما بحيث تتقارب هذه المتوسطات فيما بينها ويتفق ذلك مع مشاهدات كل من شورت (Short, 1979a) وسالنجر (Sallenger, 1979) وسيمور وأوبري (Seymour and Aubrey, 1985) حيث بنيت مشاهداتهم على أساس أن التناسق والانتظام في تباعد الضروس يعد سمة هامة، وصفة مميزة للضروس التي تتكون بفعل زحف الموج المصاحب للأعراج الحادة المضطربة. وقد بلغ الإنحراف المعياري للتباعد $\pm 10,٩$ مترا ومعامل اختلاف ٤٨,٠% والذي يظهر بأن هناك تفراتا واضحا في التباعد بين الضروس على شواطئ الإسكندرية، وإن كان ذلك يتفق مع النتائج التي توصل إليها إيفانس الذي لاحظ أن متوسط

اختلافات التباعد بين الضروس يصل إلى ١٤٠ كحد أدنى (Evans, 1938)، كما أكد إنمان وجوزا أن هناك تفرقا ملحوظا في التباعد بين ضروس الشاطئ. حيث يتحكم في هذا التباعد أساسا طول موجة التيار الطولي Longshore wave length بفعل الأمواج الحادة Edge waves، كما أن أقصى طول للمسافة بين الضروس والذي يسمح بالوجود المستمر للأمواج الحادة يكون دالة كافية لامتداد الموجة الساقطة (Inman and Guza, 1982). وقد أثبتت القياسات الميدانية أن هناك اختلافا ملحوظا في التباعد بين الضروس الصيفية والشتوية، حيث يكون التباعد في الأولى أقل منه مع الثانية بسبب زيادة عددها مع ضعف العمليات البحرية أثناء موسم الصيف. ومن مقارنة بيانات الضروس في موسم النهدي في الأحوال البحرية (موسم الصيف) لشواطئ الاسكندرية اتضح أن ثبات وانتظام التباعد بين الضروس يكون بصورة جيدة على الشواطئ التي تتسم بالخشونة في موادها كشواطئ جليم وسيدى جابر والتي يتراوح التفاوت فيها ما بين ٣٠-١٣٤، على حين كشفت الشواطئ والتي تتصف بنعومة موادها كشواطئ المعمورة والمعجمى بقلة التماس والانتظامية في التباعد حيث بلغ الاختلاف فيها عن المتوسط ما بين ٥٩-١٦٤. بينما تظهر الشواطئ التي تتكون من رواسب متوسطة الحجم كشواطئ ستانلى والأنقوشى لباعدا بين الضروس التي نشأ فرقها بتفاوت فيما بين ٤٠-١٤٥ عن المتوسط (شغل رقم ٨).

٢-٢-٣ الإنحدار Cusp slope

تعد درجات الإنحدار من السمات المورفومترية الهامة في دراسة خصائص ضروس الشاطئ، وتأتى في المرتبة الثانية بعد أطوالها. واعتمدت دراسة إنحدارات ضروس الشاطئ وخطجانها عن طريق عينة مكونة من ٥-١٠ حالة من كل شاطئ من الشواطئ الخمسة عشر. ويرضع الجدول التالى (جدول رقم ٦) نتائج هذه الدراسة.

جدول رقم : ٦) انحدارات الضروس وخلجانها على شواطئ الإسكندرية

متوسط انحدارات اخلجان (درجة)	متوسط انحدارات أسطح الضروس (درجة)	متوسط انحدارات جوانب الضروس (درجة)	الشاطئ
٥,٥	٢,٥	٥,٥	١- أهر نمر
٤,٠	٦,٠	٤,٠	٢- للمصرة
٥,٠	٣,٠	٥,٠	٣- النرا
٥,٥	٢,٥	٧,٥	٤- للندرة
٤,٥	٢,٥	٦,٥	٥- الصافرة
٥,٠	٢,٥	٨,٠	٦- يلى وينى بشر
٧,٥	٥,٥	١٨,٥	٧- جليم
٦,٥	٤,٠	١٤,٠	٨- ستان
٨,٥	٤,٥	٢١,٥	٩- بيتى جبر
٥,٥	٤,٠	١٠,٠	١٠- الأربعة
٦,٠	٣,٥	٨,٥	١١- الشاطى
٥,٠	٤,٠	٨,٥	١٢- الأنفوسى
٥,٥	٣,٥	٧,٥	١٣- لكس
٥,٠	٢,٠	٥,٥	١٤- القنينة
٣,٥	٢,٥	٤,٥	١٥- الجسى
٥,٥	٣,٥	٩,٠	المتوسط
١,٢	٠,٩٢	٤,٩٥	الانحراف للمبارى
٢٢١,٨	٢٢٦,٢	٥٤,٤	معدل الاختلاف

وتتضح من الجدول السابق أن متوسط إنحدارات جوانب الضروس تتراوح بين 4.0° ، 21° بمعدل بلغ 9.0° وانحراف معياري $\pm 4.95^\circ$ ومعامل اختلاف 154.4 مما يدل على أن هناك تفاوتاً ملحوظاً بين متوسطات درجات انحدار جوانب الضروس، وإن كانت تسم بتشابهها في أنها متوسطة الانحدار في جملتها العامة كما يعكسها قيمة المتوسط العام لها. فهناك ضروس خفيفة الانحدار (أقل من 5°) وهي التي تتركز على الشواطئ التي تتصف بنعومة ومالها كشواطئ المعمورة والمعجمي، أما الضروس المتوسطة الانحدار ($5^\circ - 10^\circ$) فتوجد على الشواطئ التي يلبغ على قوام رواسبها الرمال المتوسطة الحجم كشواطئ الشاطئ والأنفوشي. وتكثر الضروس ذات الانحدار فوق المتوسط ($10^\circ - 18^\circ$) على الشواطئ التي يحيل قوام مالها إلى الخشونة كشواطئ ستانلي والإبراهيمية. أما الضروس الشديدة الانحدار ($18^\circ - 25^\circ$) فتوجد على الشواطئ ذات الرواسب الخشنة كشاطئ جليم وسيدي جابر.

وقد سجلت إنحدارات أسطح الضروس على شواطئ مدينة الإسكندرية درجات يتراوح متوسطها بين 2.0° ، 5.5° بمعدل بلغ 3.5° وانحراف معياري $\pm 0.92^\circ$ ، ومعامل اختلاف 126.3 لذا تعرض إنحدارات أسطح الضروس تبانياً طبقياً وإن كانت تشابه جميعها تقريباً في أنها خفيفة الانحدار في جملتها العامة كما تعكسها قيمة معدلها.

وتتراوح متوسط إنحدارات خلجان الضروس بمنطقة الدراسة بين 3.5° ، 8.5° بمعدل 5.5° ، وانحراف معياري $\pm 1.2^\circ$ ، ومعامل اختلاف بلغ 121.8 مما يدل وجود اختلاف طفيف في متوسط إنحدارات الخلجان عن المعدل العام لها. وسجلت خلجان ضروس الشواطئ التي يلبغ على قوام رواسبها الخشونة أكبر الانحدارات التي بلغت 7.5° ، 8.5° على شاطئ جليم وسيدي جابر على التوالي، في حين سجلت خلجان ضروس الشواطئ ذات الرواسب المتوسطة الحجم عند العصافرة وستانلي والشاطئ والمكس على سبيل المثال - درجات إنحدار تتراوح بين $4.0^\circ - 6.5^\circ$ ، بينما سجلت خلجان ضروس شواطئ المعجمي والمعمورة أقل الانحدارات التي بلغت 3.0° ، 4.0° على الترتيب. وقد وجدت علاقة بين درجة إنحدار جوانب الضروس الشاطئية ودرجة إنحدار خلجان الجرف

وصلت قيمة معامل الارتباط بينهما ٠,٨٦ (له دلالة عند مستوى ٠,٠١) وهو يمثل ارتباطا طرديا قويا، وكما أنه يمثل ارتباطا متلازما حيث أن هناك عاملا وسيطا يمثل فت التيار الشقي Rip current وعامل الزحف والأرتداد الموجي Swash and Backwash.

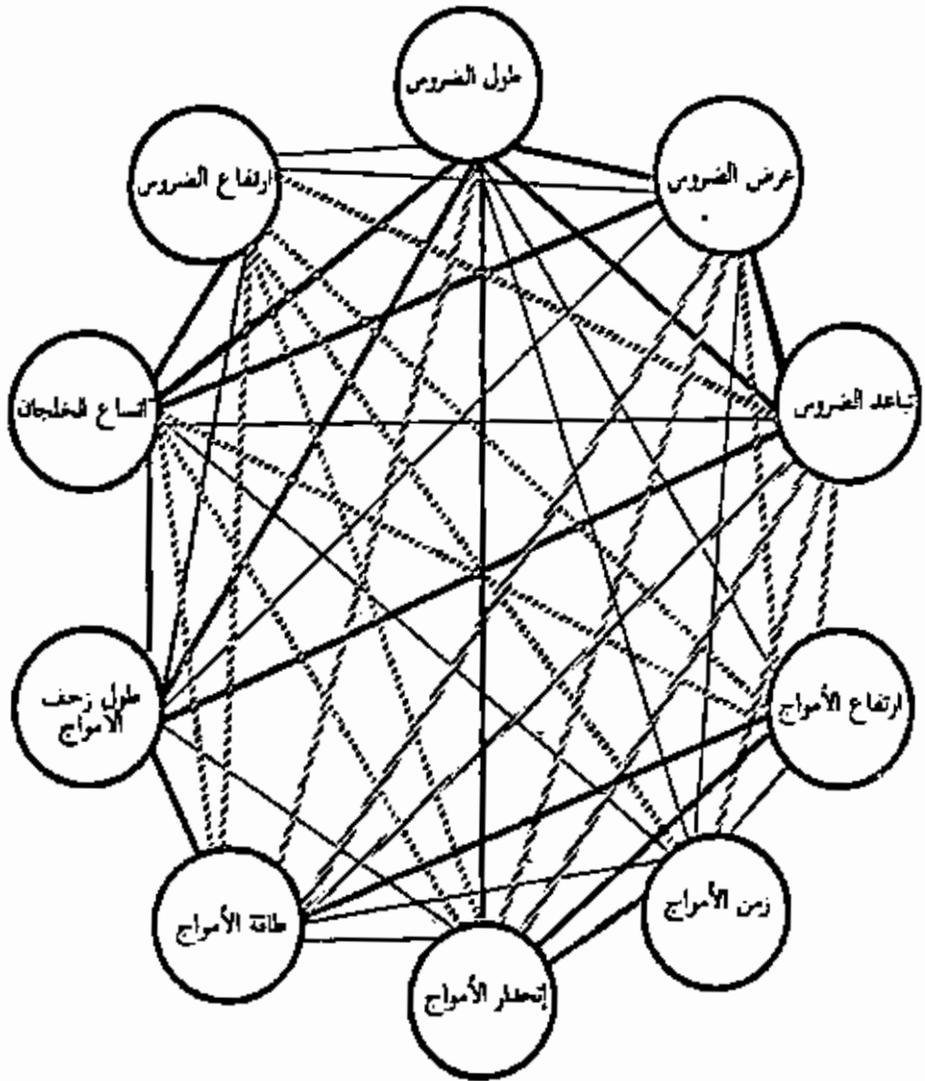
٢-٣ العلاقات الارتباطية بين خصائص الضروس وعوامل تشكيلها

يتناول هذا الجزء توضيح العلاقات الارتباطية بين الخصائص المورفومترية للضروس وخلجاتها وبعض عوامل تشكيلها بغية الخروج منها ببعض الحقائق عن مدى إسهام هذه العوامل في تكوين وتشكيل كل من الضروس وخلجاتها على شواطئ الإسكندرية. ويوضح الجدول رقم (٧)، رقم (٨) نتائج التحليل الإحصائي لهذه العلاقات باستخدام معامل ارتباط بيرسون ومعامل الارتباط الجزئي والمتعدد وتحليل الإنحدار.

جدول رقم (٧): معطلة العلاقات الارتباطية بين مورفولوجية ضروس للشاطئ وخلجاتها وبعض عوامل التشكيل البحرية

المعطيات	طول الضروس	عرض الضروس	ارتفاع الضروس	إسالة الضروس	إسالة الخلفان	ارتفاع الأمواج	رأس الأمواج	تسلسل الأمواج	طول وسف اللج
طول الضروس	-	٠,٦٩	-٠,٢١	٠,٧٣	٠,٢٤	٠,١٤	٠,١٩	٠,٤٦	٠,٧١
عرض الضروس		-	٠,٠٦	٠,٧١	٠,٧٦	٠,٢٧	٠,٨	٠,٤٦	٠,٤٦
ارتفاع الضروس			-	٠,٢٦	٠,١٥	٠,٢٦	٠,٢١	٠,٤٦	٠,٤٦
إسالة الضروس				-	٠,٥٧	٠,٢٨	٠,١٢	٠,٢٢	٠,٦٨
إسالة الخلفان					-	٠,٢٢	٠,٢٧	٠,٢٥	٠,٦١
ارتفاع الأمواج						-	٠,١٨	٠,٥٦	٠,٢٨
رأس الأمواج							-	٠,١٩	٠,١٢
تسلسل الأمواج								-	٠,٢٨
مطلة الأمواج									-

(٥٥) له دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ - ٥ له دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥

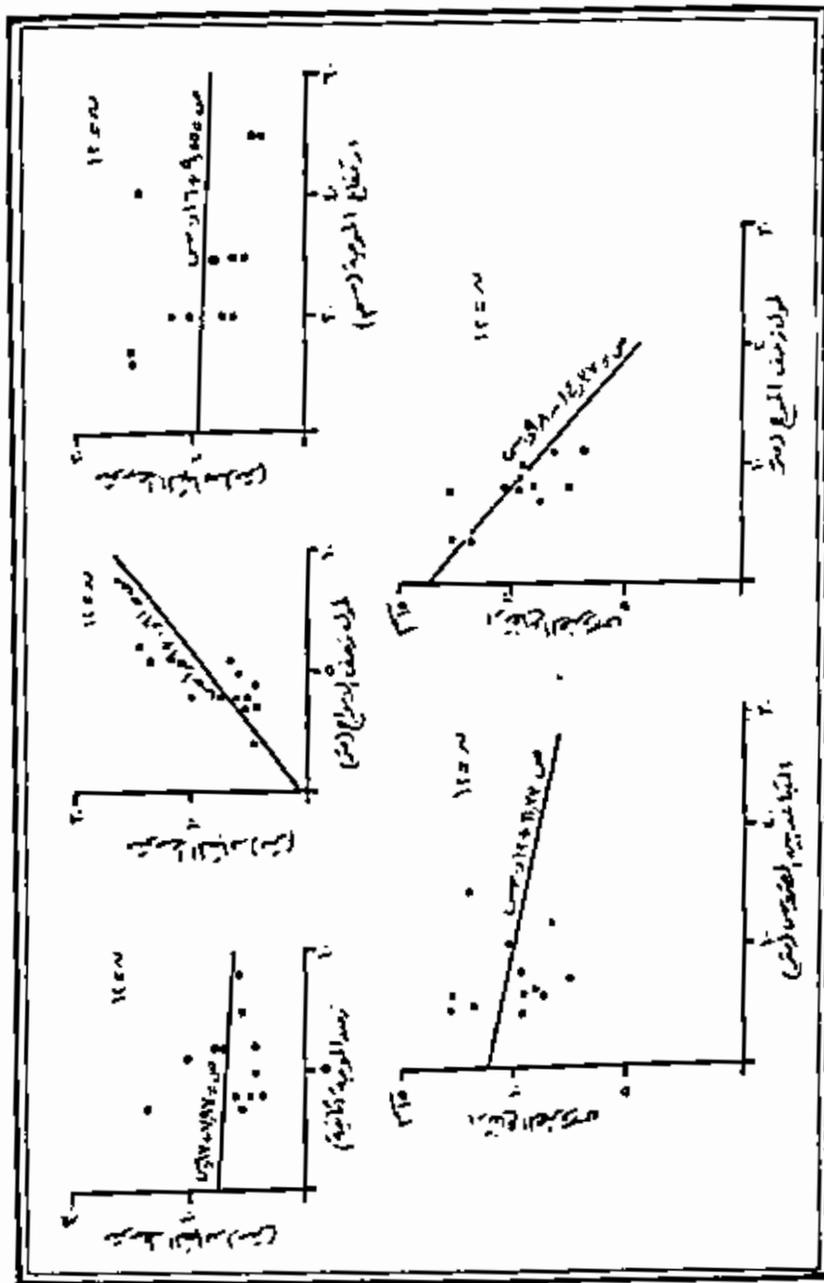


- ارتباط موجب غير دلالة احصائية
- ارتباط موجب دلالة عند مستوى ٠,٠٥
- ارتباط موجب دلالة عند مستوى ٠,٠١
- ارتباط سالب غير دلالة احصائية
- ارتباط سالب له دلالة عند مستوى ٠,٠٥

(شكل رقم : ٩) العلاقات الارتباطية بين مورفولوجية ضروس الشاطئ وبعض عوامل تشكيلها

ضعف العلاقة السابقة إلى عوامل أخرى أكثر أهمية مثل نمط التدفق في منطقة الشاطئ الخارجى Offshore. كما توجد علاقة طردية قوية بين عرض (اتساع) الضروس وتباعدها واتساعات خلجانها. ويتضح من ذلك أنه كلما زادت اتساعات الضروس زاد التباعد بينها واتسعت خلجانها في حالة زيادة طول زحف الأمواج، في حين يعمق ارتفاع الأمواج وزيادة طاقتها نمو الضروس، ويحد من أطوالها واتساعاتها واتساعات خلجانها. ويتضح كذلك وجود علاقة طردية بين طول زحف الأمواج من جهة وارتفاعات وتباعده الضروس واتساعات الخلجان فيما بينها من جهة أخرى. ونستخلص من العلاقات السابقة أن اتساعات الضروس وتباعدها واتساعات خلجانها تزداد في حالة زيادة أطوالها، بينما تختفى الضروس وتزال وتردم خلجانها، وتتسع معالمها في حالة أمواج العواصف أثناء فصل الشتاء، ولذا تعتبر أشهر فصل الصيف أنسب أوقات نموها وزيادة أعدادها (شكل رقم : ٧).

ويظهر من الجدول رقم (٨) والشكل رقم (٩) شدة العلاقة بين زحف الأمواج وتباعده ضروس الشاطئ في منطقة الدراسة، مما يؤكد على هيمنة هذا العامل وسيطرته على هذه الخصيصة لضروس الشاطئ وبالتالي على تطورها بوجه عام، وهو ما يتفق مع ما توصل إليه لونغويت - هيجنز وباركين (Longuet-Higgins & Parkin, 1962). كما يوضح الجدول ائتلاف العوامل الثلاثة : زمن الموجة وارتفاع الموجة وطول زحف الموجة في تفسير 7.٥٩ من التباين والاختلاف في تباعد الضروس على شواطئ الإسكندرية، بينما تعزى نسبة التباين الباقية غير المتصرة بهذه العوامل الثلاثة إلى عوامل أخرى مثل اتجاه الرياح والفصل الذى تنمو فيه، والمد والجزر، وحجم الرواسب التى تتكون منها الضروس، مما يؤكد على ما توصل إليه لونغويت - هيجنز وباركين فى تحليلهما المحاليل للعلاقة بين تباعد الضروس وخصائص الأمواج التى اسهمت فى تشكيلها (Longuet-Higgins & Parkin, 1962). ومن جهة أخرى لم تتفق نتائج التحليل الإحصائى للإنحدار بين ارتفاع الأمواج والتباعد بين الضروس على شواطئ الإسكندرية مع ما اقترحه جونسون (Johnson, 1919) فى هذا الشأن من أن مسافة التباعد بين الضروس تتضاعف مع تضاعف ارتفاع الأمواج.



شكل رقم ١٠: تحليل الانحدار للمعالجة بين بعض خصائص مزارع النشاطات وبعض عوامل تشكيلها .

٣- الخصائص الطبيعية لأحجام تكوينات الضروس واخلجانها Textural Characteristics

تتميز ضروس الشاطئ بتنوع أحجام حبيبات الرواسب التي تتكون منها من شاطئ لآخر في منطقة الدراسة. وهناك عدة طرق اتبعها علماء الجيولوجيا لتقييم حبيبات الرواسب، وتحديد العلاقات الحجمية بين كل من الزلط والرمل والطين. ويعد مقياس تدرج الحبيبات Grade Scale لونتورث (Wentworth, 1922) الأكثر استخداماً بين علماء الجيولوجيا. ومن الباحثين الآخرين الذين اهتموا بدراسة حجم حبيبات الرواسب نذكر كرومباين (Krumbein, 1934) الذي قام بعمل مقياس آخر شائع يعتمد على مقياس فاي (Phi-Scale) اللوغاريتمي، وفوك (Folk, 1954) وهولي (Whalley, 1972)، وبتيجون (Petijohn, 1975).

ولدراسة الخصائص الحجمية لتكوينات الضروس واخلجانها، تم جمع ٢٦٠ عينة سطحية من الضروس والخلجان (١٨٠ عينة من الضروس، ١٨٠ عينة من الخلجان)، وبسمك يتراوح بين ٣-٥ سم، كما تم تحليل هذه العينات ميكانيكياً. ويوضح الجدول رقم (٩) ورقم (١٠) نتائج التحليل الميكانيكي والتحليل الإحصائي لتكوينات عينات الضروس واخلجانها على شواطئ مدينة الإسكندرية.

(جدول رقم : ٩) نتائج التحليل الميكانيكي لتكرينات الضروس وخلجانها
على شواطئ مدينة الاسكندرية

الخلجان			الضروس			الناطئ
Z	Z	Z	Z	Z	Z	
الرمل الناعم جدا والملت	الرمل المتوسط والناعم	الرمل الخشن جدا والملت	الرمل الناعم جدا والملت	الرمل المتوسط والناعم	الرمل الخشن جدا والملت	
Φ٤.٠ : ٢.٠	Φ٢.٠ : ١.٠	Φ٠.٥ : ١.٠	Φ٤.٠ : ٢.٠	Φ٢.٠ : ١.٠	Φ٠.٥ : ١.٠	
١١	٧٩	١٠	٦	١٦	٧٨	١- أبو قير
١٤	٨٢	٤	٥	٢٠	٦٥	٢- المعصرة
١٢	٨٠	٨	٥	٢٢	٧٣	٣- المتزة
١٠	٧٩	١١	٤	٢١	٧٥	٤- المنفرة
١٠	٨١	٩	٤	٢٠	٧٦	٥- العصارفة
١٤	٧٧	٩	٥	٢٠	٧٥	٦- ميامى وسيدي بشر
١٥	٧٣	١٢	٨	١٤	٧٨	٧- جليم
١٠	٨١	٩	٦	٢١	٧٣	٨- منقلى
١٤	٧٨	٨	٧	١٥	٧٨	٩- سيدي جابر
١٠	٧٩	١١	٥	٢٣	٧٢	١٠- الابراهيمية
١١	٧٧	١٢	٦	١٨	٧٦	١١- الناطئ
١٠	٨٠	١٠	٥	٢٤	٧١	١٢- الانقوشى
١١	٨١	٨	٦	٢٥	٦٩	١٣- المكس
٩	٨٢	٩	٤	٢٨	٦٨	١٤- الدخيلة
١٧	٨٠	٣	٦	٢٥	٦٩	١٥- العجسى
١١,٨٧	٧٩,٢٦	٨,٨٧	٥,٢٧	٢١,٨٧	٧٢,٨٦	المتوسط العام

ويتضح من هذا الجدول أن معدل نسبة المواد الخشنة (الرمل الخشن والخشن جداً، ١,٠ - ٥,٠) بلغ حوالى ٧٢,٨٦ من جملة تكوينات الضروس على شواطئ الاسكندرية، بينما انخفضت هذه النسبة فى خلجانها فبلغت ٨,٨٧ فى حين شكلت المواد الناعمة (رمل ناعم جداً والملت، أكبر من ٢,٠) نسبة ضئيلة بين تكوينات الضروس (٢٧, ٢٥)، بينما ارتفعت هذه النسبة فى تكوينات الخلجان لتصل إلى حوالى ١١١,٨٧ من جملة التكوينات. وتعد كل من فتى الرمل المتوسط الحجم والرمل الناعم (١,٠ : ٢,٠) أكبر الفئات تحميلاً حيث بلغ متوسطهما العام بين عينات الضروس ٧٧٢,٨٦ من جملة التكوينات، وارتفع هذا المتوسط بين عينات الخلجان إلى ١٧٩,٢٦ من جملة تكويناتها. وصفوة القول أن تكوينات الضروس على مستوى شواطئ مدينة الاسكندرية تميل للخشونة، بينما تميل تكوينات خلجانها للدقة والنعومة - كما هو واضح من بيانات الجدول رقم (٩) - وربما يرجع السبب فى ذلك لفرملة التكوينات التى تقوم بها الأمواج، حيث يعمل زحف الموج Swash بالنحت فى الخلجان بينما تقوم المياه المرتدة Backwash بالإرساب فى قرون الضروس (صورة رقم : ٢)، ويتفق ذلك إلى حد كبير من دراسات من باتيك (Pathick, 1984) وياجولد (Bagnold, 1940).

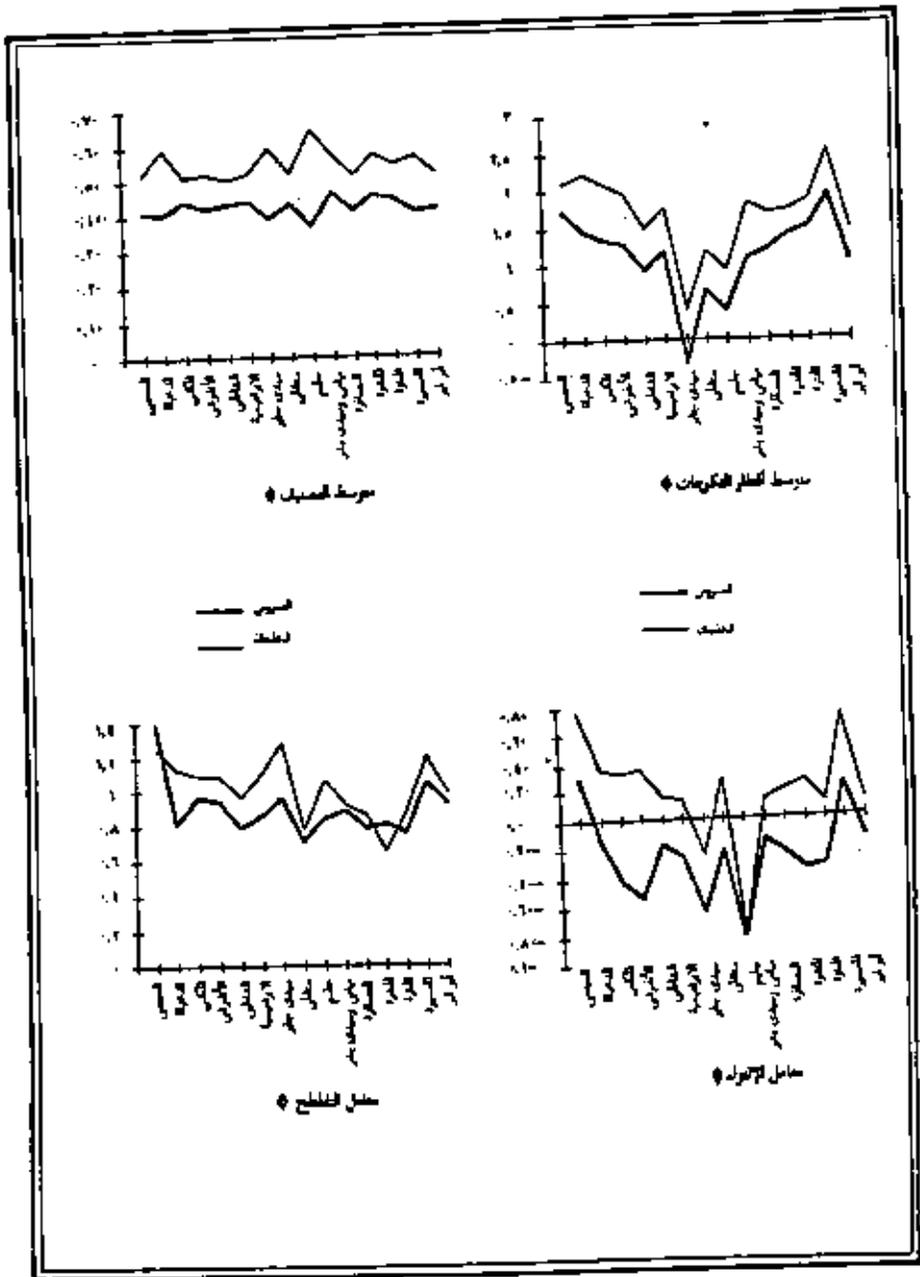
(جدول رقم : ١٠) نتائج التحليل الاحصائي لعينات لتكوينات الضروس
وعلاجانها على مواطنى مدينة الاسكندرية

الشاغى	متوسط أقطار التكوينات ϕ		متوسط التصنيف ϕ		معامل الانتواء ϕ		معامل التضطح ϕ	
	الضروس	الخلجان	الضروس	الخلجان	الضروس	الخلجان	الضروس	الخلجان
١- أبو قير	١,٠٢	١,٤٦	٠,٢١	٠,٥١	٠,١٦-	٠,١٠+	٠,٩١	٠,٩٨
٢- المعمورة	١,٨٩	٢,٥٢	٠,٤٠	٠,٥٦	٠,٢١+	٠,٦٩+	١,٠٤	١,١٩
٣- المترة	١,٤٨	١,٨٦	٠,٤٤	٠,٥٤	٠,٢٤-	٠,٠٩+	٠,٧٥	٠,٨٨
٤- المترة	١,٣٧	١,٧٢	٠,٤٥	٠,٥٧	٠,٣٧-	٠,٢٥+	٠,٨٠	٠,٦٥
٥- الصافرة	١,١٨	١,٦٨	٠,٤١	٠,٥١	٠,٢٥-	٠,١٩+	٠,٧٨	٠,٨٦
٦- ميامى وسيدى بشر	١,٠٦	١,٨١	٠,٤٦	٠,٥٧	٠,١٦+	٠,١٢+	٠,٨٩	٠,٩٢
٧- جليم	٠,٣٩	٠,٩٢	٠,٣٧	٠,٦٤	٠,٨٢-	٠,٧٨-	٠,٨٤	١,٠٦
٨- ستلى	٠,٦٤	١,١٨	٠,٤٣	٠,٥٢	٠,٢٣-	٠,٢٧+	٠,٧١	٠,٧٨
٩- سيدى جابر	٠,٣٢-	٠,٤١	٠,٣٩	٠,٥٩	٠,٦٥-	٠,٢٥-	٠,٩٥	١,٢٨
١٠- الابراهيمية	١,١٥	١,٧٥	٠,٤٤	٠,٥٢	٠,٢٧-	٠,١٣+	٠,٨٦	١,١١
١١- الشاطى	٠,٩٢	١,٤٨	٠,٤٣	٠,٥٠	٠,١٨-	٠,١٥+	٠,٧٩	٠,٩٦
١٢- الأنفوشى	١,٢٥	١,٩٦	٠,٤٢	٠,٥٢	٠,٥٥-	٠,٣٦+	٠,٩٤	١,٠٩
١٣- المكس	١,٣٢	٢,٠٨	٠,٤٤	٠,٥١	٠,٤٣-	٠,٣٢+	٠,٩٦	١,١٠
١٤- الدخيلة	١,٤٣	٢,٢٢	٠,٤٠	٠,٥٩	٠,١٧-	٠,٣٥+	٠,٨١	١,١٣
١٥- المجمعى	١,٧٢	٢,٠٩	٠,٤١	٠,٥٢	٠,٢٨+	٠,٧٥+	١,٣٨	١,٢٥
المعدل	١,٠٠٥	١,٦٧٦	٠,٤٢	٠,٥٤	٠,٢٧-	٠,١٨+	٠,٨٦	١,٠١
الانحراف المعيارى	٠,٢٩٨	٠,٢٤٧	٠,١٣	٠,١١	٠,٠٨-	٠,٠٥+	٠,٢٧	٠,٢٩
معامل الاختلاف	٢٢٩,٦٥	٢١٤,٧٤	٢٣٠,٩	٢٢٠,٤	٢٢٩,٦	٢٢٧,٨	٢٣١,٤	٢٢٨,٧

ظاهر من الجدول أن متوسطات أقطار حبيبات تكوينات الضروس واخلجانها على شواطئ مدينة الاسكندرية تتراوح بين $0.32, 0.52 \phi$ مما يدل على أن قشات الرمل الخشن جدا أو الخشن والمتوسط هي أكثر الفئات تمثيلا بين التكوينات، وهذا ما أكدته نتائج التحليل الميكانيكى للتكوينات، كما يبدو من الجدول أن متوسط أقطار تكوينات الخلجان أصغر من (قومة ϕ كبيرة) من مثيله لتكوينات قرون الضروس المجاورة لها على الشواطئ قيد الدراسة، وتتفق هذه الملاحظة إلى حد بعيد مع ما سجلته أدبيات جيومورفولوجية السواحل المهتمة بمثل هذه الدراسة. وتعرض الشواطئ المتسعة التي تتصف بنعومة رواسبها (مثل شاطئ المعمورة والعجمي) أقل نسبة لباين (21-25%) في متوسط أقطار التكوينات السطحية لكل من الضروس واخلجانها، على حين تعرض الشواطئ التي تتميز بخشونة رواسبها (مثل شاطئ جليم وسيدي جابر) أكبر نسبة اختلاف (65-95%) في متوسط أقطار تكوينات الضروس واخلجانها (شكر رم: 11)

وبمقارنة قيم معامل التصنيف لتكوينات الضروس واخلجانها في منطقة الدراسة التي تتراوح بين $0.37, 0.64 \phi$ بترتيب التصنيف التي وضعها فوك ووارد (Folk and Ward, 1957) يتضح أن تصنيف تكوينات قرون الضروس يقع من فئة التصنيف الجيد (أقل من 0.50ϕ) بينما تقع قيم تصنيف الخلجان في فئة التصنيف المتوسط ($0.50 : 0.70 \phi$)، وربما يرجع ذلك لميل تكوينات قرون الضروس للخشونة، بينما تميل تكوينات خلجانها إلى النعومة، وذلك بسبب اختلاف تأثير الأمواج وعملية الزحف والأرئداد الموجي في نفتيت الرواسب وجرفها، بالإضافة إلى تأثير العتق المحلي على درجة التصنيف حيث لوحظ أن الرواسب الضعيفة التصنيف نسبيا يكون العتق أمام شواطئها ضحلا لا يتعدى المتر أثناء المد العالي، وشاطئ جليم وسيدي جابر مثال لذلك، وهذا بماعد على تقليل كمية طاقة الأمواج التي تصل إلى الشاطئ والتي بضعف معها تكرار الرواسب مما يؤدي إلى الوصول بها إلى حالة من عدم التجانس نسبيا.

ويتضح من الجدول السابق أن قيم معامل الإلتواء لعينات التكوينات السطحية بضرروس الشاطئ واخلجانها في منطقة الدراسة تتراوح بين $0.27, 0.18$ ، وهذا يدل على تميز التكوينات بنمط توزيعي متماثل تقريبا للخلجان، بينما تميل



(شكل رقم 11): شائع التحليل الاحصائي لتكرينات الضروس
 وشخلياتها على شواطئ مدينة الاسكندرية

تكوينات الضروس إلى الحيود نحو المكون الخشن، على حين يظهر علم وجود اختلاف واضح بين معامل الانتواء لكل من تكوينات قرون الضروس والخلجان على شاطئ جليم حيث تميل التكوينات هنا إلى الحيود تجاه المكون الخشن. كما أن تكوينات الخلجان على شاطئ المنتزة تتميز بالانتواء متماثل تقريبا إذا ما قورن بالانتواء تكوينات ضروسها التي تميل إلى الحيود تجاه المكون المتوسط الخشونة، بينما تنزع تكوينات الخلجان على شاطئ المعصورة إلى الحيود نحو المكون الشديد نعومة إذا ما قورنت بتكوينات الضروس التي توصف بحيودها تجاه المكون الناعم نسبيا.

ومن الجدول السابق يتضح أن قيم معامل نقرطح عينات الضروس وخلجاتها يتراوح بين $0,75 \pm 1,38$ لذا تقع في جميع ثبات النقرطح (المقرطح - المتعادل - المدبب) مما يدل على علم تجانسها وتباين أنواعها وخصائصها، ويؤكد ذلك ارتفاع قيمة معامل الاختلاف لمؤشر النقرطح والتي بلغت $231,4$ للضروس، $228,7$ للخلجان. كما يظهر من الجدول أن متوسط نقرطح عينات لضروس على الشواطئ الناعمة (المعصورة والمعجمي) يبلغ $1,04 \pm 1,38$ بينما يبلغ في خلجانها $1,19 \pm 1,25$ وهذا يعني أن نمط التوزيع في كل من الضروس والخلجان يأخذ الشكل المدبب في حين تميل نمط التوزيع لتكوينات الضروس والخلجان على الشواطئ الخشنة (جليم وسيدى جابر) تجاه النمط المقرطح أو المتعادل على الضروس حيث بلغ متوسط معامل نقرطحها $0,84 \pm 0,95$ بينما يأخذ التوزيع الشكل المدبب في الخلجان حيث بلغ متوسط معامل نقرطحها $1,06 \pm 1,28$ ، وهذا يعني أنه على الرغم من عدم التجانس بين التكوينات إلا أن تكوينات الضروس تسجل نوعا من التجانس النسبي بالمقارنة بخلجانها على مستوى منطقة الدراسة. وقد سجلت عينات ضروس وخلجان شاطئ أبو قير نقرطحا بلغت قيمته $0,91 \pm 0,98$ على الترتيب، أي أنها تقع في فئة التوزيع متوسط النقرطح (أو التوزيع المتماثل). وبينما سجلت عينات ضروس وخلجان شاطئ ستانلى توزيعا مقرطحا، سجلت عينات الضروس على شاطئ الدخيلة نقرطحا بلغت قيمته $0,81$ أي أنها تقع في فئة التوزيع المقرطح، الذي يحكس تشتت القيم حول متوسطها، إذا ما قورنت بعينات الخلجان الذي يأخذ نمط توزيعها الشكل المدبب حيث بلغ متوسط معامل نقرطحها $1,13 \pm 0,91$.

والنسبة لمقارنة خصائص التكوينات السطحية بالتكوينات تحت السطحية (١٠-٥ سم)، فقد أظهرت الملاحظات الميدانية أن حبيبات التكوينات تستدق وتميل إلى النعومة بشكل متتابع من أسفل إلى أعلى في ضروس بعض الشواطئ مثل شاطئ الشاطبي والأنفوشي والدخيلة، بينما ينعكس الوضع فيزيد حجم الحبيبات وتميل إلى الخشونة بشكل متتابع أيضاً من أسفل إلى أعلى داخل تكوينات الضروس إذا ما قورنت بتكوينات خطلجانها التي تستدق وتزيد نعومتها من أسفل إلى أعلى في بعض الشواطئ مثل شاطئ المنترة والعصافرة والابراهيمية والمكس في حين لم نشاهد أية اختلافات في تتابع وزيادة خشونة الحبيبات من أسفل إلى أعلى في كل من تكوينات قرون الضروس وخطلجانها على شاطئ جليم وميدى جاير. أما على شواطئ أبي قير والمنتزة ومثانلي لم يظهر أي من هذه التباينات على كل من الضروس والخلجان التي نشأ فوقها. وعلى الرغم من انتشار تقصي الحقائق عن خصائص التكوينات السطحية لضروس الشاطئ على نحو متزايد في الآونة الأخيرة إلا أن قليل جداً من الدراسات هي التي وجهت اهتمامها نحو دراسة التركيب الداخلي وخصائص التكوينات تحت السطحية للضروس الشاطبية وخطلجانها (Chaftez & Kocurek, 1981, Artia, 1987). فقد أشار كاتز وكوكريك إلى أن هناك نزعة للضروس المتجمعة فوق الشاطئ لأن تعرض تكوينات قرونها تتابعا خشناً من أسفل إلى أعلى. ويتفق هذا الرأي مع ما أظهرته الدراسة الميدانية لضروس شواطئ مدينة الاسكندرية غير أنه ليس من السهل تفسير أصل هذا التتابع وتعليل اختلافه من تكوينات الضروس على بعض الشواطئ قيد البحث.

٤- تصنيف الضروس

من الثابت أنه ليس هناك بحثاً واحداً تناول تصنيف ضروس الشواطئ بالتفصيل، وربما يرجع ذلك إلى اعتقاد الباحثين في أنه حينما نشأ هذه الضروس تكون طريقة تكوينها واحدة متشابهة. ولكن بعد الدراسة الميدانية المكثفة لمدة عام كامل لثلاثمائة وأربعة وثلاثين ضرساً على شواطئ مدينة الاسكندرية انضح وجود تباين بين هذه الضروس من حيث قوة عامل النشأة الرئيسي الذي انعكس على كل من الأبعاد والشكل الذي تتخذه قرون وخطلجان هذه الضروس.

اتضح وجود تباين بين هذه الضروس من حيث قوة عامل النشأة الرئيسي الذي انعكس على كل من الأبعاد والشكل الذي تتخذه قرون وخلجان هذه الضروس. كما تختلف الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية من حيث مدى تلاشيها واخفائها من الشاطئ، وكذلك نوع رواسبها.

وسوف نعرض في هذا الجزء محاولة أولية -ستبعتها محاولة أخرى تفصيلية- لتصنيف الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية، كما سوف نتناول دراسة وتحليل أوجه التباين بين الضروس لكشف مدى الاختلاف بينها وتوضيح نوع العلاقات بين المتغيرات التي تحكمت في أبعاد وشكل هذه الضروس. وبناء على ذلك فإن أهم الأسس التي سوف نعتمد عليها عند تصنيفنا للضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية يمكن حصرها في : الأبعاد (الطول-العرض)، التباعد، ودرجة التفرج.

٤-١- تصنيف الضروس حسب الأبعاد (الطول-العرض)

ذكرنا آنفاً أن الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية تتفاوت من حيث الطول والعرض تبعاً للتفاوت في أشكالها والمساحات التي تغطيها. وتتراوح متوسطات في أطوال الضروس بين ١,٣٥ على شاطئ سيدى جابر، ٢,٢٥ متراً على شاطئ المعمورة، في حين بلغ معدل طول الضروس ١,٨٣ متراً (جدول رقم ٥). كما تتراوح متوسطات عرض (إتساع) الضروس بين ١,١٥ متراً على شاطئ جليم، ١,٥٧ متراً على شاطئ ميامى وسيدى بشر (جدول رقم ٥). (جدول رقم ١١) تصنيف الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية حسب أطوالها وعرضها

التصنيف حسب أقصى عرض				التصنيف حسب الطول			
النسبة المئوية	عدد الضروس	أبعاد العرض متر	الوصف	النسبة المئوية	عدد الضروس	أبعاد العرض متر	الوصف
٥,٤	١٨	أقل من ٠,٥	ضروس قليلة العرض جدا	٣,٦	١٢	أقل من ١,٥	ضروس قليلة الطول جدا
٢٤,٨	٨٣	- ٠,٥٠	ضروس قليلة العرض	٨,٧	٢٩	- ١,٥٠	ضروس قليلة الطول
٥٨,٤	١٩٥	- ١,٥٠	ضروس متوسطة العرض	٤٦,٧	١٥٦	- ١,٥٠	ضروس متوسطة الطول
٩,٣	٣١	١,٥٠ - ٢,٠٠	ضروس كبيرة العرض	٣٦,٢	١٢١	٢,٥٠ - ٣,٠٠	ضروس كبيرة الطول
٢,١	٧	أكثر من ٢,٠٠	ضروس كبيرة العرض جدا	٤,٨٠	١٦	أكثر من ٣,٥٠	ضروس كبيرة الطول جدا
١٠٠	٣٣٤		المجموع الكلى	١٠٠	٣٣٤		المجموع الكلى

ويوضح الجدول التالي (جدول رقم : ١١) تصنيف ضروس شواطئ مدينة الاسكندرية حسب فئات الطول المختلفة، وتبعا لأقصى عرض لها.

يظهر من الجدول أن الضروس متوسطة الطول (١,٥٠-٢,٠ متر) تستحوذ وحدها على ما يقرب من نصف عدد الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية، أي ما يعادل ٧٤٦,٧ وتليها الضروس الكبيرة الطول ٢٣٦,٢. ويلاحظ أن الضروس ذات الطول الكبير جدا (٢,٥ متر فأكثر) تشكل نسبة ضئيلة من ضروس شواطئ مدينة الاسكندرية إذ بلغ عدد ١٦ ضرسا بنسبة ٤,٨٪ في حين يلاحظ أن الضروس قليلة الطول جدا (أقل من ١,٠ متر) تمثل أقل أنواع الضروس انتشارا على وجه شواطئ مدينة الاسكندرية. وهذا يعكس لحد كبير ظروف النشأة لعدد كبير من الضروس لاسيما تلك التي ارتبطت نشأتها بفصل نموها ودرجة انحدار الشواطئ الذي تنتشر فوقه ودرجة توجيه خط الشاطئ وتعرضه لتأثير الأمواج.

ويضع من الجدول كذلك أن الضروس قليلة العرض والمتوسطة العرض تمثل نسبة كبيرة جدا من مجموع عدد الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية ٢٨٣,٢ يليها فئة الضروس كبيرة العرض التي بلغت نسبتها ٢٩,٣٪. وهذا يعكس أيضا طبيعة النشأة لعدد كبير منها، إذا ارتبط بدرجة انحدار الشاطئ الأمامي وزيادة طول زحف الأمواج عدد كبير من الضروس التي أظهرت استطالة واضحة وضيقا في العرض. وتشكل الضروس ذات العرض الكبير جدا نسبة صغيرة جدا من إجمالي عدد الضروس مما يدل على أن عددا من ضروس شواطئ الاسكندرية يقل فيها العرض عن الطول، أي تكون أسيل إلى الاستطالة منها إلى الامتدادة.

٤-٢- تصنيف الضروس حسب التباعد

تباين خصيعة التباعد بين ضروس شواطئ مدينة الاسكندرية تباينا كبيرا إذ تتراوح متوسطاتها بين ١٨٨٤، ٣٠,٥٦ مترا في حين بلغ معدل التباعد ٢٦,٦٩ مترا (جدول رقم : ٥). ويوضح الجدول رقم (١٢) تصنيف هذه الضروس حسب فئات التباعد (المسافة بين كل ضرسين) المختلفة.

(جدول رقم : ١٢) تصنيف الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية
 حسب التباعد (طول المسافة بين الضروس)

النسبة المئوية	عدد الضروس	متوسط التباعد (متر)	الوصف
٢٨,٤	٩٥	أقل من ١٠	ضروس تباعدها قليل جدا
٤٧,٠	١٥٧	١٠ - ٢٠	ضروس تباعدها متوسط
٢٠,٤	٦٨	٢٠ - ٣٠	ضروس تباعدها كبير
٤,٢	١٤	أكثر من ٣٠	الأشكال الهلالية
١٠٠	٣٣٤		المجموع الكلي

يلاحظ من الجدول أن الغالبية العظمى من الضروس على شواطئ الاسكندرية إما قليلة التباعد جدا أو متوسطة التباعد، إذ بلغ عددها ٢٦٠ ضرسا نسبة ٧٧,٤ معظمها حديث النشأة، ويليهما الضروس الكبيرة التباعد ٤٧,٠. كما يلاحظ أن الضروس الهلالية الشكل (تباعدها أكثر من ٣٠ مترا) تشكل نسبة ضئيلة جدا من ضروس شواطئ مدينة الاسكندرية إذ بلغ عددها ١٤ ضرسا نسبة ٤,٢، ولهذا فإن مثل هذه المسافات يقل وجودها على ساحل منطقة الدراسة إذا ما قورنت بأنواع الضروس الأخرى.

٤-٣- تصنيف الضروس حسب درجة تضررها

لقد تبين لنا من خلال المشاهدات الميدانية أن قيم أطوال الضروس تختلف باختلاف أطوال المسافات بينها (التباعد). وللتأكد من ذلك سحبت عينة عشوائية من ١٠٠ ضرس واستخدم مقياس مربع كاي حيث تم حساب ترتيب الوسيط ٥٠,٥ وقيمه ٢٧,٦ متر لطول المسافة بين الضروس (التباعد)، أما قيمة الوسيط لطول الضروس فتبلغ ١,٩٥ مترا. ويوضح الجدول رقم (١٢) توزيع أطوال المسافة بين الضروس (التباعد) ودرجة تعرض الشواطئ للعوامل البحرية.

(جدول رقم : ١٣) التوزيع الاحصائي لضروس شواطئ مدينة الاسكندرية
 حسب درجة النضج (العدد ١٠٠ ضروس)

المجموع	درجة تعرض الشاطئ للعوامل البحرية (ضعيفة)	درجة تعرض الشاطئ للعوامل البحرية (متوسطة)	درجة تعرض الشاطئ للعوامل البحرية (جيدة)	الوسيط	
٤١	٢٣	٧	١١	≥ 27.6	طوبى المسافة بين الضروس
٥٩	١٤	٨	٣٧	≤ 27.6	
١٠٠	٣٧	١٥	٤٨		المجموع

ومن معالجة بيانات الجدول السابق تم الحصول على قيمة مربع كاي
 (١٣,٥٤) وهي قيمة ذات دلالة عند مستوى دلالة ٠,٠١ حيث أنها أكبر من
 القيمة النظرية (٩,٢١) لذا نرفض الفرض الصفري التامل بعدم وجود اختلاف
 بين درجات تعرض الشاطئ للعوامل البحرية، ونستنتج أن كل فئة من الفئات
 التصنيفية ذات انحرافات لها دلالة، وإن قيم أطوال الضروس تختلف باختلاف
 أطوال المسافات بينها، ولذا فإنه يمكن القول بأن بينهما تبايناً دون أن تخضع هذه
 المجموعات التوزيعية للعشوائية.

وبناء على هذه الفئات التصنيفية أمكن تقسيم ظاهرة ضروس الشاطئ التي
 تم اختيارها وقياسها ميدانياً (١٠٠ ضروس) حسب درجة النضج إلى المجموعات
 التالية بهدف التعرف على سماتها المورفولوجية :

أ - الضروس الشاطئية الناضجة

وهي التي تنشأ فوق الشواطئ التي تكون درجة تعرضها للعوامل البحرية
 جيدة، بحيث تضم هذه المجموعة من الضروس تلك الضروس الشاطئية التي يقل
 طولها والمسافة بينهما معا عن قيمتي الوسيط، كما تضم ضروس الشاطئ التي
 يزيد فيها كل من طول الضروس وطول المسافة بينهما عن قيمتي الوسيط لكل
 منهما. ويصل عدد حالات هذه المجموعة ٤٨ حالة بنسبة ٤٨٪. وتتوزع الضروس

الناضجة عموماً على شواطئ المنذرة والعصافرة وجليم وسيدي جابر. وربما يعزى ارتفاع نسبة الضروس الناضجة هنا إلى انخفاض مؤشر لدرج الموجة، وخشونة الرواسب الشاطئية في غالبية مواضعها، وضخامة المنطقة الساحلية أمام الشواطئ التي تتركز فوقها، هذا بالإضافة إلى عامل الانتظام أو التجانس في عمليات النحت والإرساب الشاطئية.

ب- الضروس المتوسطة النضج

وهي التي يكون فيها طول الضروس أقل من قيمة الوسيط، بينما تكون طول المسافة بينها أكبر من قيمة الوسيط معاً. كما تضم هذه المجموعة تلك الضروس التي يكون طولها أكبر من قيمة الوسيط بينما تقل المسافة بينها عن قيمة الوسيط. وعامة يقل عدد الضروس في هذه المجموعة نسبياً بحيث يصل إلى ١٥ حالة بنسبة ١٥٪ من مجموع عددها. وتتركز هذه الضروس أساساً على شواطئ أبرقير المعمورة وسيدي بشر والابراهيمية والأنقوشى والعجمى.

ج- الضروس غير الناضجة

وتحدد خصائص هذه المجموعة في اختلاف أطوال الضروس على جانبي خلجانها، بحيث يكون طول أحد الضروس على جانبي خليج نحت الأمواج أقل من وسيط طول الضروس، والثاني يكون طوله أكبر من قيمة الوسيط. ويرتفع عدد الحالات هنا نسبياً ليصل إلى ٣٧ حالة بنسبة ٣٧٪، وبهذا يبدو لنا أن هذه الضروس غير متجانسة. وتوزع هذه الضروس على شواطئ المنتزة وستاتلى والشاطبي والدخيلة.

٥- نشأة الضروس وتطورها

على الرغم من ظاهرة ضروس الشاطئ لاتعد من الظواهرات الجيومورفولوجية الساحلية واسعة الانتشار، كما أنها ليست من أشكال السطح الكبيرة في حجمها أو مدى تضررها الذي لا يتجاوز كما رأينا المتر الواحد (جدول رقم ٥)، إلا أنها لم تحظ باهتمام كثير من الباحثين. وعلى الرغم من أن أصل ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية ليس واضحاً للوهلة الأولى إلا أنها تلفت النظر

بسبب زركشتها لخط الشاطئ، وتشد الانتباه إلى محاولة تفسير أصل نشأتها وتطورها. وبطبيعة الحال لا يمكن أن يعتمد التفسير الدقيق أو التأكيد الحاسم والمنع لأصل هذه الظاهرة على شواطئ مدينة الاسكندرية على دراسة واحدة -مثل الدراسة الحالية- بل أن الأمر يتطلب أكثر من دراسة تفصيلية لأكثر من خصيصة للضروس، ويعزى ذلك إلى الطبيعة المتقلبة لهذه الظاهرة المتميزة بسرعة زوالها واختفائها، إلى جانب ندرة البيانات الدقيقة عن خصائص الأمواج، وعدم القدرة على مراقبة سلسلة العمليات الجيومورفولوجية السابقة لتكوين ونشأة الضروس لاسيما في المواضيع التي لم تنشأ عليها من قبل.

وبصفة عامة، تختلف العوامل المشغولة عن تكوين ضروس الشاطئ وخلجاتها من شاطئ لآخر، كذلك على الشاطئ الواحد في أوقات مختلفة، وعلى هذا الأساس فإن إرجاع هذه الظاهرة إلى أصولها موضوع صعب وغامض غير معروف اختلف الباحثون بشأنه. إذ يرى البعض أن ضروس الشاطئ وخلجاتها تمثل مظهرا جيومورفولوجيا نجم عن النحت غير المنتظم للأصواج في وجه الشاطئ (Schwartz, 1972; Twidale, 1976)، ومنهم من عزاها إلى عملية البناء والإرساب بفعل الأمواج وزحفها (Russill & King, 1972; Komer, 1976; McIntire, 1965)، وهناك من يذكر بأنها لنجم عن النحت والإرساب معا بفعل الأمواج الهدامة والأمواج المرتدة في تشكيل مجموعة من المقعرات والمحدبات تتعامد محاورها على خط الشاطئ، وتسلق الأمواج المرتدة المقعرات فتنتح فيها وترسب في المحدبات، ومن ثم تشكل الضروس في مناطق المحدبات، بينما تشكل الخلدجان في مناطق المقعرات (Timmermans, 1935; Kuenen, 1948). فسي حين حبلد البعض وجود علاقة بين الخصائص الطبيعية للأمواج وبين تكوين ضروس الشاطئ مثل تقاطع سلاسل الأمواج وطاقة الموجة ومنهم (Dalrymple & Lanan, 1976; Longuiet-Haggins & Parkin, 1962) البعض إلى أنها دالة للتفاعل بين الأمواج من جهة وطبوغرافية الشاطئ من جهة أخرى (Doubois, 1978; Otvos, 1946; Evnas, 1938). أما راسيل وماك انتير (Russell & McIntire, 1965) فقد أرجعا نشأة ضروس الشاطئ في غرب استراليا إلى تأثير التيار الساحلي، كما قبرا بأن فتحات الضروس (ويقصد بها خلدجان النحت البحري) قد تكونت في فترات ثابتة، بينما يعتقد كافتر وكوكيرك

(Chafetz & Kocurek, 1981) في أن نشأة وتطور الضروس قد ترجع إلى عمليات الحث في أثناء المد العالي وأثناء فترات الأمواج الأكثر ارتفاعاً، كما يقدر وورول (Worrall, 1969) بأن ثبات وجودها يرجع إلى الانتظامية في تأثير الموج.

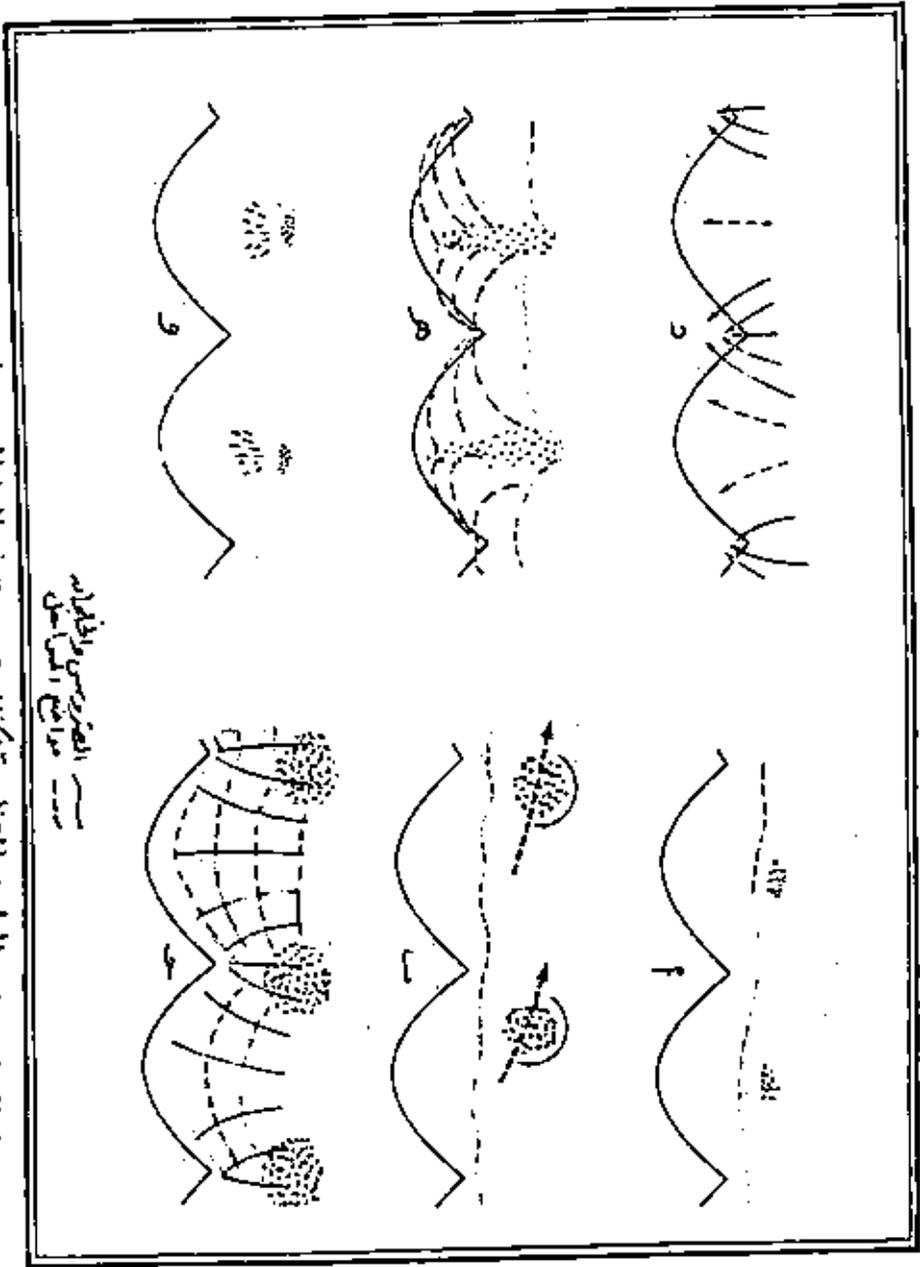
وربما يرجع هذا الخلاف بين الباحثين وتضارب آرائهم حول كيفية نشأة ضروس الشاطئ إلى الخلط بين مفهومين مختلفين هما الأصل والتشكيل. فالأصل يبحث في أسباب النشأة وعوامل ضبط التوزيع المكاني للظاهرة أي سر وجودها في مواضع معينة من الشاطئ دون سواها، بينما يعنى التشكيل جميع العوامل والعمليات التي أسهمت بدور في حفر الخلجان وتكوين الضروس سواء أكان ذلك بفعل الأمواج أم بفعل التيار الساحلي. فالأصل هو نقطة البداية الذي منه شرعت العوامل في تكوين الضروس وإبرازها بأبعادها وأشكالها المميزة. وعلى هذا فإن التعرض لنشأة ضروس الشاطئ وتطورها يتطلب التفرقة بين أسباب النشأة وعوامل ضبط توزيعها المكاني، والعوامل والعمليات الجيومورفولوجية التي أسهمت بدور في تكوين وتطور ضروس الشاطئ وخلجانها.

ولعل أهم ما يساعد على نشأة وتطور ضروس الشاطئ وجود مخزون كبير من الرواسب الشاطئية كبيرة الحجم - رمال غشنة ومسطح زلطي حصوي. وغالباً ما تختفى ظاهرة الضروس وخلجانها من الشواطئ التي يقل إنحدارها بصفة عامة عن درجة واحدة، أو تميل إلى الأستواء التام، كما أنها تختفى من الشواطئ التي يزيد إنحدار واجهاتها عن ٢٥°.

وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن أنسب الشواطئ الأمامية التي يتراوح إنحدارها بين ٤° إلى ١٦° حيث يساعد الإنحدار بهذا المدى عمل الأمواج الهدامة الزاحفة والأمواج المرتدة العائدة في تشكيل مجموعة من المقعرات والمحدبات تشكل في النهاية الخلجان والضروس. وتعد الأمواج عاملاً هاماً في ظهور الضروس أو في اختفائها، وبالتالي في تطورها (Ritter, 1986; Komar, 1973) فحيثما تبندد طاقة الموجه على وجه الشاطئ وواجهته وتزحف في شكل شعاب تفصلها المحدبات، ثم تتحد كل شعبتين في شعبة واحدة تسمى الموجه المرتدة أو العائدة (الغضرية) التي تجد طريقها إلى المقعرات تجاه البحر فتقوم

باحتها لتشكّل في النهاية خلجان الضروس (شكل رقم ١٢) وفيما بينها يتم الترسب لتشكّل قرون الضروس نفسها (Pellick, 1984). وبناء على ذلك ترسب المياه العائدة المواد الخشنة في قرون الضروس فيما بين الخلجان، وبالتالي فتأثير عمليات التجريف على الخلجان أكبر من تأثيرها على الضروس لارتفاع نفاذيتها، وذلك لمخشونة موادها التي تعمل على تبديد الطاقة (King, 1972). وبالرغم من ذلك فالضروس تهاجر وتختفي عندما لهاجمها أمواج العواصف القوية لاسيما إذا ما التقت بخط الشاطئ بزاوية مائلة أو شبه عمودية (Mii, 1958) لوجود عنصر الهلم فيها (Otvos, 1964b)، بينما تنمو وتتطور في حالة الأمواج الهادئة في حالة ما إذا التقت بخط الشاطئ بعمق موازية له. كما يعمل زحف الأمواج على نشوء الضروس أو وقف تقدمها تجاه البحر، بينما تعتمد الضروس في تطورها على سرعة ارتداد أو رجوع الأمواج التي ينبغي أن تكون عالية لتزيد من قدرتها على حمل الرواسب، فعلى حين يؤكد كوينين (Kuonen, 1948) على عمليات الإرساب في نشأة الضروس، نجد أن جليشير (Guilcher, 1958) يعمد تكوينها إلى تحطيم وتخرق حواجز الشاطئ أو جسور العنقالب البحرية المتجمعة فوق وجه الشاطئ الأمامي. غير أن رسيل وماك انتير (Russell and McIntire, 1965) ينسب نشأة الضروس إلى ضعف طاقة الأمواج في الفترة الإنتقالية بين الظروف الصيفية والشتوية حيث تؤدي أنماط التدفق الخلوي للمياه في هذه الفترة إلى تكوين الضروس على وجة عتبة الشاطئ Beach berm المواجه للبحر.

وقد أبانت الدراسة الميدانية في منطقة الدراسة، أن الأمواج الهادئة في موسم الصيف والخريف تلتقي بخط الشاطئ بعمق شبه موازية له غير مائلة هي أنسبة أنواع الأمواج لنشوء هذه الظاهرة والعمل على تطورها، بينما تختفي في حالة أمواج العواصف الشتوية التي ترتطم بالشاطئ بزاوية مائلة حيث تصبح السيادة لعملية التجريف على إمتداد الشاطئ، وتشتت المواد الشاطئية على سطح القاع البحري القريب من الشاطئ. كما اتضح من الدراسة الميدانية أن هناك ضروسا تكون على شواطئ مدينة الاسكندرية بفعل الأمواج أثناء المد العالي خاصة، ومجموعة أخرى تشكّل بفعل زحف الأمواج (Swash)، والضروس الباقية فانها



(تعد رقم ١٠٠) : المراحل المتتالية لكثافة توزيع وتدفق التيار المصاحبة لمنهض المروحي

من المحتمل أن ترجع نشأة الغالبية العظمى منها إلى تضافر عدة عوامل يشترك فيها طاقة الأمواج واتجاهها والتيار الساحلى. فالضروس التى ترجع إلى فعل الأمواج وطاقتها واتجاهها أثناء المد العالى ثم مرابتها لمدة نهار يوم ١٥/٩/١٩٩٢ على شاطئ المعمورة حيث لوحظ أن عامل التجريف الساحلى وراء نشأتها، فالأمواج كانت شبه موازية لخط الشاطئ حيث أن توجيهه 35° ق واتجاه الأمواج 18° ق (أى أن زاوية تعامد الأمواج 17°) وسرعة التيار الساحلى ١٦,٨ متر/دقيقة. فحينما يحدث المد يرتفع مستوى المياه فترتفع الرواسب لأعلى ويحدث لإرساب أمام أطراف الضروس نتيجة انخفاض سرعة تيار المياه أمامها فتزيد أطوال الضروس بينما ينحرف تيار المياه نحو الخلجان الصغيرة بين الضروس بسرعة تفوق سرعة الموجة نفسها حتى تقطع مسافة الخليج، فيؤدى ذلك إلى عمليات التعت التى تشكل بها الخلجان بين الضروس. ومن مراقبة هذه الضروس وجد أنها تتقدم ٢٠ سنتيمترا فى زمن قدره ١٠ ساعات نتيجة عملية التجريف الساحلى من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى.

ومن الدراسة الحالية لضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية ظهر أنها تنتمى فى نشأتها أيضا إلى عمليات والإرساب. فلقد اتضح من الدراسة الميدانية أن عدداً غير قليل من الضروس نشأ بفعل الإرساب على أساس أن قرون الضروس تتألف دائماً من تكوينات خشنة، بينما تحتوى الخلجان على مواد ناعمة (شكل رقم : ١٠)، علاوة على تأكيد المشاهدات الميدانية لتتابع النسق الحبيبي وزيادة الخشونة من أسفل إلى أعلى فى التركيب الداخلى لتكوينات قرون الضروس. ويشفق ذلك على دراسات كل من رسيل وماك انتير (Russell & McIntire, 1965) وكافتز وكوكيرك (Chaftez & Kocurek, 1981). ويظهر من الدراسة الميدانية أيضاً ما يؤكد على النشأة الإرسابية للضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية حيث يشتد الإنحدار على جوانب قرون كثير من الضروس بالمقارنة مع الإنحدار داخل خلجانها.

واعتمادا على خصائص التركيب البيئى والقياسات الميدانية للشواطئ قيد الدراسة على ساحل مدينة الاسكندرية فقد تبين أن نشأة الضروس عليها ترتبط ارتباطا وثيقا بدرجة إنحدار الشاطئ الذى تتشر فوقه. ومثل هذه النتيجة توصل

إليها مى (Mii, 1958) من قبل، كما أكدتها بعض الدراسات النظرية والأبحاث التجريبية العملية (Guza & Inman, 1975; Inman & Guza, 1982; Takeda & Sunamura, 1983 and Kaneko, 1985) غير أن التقييم المبني الدقيق لتأثير درجة إنحدار الشاطئ على نشأة الضروس فى مواضع أخرى لازال نادراً حتى الآن. وبصفة عامة فإن وجود إنحدار غير عادى شديد أو ضعيف جداً، لوجه الشاطئ الأمامى - تبعاً لحدود شدة تدرج الأمواج - يجعل تأثير زحف الموج غير فعال أثناء عملية نشأة الضروس، ويتربط عى ذلك نكرة وجود ضروس على مستوى منخفض من وجه الشواطئ وهو ما يتمثل على بعض شواطئ ساحل مدينة الاسكندرية كشاطئ العمورة وسيدي جابر - وهى ذلك إلى أن درجة إنحدار الشاطئ الأمامى تتخطى درجة الإنحدار المحرجة لنشأة الضروس على الشواطئ غير المدية وهى 3° فأقل.

نخلص من ذلك إلى أن نطقاً معيناً من الضروس يتشتر على شواطئ ساحل مدينة الاسكندرية بوجه خاص يرتبط بطروف معينة بمواد وإنحدار الشاطئ، وخصائص الأمواج، إضافة إلى النمط الخلوى للتدفق للمياه فى مناطق الشاطئ الخارجى Offshore له الذى يرتبط بالعمليات التى تؤدى إلى نشأة تيارات محلية مازقة (تيارات شقية) Rip currents.

٦- الخاتمة

كشفت الدراسة الحالية لضرور الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية عدة حقائق نوجزها فيما يلى :

١- تزيد كثافة الضروس على الشواطئ المتميزة بنعومة رواسبها، كشاطئ العمورة والعجمى، استجابة لدرجات الإنحدار المحرجة لتكوين الضروس إذا ما قورنت بالشواطئ التى تغطيها الرواسب المتوسطة الحجم إلى الخشنة كشاطئ جليم وسيدي جابر.

٢- تسود نشأة الضروس، وتزايد اعدادها، أثناء فترات الهدوء فى الظروف البحرية، مع النزعة للإتقراض والاختفاء بتقدم فترات العواصف المتميزة بطاقتهما العالية، كما تلعب التغيرات المورفودينامية لظروف الشاطئ دوراً بارزاً فى نشأة

وتكوين الضروس والتي تتوالد بكثرة عندما تسود حالة إنكسار للطاقة على الشاطئ مما ينتج عنها حدة في إنحدار الشاطئ ونقل كميات كبيرة من رواسبه على الجبهة البحرية بفعل الأمواج الغالبة العادية Swells.

٣- تزداد أطوال الضروس وتقل ارتفاعاتها على الشواطئ التي تغطيها الرواسب الناعمة بينما يحدث العكس على الشواطئ التي تغطيها الرمال من الحجم المتوسط إلى الخشن.

٤- أوضحت القياسات الميدانية لانحدار الشاطئ الأمامي أن الضروس تنقرض وتختفى من منطقة الشاطئ عندما تصل درجات انحدار الشاطئ إلى أكثر من ١٣ درجة (كما هي الحال عند شاطئ سيدى جابر) وبالمثل تختفى الضروس من الشواطئ التي نقل درجات إنحدارها عن ٣ درجات في بعض الأوقات من السنة (كما هي الحال عند شاطئ الدخيلة).

٥- تباين الخصائص الطبيعية لتكوينات كل من الضروس والخلجان على شواطئ ساحل الاسكندرية وهو ما يتفق مع معظم الدراسات المماثلة.

٦- استنادا إلى المشاهدات والقياسات الميدانية يمكن تمييز دلالات النشأة الإرسابية والنحتية للضروس على كل الشواطئ قيد البحث، إلا أن الأهمية النسبية لهذه النتيجة لا يمكن تأكيدها من الدراسة الحالية بل أن الأمر يتطلب إجراء دراسات تفصيلية أخرى، حيث أوضحت القياسات أن بقاء الضروس على الشاطئ أو اختفائها وانقراضها منه إنما يتحكم فيه عاملين هامين هما درجة انحدار الشاطئ الأمامي وتأثير زحف الأمواج على الشاطئ.

وأخيراً، فإن هذه الدراسة تعتقد في أن ظاهرة ضروس الشواطئ تعد علامة، من الدرجة الأولى، من العلامات التي يعتمد عليها في التعرف، بسهولة، على التغيرات التي تنتاب أحوال الأمواج وظروف الشاطئ. ومن هنا فإن اهتمامنا سيوجه مستقبلاً نحو إلقاء الضوء على التغيرات الزمانية في أبعاد ضروس الشاطئ وتمذجة خصائصها وسعاتها الجيومورفولوجية على أجزاء أخرى من ساحل مصر الشمالي.

المراجع العربية والأجنبية

أولا : المراجع العربية

- (١) الركمانى، جودة فتحى متولى (١٩٨٧): إقليم ساحل خليج العقبة فى مصر، دراسة جيومورفولوجية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- (٢) العوضى، حمدينه عبد القادر السيد (١٩٩٣) : إقليم الساحل الشرقى لخليج السويس - دراسة جيومورفولوجية رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية.
- (٣) عبد الحكيم، محمد صبحى (١٩٥٨) : مدينة الاسكندرية، القاهرة.
- (٤) عثمان، لىلى محمد (١٩٧٨) : الجيومورفولوجيا (مترجم)، القاهرة.
- (٥) مجمع اللغة العربية (١٩٧٢) : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية مجلد ١٤، القاهرة.

ثانيا: المراجع الاجنبية

- Abdallah, A.M., 1978. Study of the currents and hydrographic structure of the water masses in front of Alexandria coast *M.Sc. Thesis. Alex. Univ.*
- Abou-Radd'y, F.A., 1989. Local Areal variations of beach sand along the Coast of Alexandria City, Egypt, *Bull. of the Faculty of Arts, Univ. of Alexandria Vol. XXXVI, pp. 35-67.*
- Allen, J.R.L., 1982. *Sedimentary Structures - Their Character and Physical Basis. (Developments in Sedimentology, 30D). Elsevier, Amsterdam. 663pp.*

- Antia, E.E., 1987. Preliminary field observations on beach cusp formation and characteristics on tidally and morphodynamically distinct beaches on the Nigeria. *Mar. Geol.*, 78: 23-33.
- Bagnold, R.A., 1940. Beach formation by waves; Some model-experiments in a wave tank: *Inst. Civil Engineers Jour.*, v. 15, p.27-52.
- Blatt, H. Middleton, G., and Murray, R., 1972. *Origin of Sedimentary rocks*, Prentice-Hall, In., Englewood Cliffs, New Jersey, 634 pp.
- Bowen, A.J. and Inman, D.L., 1971. Edge waves and crescentic bars. *J. Geophys. Res.*, 76: 8662-8671.
- Chafetz, H.S. and Kocurek, G., 1981. Coarsening-upward sequences in beach cusp accumulations. *J. Sediment. Petrol.*, 51: 1157-1161.
- Cloud, P.E., 1966. Beach cusps: response to Plateau's rule. *Science*, 154:890-891.
- Dairymple, R.A. and Lanau, G.A., 1976. Beach cusps formed by intersecting waves. *Geol. Soc. Am. Bull.*, 87: 57-60.
- Dubois, R.N., 1978. Beach topography and beach cusps. *Geol. Soc. Am. Bull.*, 89: 1133-1139.
- Eid, F.M., 1979. Currents and water masses in the Coastal area from Abo Qir area to Agami. *M.Sc. Thesis. Alex. Uni.*
- El-Ganainy, M.A., Fanos, A.M. and Nafaa, M.G., 1991. Characteristics of waves off the Mediterranean coast of Egypt. *Alexandria Engineering Journal*, 30:25-34.
- El-Gindy, A., Abozed, A.B. and Farag, E., 1984. Circulation pattern beyond the breaker zone along the Nile Delta Coast during winter. *Internal Report. Coastal Research Institute. Alexandria, Egypt.* p. 9.

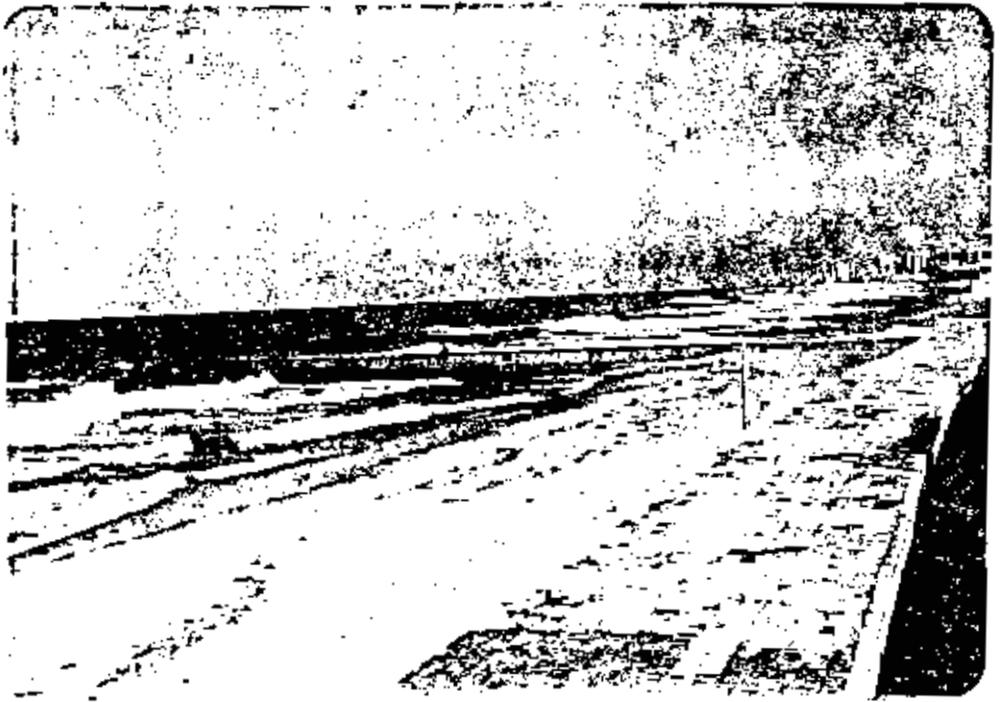
- El-Halaby, O.M.G., 1975. Comparative studies on some recent nearshore foraminifera from the Mediterranean Coast of Egypt and Greece. *M. Sc. Thesis*. Eín-Sharns Univ.
- Evans, O.F., 1938. The classification and origin of beach cusps. *J. Geol.* 46: 615-627.
- Fanos, A.M. 1986. Statistical analysis of longshore current data along the Nile Delta Coast. *Water Science Journal (Cairo)* 1. pp. 45-55.
- Flemming, N.G. (1964). Tank experiments on sorting of beach material during cusp formation. *J. Sed. Petrol.*, 34, pp. 112-22.
- Folk, R.L. and Ward W.C., 1957. Braxos River bar : a study in the significance of grain size parameters. *J. Sediment. Petrol.*, 27:3-26.
- Gerges, M.A., 1978. Trajectories and speeds of surface currents near the Egyptian Mediterranean Coast as deduced from the movement of surface drifts, *Ives, Jour. etud. pollut., C.I.E.F.M. Antalya* : 573-587.
- Greenwood, B., 1969. Sediment parameters and environment discrimination: un application of multivariate analysis. *Ca. J. Ea. Sc.* 6: 1358.
- Guícher, A., 1954. Observation sur le croissants de plage : *Soc. Géol. France*, (5), v. 19, p. 15-30.
- _____, 1958. Coastal and submarine morphology, Methuen, London, 234 p.
- _____, 1961. Le Beach-Rock'ou Gre's de Plage. *Ann. de Geo.* 70(378), pp. 113-25.
- Guz, R.T. and Bowen, A.J., 1981. On the amplitude of beach cusps. *J. Geophys. Res.*, 86: 4125-4132.

- Guza, R.T. and Inman. D.L., 1975. Edge waves and beach cusps. *J.Geophys. Res.*, 80: 2997-3013.
- Hilmy, M.E., 1951. Beach sands of Mediterranean coast of Egypt. *Jour. Sediment. Petrol.*, 21(2) : 109-120.
- Inman, D.L. & Bagnold, R.A., 1962. *Beach and nearshore processes littoral processes*, Chapter 2, Vol. 2, The Sea. John Wiley & Sons, New York.
- Inman, D.L. and Guza, R.T., 1982. The origin of swash cusps on beaches. *Mar. Geol.*, 49:133-148.
- Johnson, D.W., 1919. *Shore processes and shoreline development*. John Wiley, New York, 473-476 pp.
- Kaneko, A., 1985. Formation for beach cusps in a wave tank. *Coastal Eng.*, 9: 81-98.
- King, C.A.M., 1965. Some observation on the beaches of the West Coast of County Donegal. *Irish. Geo.* 5(2), pp. 46-50.
- _____, 1969. Some Arctic Coastal features around Foxe Basin and in E. Baffin Island, N.W.T. *Canada Geogr. Ann.* A51(4), pp. 207-18.
- _____, 1972. *Beaches and Coasts* St. Martin's Press, New York, 570 p.
- Komar, P.D., 1973. Observations of beach cusps at Mono Lake, California. *Geol. Soc. Am. Bull.*, 84: 3593-3600.
- Komar, P.D., 1976. *Beach process and Sedimentation*, Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey.
- Krumbein, W.C., 1984. Shore processes and beach characteristics. In : J.S. Fisher and R.Dolan (Editor), *Beach Processes and Coastal Hydrodynamics*. Dowden, Hutchinson and Ross, Stroudsburg, Pa., pp. 71-112.

- Kuennen, Ph. H., 1948. The formation of beach cusps : *Jour. Geology*, v. 56, p. 34-40.
- Manohar, M., 1955. Mechanics of bottom sediment movement due to wave action, B.E.B. Tech. Memo, 75.
- _____, M., 1981. Coastal processes at the Nile Delta Coast. *Shore and Beach*, 49, pp. 8-15.
- _____, M. Nafaa, M. & Sharaky, N., 1977. Longshore currents along the coastal protection project. *Proceedings UNESCO Siminar on Nile Delta Coastal processes with Special Emphasis on Hydrodynamical Aspects. Alexandria*, pp. 235-254.
- Mii, H., 1956. Beach cusps on the Pacific coast of Japan. *Sci. Rep. of Tohoku Univ. Sendai, Japan, 2nd Series*, 29, pp. 77-107.
- Otvos, E.G., 1964. Observation of beach cusps and beach ridge formation on the Long Island Sound. *J. Sediment. Petrol.*, 34:554-560.
- Pathick, J., 1984. *An introduction to Coastal geomorphology*, London.
- Ross, D.A., and Uchupi, E., 1977. The structure and sedimentary history of the south-eastern Mediterranean Sea-Nile Cone area. *Am. Assoc. Pet. Geol. Bull.*
- Russell, H.J. and McIntire, W.G., 1965. Beach cusps. *Geol. Soc. Am. Bull.*, 76: 307-320.
- Sallenger, A.H., 1979. Beach cusp formation. *Geol.*, 29: 23-37.
- Schwartz, M.L., 1972. Theoretical approach to the origin of beach susps. *Geol. Soc., Am. Bull.*, 83: 1115-1116.
- Scott, T., 1954. Sand movement by waves, Inst. Eng. Res. Univ.

of Calif.: Wave Res. Lab.

- Seymour, R.J. and Aubrey. D.G., 1985. Phytmic beach cusp formation: a conceptual synthesis. *Mar. Geol.*, 65: 289-304.
- Shepard, F.P., 1973. *Submarine Geology*. Harper and Row. New York. N.Y., 3rd ed., 157 pp.
- Short, A.D., 1979a. Wave power and beach stages - A global model. Proc. 16th Conf. *Coastal Eng.* Hamburg, pp. 1145-1162.
- Shukri, N.M., and Philip, G., 1955. The Geology of the Mediterranean coast between Rosetta and Bardia. *Bull. Inst. D'Egypte*. TXX-XVII: 371-463.
- Sparks, 1970. *Geomorphology*, 2nd. Ed. Cambridge.
- Takeda, I. and Sunamura., T., 1983. Formation and spacing of beach cusps. *Coastal Eng. Jpn.*, 26: 121-135.
- Timmermans, P.D., 1935: Proeven ove den invloed Van golven opeen strand. *Leidische Geol. Med.* 6., pp. 231-386.
- Twidale, C.R., 1976. *Analysis of Landforms*, John Wiley and Sons, Sydney, *Australasia PTY LTD*.
- Williams, A.T., 1973. The problem of beach cusp development. *J. Sediment. Petrol.*, 43: 857-866.
- Worrall, G.A., 1969. Present-day and sub-fossil beach cusps on the West African coast. *J. Geol.*, 77: 484-487.



(صورة رقم ١) : تجميع حاجر الأمواج على عملية الترسيب التي تظهر بوضوح على الجانب الغربي للحايز .



(صورة رقم ٢) : ضروس تتكون من مواد خشنة وهشة جدا على شاطئ

البحر .



(صورة رقم ٣) : زحف العوج على شاطئ ميامي وبداية تكوين تضروس



(صورة رقم ٤) : عتبة الشاطئ وعملية زحف العوج على الشاطئ الأمامي



(صورة رقم ٥) : نحت الضروس وتآكلها مع زيادة فعل الأمواج على شاطئ
العندرة •



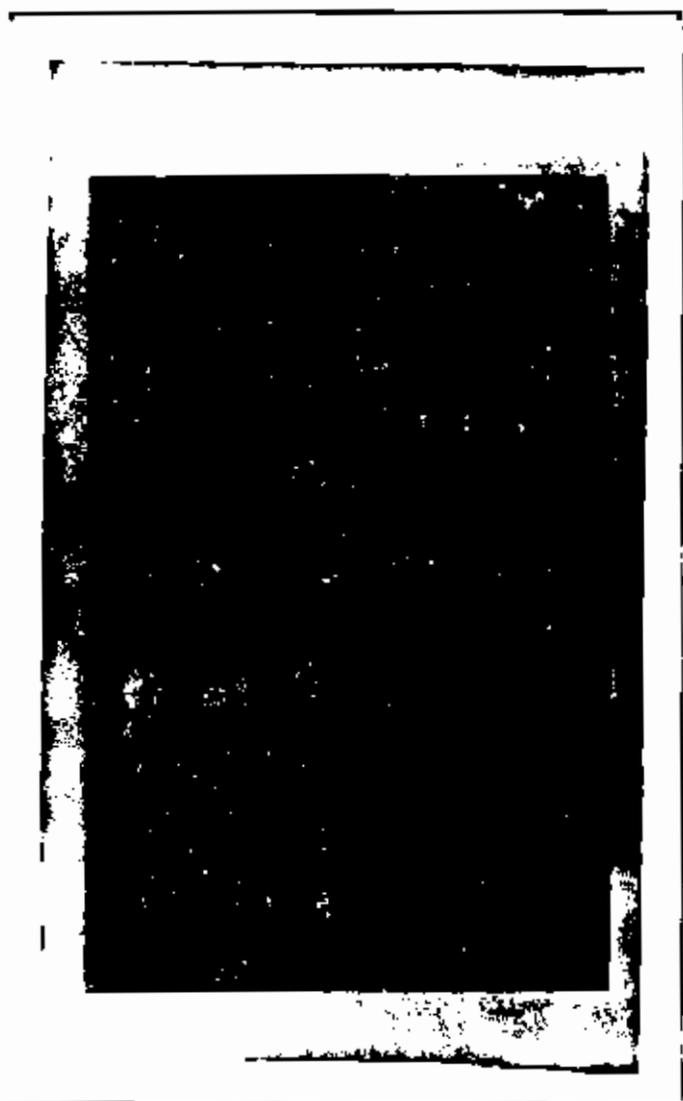
(صورة رقم ٦) : ضروس صغيرة تكونت على شاطئ أملي ضعيف الأحدور-



(صورة رقم ٧) : ضروس غير فاضجة (لاحظ الاختلاف طوال قرون الضروس)
على شاطئ القضايرة .



(صورة رقم ١٥) : ضروس فاضجة غير شجرية (لاحظ اختلاف طول القرون)



- 42- For the various types of Mithra in which he appears associated with these elements see Rainer Vollkommer, "Mithras", in LIMC, VI, 1, Zürich & München, 1992, pp. 583 ff.
- 43- Ibid, p. 583; Joscelyn Godwin, *Mystery Religions in the Ancient World*, London, 1981, p. 68.
- 44- Vollkommer, op. cit. p. 583.
- 45- Franz Cumont, *The Oriental Religions in Roman Paganism*, translated by Grant Showerman, New York, 1965, p. 140.
- 46- Ibid, p. 24.
- 47- Samuel A. B. Mercer, *The Religion of Ancient Egypt*, London, 1949, p. 414, Erman, op. cit. p. 228.
- 48- Bonner, op. cit. p. 139; Cumont, op. cit. p. 24; Vollkommer, op. cit. p. 622.
- 49- Husselman, op. cit. pp. 55 - 56, 77 note 64.
- 50- For example, the idea of the rising and the setting sun in the mysteries of Mithra agrees with the same idea expressed by a different way in a terracotta showing Harpocrates emerging from a lotus flower in front of a solar disc while, beneath him, Serapis, flanked by serpents, is sinking down into the lotus flower Harpocrates is the rising sun and Serapis is the setting sun. For more details about the similarity of solar functions of both Harpocrates and Mithra see El - Khashab, op. cit. p. 217.

traced to an old cult in Fayyum. The cobra - goddess Renenut was the deity and the protector of the harvest. Amenemhat III and his son Amenemhat IV dedicated a temple to her in Fayyum; the province in which Karanis was located. The agricultural and economical conditions in the third century A. D. were on the wane. Therefore, symbolizing such deity might be suitable for the situation. For Renenut see W. C. Hayes, "The Middle Kingdom in Egypt" in *Cambridge Ancient History*, vol. 1, part 2, Cambridge 1971, pp. 511, 517.

34- Horus is depicted with a human body surmounted by seven animal heads. See Budge, *op. cit.* II, p. 493; Mercer, p. 128.

35- Bonner, *op. cit.* p. 152.

36- A point of view regarded the composite sphinx of the Graeco - Roman period as the god Toutou - Tithéos who was conceived as a victorious deity developed out of Heka. Obviously, the connection of this composite sphinx is more evident with Horus than with Heka for the evidence mentioned above. For Toutou - Tithéos see Zivie, *op. cit.* cols. 143 - 145.

37- Budge, *op. cit.* vol. 1, p. 493.

38- Mercer, *op. cit.* p. 143.

39- Poole, *op. cit.* pl. xv no. 284.

40- Mercer, *op. cit.* p. 144.

41- LIMC, IV, 2, p. 258 no. 290a.

30- Macrobius, *Saturnalia*, I, 20, 13 - 14. Many of literary sources mentioned the three - headed kerberos without specifying what kind of heads. They are presumed to be canine unless otherwise specified explicitly. Some authors gave it more than three heads describing it as hundred - headed. See Susan woodford & Jeffrey Spier, *op. cit.* pp. 24 ff. Another triple - headed animal is the Chimaira which was killed by Bellerophon. It was frequently depicted with three heads of a lion, a horse and a serpent surmounting a lion's body. For more details see Anne Jacquemin, "Chimaira" in *LIMC*, III, 1 München, 1986, pp. 249 ff; Ingrid Krauskopf, "Chimaira" in *LIMC*, III, 1, München, 1986, pp. 259 ff.

31- Mercer, *op. cit.* p. 134; k. Sethe, *Zur altägyptischen Sage von Sonnenauges das in der Fremde war*, Leipzig, 1912, p. 5.

32- El - Khashab, *op. cit.*, p. 219.

33- *LIMC*, IV, 2, pp. 245 no. 121a, 248 no. 157, 262 no. 344a; Dattari, *op. cit.* pl. XXII nos. 1827, 3517; XXIV no. 1849, 5039; Erman, *op. cit.*, fig. 111. The serpent appeared associated with Harpocrates in the late dynastic period on a number of magical stelae known as "Cippi of Horus". These stelae were used to protect the inhabitants of the house against beasts, insects, illness, etc., see Budge, *op. cit.* pp. 267 ff, Erman *op. cit.* p. 161; Mercer, *op. cit.* p. 133. Another explanation for the representation of the cobra might be

- 17- Hassan, op. cit. p. 75.
- 18- Ibid. pp. 75 ff; Hans Wolfgang Helck, "Sphinx" in *Der kleine Pauly*, vol. 1, München, 1979, cols. 307 - 309.
- 19- *Lexicon Iconographicum Mythologiae Classicae (LIMC)*, IV, 2, München 1981, p. 249, no. 181, p. 255 no. 243a.
- 20- Ibid, pp. 242 no. 12, 255 no. 240a, 259 no. 300.
- 21- Abdel - Mohsen El - Khashab, "the Cocks, The Cat and the Chariot of the Sun" in *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*. 55, 1984. pl. XV a.
- 22- Budge, op. cit. p. 367.
- 23- Ibid, p. 366.
- 24- Diodorus Siculus, i, 85.
- 25- Adolf Erman, *A handbook of Egyptian Religion*, translated by A. S. Griffith, London, 1907, p. 226.
- 26- Mercer, op. cit. p. 214.
- 27- Ibid, p. 218.
- 28- Weber, op. cit. p. 65; LIMC, op. cit. pp. 245 nos. 112c, 113a, 121c, 121a; 260 no. 309.
- 29- Susan Woodford & Jeffrey Spier, "Kerberos" in LIMC, VI, 1, München, 1992, p. 32.

- from the breast and a tail in the form of a cobra. In addition, it is treading over a serpent. See, R. S. Poole, catalogue of Greek Coins, Alexandria and the Nomes, London, 1892, p. lxxxvii. pl. xxvi no. 835; G. Dattari, Numi augusti alexandrini, 2 vols, Cairo, 1901, pl. xxxi nos. 1180, 2002.
- 9- Budge, op. cit. p. 360; Campbell Bonner, Studies in Magical Amulets, Chiefly Graeco - Egyptian, Ann Arbor, 1950, p. 36.
- 10- Samuel A. B. Mercer, Horus, Royal God of Egypt, Grafton, Massachusetts, 1942, pp. 221, 225.
- 11- Ibid, p. 124.
- 12- Bonner, op. cit. p. 288, pl. X no. 211.
- 13- Wilhelm Weber, Die Ägyptisch - Griechischen Terrakotten, 2 vols., Berlin, 1914, vol. 1 p. 66.
- 14- Dattari, op. cit. pl. xiv nos. 1726, 3464.
- 15- H. I. Bell, Cults and Creeds in Graeco - Roman Egypt, Liverpool, 1953. p. 18. As for the panther as a companion of Dionysus, we have examples of Alexandrian coins on which the god appears riding a biga of banthers. See J. G. Milne, A History of Egypt under Roman Rule, 3rd edition, revised and enlarged, London, 1924, p. 201, fig. 94; Dattari, op. cit. pl. XII no. 849.
- 16- Being a god of fertility, Dionysus was identified with Osiris. See Bell, op. cit. p. 19.

- 4 - selim Hassan, *Le Sphinx*, Cairo, 1951. p. 83; E. A. Wallis Budge, *The Gods of the Egyptians*, 2 vols. London 1904, vol. 2. p. 360.
- 5- Hassan, *op. cit.* p. 84; Christiane M. Zivie, "Sphinx", in *Lexicon der Ägyptologie*, vol. V, Wiesbaden, 1984, col. 1140. The sphinx had been a guardian of the living as well, hence the gate of the palace of Sinwesert I was flanked by a pair of sphinxes. Not exclusively constricted to a particular type, the name Seshep - Ankh was used to indicate the sphinx in general during the Middle Kingdom. See Hassan *op. cit.* pp. 82 - 83.
- 6- The other types of the sphinx are the crouching, the seated and the standing. See Zivie, *op. cit.* cols. 1140 - 1144.
- 7- *Ibid*, col. 1143.
- 8- For example, we have a relief in the Egyptian Museum with the figure of a composite sphinx. It is depicted with a lion's body, a female human head and a head of a crocodile projecting from the chest. Another head of a falcon is protruding from the winged body. The tail is shaped as a cobra and around each leg coils another one. This relief is dating from the first half of the second century A. D. See, Hassan, *op. cit.* pp. 71 - 72, fig. 27. The Roman Alexandrian coins have introduced also examples of androsphinxes on the coins of the 13th year of Trajan and the 18th year of Hadrian. the sphinx appears with a man's head, a lion's body, a head of a crocodile emerging

Footnotes

- 1- See the bibliography of the works dealing with Karanis, Eliour M. Husselman, Karanis Excavations of the University of Michigan in Egypt, 1928 - 1935, Topography and Architecture, Ann Arbor, 1979, pp. 2 - 4.
- 2- Originally the building had been used as a granary in the latter half of the second century. In the third century it was converted into a house and re - used for housing, see Husselman, op. cit. pp. 9, 16, 59, 61. I think that this painting must have been ascribed to some time before the beginning of the fourth century when the house fell out of use and became in ruins. Considering the nature of a painting on a thin layer of plaster applied over mud coats, we believe that it can hardly resist the destructive effect of an inhabited place. Recently the Egyptian village began to turn to the use of the burnt brick for the purposes of construction at the expense of the sun - dried brick which has been the traditional material for thousands of years. Nevertheless, a lot of buildings with sun - dried brick are still extant. A house of a sun - dried brick might stay for over a hundred years but only with a constant mainenance of the mud coats which erode quickly. A coat of plaster might stay longer but not too long. Therefore, the latter half or quarter of the third century might be acceptable as a date for the painting.
- 3 - Husselman, op. cit. pp. 61 - 62. pl. 102a.

The ease of communications, the exchange of products and ideas and the mingling of races increased the extent of the the diffusion of Mithraism and other oriental cults whose propagation in the Roman Empire must have been achieved through merchants, soldiers and even slaves ⁽⁴⁶⁾.

Votaries of Mithra spreaded in Egypt as well as in the other provinces of the Roman Empire ⁽⁴⁷⁾. The adherents of his cult had been exclusively men and mostly soldiers ho played a great role in the diffusion of Mithraism ⁽⁴⁸⁾.

Most important for a possible Mithraic influence is the discovery of bulidings presumed to be military barracks and a Mithraeum in addition to a wall painting representing the Mithraic sacrifice of slaying the bull "Tauroctone" at Karanis ⁽⁴⁹⁾.

To sum up, the conception of the composite sphinx with multiform heads must have been introduced into Egypt under Greaco - Roman influence. The melange of symbols and attributes which coincide in their connotations are supposed to activate the powers of fertility and protection embodied in the sphinx with the aim of achieving the utmost efficacy. Taking into consideration the solar nature of both harpocrates and Mithra and the attributes they have in common we may infer that the symbolism of the Mithraic conceptions must have been appealing to the Egyptians owing to the similarity in ideas ⁽⁵⁰⁾. Therefore the composite sphinx is supposed to come under a synthesis of Graeco - Egyptian and Mithraic influences.

The combining of the jackal as a symbol of Anubis with solar symbol seems to be neither peculiar nor objectionable since Anubis was identified with Horus⁽³⁸⁾ and there are parallel instances of similar cases. Serapis for example, was conceived as a chthonic deity. Nevertheless, he was endowed with solar attributes and identified with Helios. Consequently, he occurred on the Roman Alexandrian coins as Helios - Serapis⁽³⁹⁾. Similarly, Apis had coalesced with Horus⁽⁴⁰⁾. In Graeco - Roman period Harpocrates appeared surmounting Apis' back⁽⁴¹⁾. Accordingly, his presence in the painting is presumed to accord with the other elements i. e., Harpocrates and the sphinx.

Another interpretation might be introduced regarding the accumulation of such diverse elements in the sphinx as most of them could be traced to foreign influences.

The lion, the human radiate head, the dog, the serpent, the dagger and the bull are all elements related to Mithraic mythology⁽⁴²⁾. Mithra was a sun - god and his myth symbolizes the sun's gift of fertility to crops and creatures⁽⁴³⁾.

As a sun - god, Mithra was assimilated to Helios and Apollo in Kommagene in the first century B. C.⁽⁴⁴⁾. From the beginning of the second century A. D. the Roman Empire witnessed a considerable extension of his cult which remained the most important pagan cult down to the end of the fourth century⁽⁴⁵⁾.

talities. Gods with human bodies surmounted by multiform animal heads occurred occasionally in Egyptian art. For example, the god Herseph appeared with a human body and four animal heads of a bull, a ram and two falcons (31).

As for the cobra which replaced the tail of the sphinx and coiled around each leg, it is supposed that serpentine characteristics express protection and fertility (32). In Graeco-Roman Egypt it appeared associated with Harpocrates as well as many other gods (33).

The daggers held by the sphinx are presumed to have some connection related to it and to the other attributes included in its representation. A composite form of Horus dates from the late dynastic period appears holding a dagger in his right hand and a serpent in his left (34). Harpocrates, occasionally, occurred on the magical amulets of Graeco-Roman Egypt holding a dagger or a cobra with his right hand (35).

It is obvious that this composite sphinx is connected with Harpocrates, the main figure in the painting (36). As one of the forms of Horus, it combines all the attributes of the gods with whom Horus or Harpocrates was identified. This pantheistic type, which manifests the theological syncretism that was dominant in Egyptian mythology, occurred in previous representations of Horus whose appearance in a pantheistic composite form attained the description of Budge as "The god comprehending all the gods" (37).

narrated that the dog guarded the body of Osiris and guided Isis in her search for it ⁽²⁴⁾.

Also there might be a connection between the representation of the dog and the goddess Isis as she, in Egyptian mythology, was associated with the star Sothis whose appearance in the sky marked the inundation. The Greeks called Sothis the dog star, consequently Isis got the dog among her attributes and appeared riding it with a sparkling star over its head ⁽²⁵⁾.

Equally, Horus was identified with Sothis since we find among his epithets "Horus the dog - star" ⁽²⁶⁾. Another epithet "The Dog of Horus" ⁽²⁷⁾ might interpret the appearance of Harpocrates in association with the dog in some of his figures ⁽²⁸⁾.

The three - headed animals were known in Greek and Roman arts. One of these animals, Kerberos, the guard - dog of Hades became associated with Serapis as early as the beginning of the Hellenistic period ⁽²⁹⁾. According to Macrobius a statue of Serapis was accompanied by a three - headed animal with a central head bearing the likeness of a lion and two lateral heads, a dog's head on the right and a wolf's head on the left. A serpent connects these heads with its coil and turns back to the right hand of the god ⁽³⁰⁾. In some respect, the description is fairly comparable to the composite sphinx.

Creatures with multiform heads were not peculiar to Egyptian men-

The dotted body of the Sphinx is apparently simulating the spotted body of the panther but in a crude version. The panther was a companion of Dionysus whose cult found its way into Egypt due to its adoption by the Ptolemies in accordance with claiming their descent from the god⁽¹⁵⁾. The indication to an attribute of Dionysus might be expressive of fertility⁽¹⁶⁾. Another suggestion that the artist might have intended to confer vividity on the painting to render it more effective and impressive by adding the dots, is possible.

The Egyptian sphinxes are commonly represented as androsphinxes. Nevertheless, instances of female sphinxes exist⁽¹⁷⁾. Conversely, the Greek types are confined to female sphinxes⁽¹⁸⁾.

The male head represented here is encircled by a radiate nimbus; an attribute that maintains the solar significance in the Greek manner. Harpocrates, in many figures from Graeco - Roman Egypt, appears connected with solar attributes through the solar disc⁽¹⁹⁾ which he wears in addition to the radiate nimbus with which he is indowed in various types⁽²⁰⁾. He replaced Helios as being associated with Selene in one instance⁽²¹⁾.

The other two lateral heads of a jackal and a dog might have been connected with Anubis. The jackal was sacred to Anubis⁽²²⁾. The dog was confounded with the jackal as it was mistakenly looked upon as the sacred animal of Anubis in the Graeco - Roman period⁽²³⁾. Diodorus

an upright black dagger in each paw and a black cobra is entwined around each leg ⁽³⁾. See the picture.

The composite sphinx, which comprehends such diverse elements, will be our objective.

The sphinx with a lion's body and human head has a solar significance connected with Horus ⁽⁴⁾. The first direct reference to the grand Sphinx goes back to the XVIIIth dynasty. He was called Hor - ern - Akht, i. e., "Horus in the Horizon"; Harmachis of the Greeks. He was conceived as the deity and the guardian of the dead in the New Kingdom ⁽⁵⁾.

The walking type of the sphinx with a single head had occurred as early as the Old Kingdom ⁽⁶⁾ but the sphinx with plurality of heads seems to have no traces before the Graeco - Roman period ⁽⁷⁾. Graeco - Roman Egypt introduced several instances of Sphinxes combining human and animal heads ⁽⁸⁾.

The lion was conceived as a solar animal associated with solar deities ⁽⁹⁾. Among the titles of Horus we find "Horus who is a lion" ⁽¹⁰⁾. Harmachis was represented as a lion - headed man ⁽¹¹⁾. By virtue of his solar attributes, the types of Harpocrates as a sun - god occurred in Graeco - Roman period on some magical gems riding a lion with a radiate nimbus around his head ⁽¹²⁾. He also appears riding a crouching Sphinx in terracotta ⁽¹³⁾ as well as on the Roman Alexandrian coins ⁽¹⁴⁾.

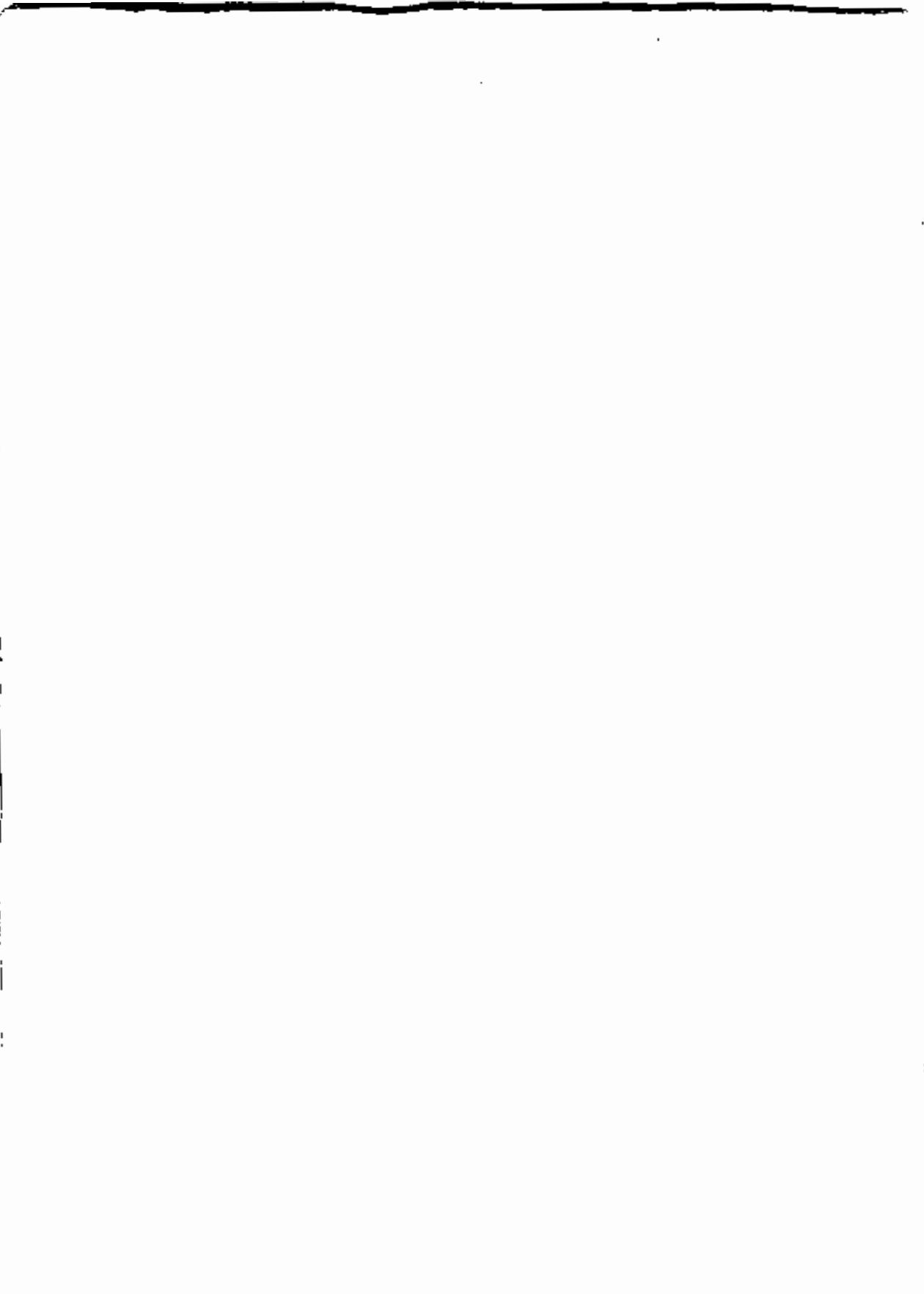
A Composite Sphinx from Karanis

The excavations of the University of Michigan at Karanis (modern Kom Aushim in Fayyum) have yielded a great many monuments and finds such as houses, temples, granaries, barracks, textiles, glass, coins, etc (1).

A coloured wall painting in a house belonging to the third century A. D. (2) will be the subject of this study.

The painting is represented on a wall of an alcove at the courtyard of the house. It is about one metre above the floor level and measures 1.14m in width and .68m in height. The background of the scene is a coat of thin grayish - white plaster.

The central figure depicts Harpocrates seated on a throne with his left hand holding two lotus flowers and his right hand to his mouth. On both left and right of the legs of the throne stands an Apis bull with a sun disc between his horns. In front of each bull there are traces of an altar. On a maroon stand to the left of Harpocrates there is a three-headed Sphinx outlined, as the figure of the god, by a narrow band of maroon. The Sphinx has a lion's body dotted with maroon and a curved tail in the form of a cobra in maroon and black. The central main head is a human one wearing an Egyptian headdress with a radiate nimbus. On the two sides of the neck's base project a black head of a jackal on the right and a pale red head of a dog on the left. The animal holds



**A COMPOSITE SPHINX
FROM KARANIS**

Mona Haggag

Department of Archaeology and Classical Studies,
Faculty of Arts, University of Alexandria.

تصوّر « مجلة كلية الآداب » وأسطاراتها محكمة عن
كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث
مكتوبة على الآلة الكاتبة من ثلاث نسخ . ويجب ألا يزيد عدد
صفحات البحث عن ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط
مكتوبة على الآلة الكاتبة.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم :

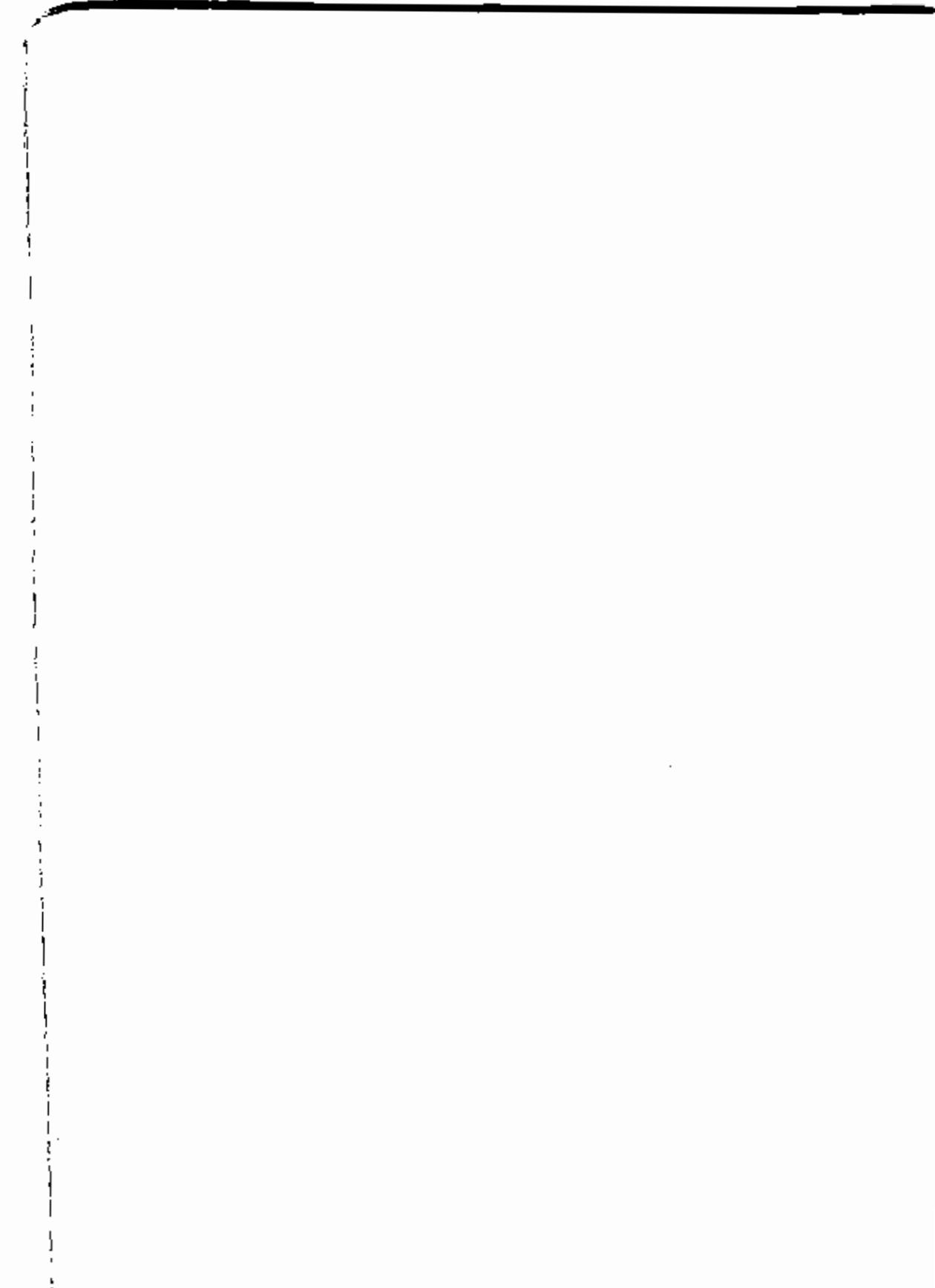
الأستاذ الدكتور محمد عبده ومجوب

رئيس كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الشاطبي - الإسكندرية

جمهورية مصر العربية



مجلة كلية الآداب مجلس التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور فتحى محمد أبو عيانه

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد عبد معجوب

مدير التحرير

الأستاذ الدكتور محمد بيومى مهران

أعضاء مجلس التحرير

أ.د. سعد زغلول عبد الحميد

أ.د. سلمى محمود جبر

أ.د. عبد الرحمن محمد العيسوى

أ.د. عثمان سليمان موافى

أ.د. عزيزة سعيد محمود

أ.د. غريب سيد أحمد

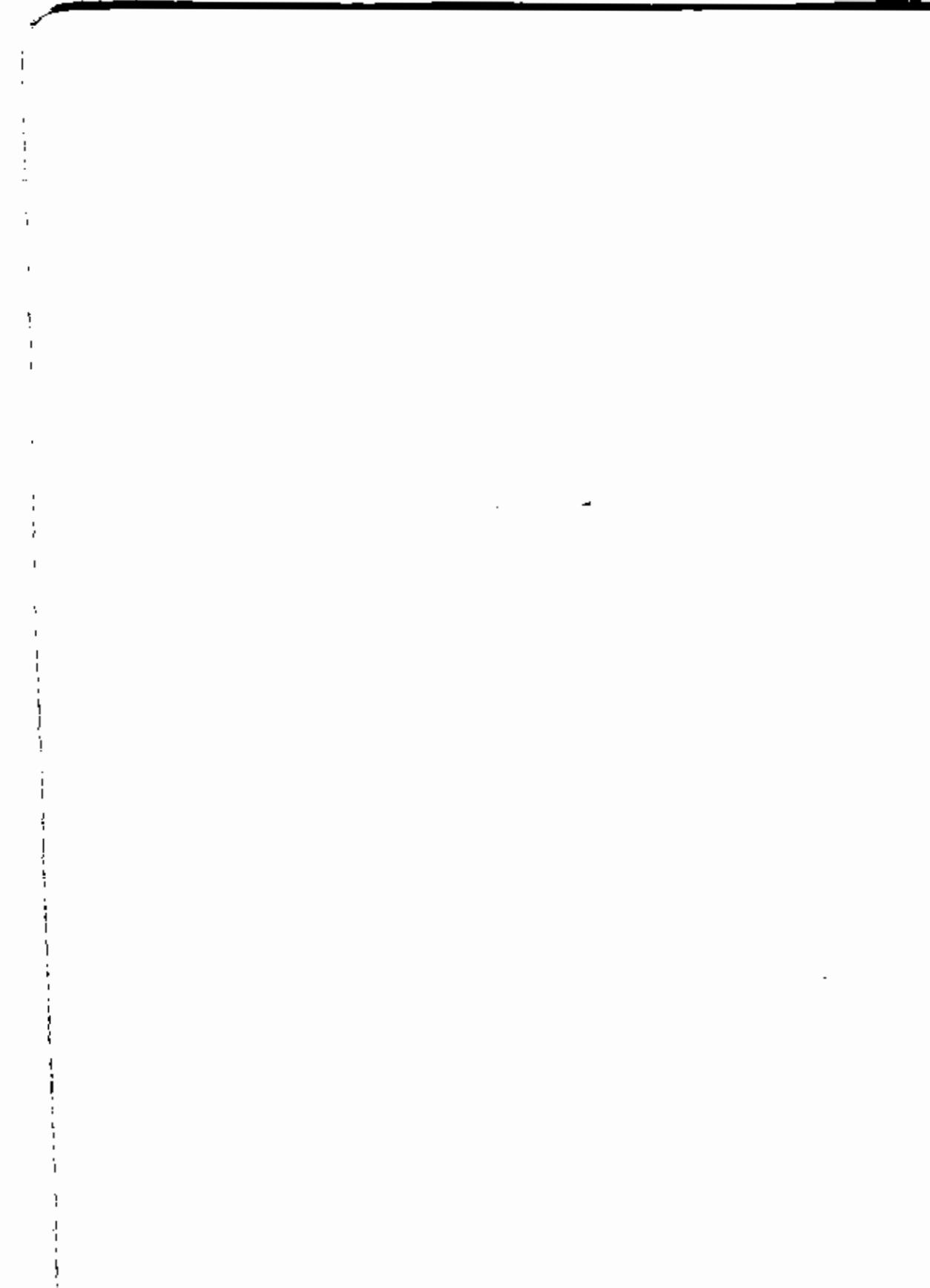
أ.د. محمد عبد الصخر نصر

أ.د. محمد محمد حلمى هليل

أ.د. محمد محمود السروجى

أ.د. نادية محمود عبد الله

السيدة / تسمى إبراهيم عبد الغنى (سكرتيرة المجلس)



المفترضين

رقم الصفحة	الموضوع
	موضوعات الشعر وديوان عابر سبيل
١	د. معاد عبد الرهاب إيران في عصر البيشناديين والكيانيين بين السعودي والفردوسي
٦١	د. سميرة عبد السلام عاشور رؤية نقدية لمقامات بديع الزمان الهمذاني
١٢٧	د. نسيحة الغيث حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز
٢٠٩	د. أحمد محمود صابرين التوازن واللاتوازن الإقليمي - دراسة جغرافية تطبيقية علي مدينة
٢٤٥	د. أسامة رشاد جستنبة رايغ
	د. سامي صلاح النعري الجفاف وتأثيراته الأيكولوجية في الوطن العربي
٢٩٧	د. عبد الله رمضان عبد الله الكندري اللوتس والسلفيون في التراث الكلاسيكي انقديم
٣٤٢	د. حسين الشيخ الإسكندر الأكبر وبلاد العرب ضوء جانبي من خلال فكره السياسي
٣٦١	د. سلوي محمود نصر والديني
	الأدوات الطبية في مصر في العصرين اليوناني والروماني
٤٠٩	د. عنايات محمد أحمد التطهير أم المتعة
٤٥٣	د. ليلي محمد عبد النعم

أندى

رقم الصفحة

الموضوع

- أحرام برقة وطرابلس في أوائل العصور الوسطى (٢٨٤١ - ٤٥٥ م)
٤٦٥ د. إبراهيم خميس إبراهيم سلامة
- أثر الظواهر الإيكولوجية والثقافية في الليجة المغربية بفاس
٤٨٧ د. متال عبد المنعم جاد الله
- ضروس الشاطئ - توزيعها ، تصنيفها ، نشأتها
٥٧١ د. فتحى عبد العزيز ابوراضى

A Composite Sphinx From Karanis

1

Dr. Mona Haggag

Behaviour of Beach Fill at the Coast of Alexandria City, Egypt .

17

Dr.Fathy. A. Abou - Raddy